الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

رحلات غربية
(١١٨٧ — ١٣٥٠)

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار

الجزء السابع والثلاثون

دمشق ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م

الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

١ — بيد المزيف(حجاج مجهولون) ١١٨٧ م

٢ — أرنـــول ١١٢٢٠م

٣ — بورتشارد ١٢٨٠ م

٤ — لودولــف ١٣٥٠ م

١

بيد المزيف(حجاج مجهولون) ١١٨٧ م

حجاج مجهولون

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

لم يتوقف الارتحال إلى فلسطين منذ انتشار المسيحية في العالم، وغالباً ما جاء الارتحال إليها لأسباب دينية، وازداد الاقبال على الحج إلى فلسطين بعد انتصار عبادة الايقونات، مع الارتحال لزيارة الآثار المقدسة، وقد رأى الفرنجة الذين شاركوا في الحروب الصليبية، أنهم أنفسهم حجاجاً، وليسوا غزاتاً.

ونتيجة لهذا قام عدد كبير من الحجاج بتدوين أخبار رحلاتهم، وتركز اهتمامهم على مدينة القدس، واهتموا بالأماكن الأخرى في فلسطين مثل بيت لحم، والخليل، وسبسطيه ونهر الأردن،وما دونه الرحالة من أوربا هام جداً، ووثائقي، أفسده فقط محاولات المطابقة مع أخبار العهد القديم.

ومن كتب الرحلات، يمكن التعرف إلى خطط القدس وأهم الكنائس والبيع فيها، والأسواق واختصاصاتهاوأصحابها، ومن هذه الكتب نرى أن القدس في القرن الصليبي الأول كانت —على الرغم من إبادة سكانها من قبل الحملة الأولى — عربية من جميع الجوانب، إنها تحت الاحتلال الفرنجي، وأن الفرنجة ظلوا دوماً يشعرون في قرارة أنفسهم أنهم غرباء، ولذلك لم يقاوموا صلاح الدين سنة ١١٨٧ م إلاّ قليلا، ونشدوا سلامتهم، وسلموا القدس إلى المحرر المسلم.

وصحيح أن مدينة القدس حظيت من كتابات الرحالة بالنصيب الأكبر، لكن الأوصاف التي وصلتنا عن بقية أجزاء فلسطين والشام الجنوبي هامة جداً من الجوانب السكانية الاجتماعية، والزراعيةوالمائيةوالاقتصادية.

وأقـدم في المجلد الحالي اثنتي عشرة رحلة تمت مـا بين ١١٨٧ — ١٣٥٠، أجملتهـا تحت أربعة عناوين، وهذه الرحـلات فيهـا مواد هامـة جـداً من الممكن ادراك قيمتهـا لدى التعـامل معهـا، وهناك في هذه الرحـلات مشكلة ضبط الأسماء، وتدقيـق المعلومـات حيث لا شك أن بعض الرحـالة نقل عن بعضهم الآخـر، فضـلاً عن هذا لم تكن ثقـافـة الرحـالـة كلهـا على مستـوى واحـد، بل تفـاوتت خـاصـة فيما يتعلق بمحتويات العهدين القـديم والجديد، وهنا نجد شيئاً كثيراً من التفاوت بمـواد الأوصـاف من حيث الحجم والـدقـة، وضبط الأسماء، لكن هذا لايقلل كثيراً من قيمـة المواد الأسـاسيـة وأهميتهـا للبـاحثين والقـراء المهتمين.

ويلفت الانتبـاه أن الرحـالة جميعاً على كثـرتهم، لم يشيروا إلى وجـود أحـد من اليهـود في فلسطين في القـرون: الثـاني عشر والثـالث والرابع عشر، ونستخلص من كل الرحـالة بأنهم شعـروا بأنفسهم غـرباء عن سكان فلسطين والشـام الجنوبي من عـرب مسلمين ومسيحيين، كما أنهم لم يشيروا إلى وجـود تناقضـات أو صراعات بين الفئات العـربيـة، وكما سلف بي القـول نظروا إليهـم نظرة واحـدة، وحملوا نحـوهـم مشـاعـر واحـدة، فـالمسيحيين العـرب كـانوا في أبسط الحالات بالنسبـة إليهم هراقطة، أما المسلمين العـرب فكانوا بالنسبة إليهم غير مـؤمنين، وطبعاً الفوارق بين الهرطقة وانعدام الايمان ليست كبيرة.

وبرحلات هذا الجزء أكون قد قدمـت جل الرحلات المعروفة خلال قرني الحروب الصليبيـة مع نصف القرن الرابع عشر، والمتبقي لدي، هو ثلاث رحلات، اثنتـان قصيرتان نسبياً، وواحدة طويلة جـداً، جاءت في أربعـة أجـزاء، وهـي رحلة كتـاب عجـائب، وقـد حملت اسم فيلكس فابري، وقد أبدأ بتقديم نص هذه الرحلة بعد هذا الجزء مباشرة، أو بعد جـزء تاريخي، يحوي مـا نسب إلى متى البـاريسي، ذلك أنني مـا برحت

أسعى للحصول على نسخة من هذا الكتاب منذ ثلاث سنوات، وبذلت في سبيل ذلك جهوداً مضنية، أثمرت مؤخراً في بشائر بالحصول على صورة لأول طبعة لهذا الكتاب صدرت في منتصف القرن الماضي، وعلى طبعة جديدة صدرت عام ١٩٨٤، وطبعة أحدث، أعاد ناشروها النظر في عنوان الكتاب وحجمه ونسبته إلى مؤلفه.

وأعترف أن الحصول على المصدر مرهق مادياً ومعنوياً، لكن مع المثابرة والاخلاص يأتي التيسير من عند الله، ولولا تيسير اللهوعونه ما كان بالامكان انجاز ما أنجز من مشروع هذه الموسوعة وتأمين مصادرها من مختلف أرجاء الأرض.

فلله الحمد دائماً وأبداً، ومنه أستمد العون والسداد، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم.

دمشق ٢٠ شعبان ١٤٢٠ هـ —٢٨ تشرين ثاني ١٩٩٩ م

سهيل زكار

١ — حاج مجهول
(الشطر المبكر من القرن الحادي عشر)
هنا بداية وصف الأماكن المقدسة

١ — الذي هو من الأجزاء الغربية من العالم، ويرغب بالذهاب إلى القدس، عليه أن يديم توجهه نحو الشرق، من حيث تشرق الشمس، ولسوف يجد أماكن الصلوات في القدس كما هي موصوفة فيمايلي:

٢ — في القدس حجرة مغطاة بحجرواحد، حيث المكان الذي كتب فيه سليمان كتابه بالحكمة، وهناك أيضاً جرى سفك دم زكريا، فيما بين المعبد والمذبح، وليس بعيداً عن هذا المكان، توجد الصخرة، التي يقدم إليها اليهود في كل عام، فيدهنوها، وينوحون، ثم يعودون وهم ينوحون، وهناك بيت حزقيال، ملك اليهودية، الذي إليه منح الرب ثلاث مرات، إطالة عمره خمس سنوات، وهناك أيضاً بيت كيفاس، والعمود الذي ربط إليه المسيح، ومن ثم جلد، وعلى مقربة من باب نابلس(باب دمشق الآن) توجد قاعة محكمة بيلايطس، حيث جرى الحكم على المسيح من قبل كبار الكهنة، وليس بعيداً عن هناك توجد الجلجلة، أو مكان أكرا(الجمجمة) حيث جرى صلب المسيح ابن الرب، وحيث أيضاً دفن آدم، الذي هو الإنسان الأول، وحيث قدم إبراهيم ضحية إلى الرب، وعلى بعد رمية حجر طويلة من هناك، باتجاه الغرب، يوجد المكان الذي فيه دفن يوسف الرامي الجسد المقدس للمولى يسوع، وهناك كنيسة جميلة البناء، شيدت من قبل الامبراطور قسطنطين، ومن جبل أكرا، وعلى بعد ثلاثة عشر قدماً باتجاه الغرب، يوجد وسط العالم: وعلى جهة اليسار، يوجد السجن الذي يقال بأن المسيح قد سجن فيه، وعلى جهة اليمين(اليسار) يوجد الضريح، وبجواره تماماً، هناك دير

لاتيني مكرس للقديسة مريم العذراء، وقد بني حيث كـان بيتها يقوم، ويوجـد في هذا المكان نفسه مـذبح، قـائم فوق المكان الذي وقفت فيـه مـريم أم الرب، ومريـم كليفاس، ومـريم المجـدلية معهـا، وقفن يبكين وينحن، لأنهن رأين المولى فـوق الصليب، وهنا قال يسـوع لأمه«انتبهي أيها المرأة إلى ابنك»، وقال لحواريه:«انتبـه لأمي»، وعلى بعد رميتي سهم من هذا المكان، باتجاه الشرق، يوجد هيكل الرب، الذي كان قد بني من قبل سليمان، والذي جـرى تقـديم المسيح فيه من قبـل سمعان العـدل، فعلى جهة اليمين لهذا الهيكل، بنى سليمان هيكله، وبنى فيما بين الهيكلين رواقاً جميلاً بأعمدة رخامية، وإلى اليسار من هناك توجد بركة الضأن.

٣ — وعلى بعـد حـوالي الميل من هناك، بـاتجاه الشرق، من الممكن رؤية جبل الزيتون، حيث صلى الرب يسوع إلى أبيـه قائلاً:«أبي، إذا كان ذلك ممكناً» إلخ، وكتب دعاء الرب فوق صخرة، ومن هنا ك صعد إلى السماء، قائـلاً لحوارييه:«اذهبـوا، وعلموا جميع الأمم» إلخ، ويـوجد فيما بين هيكل الرب وجبل الزيتون، وادي شعفاط، حيث جرى دفن مريم العـذراء من قبل الحواريين، وهو الـوادي الذي سـوف يحكم فيـه الرب بين الناس يوم الدينونـة، وعلى مقـربة منه هناك قـرية اسمهـا جيسماني، وهناك، خلف بركة قدرون، توجد الحديقـةالتي جرت فيها خيانة يسوع من قبل يهوذا، وعلى مقـربة من هـذا المكان يوجـد ضريح النبي إشعيـا، وعلى بعد ميل من هناك توجـد قرية بيت عنيا، حيث أقـام المولى العازر بعـدما مضى على مـوته أربعة أيام، وفي المنطقـة نفسها، وعلى بعـد ثلاثة عشر أو ثمانيـة عشر ميـلاً على الطريق إلى أريحا، توجد شجـرة الجميـز، التي تسلقها زكريا علّه يرى المولى يسوع، وفي الجهة الأخرى، وعلى بعد ميل من أريحا، يوجـد نبع إيليـا، الذي تولى مبـاركتـه، ورش فيـه الملح، وعلى مسافة خمسة أميال من هناك يوجد نهر الأردن، حيث جرى تعميد الرب، وذلك على بعد ثمانية فـراسخ عن القدس، وليس بعيداً عن هناك

يوجد الجبل، الذي حمل منه إيليا إلى السماء.

٤ — وتستغرق الرحلة من الأردن إلى جبل سيناء ثمانية أيام، حيث تجلى الرب لموسى داخل العليقة وأعطاه الشريعة، ويوجد في هذا المكان إبريق ماء عظيم، يتدفق بالزيت بدون توقف، وعلى مسافة سفر ثلاثة أيام من القدس، يوجد جبل الطور، حيث تحول شكل الرب، ويقال إنه يوجد عند سفح هذا الجبل: الجليل وبحر طبرية، الذي ليس بحراً، بل بحيرة، يتدفق منها نهر الأردن.

٥ — وعلى جهة اليمين لمدينة القدس، وعلى بعد رميتي سهم، يقوم جبل صهيون، حيث بنيت فوقه كنيسة من قبل سليمان، وهناك تعشى المولى يسوع مع حوارييه، وهناك أيضاً أنزل عليهم الروح القدس، وهناك أيضاً انتقلت مريم العذراء من هذا العالم، وأسلمت الروح، وحمل الحواريون جسدها الأعظم قداسة، من هناك إلى وادي شعفاط، وعند سفح هذا الجبل توجد بركة نبع سليمان، التي يتدفق الماء منها وينبع من الأرض.

٦ — وليس بعيداً عن هناك توجد شكيم، حيث بحث يوسف عن إخوته عندما جاء من وادي الخليل، وتوجد هناك الأرض التي أعطاها يعقوب إلى ابنه يوسف، وهناك دفن جسده، وعلى بعد ميل من هناك تقوم شيكار Sichar، حيث تحادث الرب مع المرأة السامرية، وليس بعيداً عن هناك المكان الذي تصارع فيه يعقوب مع الملاك.

٧ — وعلى بعد أربعة أميال عن القدس، باتجاه الجنوب، تقوم بيت لحم، وفي بيت لحم كنيسة بنيت بأعمدة من الرخام، وذلك في المكان الذي ولد فيه المسيح، وليس بعيداً من هناك، وعلى جهة اليمين، يوجد معلف الرب، وعلى بعد اثني عشر ميلاً من هناك توجد قلعة إبراهيم،التي تدعى باسم قلعة تقوع حيث دفن إبراهيم نفسه، وإسحق،

ويعقـوب، مع زوجاتهم، ويوجـد على جهة اليســار جبل يدعى -Dom
inus Vidit ، حيث تحدث الرب مـع إبراهيم، وحيث أراد إبـراهيم أن
يضحي بابنه اسحق.

٢ — حاج مجهول
(قرن ثاني عشر)

١ — الذين يذهبون عبر الطريق العـالي من عكا إلى المدينة المقدسة، يصلون إلى مدينة الناصرة، وعلى فـرسخين من هناك يوجد جبل الطور، حيث تحول شكل المسيح، وقـرب هذا المكان نفسـه تقوم مـدينة طبرية، التي يجاورها بحر الجليل، حيـث صنع الرب كثيراً من المعجزات، وعلى بعد حوالي الفرسخين فوقها توجد المائدة، حيث أشبع الرب خمسة آلاف رجل بخمســة أرغفـة وسمكتين، ويأتي بعد ذلك مـدينة سبسطيـة، التي ينبغي احترامها، بسبب آثـار القديس يوحنا المعمدان، ويـذهب الانسان من هناك إلى البئر، حيث جلس الرب، عندما تحادث مع المرأة السامرية.

٢ — ويذهب الانسان من هناك إلى المدينة المقدسـة، فيدخلها، وأول مـا يدخل إلى كنيسة القـديس اسطفـان، وهي قـائمة فـوق المكان الذي رجم فيه، ومن هناك يذهب الانســان إلى كنيسة الضريح المقدس، وأولاً إلى مكان الجمجمــة(أكــرا)، حيث عــانى المسيح وتألم، وهناك يقــوم الحجاج بعد تعبدهم له مع صلبـانهم، برمي صلبانهم على الأرض ثانية، إشارة إلى أنهم قد أكملوا تعهـدهم ووفوا بنذرهم، ويذهب الانسان من هناك إلى مذبح، من المعتقد أنه مبني فـوق قطعة من العمود، الذي ربط المسيح إليه وجلد، وهناك في الجوار، مكان منخفض، وجد فيه الصليب المقـدس، وهو عبـارة عن كهف تحت صخـرة معلقـة، والمذبح قـائم في الوسط، وهو مكرس للقـديســة حنة، أمـا المذبح الموجـود على اليســار فمكرس للقديس قرياكوس Quiriacus ، الذي كان اسمه أيضاً يهوذا،

وهو الذي أرى الصليب إلى الرجل الميت، ولدى رؤيته له، حدثت المعجزة فعاد إلى الحياة ثانية، واهتدى، وأقيم أسقفاً للقدس، وفي وسط شرفة الكهنة، هناك مكان يستحق احتراماً خاصاً، لأن المسيح، بعد إنزاله من على الصليب مدد هناك، وذلك قبل حمله إلى الضريح، ويوجد هنا مصباح دائم الاشتعال، أما المذبح العالي فمكرس إلى القديسة مريم، ويصل الانسان بعد هذا إلى الضريح المقدس، ولهذا الضريح مذبح موجود في جهة الجنوب(جهة الشمال)، وكنيسة جميلة، مكرسة للصليب المقدس، حيث جرى حفظ الصليب المقدس، وإلى جانب هذه الكنيسة هناك كنيسة أخرى، عائدة إلى السريان، يحتفظون هم بداخلها بصليب مقدس أيضاً، وفي نهاية هذه الكنيسة تقريباً، على الجانب الجنوبي(الشمالي) يوجد المكان الذي يدعى باسم«السجن»، حيث جرى سجن المسيح، في الوقت الذي جرى فيه إعداد مكان الصلب فوق الجبل، وتحت الأعمدة الخمسة للكنيسة جرى دفن الأربعين شهيداً، الذين نعرفهم من خلال عيدهم الذي يكون يوم الثامن من آذار، وعلى مقربة من مكان الجمجمة، يوجد مكان مغلق الباب، يقول القديس جيروم بأن آدم قد دفن فيه، ويقول بعضهم بأن آدم تلقى(من الصليب) في فمه نقاطاً من الدم، الذي سال نحو الأسفل، وبفعل ذلك قام من بين الأموات، ويوجد هناك ثلاث بيع صغيرة ملاصقة للكنيسة من جهة الجنوب، أقربها إلى الكنيسةمكرس للثالوث المقدس، أما أقصاها، وهي التي تطل على الطريق، فمكرسة للقديس جيمس الكبير، ويقال بأن الرب قد جلس في المكان الذي يقوم فيه المذبح الأوسط، وأن القديس يوحنا جلس على يمينه، والقديس جيمس على يساره، ولذلك تمنت أمهم ورجت أن يجلس أحدهم على يمينه، والآخر على يساره في ملكوته، ولقد قيل أيضاً بأن القديس يوحنا وقف فوق البقعة القائم عليها مذبحه، عندما أوكل المسيح إليه أمر العناية بأمه، ووقفت هذه العذراء الأعظم مباركة نفسها، تراقب آلام ابنها، فوق البقعة ، التي

يوجد عليها المذبح العالي، وخارج الكنيسة الكبيرة، وإلى جانب الجمجمة، هناك بيعة صغيرة، مكرسة لمريم المجدلية، وهي قائمة فوق المكان الذي وقفت فيه المريمات الثلاث، وقت آلام الصلب.

٣ — وتقوم كنيسة القديس يوحنا المعمدان في المواجهة تقريباً، وهي تقابل الكنيسة الكبيرة، وهي جديرة بالاحترام والتشريف لأمرين هما: بسبب آثارها الأكثر قداسة، وبسبب فضائلها المتفوقة الشهرة، حيث من الممكن أن يرى الانسان هناك تنفيذ ستة(سبعة؟) أعمال مساعدة ورحمة(هي إطعام الجائع، وسقي العطشان، وإلباس العريان، وإيواء من لا مأوى له، وعيادة المريض، وزيارة السجين، ودفن الموتى)، وعلى مقربة منها يوجد كنيسة القديسة مريم للاتين، المتميزة بسبب قدمها، وللقيمة الجديرة بآثارها، ففيها يوجد رأس القديس فيليب، مع شيء من شعر القديسة مريم.

٤ — ويوجد على جبل صهيون المكان الذي ظهر فيه الروح القدس للحواريين على شكل ألسنة نارية، وأنار قلوبهم، وهناك غسل(المسيح) أقدام حوارييه، وجعل توماس يلمس طرفه، وهناك تعشى المسيح أيضاً، وهناك المائدة نفسها التي تعشى عليها، وأمام الباب يوجد المكان الذي يعرف باسم:«مكان الروح القدس»، وهناك على الجانب الجنوبي المكان الذي يعرف باسم الجليل، وهوحيث قال:«إنني سأذهب قبلكم إلى الجليل»، وفي مقابل هذا المكان وفوقه، في الجانب الشمالي، يوجد المكان الذي فارقت فيه مريم المباركة هذا العالم، وفي نهاية هذا القسم، باتجاه الشرق، يوجد مذبح، جرى تحته دفن القديسين: اسطفان، وجماليل، وأبيباس، ونيقوديموس، وخارج ساحة الكنيسة في جهة الشمال هناك كنيسة مكرسة إلى القديس بطرس، وذلك فوق المكان الذي قيل بأن المحاكمة قد جرت فيه، وفي خارج المدينة توجد كنيسة تدعى«كنيسة القديس بطرس عند نداء الديك»، وذلك فوق المكان الذي بكى فيه

القـديس بطرس بحـرقـة ومـرارة بعـد الانكار الثـالث للمسيح ونداء الديك، ذلك أنـه أخفى نفسـه هناك، وفي داخل الأسـوار، هناك أيضـاً كنيسة هي «كنيسة القديس بطرس في الأغلال» ، وذلك في المكان الذي احتفظ به هيرود مربوطاً بسلسلتين.

٥— وفي عـودة الانسـان إلى معبـد الرب، فـإن المكان الأول الذي يواجهه هو مكان الحضـور المقدس، وإلى جـواره يوجد المكان الذي نام فيـه يعقـوب ورأى السلم، وتصـارع مع الملاك، وأقـام صخـرة لتكون عموداً، ويوجد تحت السدة، في الجانب الجنـوبي، قبو منحوت بالصخر، وهو يعـرف باسم«مكان الاعتراف»، لأنـه هناك قـابل المسيح المرأة التي قـال لها:«ما من إنسـان قد أدانـك»إلخ، وعند رأس الهيكل توجد بيعـة القديس جيمس، القائمة فوق المكان الذي ألقي من عاليه، ومن ثم قتل بعصـا القصار، وكـان جيمس هذا هو ابن ألفاكـوس Alphacus ، وهو قد كان الأسقف الأول للقدس، وليس بعيداً عن هناك من الممكن رؤية الأبواب الذهبية، التي دخل منها الرب إلى القدس، عندما جاء من جبل الزيتون يركب على ظهر أتان، ووقتهـا صرخ الأطفال:«المجد لابن داود»، وتفتح هذه الأبـواب يوم أحـد السعف فقـط، وفي يوم تمجيـد الصليب المقدس، ويرى الانسان بعـد هذا المهد، والحمام، وقبر سمعان، في مكان يقـال بأن المسيح قـد سكـن فيـه مع سمعـان لمدة سنة ونصف السنة.

٦ — وعلى مقـربة من باب المدينة، الذي يطل على وادي شعفـاط، توجد كنيسـة القديسة حنة أم القـديسة مـريم، التي ولدتها هناك وربتها ورعتها عندما كانت تسكن هناك، وعلى مقـربة منها توجد بركة الضأن، التي لها خمسـة أعمدة، وهذا هو المكان الذي شكل فيـه خشب الصليب لمدة طويلة ممراً للذيـن ذهبـوا إلى البركـة، ومهما يكن الأمـر فإن الداوية يعرضـون بركة أخرى، يقولون بأنها بركـة الضأن، ويذهب الانسان من

هناك إلى وادي شعفاط، حيث يوجد ضريح القديسة مريم، ويوجد هنا، أمام باب الدير مباشرة، مكان يعرف باسم جيسماني، حيث خانه يهوذا، وهناك صخرة قيل بأنها استسلمت ولانت أمام ضغط أصابعه، ويوجد في هذه البيعة نفسها أربعة أماكن منفصلة، حيث وجد حوارييه نيام، كل ثلاثة في مكان، وفي خارج ساحة الكنيسة، وعلى بعد حوالي رمية سهم، هناك كنيسة مكرسة للمخلص، بنيت فوق المكان، حيث صلى ثلاث مرات، وبدأ تعرقه الدموي يتقاطر منه، وعلى مقربة من دير شعفاط تجري مياه نبع قدرون، ويوجد هناك في هذا المكان، حيث عاش النساك، كنيسة مكرسة للقديس جيمس، ويوجد عند نهاية وادي شعفاط حقل الدم، وهو الحقل الذي شري بمبلغ الثلاثين قطعة فضية، لدفن الغرباء فيه، لأنه لا ينكر على أحد الدفن هناك.

٧ — ولدى صعود الحجاج لجبل الزيتون يصلون أولاً إلى الكنيسة التي تعرف باسم كنيسة الصلاة الربانية، لأنها تقوم حيث تولى المسيح تعليم حوارييه الصلاة الربانية، وهناك صخرة تحت المذبح كتب عليها بإصبعه شخصياً الصلاة الربانية، ويلي هذه الكنيسة كنيسة القديسة بليجيا، ومن الممكن رؤية مكان الصعود إلى السماء في الكنيسة التي بنيت فوق قمة الجبل، وعلى مقربة منها تقع قرية بيت فاجي(بيت الفك)، ويذهب الانسان من هناك إلى بيت عنيا، ومن بيت عنيا يذهب الانسان إلى نهر الأردن، وأولاً إلى أريحا، حيث توجد حديقة إبراهيم، ويجري هنا النهر الذي تتدفق مياهه من نبع إلياس... في المكان الذي كان فيه اثني عشر بئراً وسبعين شجرة نخيل، وعندما يصل الانسان إلى هناك، يجد على جهة اليسار، مكاناً جرى تحصينه من قبل رجال الدين، وهو المكان الذي يعرف باسم القرنطل، لأن المسيح صام هناك لمدة أربعين يوماً، ويوجد عند قمة الجبل الذي حاول الشيطان أن يغويه فيه، ومن هناك يذهب الانسان إلى الأردن.

٨ — وهناك أيضاً مكان خارج مدينة القدس، يدعى«مقبرة الأسد»، حيث جــرى دفن عــدد كبير من القــديسين، وبعــد هـذا هناك دير للجــورجيين يدعى(عند الجذل» أو«عند بقيــة الجذع»، لأنه كما يحكى، جرى قطع خشبـة الصليب المقدس في ذلك المكان، ويقـوم المذبح حيث كـان الجذل ، ويوجـد على الطريق الذي يقـود إلى بيت لحم قبر راحيل، والمكان الذي يبجل فيه إلياس، وهناك كنيسـةمكرسة له قد بنيت هناك، وهناك المكان الذي ولد فيـه الـرب.... وهناك دفن جيروم، وهناك آثار كثيرة للأبرياء المقــدسين، وليس بعيــداً عن هناك يوجــد المكان الذي يدعى باسم«المجـد في الأعـالي»، لأنه عندمـا ولد الرب سمعت الملائكة وهي تغني«المجد للرب في الأعالي»، ولدى ذهاب الانسان نحو القديس إبراهيم في الخليل يواجه جـذور البلوطة، بلوطة(جبل) ممرا، ويوجد في هذا المكان أيضـاً كنيسـة مكرسة للثالوث المقـدس، وفي الخليل يوجـد المكان الذي قتل فيـه قـابيل أخاه هابيل، وهنـاك أيضاً الجبل الذي قـدم عليـه كل واحـد منهما تقدمـة إلى الـرب فيهـا أول ثماره، وكـذلك من الممكن رؤية الأرض التي صُنع منهـا آدم، وفي العودة لابد للانســان من أن يمـر من خلال كنيسـة القديس يوحنا المعمـدان، وذلك فوق البقعـة التي بشر فيها بالقفار، بالتعميد والتـوبة، ويوجد في ذلك المكان نبع ماء لايتـوقف عن التـدفق، وهو قـد اندفع من الأرض أثناء صـلاته، وقت القيـام بتبشيره، ويمضي الانســان من هناك إلى القـديس زكـريا، أي إلى المكان الذي اعتاد على العيش فيه مع القديسة ايزابل، وذلك عندما كان يؤدي واجبه ككاهن، وفي ذلك المكان قامت مريم المباركة بتحية ايزابل، فقفـز الطفل وتحرك داخل رحمها، ويذهـب الانسان من هناك من قلعـة تدعى عمواس إلى المدينة المقدسة.

٩ — وعلى مقربة من المدينة يوجـد موقع صهيـون، حيث يقوم الآن دير إغريقي، وعلى جهـة اليسار، على مقربة مـن جبل الزيتون هناك دير

للسريان، وفي الوادي فيما بين جبل الزيتون وجبل صهيون...، ومن الممكن للانسان أن يرى من على جبل الزيتون البحيرة التي تدعى باسم البحر الميت، حيث دفنت المدن الأربع، أي: سدوم، وعامورة، وبقيتهم، وتم ابتلاعها، ويدخل الأردن إلى البحيرة، وهناك يضيع.

١٠ — ويوجد في المدينة هناك دير لليعاقبة، حيث يوجد رأس القديس جيمس، وذراع القديس اسطفان، اللذان كانا أول الشهداء، ويمتلك اليعاقبة أيضاً كنيسة القديسة مريم المجدلية، حيث يعرضون هناك بعضاً من شعرها، وبالنسبة لكنيسة الضريح المقدس إن الباب الذي يطل على البيعة ملك للسريان، حيث يحتفظون بالصليب المقدس، وفي ذلك الباب بالذات وقفت القديسة مريم المصرية، ولم يكن بإمكانها الدخول إلاّ بعد توبة حقيقية.

٣ — حاج مجهول
(القرن الثاني عشر)
هذا هو الطريق إلى الأرض المقدسة

١ — يعبر الانسان البحر أولاً من ميناء برنديزي، وبرنديزي هي مدينة في مملكة أبوليا، وبعد سفر ثلاثة أيام، وثلاث ليال يصل الانسان إلى مدينة كلارنس Clarence التي تقوم في جزيرة رومانيا، ويوجد هناك خمرة صافية ورائعة، وهضاب معشوشبة، ووفرة من الهواء العليل، ويوجد في تلك الجزيرة مائة وثلاث وعشرين مدينة جيدة، ونساء جميلات،ويرتحل الانسان من كلارنس مسافة مائة ميل في البحر إلى قلعة مدينة ثورون Thoron حيث هناك جزيرة جيدة، وكثيراً من البلدات، والحدائق.

٢ — ويمضي الانسان من ثورون بوساطة البحر إلى مدينة الخندق[في كريت]، التي هي جزيرة يمتلكها الاغريق، وهي تبعد عن ثورون مسافة ثلاثمائة ميل، ويوجد في هذه الجزيرة اثني عشرة مدينة رائعة، وكروم جيدة، وأشجار مثمرة تحمل صمغاً ثميناً، ومختلف أنواع الأعشاب الطبية، والعقاقير العطرية وكثيراً من الجواهر الثمينة، والثياب الفاخرة، ويسافر الانسان من الخندق بوساطة البحرمسافة ستمائة ميل إلى قبرص، التي هي مدينة فوق جبل مرتفع جداً، مع جزيرة صغيرة فيها تسع مدن، وكروم جيدة، ونباتات متنوعة، ويمضي الانسان من قبرص بوساطة البحر، ويسافر مسافة مائة ميل إلى ميناء مدينة بافا Baf-fa ،التي تمتلك السلطة على أكثر من مائة واثنتي عشرة جزيرة في البحر، ويوجد هناك كروم رائعة، وأعشاب عطرية، وأحجار ثمينة، ومختلف الأنواع من البضائع التجارية، والرجال الحرفيين البارعين

والنساء الجميلات، البارعات في شغل الابرة، والتقيات المخلصات جداً، وبشر في هذا المكان القديس مرقص الانجيلي، وعمل كثيراً من المعجزات، زد على هذا تستغرق الرحلة إلى بافا Bapha (كذا) إلى ليماتزو Lymatzu(ليماسول) مدة يومين براً، التي هي مدينة مقر طائفة فرسان (الاسبتارية) القديس يوحنا المعمدان(كذا والصحيح يوحنا المعطاء) وأيضاً مركزاً لفرسان الداوية(١)، وكذلك تستغرق الرحلة من ليماسول إلى فيماغوستا يوماً واحداً بالبحر، ويوجد هناك مركز طائفة فرسان القديس ألعازر، والروح القدس، ويذهب الانسان أيضاً من نيقوسيا، ويرتحل بحراً مسافة مائة ميل إلى مدينة قبرص، ويوجد في تلك الجزيرة مائة وثلاثين مدينة، مع قلاع جيدة، ونبيذ حلو رائع، ورجال عليهم مسحة من الجمال والرشاقة، وهم أقوياء ورجال شجعان، وهي مملكة عظيمة، وعلى درجة كبيرة من الثراء، وصنع هناك القديس باتريك Patrick كثيراً من المعجزات خلال حياته، وهناك مدفون أيضاً القديس يوحنا الذي ذهب مع المسيح إلى صلبه، ويذهب الانسان أيضاً من جزيرة قبرص إلى قلعة أساريموم -Asar imum (؟)، ويرتحل بوساطة البحر نحو مملكة أرمينيا، هذا ويبلغ محيط منطقة قبرص كلها ستمائة ميل.

٣ — وإذا ما رغب الانسان بالسفر أبعد نحو مدينة القدس، عليه أن يغادر ميناء مدينة فاموم Phamum (فيماغوستا؟)، وأن يرتحل بوساطة البحر مسافة ثلاثمائة ميل إلى مدينة يافا، فهناك بداية البلاد

---

١ — يفيد هذا أن هذه الرحلة قد كتبت بعد طرد الصليبيين من الأرض المقدسة، أو كما يرى بعض الكتاب، كان ذلك أيام رتشارد قلب الأسد، الذي احتل قبرص لدى قدومه للمشاركة في الحملة الثالثة، ذلك أنه باع هذه الجزيرة إلى طائفة فرسان الداوية، ثم أعاد بيعها إلى غي لوزغنان، ملك القدس، الذي وقع بالأسر أيام حطين، ثم أطلق سراحه صلاح الدين، وحرره من الأسر.

الأساسية، أي أن تقول أرض الميعاد، ويسافر الانسان من يافا إلى القدس براً، فيمر بالرملة، التي تبعد مسافة اثني عشر ميلاً، وهي مدينة جميلة.

٤ — وكذلك إن المسافة من الرملة إلى القدس — المدينة المقدسة — هي ثمانية وثلاثين ميلاً، وذلك عبر البر، ويوجد في القدس ضريح المسيح، وهناك كنيسة عظيمة مستديرة، لها ثلاثة أبواب فائقة الجمال من الرخام، ويوجد في هذه الكنيسة الآن موضع الجمجمة، وهي صخرة عظيمة يبلغ طولها طول رجل، ويوجد في هذه الصخرة فتحة، قيل بأنها هي وسط الأرض، وفي هذه الفتحة كان صليب الرب قد وضع، وقد دفن المسيح بجوار الجمجمة، والصخرة التي وضعت على فم قبره هي صخرة كبيرة حمراء، ويوجد فوق ضريح الرب مصباح دائم الاشتعال والإضاءة، وهو مزين بشكل رائع، ويشتعل من قبل نفسه كل سنة في الساعة التاسعة من يوم الجمعة الحزينة، ويشتعل من قبل نفسه ثانية يوم عيد الفصح، في ساعة قيام المسيح، ويقال بأن هذا المصباح قد وضعه هناك، تشريفاً للضريح المقدس، كل من مرثا مع أخيها ألعازر.

٥ — ومن القدس أيضاً مسافة سفر يوم واحد، أو أربعة أميال، إلى مدينة بيت لحم، وكان المسيح قد ولد في بيت لحم، لكن خارج المدينة، وقد بني في ذلك المكان كنيسة، جرى تكريسها للعذراء الرائعة، وهذه الكنيسة موجودة الآن داخل المدينة، ويوضع في هذه الكنيسة الذين تلبسهم الشيطان، وجميع الذين وقعوا مرضى، حيث يحظون بالشفاء أمام أعين الناس جميعاً، كما ويتم صنع عدد آخر من المعجزات هناك يومياً، فضلاً عن هذا، يحدث سنوياً في منتصف الليل، وفي الساعة التي ولد فيها المسيح، أن تقوم جميع الأشجار الموجودة حول مدينة بيت لحم بطأطأة أغصانها وانحنائها نحو الأرض باتجاه المكان الذي ولد فيه المسيح، وعندما تشرق الشمس تقوم برفعهم بشكل تدريجي، وتعيدهم

إلى وضعهم الطبيعي ثانية.

٦ — وكـذلك تحتـاج الرحلة من بيت لحم إلى نهر الأردن، إلى سفـر يوم واحـد ، وذلـك إلى حيث جـرى تعميـد المسيح من قبـل يوحنا، وكذلك تستغرق الرحلة من الأردن ميـلاً واحداً..... إلى جبل الزيتون، وبين جبل الزيتـون وجبل صهيـون، وادي شعفـاط، وهو مكان فـائق الجمال.

٧ — وكذلك تستغـرق الرحلة من القدس إلى النـاصرة مدة يومين، وفي الناصرة بشر الملاك جبرائيل العـذراء مـريم بالمسيح، ويـوجـد هنا أيضـاً كنيسة جميلة تدعى كنيسـة البشارة إلى مـريم ، مبنية هناك، وفيهـا جرى صنع عـدد كبير من المعجزات، وما برحت هذه المعجـزات تظهر هناك حتى في هذه الأيام.

٨ — ومثل هذا يوجـد في وادي شعفـاط كنيسـة عظيمـة بنيت من الحجـارة، يوجد فيهـا ضريح المعبـودة العذراء مـريم، وكـذلك مذبحـاً عاليـاً، منحوتاً كله من صخـرة واحدة، حيث يقال بأنـه قد صنع بأيدي الملائكة، وفي تلك الكنيسـة رائحـة قديمـة لا مثيل لها بالطيبـة، علماً أنه ليس بإمكان جميـع الرجـال شمهـا، بل يستطيع ذلـك فقط العـذراوات المخلصات والتقيـات، ولقد قيل يوجـد في هذه الكنيسة غفـران عظيم، يمنح لكل واحـد مـؤمن بالمسيحيـة، سـوف يأتي إلى هناك أثناء حجـه، وذلك في يوم عيد رفع العذراء الرائعة، على أن يكون قد اعترف وأعلن التـوبة من جميع ذنوبه، يضـاف إلى هذا هو سـوف يحلل من ذنوبه ومن العقوبة التي يستحقها بسببها.

٩ — أيضـاً تستغرق الرحلة من الناصرة إلى مـدينة أريحا مدة خمسـة أيام، وأريحا مكان جميل، فيـه وفـرة مـن الكروم، والتربة هناك خصبـة، وهناك أعـاد الرب البصر إلى عيني رجل أعمى كان يصرخ على جـانب

الطريق، وبني على هـذه البقعـة كنيسـة تـدعى باسم كنيســة معجـزات المسيح.

١٠ — وأيضـاً تستغـرق الرحلة من أريحا إلى مـدينة السامـرة أربعـة أيام، وهناك يوجــد جب يعقـوب، وإلى جـانـب هذا الجب حـدث أن عطش الرب وهو على طريقه، فطلب الماء من امرأة كانت مذنبة.

وكذلك من السامرة...

٤ — حاج مجهول
(ليس أبكر من القرن الثاني عشر)

١ — يصل الانسـان على الطريق الأقصر من فيماغوستـا إلى الأرض المقدسـة،في: اليوم الثالث إلى عكا، وإلى يافـا في ثلاثة أيام وثلاث ليال، وتقع عكا في منطقـة أدنى، ويذهب الانسان أول مـا يذهب من قبرص عبر البحر إلى مدينة يافا، في خـلال ثلاثة أيام وثلاث ليال، والمسافة من يافا إلى الرملة ثلاثة أميال ألمانية.

٢ — ويستغرق السفرأيضاً من الرملة إلى مدينة القدس المقدسة يوماً واحداً، وقد بنيت مدينة القدس فـوق جبل صهيون، ويوجد في القدس الضريح المقـدس للرب، كما ويوجـد خـارج المدينة ثلاثة أمـاكن، صلى فيهم المسيح للرب، وهناك مكان مرئي هناك، تحت جبل الزيتون نفسه، حيث جلس حـواريوه وهم نـائمين نومـاً عميقـاً، كما يمكن هناك رؤية المكان الذي اعتقل فيـه المسيح داخل الحديقـة، كما يمكن أن يرى هناك بيت حنة، الذي جلب إليه المسيح أولاً، وهو مـوجود داخل المدينة، كما يوجد هناك بيت كيفاس، كما وهناك أيضـاً بيت بيلايطس، وكذلك بيت هيرود، وأيضاً هناك المكـان الذي جرى فيه جلد الرب، وكـذلك المكان الذي وجد فيه مجرماً وحكم عليـه بالاعدام، يضاف إلى هذا حمل الرب صليبه من خـلال الباب الحديدي، عندمـا ذهب إلى موته، وهنـاك أيضاً المكان الذي قابلت فيه العذراء الأم ابنهـا، ولم تكد تعرفه بسبب الاعياء الشـديد والاضطراب، ويوجـد هنـاك الخمس عشرة درجـة التي مضى عليهـا الرب إلى مـوضع الجمجمـة، ويوجـد هناك أيضـاً المكان الذي صلب فيـه، والمكان الذي ثبت فيـه الصليب في الصخـرة، كما وهناك المكان الذي مُـدد فيه الرب بعـد إنزاله من على الصليب، وهناك أيضـاً

المكان الذي لفّ فيه الرب بقماش كتاني جيد، ومن ثم مدد في الضريح الأكثر قداسة، وهناك أيضاً المكان الذي ظهر فيه الرب أولاً إلى مريم المجدلية، وكان ذلك بعد قيامته، وهناك أيضاً المكان الذي وجدت فيه القديسة حنة(هيلانة) الصليب المقدس للرب، وأيضاً هناك المكان الذي مدد فيه صليب الرب، فوق رجل ميت فعاد إلى الحياة من جديد.

٣ — وهناك أيضاً المكان الذي ظهر فيه الرب لحوارييه، عندما كانوا جالسين فوق جبل صهيون في مكان منعزل والأبواب مغلقة عليهم، وكان ذلك بعد القيامة، ويوجد أيضاً فوق ذلك الجبل نفسه المكان الذي حدث فيه أن وضع توماس إصبعه على جنب المخلص، ويوجد على ذلك الجبل نفسه المكان الذي أرسل الرب فيه وأنزل الروح القدس على حوارييه، ويوجد أيضاً على ذلك الجبل نفسه المكان الذي تعشى فيه الرب مع حوارييه يوم خميس الغسل، وقد دفن على ذلك الجبل نفسه الملك داود، كما يوجد على ذلك الجبل نفسه بيت القديسة مريم، الذي عاشت فيه بعد قيامة ابنها المحبوب، وهناك أيضاً المكان الذي مرضت فيه تلك العذراء الممجدة نفسها وماتت.

٤ — ويوجد هناك أيضاً بيت القديسة حنة أم(جدة) الرب حيث هناك حملت بالعذراء الرائعة، وهناك أيضاًبيت سمعان المجذوم، حيث غفر لمريم المجدلية ذنوبها الكثيرة، وأيضاً هناك التماثيل الأربعة التي تعرقت دماً، وما زالت تفعل ذلك حتى هذا اليوم، وذلك تعاطفاً مع الرب، وأيضاً دخل الرب إلى المدينة يوم أحد السعف من خلال الباب الذهبي.

٥ — وهناك أيضاً خارج المدينة وادي شعفاط، حيث يوجد فيه ضريح مريم العذراء، وهناك أيضاً بركة سليمان، التي استحم فيها الرجل الذي ولد أعمى، وهو الذي رد الرب البصر إليه، كذلك يوجد في داخل المدينة هيكل سليمان، وبركة الضأن، كما أنه يوجد خارج

المدينة حقل الفاخوري، أي حقل الدم.

٦ — كـذلك ظهر الرب على جبـل الزيتون لحوارييـه، بعـد قيامتـه، وأيضاً صعد الرب من على ذلك الجبل نفسـه إلى السماء، ويوجد كذلك في ذلك المكان نفسه ضريح القديسة مريم المصرية.

٧ — وهناك أيضـاً يافا، التي ولد فيهـا كل من الرسولين المقـدسين: جيمس، ويوحنا الانجيلي، وهي تبعـد مسافة رحلة يـومين عن القدس، باتجاه الشمال.

٨ — وهناك أيضـاً جبل القـرنطل، حيث صـام الرب، وحـاول الشيطان إغواءه، وهو يبعد عن القدس مسافـة خمسة أميال ألمانية وافية، ويوجـد في ذلك المكان نفسه أيضـاً، حديقـة إبراهيم، وذلك حيث دفن هذا النبي المقـدس، وهناك نهر الأردن حيـث جـرى تعميـد الرب فيـه، وهو على بعد حوالي الاثني عشر ميلاً ألمانياً عن القدس.

٩ — وهناك أيضاً الناصرة، التي جرى التبشير بالرب فيها، وفيها تمّ الحمل به، وهي تبعـد حوالي سفـر ثلاثة أيام عن القدس، وهناك أيضـاً عكا، حيث يوجـد حقل الرب، وهي تبعـد عن القـدس مسـافـة رحلة ثلاثة أيام، وذلك على الطريق نفسه إلى الناصرة.

١٠ — وهناك أيضـاً وادي الخليل، حيث يقـال بأن آدم دفن فيـه... على ميل واحد عن القدس، والخليل أبعد بأربعة أميال.

١١ — وهناك أيضاً بيـت عنيا، حيث أقام الـرب ألعازر من الموت، وهي على مسـافة خمس عشرة غلوة عن القـدس، وعلى بعد رميـة حجر من أمـام واجهـة قلعة بيت عنيـا، يوجـد المكان الذي التقت فيـه مـرثا ومـريم بالرب، لترجـوانـه لإقـامـة ألعـازر من الموت، ويوجـد في بيت لحم(بيت عنيا) بيت سمعان، الذي دعـا إليه الرب، وهناك أيضاً البيت، الذي جـرى استضـافـة الرب به، وعمل هـذا البيت كنيسـة تشريفـاً

للأختين، وهناك أيضاً ليس بعيداً عن ذلك البيت نفسه تقوم بيعة مبنية من الرخام، فوق البقعة التي قام ألعازر فيها.

١٢ — وقد رأينا الممر المنحدر من جبل الزيتون حيث صرخ أطفال العبرانيين وهتفوا إلى الرب قائلين:«المجد في الأعالي»، وحيث بكى الرب على المدينة، ويذهب الانسان من هناك ويسير بين مكان صلاة يسوع، والمكان الذي اسمه جيسماني، حيث جرى اعتقاله، وأخذه إلى الجلجلة.

١٣ — ويحمي وادي شعفاط، الذي يوجد فيه ضريح سيدتنا، المدينة من جانب واحد، ويوجد في ذلك المكان الآن كنيسة، غير أنها قائمة على عمق ستين درجة تحت الأرض، وهناك بيعة الضريح، وذلك أمام حجر المذبح، وتحت هذه البيعة، يوجد نهر قدرون الصغير، وهي كنيسة رطبة، وليس بعيداً عن هناك، على بعد خمسين قدماً من باب تلك البيعة، يوجد باب كنيسة أخرى، تدعى جيسماني.

١٤ — وعند سفح جبل صهيون هناك نبع سليمان، يليه بركة استحمام سليمان، وعلى رمية حجر من هذين الموضعين هناك حقل الدم، وهو مقبرة الغرباء، التي يوجد فيها كثيراً من القبور المشهورة، وهناك جرى دفن اشعيا، وكان قد شطر إلى نصفين قرب نبع سليمان، ويقوم ضريحه على مسافة أبعد قليلاً من رمية حجر من نبع سليمان هذا.

١٥ — وكنيسة الضريح المقدس، ولها التفوق والمكانة السامية، قطرها أربعة وسبعين قدماً بين الأعمدة، دون أن نحسب النتوءات التي طولها اثنتين وثلاثين قدماً على طول الدائرة، وقائمة خلف الجدار الخارجي للكنيسة، ويوجد فوق ضريح الرب، القائم في منتصف الكنيسة، فتحة مستديرة، والضريح مغلف من كل مكان في الخارج بالرخام، لكنه من الداخل صخرة عارية، مثلما كانت أيام محنة الآلام.

ويدخل الانســـان إلى الضريح من خـــلال باب منخفض وصغير، موجود على الجانب الشرقي، والقبر موجود في الضريح على جهة اليمين بالنسبـة إلى الانســـان لدى دخـوله، وذلك في مــواجهـة الجدار، وهو معمـول من الرخام الرمـادي، وطوله ثمانية أقـدام، وهو مغلق من جميع الجوانب، ولا يمكن لضـوء النهـار أن يدخـل إليـه، لأنه لا يوجـد فيـه نافذة، لكن هناك فيه تسعة مصـابيح معلقة، وهي تتولى إضاءة الضريح، وهناك كهف آخــر، قبل أن يأتي الانســان إلى كهـف الرب، وله الطول نفسه والعرض، والترتيبات نفسها في الداخل وفي الخارج، وعندما يخرج الانسان من هذين الكهفين، يبدوان له من الخارج، وكأنهما كهف واحد، لكن عندمـا تدخل تـرى أنهما منفصـلان أحـدهما عن الآخـر، بوسـاطة جدار، ويدخل الانسان في البـداية إلى الأول، ثم يدخل إلى الآخر الذي هو الضريح، وإلى الكهف الخارجـي دخلت النسـوة، عندمــا قلن:«من يدحرج الصخرة ويزيحها لنا»، وهذا ما حدث، ودحرجت هذه الصخرة وأزيحت حتى باب الكهف الداخلي، وإلى هذا اليوم جزء كبير منها ممدد أمام البـاب نفسه، وحمل الجزء الآخـر إلى جبل صهيون ليكون مـذبحاً، ويبعد جبـل الجمجمة مائـة وثمانية أقـدام من الضريح، ومكان الصليب عبـارة عن فتحـة عمقهـا شبريـن، وعـرضهـا الشيء نفسـه، ويمكن أن تستوعب رأس إنسان.

٥(١) حاج مجهول

(وفقاً لـ و.نيومان W.Neumann الرحلة المعروضة في٥(١) و٥(٢) هي أقدم من سنة ١١٨٧، ولكن الكتاب لم يكتب قبل سنة ١١٩٨، أو قبل بداية القرن الثالث عشر، أي أبكر قليلاً من ثيتمار Theietmar).

١ — ذهبت من عكا إلى حيفا، القائمة عند سفح حبل الكرمل، حيث عاش النبي إيليا، ومضيت من هناك إلى قيسارية، ومن ثم إلى أرسوف، ومن هناك إلى يافا، ومنها إلى الرملة، ومن هناك إلى بيت نوبة، ومنها إلى القدس، حيث يدخلها الانسان من باب اسطفان، حيث جرى رجمه بالحجارة.

٢ — ويدخل الانسان من هناك إلى ضريح الرب، حيث هناك دائرة، قال الرب عنها بأنها وسط العالم، ويقع على يمين السدة جبل أكرا(الجمجمة) حيث تألم الرب وعانى فوق الصليب، ودون ذلك الجلجلة، حيث شق دم الرب الصخرة، وسقط فوق رأس آدم، وقبيل موقع الجلجلة كان ملوك القدس قد دفنوا، وخلف(قبر) المذبح العالي هناك عمود ربط إليه الرب، وجلد، وإلى جوار ذلك، بعد أن ينزل الانسان أربعين درجة، هناك المكان الذي وجدت فيه القديسة حنة(هيلانة) الصليب المقدس، وعلى جهة اليمين من السدة هناك سجن الرب وسلسلته، وعند المدخل إلى الضريح المقدس، وبعد النزول أربعين درجة، هناك بيعة للاغريق، فيها تمثال لمريم العذراء المباركة، وهو الذي تكلم مع القديسة مريم المصرية، وحولها إلى المسيحية، وعلى مقربة من ذلك المكان هناك طريقاً واحداً إلى بيعة السجن المقدس، وفوق هناك، في مقابل الضريح المقدس، في جهة الجنوب، هناك مشفى القديس

يوحنا، وإلى جانبه من جهة اليمين، هناك دير للراهبات. وبجوار هذا هناك دير آخر، يدعى دير القديسة مريم للاتين: ففي هذا المكان مزقت مريم المباركة مع المريمتين الأخرتين شعورهن، عندما كان الرب يموت فوق الصليب.

٣ — وعلى رميتي سهم من هذا المكان، هناك هيكل الرب، الذي يمتلك أربعة مداخل، واثنين وعشرين باباً، وفي وسط هذا المعبد هناك صخرة عظيمة مقدسة، فهناك جرى تقديمه(في الهيكل)، وهنا من الممكن رؤية آثار طبعات قدم يعقوب، وهنا رأىٰ يعقوب الملائكة يصعدون وينزلون، وهنا قدم إبراهيم أضحية إلى الرب عن ابنه اسحق، وتحت الصخرة المكان الذي يدعى باسم قدس الأقداس، حيث كتب الرب باصبعه فوق الأرض، وحيث غفر للمرأة ذنوبها، وهي التي اعتقلت لممارستها البغاء، ويوجد على جهة اليمين المكان الذي ظهر فيه الملاك للنبي زكريا، ويدعى الباب الذي يطل نحو الغرب باسم الباب الجميل، والذي يطل نحو الشرق باسم باب الفردوس، وهو الذي تكلم النبي عنه بقوله:«رأيت ماءاً»[حزقيال:٤٧ / ١].الخ.

٤ — وعلى الطريق خروجاً، من قرب الساحة الداخلية للهيكل، توجد بركة الضأن، التي نزل إلى مائها ملاك الرب عدة مرات، وعلى مقربة من هذا المكان توجد كنيسة القديسة حنة وضريحها، وبركة ضأن ثانية، وفي طريق صعود الانسان نحو الضريح هناك قاعة قضاء بيلايطس التي وقفت في مقابلها العذراء المباركة، في مكان خفي في الشارع، وقفت تبكي، وهي تنظر ما الذي سيحصل لابنها.

٥ — وفي عودة نحو الهيكل، فإن الباب الذي يطل نحو الشرق، يدعى باب القدس، وعلى طول هذا الممر من الممكن رؤية طبعات حافر الأتان التي امتطاها الرب، ودون ذلك هناك الأبواب الذهبية، ويوجد أمام هيكل الرب، من جهة الجنوب هيكل سليمان، وهناك عند زاوية

المدينةعمود الرب، وحمّامه.

٦ — ويوجد على مقربة من برج داود بيعة هي ملك لـلاغـريق، حيث تضم آثار القديسين:يوحنا كـريسـوستـوم Chrysostom ، وديمتريوس، ومارتن، وإلى جوار هذه البيعة بيعة هي ملك للأرمن، حيث جرى قطع رأس القديس جيمس بن زبداي.

٧ — ومن هناك يتخذ الانسان طريقه إلى جبل صهيون، ففي الكنيسة الموجودة في هذا المكان انتقلت العذراء المباركة من هذا العالم، وهناك بيعة فوق المكان الذي حكم فيه على الرب، وجلد، وتوج بتاج من شوك، وكان هذا فيما مضى بيت كيفاس وقاعة القضاء، وفوق الكنيسة العظمى العائدة لجبل صهيون هناك بيعة الروح القدس، التي نزلت على الحواريين في يوم عيد الحصاد، ويقوم المذبح فوق البقعة التي تعشى الرب فيها مع حوارييه، وفي الأسفل يوجد المكان الذي غسل الرب فيه أقدام حوارييه، وإلى هذا المكان قدم الرب إلى حوارييه، بينما كانوا جالسين داخل باب مغلق عليهم، وقال لهم«سلام لكم».

٨ — ويوجد في الوادي عند سفح جبل صهيون بيعة تعرف باسم«الجليلية» وهي قائمة فوق المكان الذي كان القديس بطرس فيه عندما صاح الديك، وبجوارها هناك بركة استحمام سليمان، حيث أعاد الرب البصر إلى رجل كان أعمى منذ ولادته، وفي هذا المكان جرى دفن النبي إشعيا، وخلف بركة استحمام سليمان يوجد حقل الدم، وهو مكان دفن الغرباء.

٩ — ويجري دون الباب الذهبي نهر قدرون الصغير، حيث التقط داود خمس حجرات، وقتل جالوت بهن، وعلى مقربة منه مكان شعفاط وضريح مريم العذراء المباركة، الذي رفعت منه إلى السماء، وعلى مقربة من هذا المكان توجد جيسماني، حيث جرى اعتقال الرب، وهناك

يمكن رؤية آثار أصابعه فوق الجدار، وعلى بعد رمية حجر تقوم كنيسة المخلص، حيث صلى لأبيه، وكان عـرقه يتصبب مثل... وفي أسفل وهو حـادّ.... دفن الملك شعفـاط، ولهذا دعـي المكان باسم وادي شعفـاط، ويقـوم إلى جانب هذا الوادي جبل الـزيتون، الذي صعـد الرب منه إلى السماء، وهناك صخـرة من الممكن أن يرى عليهـا آثار قـدميـه حتى هذا اليـوم، وعلى مقربـة منها بيعـة للاغـريق فيهـا يستريح جسـد القديسـة بيليجيا، وهناك أيضاً بيعة أخرى قـائمة فوق المكان الذي أدى الرب فيه الصلاة الربانية.

١٠ — وهناك مسـافـة ميل واحـد من جبل الزيتـون إلى بيت عنيـا، حيث أقام الرب ألعازر من الموت، وغفر لمريم ذنوبها، ومن هناك مسافة اثني عشر ميلاً إلى القرنطل، حيث صام الرب لمدة أربعين يوماً وأغوي من قبل الشيطان، وعند سفح الجبل توجد حـديقة إبراهيم، وتقوم هذه قرب أريحا، التي تبعد أربعـة أميال عن نهر الأردن، ومن هناك إلى سيناء رحلة تستغرق سفر ثمانية أيام.

١١ — ويقـوم دير القـديس إليـاس على بعـد ميلين إلى الجنوب من القدس، وعلى مقربة منه يقوم «حقل الزهور»، وهناك إلى جانب الطريق قبر راحيل، وعلى بعد ميل واحد من ذلك المكان توجد بيت لحم، وعلى جهـة اليمين من السـدة هناك بئر، يحكى بأن نجماً قـد سقط فيـه، وعلى جهة اليسار هناك[قبور] الأبرياء المقدسين، وتحت الحرم الداخلي، يوجد ضريح القـديس جيروم، والمسـافـة مـن هناك إلى المكان الذي أقـام فيـه الرعاة خلال الليل، مسـافة ميلين، وحيث الملائكة غنت«المجد للرب في الأعـالي»، والمسـافـة اثني عشر ميـلاً من بيت لحم إلى مـوضع القـديس إبراهيم(الخليـل)، فهناك صنع الرب آدم، وبكى آدم على ابنـه هابيل لمدة مائـة سنة، وهناك أيضاً مـدفن أجساد البطارقـة المقدسين، والمسـافة هي ميل واحد فيما بين القدس وبين المكان الـذي نمت فيه[شجرة] الصليب

المقدس، والمسافة من القدس إلى عمواس ستة أميال.

١٢ — المسافة أربعة وعشرين ميلاً من القدس إلى السامرة ، التي تعرف الآن باسم نابلس، وفي هذا المكان يوجد جب يعقوب ، حيث تحادث الرب مع المرأة، وبعد أربعة أميال من هناك يصل الانسان إلى سبسطية، وهو المكان الذي أعدم فيه يوحنا المعمدان وقطع رأسه، ومن هذا الموقع إلى جبل الطور المسافة ثلاثة وعشرين ميلاً، والمسافة من هناك إلى الناصرة ستة أميال، والمسافة من الناصرة إلى الصفورية تساوي ميلاً واحداً، وهناك ولدت القديسة حنة، ومن هناك مسافة ستة أميال إلى قانا الجليل، حيث حول الرب الماء إلى نبيذ، ومن الصفورية المسافة ستة أميال إلى شفا عمرو، حيث ولد القديس يوحنا، والقديس جيمس ابنا زبداي، والمسافة من عكا إلى طرطوس تستغرق رحلة ستة أيام، حيث بنى الحواريون بيعة على شرف العذراء المباركة.

٥(٢) حاج مجهول
(قبل سنة ١١٨٧)

١ — تقوم منطقة القدس في وسط الأرض، وهي منطقة جبلية بشكل رئيسي، ومع ذلك هي ليست جرداء بدون نتاج، ويحدها من الشرق العربية، ومن الجنوب مصر، أما من الغرب فيحدها البحر الكبير، ويحدها في الشمال سورية وبحر قبرص، وقد كانت هذه المنطقة منذ أقدم العصور أرض عموم آباء جميع الأمم، وهي تشهد قدوم الناس إلى هناك للعبادة في الأماكن المقدسة من كل جزء من أجزاء العالم، وذلك حسبما نقرأ في أعمال الرسل حول إرسال الروح القدس، لشعوب من«فرثيين، وميديين، وعيلاميين»الخ، غير أن الناس يسكنون الآن فيها، ويمتلكون بيوتاً وأماكن للعبادة فيها.

٢ — وبعض هؤلاء مسيحيين، وبعضهم ليسوا كذلك، وهناك

أجناس من مختلف الشعـوب المسيحيـة، وهم منقسمـون إلى طوائف متنوعـة، ويتصدر هؤلاء الفـرنجـة، الذين يصح أكثر دعـوتهم باللاتين، وهم رجـال حـرب، ممارسـون لأعمال القتـال، وهم عـراة الرؤوس، ووحدهم من بين جميع الشعـوب هناك، هم الذين يحلقون لحاهم، وهم يدعـون جميعاً بـاسم اللاتين، لأنهم يستخدمـون اللسـان اللاتيني، وهم جميعاً كاثوليك بلا استثناء.

٣ — وآخـرون هم من الاغـريق(الروم الأرثوذكس)، الـذين هم منفصلون عن رومـا، وهم بارعـون جـداً، وليسـوا مـاهرين كثيراً في استخـدام السلاح، وهـم مذنبـون بالابتعـاد عن الايمان الحقيقي، وعن قواعده وأركانه، لاسيما وأنهم يقولون بأن الروح القدس ليس من الأب والابن، بل من الأب وحده، وهم يستخـدمون الخبز المخمـر في القربان المقـدس، وهم أيضـاً مذنبـون في كثير آخـر من المسائـل، ولهم ألفبائيـة خاصة بهم.

٤ — وآخـرون هم السريان، وهـؤلاء بلا فـائـدة في الحرب، ولا يدعون في معظم الحالات لحاهم تطول مثلما يفعل الاغـريق، بل يتولون قصهـا بعـض الشيء، وهم لا يمارسـون الطقـوس لا الـلاتينيـة ولا الاغـريقيـة، وهم مـوجـودون في كل مكـان، يدفعـون الجزية إلى الأمم الأخرى، وبالنسبـة لإيمانهم ولقداساتهم يتوافقـون في جميع المجالات مع الاغـريق، وهم يستخـدمـون الأبجدية العـربيـة، وهـم في جميع المسـائل الروحية والدنيوية مثلهم مثل الاغريق.

٥ — والآخـرون هـم الأرمن، وهم يمتلكون بعـض البراعـة في استخـدام السـلاح، ويختلفـون في كثير من المجـالات عـن اللاتين والإغـريق، وهم يصـومون مـدة أربعين يومـاً، في أيام ميـلاد المسيح، وهم يحتفلون بعيـد ميـلاد المسيح في يوم التجلي(٦ — كـانون ثاني)، ويعملون أشيـاء كثيرة أخرى مضـادة لأحكام الكنيسـة، وهم يمتلكون

لغـة خاصـة بهم، وهناك كراهيـة لا يمكن إزالتها بينهم وبين الاغـريق، وقد وعـدوا مؤخراً بتقـديم الطاعة لكنيسة رومـا، بسبب أن ملكهم قد تسلـم التــاج من يـدي رئيس أســاقفــة مينز Mainz ، نائب الكرسي المقدس.

٦ — وآخرون هم مـن الكرج(الجورجيون)، وهم يعبـدون القديس جورج وفق طقوس مهيبة، وهم يـدعون شعورهم وشعور لحاهم دونما حلاقـة، ويلبسون قبعات ارتفـاع كل منها ذراع، وهم جميعـاً من رجال دين وعلمانيين يتركون قسماً حليقـاً من رؤوسهم، أما لدى رجـال الدين فشكل هذا القسم دائـري، أمـا لدى ما سـواهم من العلمانيين فـالشكل مربع، وهم يستخـدمون الخبز المخمر في القداسـات، ويقلدون الاغريق في جميع المجالات تقريباً، لكنهم يمتلكون أبجديتهم الخاصة.

٧ — وآخـرون هـم اليعـاقبــة، الذين تولى تضليلهم واحــد اسمـه جيمس، وأخــذهـم إلى الهرطقـــة النسطورية، وهـم يذنبـــون كثيراً، ويستخدمون الأبجدية الكلدانية(السريانية).

٨ — وآخرون هم النساطرة الذين هم هراطقة في إيمانهم، ذلك أنهم يقـولون بأن مريم المبـاركة كـانت مجرد أم إنسان، ويذنبـون في كثير من المسائل الأخرى، ويستخدمون الأبجدية الكلدانية(السريانية).

٩ — فضـــــلاً عن هـذا، اللاتين منقسمـــــون إلى عـــــدة أمم، منهـا:الألمان،والاسبــان، والغـاليين، والطليـان، والأمـم الأخـرى التي أنجبتهـا أوربا، وثلاثة من الشعـوب الايطالية هي قـوية وفعـالة بشكل خـاص ومفيدة في بلاد القـدس، وهـم: الجنويون، والبنادقـة، والبيـازنة، وهم بارعـون في استخدام السـلاح متفوقـون في البحر، ويمارسـون كل نوع من أنواع القتـال، وبارعـون في فن التجـارة، وهم جميعـاً يمارسـون شرائع خاصة بهم يطبقوها على أنفسهم، غير أنهم فيما بينهم يغارون من

بعضهم بعضاً ويتخاصمون بشدة، إلى حد أن المسلم أسلم لديهم أكثر من سلامة أحدهم لدى الآخر، أو معه.

١٠ — ويوجد في هذه البلاد بيتان دينيان،ونعني بذلك: الداوية والاسبتارية، وهما يمتلكان أموالاً وثرواتاً هائلة جداً، لأن لديهما ممتلكات يحصلان منها على موارد مالية في كل جزء من أجزاء أوربا، ولدى الذهاب إلى الحرب، يقاتل الداوية في الجناح الأيمن، ويقاتل الاسبتارية في الجناح الأيسر.

١١ — والداوية هم الأفضل بين جميع الجنود والأكثر روعة، ويرتدون أردية بيضاء وصلبان حمراء، وعندما يذهبون إلى الحرب، يحملون فوق رؤوسهم راية ذات لونين اسمها بالزوس Balzaus ، ويلتزمون الصمت أثناء زحفهم، وحملتهم الأولى هي الأكثر إرعاباً وفتكاً، وهم لدى الهجوم الأوائل، ولدى الرجوع الأواخر، وهم ينتظرون أوامر مقدمهم ويتقيدون بها، وعندما يرون من الموائم الحملة، ويصدح البوق، ينشدون معاً مزمور داود الذي يقول:«ليس لنا يا رب»[المزمور:١١٥] ويعملون بإصرار على سفك دماء الأعداء وقطع رقابهم، إلا إذا أرغموا عساكر الأعداء على الانسحاب جميعاً، أو تمكنوا من تمزيقهم إرباً إرباً، وإذا حدث وأدار أي واحد منهم ظهره للعدو، أو عاد حياً من هزيمة من الهزائم، أو شهر سلاحه ضد المسيحيين، فإنه يتعرض إلى عقوبة شديدة: حيث ينتزع منه الرداء الأبيض مع الصليب الأحمر، اللذان هما علامة فروسيته، وحين ينتزعان منه يكون ذلك بشكل مهين، ويطرد من طائفته، ويتناول طعامه على الأرض، دون صدرية أو منديل مائدة، ويكون ذلك لمدة سنة، وإذا ما حاولت الكلاب إزعاجه أو مضايقته، هو لايتجرأ على طردها أو إبعادها، ومع إنتهاء السنة إذا ما رأى المقدم وأخوانه بأن عقوبته باتت كافية، يردون إليه نطاق فروسيته السابقة، ويعيش هؤلاء الداوية في ظل نظام ديني

دقيق، يطيعونه بكل تواضع، وبما أن ما من واحد منهم يمتلك ممتلكات خاصـة، تراهم يأكلون أقل الطعام وأخشنه، ويلبسـون الملابس الرديئة، ويسكنون في الخيم.

١٢— ويحمل الاسبتـارية صليباً أبيض فـوق أرديتهم، وهـم فرسـان جيـدون، ويقـومـون بالاضـافـة إلى أعمالهم في ميــادين القتـال بالعناية بالمرضى والمحتاجين، وهم يعيشون تحت قانون ونظام خاص بهم.

١٣— فضـلاً عن هذا، تمتلك بلاد القــدس، بطريركـاً خـاصـاً بها، مسـؤول عـن الايمان وعن المسيحيين، وهو نائب يســوع المسيح، ولدية أربعة رؤساء أساقفة: واحد في مقاطعة Pale- Tine ، والمعني بهذا رئيس أسـاقفة قيسـارية، وآخـر في مقاطعـة فينيقيـة، أي رئيس اساقفـة صـور، والثـالث في مقـاطعـة الجليل، والمقصـود بذلك رئيس أسـاقفـة الناصرة، وأما الرابع ففي مقاطعـة مآب، أي رئيس أساقفة البتراء، يعني الكرك، ولرئيس أسـاقفة قيسارية أسقـف مساعد واحـد، والمعني بذلك أسقف سبسطيـة، وهوالمكان الذي عـاش فيـه كل من يوحنا المعمـدان، وإيليـا، ودفن فيه النبي عـوبيديا، أمـا رئيس أساقفـة صـور فلديه أربعـة أسـاقفة مسـاعدين هم: أسقف عكا، وأسقف صيـدا، وأسقف بيروت، وأسقف بانيـاس، التي هي قيسـاريـة فيليب، ولرئيس أسـاقفـة الناصرة أسقف مسـاعد واحـد، هو أسقف طبرية، في حين ليس لرئيس أساقفـة البتراء أسقف لاتيني مساعد، بل واحد اغريقي فوق جبل سيناء.

١٤— ويمتلك البطريرك تحت رئـاستـه المباشرة أسـاقفـة: بيت لحم، واللد، والخليل، حيث جرى دفن آدم وحواء والآباء (البطارقة) الثلاثة.

١٥— وفي كنيســـة الضريـح المقـــدس للرب هنـاك كهنة أوستنيين Austin، ولهم مقدمهم، غير أنهم قد تعهــدوا بالطاعة للبطريرك وحـده، ويوجـد في هيكل الرب راعـي دير وكهنة نظاميـون يخضعـون

لنظام القـديس أوستن، وينبغي ان نعـرف الآن أن هيكل الرب شيء، وهيكل فـرسان الـداوية شيء آخر، فـالهيكل الأول هيكل رجـال دين، والهيكل الثاني هيكل عساكر، ويوجد في كنيسة جبل صهيون راعي دير، وكهنة نظاميون، وكـذلك يوجد في كنيسة جبـل الزيتون هناك راعي دير وكهنة نظاميـون، ويوجـد في كنيسة وادي شعفـاط راعي دير، ورهبـان سـود، ويعـاون جميع الذين تقـدم ذكـرهـم مع الأسـاقفـة البطريرك في القداسات.

١٦ــ فضلاً على ما تقدم هناك المدن التاليـة، التي ليس فيها أساقفة: عسقـلان، الخاضعـة إلى أسقف بيت لحم، ويـافـا، الخاضعـة إلى كهنة الضريح المقـدس، ونابلس الخاضعة لراعي دير الهيكل، وحيفـا التي هي خاضعة لرئيس أساقفة قيسارية.

١٧ــ وفي جميع الأحـوال، إن بلاد القـدس كلها مقـدسـة ومبجلة، ذلك أنها شهدت الأنبياء، والرسـل، كما شهدت الرب يمشي فيها، ومع ذلك هناك بقـاع خـاصـة يتعبـدها النـاس ويجلونها أكثر من سـواها ويحيطونها بقـدسيـة متميـزة، ولسوف نأتي على ذكـرها، وتبيـان أسمائهـا وفضائلها:

١٨ــ وفي الناصرة، ولدت العـذراء الأم المباركـة، وفيها تماشيـاً مع رسـالـة الملاك، جـرى الحمل برحمهـا بابن العلي الأعلى، وكـذلك نشأ وتربى حتى بلـغ مبلغ الرجـال؛ وبيت لحم هي المكان الذي ولد فيهـا خبز السماء، وإليهـا جلب الحكماء ــ وقد قـادهم النجم ــ الهدايا، وهي أيضاً حيث دفن جيروم، الذي تولى ترجمة الكتـاب المقدس إلى اللاتينية، والأردن، هو النهر الذي تعمد فيه المخلص، وبتعمـده فيه أرسى قواعد الخلاص البشري، وحيث رؤي فيه الروح القدس على شكل طائر حمام، وحيث سمع صوت الآب، وهناك مكان الصـوم الذي يدعى القرنطل، فهناك صـام المسيح لمدة أربعين يومـاً، وبذلك أرسـى شريعـة القيـام

بالصوم الكبير، وحيث أيضاً أغوي من قبل الشيطان، أما بحيرة جنسارث، فهي الموقع الذي مشى كثيراً على شواطئه، وصنع كثيراً من المعجزات، واستدعى حوارييه، وبالنسبة لجبل الطور، فهو حيث تحول شكله أمام حوارييه وبحضورهم، وحيث ظهر له موسى وإلياس.

١٩— ويوجد في القدس الكثير من الأماكن المبجلة، مثل هيكل الرب، حيث جرى تقديمه، ومن حيث طرد الذين كانوا يبتاعون ويشترون، وهو المكان الذي جرى رمي جيمس أخو الرب من أعلاه نحو الأسفل، وجبل صهيون هو المكان الذي تعشى فيه الرب مع حوارييه، وقرر فيه شريعة العهد الجديد، وهنا ظهر الروح القدس بشكل مرئي فوق الحواريين، ومن هنا أيضاً عبرت العذراء المباركة من هذا العالم، والجمجمة (أكرا) هي الموقع الذي تألم الرب فيه من أجل خلاصنا، ومات فوق الصليب، أما الضريح المقدس، فهو الموضع الذي جرى تمديد جسده فيه، ومنه قام مجدداً، وعلى جبل الزيتون جرى الترحيب به والتأهيل من قبل الأطفال، أثناء ركوبه على ظهر أتان، ومن عليه جرى صعوده إلى السماء بشكل إعجازي، وبيت عنيا هو الموضع الذي أقام فيه ألعازر من الموت، وعند سلوان رد البصر إلى الرجل الذي ولد أعمى، ووادي شعفاط هو المكان الذي يعرف باسم جيسماني، فهناك جرى اعتقاله من قبل اليهود، وهناك أيضاً جرى دفن العذراء المباركة، وكنيسة اسطفان هي حيث جرى رجمه، وإذا ما نظرنا إلى كتابات العهدين القديم والجديد، لم يرد فيهما من البداية ذكر أي وادي، وأي نهر، وأية بحيرة، إلاّ وشهد ذلك المكان صنع معجزة من المعجزات من قبل واحد من الأنبياء، أو الرسل، وطبعاً من قبل المسيح نفسه، وجب يعقوب موجود في بلاد السامرة، وهو الذي يتغير لونه أربع مرات في السنة، حيث يكون موحلاً، ثم أحمر مثل الدم، ثم أخضر، وأخيراً شفافاً نقياً، ولايجري نبع سلوان، الموجود قرب جبل صهيون،

كل يوم، بل فقط ثلاثة أيام في الاسبوع، ويوجد في بلاد القدس بحيرة الشيطان على الحدود بين العربية وفلسطين، حيث كان فيها مضى خمس مدن، جرى ابتلاعها بسبب ذنوب سكانها، ولايمكن لأي كائن حي أن يغرق في هذه البحيرة، وعندما سمع فسبسيان بهذا، أمر أن يرمي فيها سبعة رجال لايحسنون السباحة وقد قيدت أيديهم وأقدامهم، وقد مكثوا هناك ثلاثة أيام ولم يموتوا، وهناك حول البحيرة بعض الأشجار التي تحمل فواكه جميلة جداً، وهذه الفواكه تغرق، إنها تغرق فور قطفك لها، وهي تغرق، وتتحول فوراً إلى رماد.

٢٠— وهذه هي الجبال الرئيسية في بلاد القدس: لبنان، والطور، وحرمون، وجلبوع، والكرمل، وجبال لبنان مرتفعة جداً، وتفصل سورية عن فينيقيا، وفيها أشجار طويلة جداً، ومع ذلك لايوجد الكثير منها كما كان في القديم، وبالنسبة لجبل جلبوع،، ليس صحيحاً، كما يحكى عبثاً لنا بعضهم، بأن المطر لاينزل عليه مطلقاً، بسبب لعنة داود.

٢١— وتحتوي هذه البلاد نفسها على عدد من الحيوانات الضارية، فهناك: الأسود، والفهود، وهناك حيوان ضار جداً يدعى النمر الأبيض، لايمكن لأحد أن ينجو سليماً من غضبه، وهم يقولون بأنه حتى الأسد يخاف منه، وهناك أيضاً السعادين، التي يسمونها الكلاب المتوحشة، وهي أحد من الذئاب، وهناك أيضاً الجمال والجواميس بكثرة.

٢٢ — وهناك أشجار فائقة الجمال، من كل نوع، وهي تنمو فوق الأرض: فهناك أشجار النخيل بثمارها، والأشجار التي تدعى أشجار الفردوس، والتي لها أوراق طول كل منها أكثر من ذراعين، وعرضها نصف ذراع، وشكل ثمارها مستطيل، وينمو مائة منها على غصن واحد، أحدها يلامس الآخر، ومذاقها مثل مذاق العسل،وهناك أيضاً أشجار الليمون، التي طعم ثمارها حامض، وهناك أشجار أخرى تحمل فواكه اسمها تفاح آدم، حيث من الممكن أن يرى عليها علامات أسنان

آدم بوضوح، وهناك أيضاً قصب السكر، ونباتات تزرع مثل زراعة القمح، ومنها يجري جمع القطن، وفي القديم لم يكن هناك بلسم في العالم كله إلاّ في بلاد القدس، وبلاد أريحا، وجاء المصريون فيما بعد إلى هناك،وأخذوا هذا النبات إلى مصر، وزرعوه في مدينتهم باب اليون(مكان القاهرة)، حيث هناك المكان الوحيد الذي يوجد فيه البلسم، وليس هناك شيء مثير في هذه الأشجار، إلاّ إذا ما زرعوا من قبل إنسان غير مسيحي، لايحملون الثمار، ويحكم عليهم بالعقم الأبدي، وهناك أيضاً أشجار الأرز، التي تحمل ثماراً خضراء كبيرة مثل رأس الإنسان، وهي مستطيلة بعض الشيء، ولهذه الثمرة ثلاثة مذاقات هي: أولها في اللحاء حيث الطعم مرّ، وثانيها تحت اللحاء في اللب حيث الطعم لا شيء، وثالثها في النوى، وهنا الطعم حامض، وعليك أن تعرف أن أرز لبنان عبارة عن أشجار عالية جداً، وهي لا تحمل ثماراً، غير أن أشجار الشواطىء الساحلية هي أصغر وتحمل ثماراً، وهناك أيضاً نوع من أنواع شجر التين، مما لا يحمل ثماره بين أوراقه بل على الجذع وحده.

٢٣ — ولقد تغيرت أسماء المدن والأماكن بشكل تدريجي بسبب تغير الأمم، التي سكنت في أوقات مختلفة في البلاد: فقد كانت القدس تعرف أولاً باسم«يبوس»، وبعد ذلك باسم«سالم» ومن هناك باتت تعرف باسم«أورشليم»، وبعد ذلك باسم«أورشليما»، ودعيت بعد هذا باسم«إيليا» اشتقاقاً من اسم إيليا الروماني(إيليوس هدريانوس) الذي تولى فيما بعد إعادة بنائها، بعد تهديمها من قبل تيتوس، وذلك في المكان القائمة فيه الآن، وعرفت حبرون(الخليل) أولاً باسم«أربعة»، ثم باسم قرية ثمانية Cariathiarim ، ثم باسم«حبرون»، وبعدها باسم«الخليل»، لأن (خليل الرحمن) إبراهيم قد دفن هناك،وحملت«عسقلان» أولاً اسم «فلسطيم»، لأنها كانت مدينة

الفلسطينيين، وعرفت «غزة» دوماً بهذا الاسم، وما يعرف هذه الأيام باسم«القديس جرجس»، كان يعرف من قبل باسم«اللد»، وعرفت«قيسارية» أولاً باسم«دور»، ثم باسم«برج ستارتور»، وتعرف الآن باسم«قيسارية» وذلك تشريفاً لقيصر، وعرفت«حيفا» أولاً باسم«بورفيريا» Porfiria ، ودعيت«عكا» مؤخراً باسم«بطليمياس»، أما«صور» فقد عرفت دوماً بهذا الاسم، وكانت فيها مضى مدينة عظيمة، حكم فيها أغينور، ومنها جاء ديدو، وتعرف«صيدا»الآن باسم«ساغيتا» Sagitta ، وتعرف«الصرفند» الآن باسم«سافيرا» Saffera ، وعرفت«بيت لحم» أولاً باسم«إفراتا»، وعرفت نابلس أولاً باسم«شيكار»، أما «سبسطية»، فقد عرفت باسم «السامرة»، أما ماكوميرا Machomeria، فعرفت أولاً باسم«لوزة»، ثم بعد ذلك باسم«بيت إيل»، أما التي تعرف الآن باسم«بلنياس»، فقد عرفت أولاً باسم«بانياس»، وفيها بعد باسم قيسارية فيليب.

٢٤ — وبين العجائب الأخرى التي ينبغي ألا نكون صامتين نحوها، هو أنه يوجد في يافا على شاطىء البحر صخرة آدم، التي هي كبيرة جداً، تلوذ بها أعداد لا تحصى من حشود سمك يدعى سمك سلمون، ويكون ذلك في أيام الصيف، وتسير وهي تحمل على ظهورها خطوطاً صفراء طويلة، وبعدما تقوم بتقبيل الصخرة، وكأنها في مكان مقدس، تعود أدراجها مسرعة، ويحكي صائدو السمك في تلك البلاد، أنه عندما أمر الرب، أخاه القديس جيمس بالذهاب إلى الجليل، أجابه القديس جيمس بقوله:«إنني سوف أذهب إذا ما ذهبت تلك الصخرة معي»، ومن ثم انشطرت الصخرة إلى شطرين، ذهب شطر منها إلى طبرية، حيث تزار من قبل الحجاج حتى هذا اليوم، وتدعى باسم رمية جيمس، في حين مكث الجزء الآخر هناك.

فضلاً عما تقدم في القدس ملك لاتيني، الذي هو سيد...

- ٣٨٦٩ -

وحول الملك وباروناته، والأعيـان والبارونات، وحول المدن العـائدة للمملكة، وحـول أمير أنطاكيـةوكـونت طرابلس، وحـول مختلف أنواع الكفار، واليهود، والصادوقيين، والسامرة، والحشيشية، والبدو...

حاج مجهول(٦)(بيد المزيف)
(القرن الثاني عشر)
هنا بداية رواية بيد عن الأرض المقدسة.

١ — دعونا نجعل انطلاقنا من حبرون(الخليل)، التي هي عبرون، المدينة الحاضرة، وكانت عبرون في القديم مدينة الفلسطينيين وعاصمتهم، وموضع سكنى العمالقة، ولقد كانت في ديار سبط يهوذا، وكانت مدينة الكهنة، ومدينة ملجأ، وقد بنيت عبرون في الحقل الذي صنع منه ربنا القدير، صانع الأشياء كلها، الأب الأول، وعرفت حبرون باسم«قرية أربعة»، والتي معناها بالاغريقي والعربي«مدينة أربعة»، لأن قرية بالإغريقية(كذا) معناها«مدينة» و Arba بالعربية تعني«أربعة»، لأن هناك أربعة رجال يستحقون العبادة، قد دفنوا في كهف مزدوج هناك، وهؤلاء هم: آدم الانسان الأول، وإبراهيم، واسحق، ويعقوب، دفنوا مع زوجاتهم وهن أمهاتنا الأربع: حواء، وسارة، وربقة، وليا، وتقوم عبرون قرب وادي الدموع، وقد عرف وادي الدموع بهذا الاسم، ودعي به، لأن آدم بكى هناك على ابنه هابيل لمدة مائة سنة، وعرف هناك ـ بناء على تنبيه من ملاك، حواء ـ وأنجب شيث، الذي من ذريته جاء المسيح.

وعلى بعد ميلين من عبرون، يوجد ضريح لوط، الذي كان ابن أخي إبراهيم.

ويوجد في عبرون الحقل الذي تربته حمراء، وهو الذي تحفر أرضه، ويؤكل ترابها من قبل السكان هناك، ويصدرونها إلى مصر للبيع، وهي تشترى بمثابة عقار ثمين جداً، لأنه يقال بأنها الأرض الحقيقية التي صنع منها آدم، الإنسان الأول، ويجري حفر الحقل المتقدم الذكر

بالعرض وبالعمق، ومع ذلك بقضـاء من الرب، تجده في نهاية السنة، قد عاد وامتلأ كما كان من قبل.

وإلى جـانب عبرون يقـوم جبل ممرا، الذي نمت عند سفحـه شجـرة البلوط، التي تدعى باسم«دلبـة» يعني«بلوطة» أو «سنديانة»، فقـد عاش تحتها إبراهيم لـزمن طويل، فهنا رأى الملائكة الثلاثة، والمعبـود الواحد، وقدم لهم ضيافة على أفضل ما استطاعه، وجعلهـم يرتاحون، وأطعمهـم، ولهذا السبب دعي حسب طرائق الاعتقاد القديمة باسم«العدل» .

وظلت البلوطـة المتقـدمـة الذكـر قـائمـة حتـى أيام الامبراطور ثيودوسيـوس، فهذا ما رواه جيروم، ومنهـا نبتت البلوطة الموجودة الآن هناك، والتي هي موضع تبجيل في أيامنا الحالية، وعلى كل حال، مع أن هذه الشجـرة جـافـة، لها خصـائص طبيـة، حسبما تبرهن بمايلي: كل من يحمل قطعـة منهـا معه، فإن حصـانه لن يكبـو به، وإنه إلى عبرون جـاء كـالب ويشوع مع رفـاقهما العشرة أولاً، عندما كـانوا يتجسسون حـول أوضاع أرض الميعاد، وفي عبرون وجدوا أبناء عنق وقبيلة العمالقة.

٢ — وعلى بعد عشرة أميال عن عبرون، باتجاه الشرق، توجد بحيرة اسفلت، التي تعـرف أيضـاً باسم البحـر الميت، وقيـل له الميت لأنه لا يتلقى شيئاً حياً، ولهذا هو ملك للشيطان، وبناء عليه فإنه بتوجيهه لقيت المدن التعيسة جداً مصيرها، وهذه المدن هي:سـدوم، وعامورة، ودومه، وساعور، وكانت قد أصرت على اقتراف الآثام، فأحرقت بفيض من نار الكبريت، ومن ثم غرقت في تلك البحيرة.

ومعنى كلمة سـدوم«القطيع الصامت» أو«العمى»، وأمـا معنى كلمة عـامـورة فهـو الخوف أو«فسـاد الناس»، أمـا معنى كلمـة سـاعـور فهو«البحـر» أوميناء البحر، وأمـا معنى كلمة دومـه فهو الرغبـة، وفوق بحيرة اسفلت، وأنت صـاعـد للدخـول إلى اليهـوديـة، هناك صغـور،

ولصغــور ثلاثة أسماء: فهي تـدعى بلع Bala، الذي معناه «ابتلع»، وزوآر وهو اسم سرياني، وهي قد عـرفت باسم بالزوآر بمزج الاسمين العبري والسرياني معـاً، وهي دعيت بـاسم«صغـور» الذي معناه«الشيء الصغير»، وقد أنقذت«صغور» بوسـاطة دعاء لوط، فلم تحترق أو تغرق في الماء، ومن الممكن رؤيتهـا حتى هذا اليـوم، وفيما كانت زوجـة لوط خـارجة من«صغـور» تحولت إلى عمـود من ملح من الممكن رؤية آثاره حتى اليوم، ويوجد على شواطىء البحر المتقدم الذكر الكثير من الشب، ومن القطران، حيث يعثر عليه السكان المحليون، ويتم جمعه من قبلهم، ويستخرج من البحر«الحمـر» الذي يدعى باسم«الزفت اليهودي»، وهو مفيد في بعض أنواع الأعمال، وتعـرف«صغور» الآن باسم بلدة النخيل، وذلك من قبـل شعب البــلاد، وتفصـل بحيرة اسفلت اليهــوديـة عن العربية.

٣ — وعندمـا جـاء بنو إسرائيل إلى العـربية، كـانت قفـاراً لا يمكن سلوكهـا، وبدون مـاء، وقـد حفظ الرب شعبـه من بني إسرائيل فيهـا، وجعلهم يتخـذون اثنين وأربعين منزلاً، وقـد مكثـوا فيهـا مـدة أربعين سنة، وخــلال ذلك لم تهترىء ثيــابهم، وقـد أطعمهــم من ندى السماء والمن، وأعطي كل واحد منهم من ذلك بقدر حـاجته، وكذلك أعطاهم لحماً حسب رغبتهم.

وقــد توليت تدوين أخبــار ومعـاني أسماء هـذه المنازل، هنا في هذا الكتـاب، ويتـوجب على العبراني المتشوق لأخـذ طريقـه من الأرض إلى السماء، أن يجتازهم، وأن يخلف وراءه مصر هذا العالم، فيدخل إلى أرض الميعاد، وإلى منزله السماوي.

المنازل الإثنان والأربعون

كـان المنزل الأول هو رعمسيس، وهي مـدينة مصرية، حيث اجتمع

بنو إسرائيل مع بعضهم بعضاً، وقد دخلوا إلى الفيافي في اليوم الثاني بعد عيد الفصح، على مرأى من المصريين، الذين استلبوهم ببراعة وسرقوا أوانيهم الذهبية والفضية، وجرت ترجمة كلمة رعمسيس الى «فوضى» أو «صاعقة».

وكان المنزل الثاني هوسكوت، الذي يعني«أكواخ» أو«خيم العهد».

وكان المنزل الثالث هو إيثام في الفيافي، حتى تدبر الرب استجابة لمطالب شعبه، فأقام عموداً من نار خلال الليل، وحيث يتمكنوا من رؤية جميع ما يريدون أن يصنعوه في النهار، وأقام غمامة في النهار تخفيهم وتظلهم، ومعنى ايثام«شجاعة» أو«كمال».

وكانت «مارا» المنزل الرابع، بعد عبور البحر الأحمر، ومعنى«مارا»«مرارة».

وكان المنزل الخامس هو حيروث، وذلك على مقربة من بعل صفون، ومعنى هذا الاسم هو:«رب الريح الشمالية».

وكان المنزل السادس هو إيليم Elim، حيث وجدوا الاثني عشر بئراً، والسبعين شجرة نخيل.

وكان المنزل السابع إلى جانب البحر الأحمر، حيث يخرج الخليج عن مساره.

وكان المنزل الثامن في فيافي سين، التي من خلالها يذهب الانسان حتى جبل سيناء، ومعنى كلمة سين عليقة،أو«كراهية»[الأصح:قمر].

وكان المنزل التاسع في دفقة، التي تعني«نبضة».

وكان المنزل العاشر في ألوس، التي تعني«مخمر»، ففي الفيافي تضجر بنو إسرائيل واشتكوا من الجوع، وأكل«السلوى» في المساء، والمن في الصباح.

وكـان المنزل الحادي عشر هو رفـديـم، التي تعني غلبـة الشجـاع، أو«الخسارة»، وهنا تفجر نبع ماء من حورب، لصالح الشعب العطشان، وهنا غلب يشـوع أمـالك وأطاح به، وهنا جـاء يثـرو إلى مـوسى، وهنا تشكى الشعب ضـد الرب، وفي أثناء غيـاب مـوسـى، صنعـوا العجل الذهبي، وتعبدوه.

وكـان المنزل الثاني عشر في قفـار سيناء، وقد تمت ترجمة هذه الكلمـة إلى«عليقة»، وذهب مـوسى في هذا المنزل إلى الرب في جبل سيناء، وهنا جـاء الـرب ونزل إليـه، وأعطاه الشريعـة مكتـوبة بإصبعـه على ألواح حجرية اقتطعت من ذلك الجبل، وعمل موسى هناك وأنجـز صوماً دام أربعين يوماً وأربعين ليلة، وفي هذا المنزل تمّ صنع خيمة العهد.

وجـرى تعليمهم فـوق ذلـك الجبل أي نوع من الأضـاحي عليهم تقديمـه، وأي نوع من الأواني عليهم استخدامـه في التضحية، وأي نوع من الألبسـة يتـوجب على الكهنة أن يلبسـوا، وأي نـوع من الطقـوس ينبغي أن يؤديها الكهنة واللاويين، وهنا مسح مـوسى هارون، واختـاره كـاهناً، وألبسه درع القضـاء وثوب الكهنوت Ephod ، وبناء عليه كـان أول إنسان دعي باسم«المسيح» أي«الممسـوح»، وهنا جرى تعـداد الشعب واللاويين، ومن ثم جرى تقسيمهم إلى عـدة أسباط، وهنا أيضاً جرى تدوين هدايا الأمراء، كما جـرى صنع بوقين من الفضة، من أجل تقـويض المعسكـر، وهنا أيضـاً صـدر الأمـر إلى المدنسين الذين لم يكن بإمكانهم أكل قـربان الفصح في الشهر الأول، أن يجتمعـوا ليفعلوا ذلك في الثـاني، وهناك جـرى منع الناصريين من شرب النبيـذ أو الخمـرة القـوية، وأن يأكلوا الزبيـب، أو الخل المصنوع من الخمـرة، وهنا جـرى إخراج المجذومين والذين في أجسـادهم قروح، من المعسكر، وهنا أيضاً صـدر الأمر إلى اللاويين بالقيـام بخدمـة خيمـة العهد شروعـاً من سن الخامسـة والعشرين، وأن يتولوا حـراسـة الآنية من سن الخامسـة، وهنا

جــرى صنع بوقين من الفضــة، على صـوتهما كــان يتــوجب على بني إسرائيل الاستعداد للقتال.

وكان المنزل الثالث عشر عند«قبـور الشهوة» حيث كان الاسرائيليون قـد ملـوا من الطعـام السماوي وسئمــوا، واشتـاقـوا إلى قــدور اللحم المصرية، ولهذا التهمت نار مفـاجئة كثيراً منهـم، وهنا نزل الرب بالغمام فـوق الشيوخ السبعين النخبـة، وأخـذ الروح التي كـانت فوق مـوسى وأعطاها إلى الشيوخ السبعين.

وكــان المنزل الـرابع عشر هو حضيروت حيث اتخذ هـرون الكاهن وأخته مريم مـوقفاً عدائياً من أخيهما مـوسى، ورميا بأسنانه، لأنه تزوج امرأة أجنبية، ولهذا فإن معنى حضيروت«اعتداء».

وكـــــان المنـزل الخامس عشر هـو رثمــــة، التـي معناهـا«ضجيج» أو«اندفـاع»، ومن هناك جرى إرسـال الاثني عشر جـاسوسـاً إلى أرض الميعـاد، وجلبــوا معهم عنقـوداً من العنب من هنـاك، وهناك ثار داثان وأبيرام ابنا قوره ضـد موسى وهارون، فـانشقت الأرض وابتلعتهم هم وأسرهـم وجميـع خيمهم وأثاثهـم وثرواتهم، وهنا حملـت عصــــا هرون فـاكهة وأوراقـاً، وهنا جـرى قتل إنســان من قبل الناس، لأنه تولى جمع عصي، في يوم السبت.

وكان المنزل الســادس عشر«فرز الرمان» الذي يعنـي باللاتينية«توزيع الرمان».

وكان المنزل السابع عشر«لبنه» الذي يعني«التبييض».

وكان المنزل الثامن عشر هو رسه، الذي يعني«لجم».

وكان المنزل التاسع عشر«كليزه»، الذي يعني«كنيسة».

وكـان المنزل العشرون عند جبل شـافـر، الذي يعني«الجمال»، أي أن

تقول:«المسيح».

وكان المنزل الحادي والعشرون«عرضه»الذي يعني«معجزة».

وكان المنزل الثاني والعشرون مقهيلوت الذي يعني«في الاجتماع» أي في الكنيسة.

وكان المنزل الثالث والعشرون في تاحت الذي يعني «الخوف».

وكان المنزل الرابع والعشرون في تاسي الذي يعني «استهزاء» أو«مرعى».

وكان المنزل الخامس والعشرون في مثقة الذي يعني«حلاوة».

وكان المنزل السادس والعشرون في أسموله الذي يعني باللاتينية«سرعة».

وكان المنزل السابع والعشرون في أسيروك الذي يعني«أغلال» أو«عقوبة».

وكان المنزل الثامن والعشرون في بني يعقان الذي يعني«الأولاد يحتاجون»أو«ضجة».

وكان المنزل التاسع والعشرون في جد جاد الذي يعني«رسول» أو«تحريم» أو«ختان».

وكان المنزل الثلاثون في يطبات الذي يعني«الجودة» أي«المسيح».

وكان المنزل الحادي والثلاثون في عبرون الذي يعني«عبور».

وكان المنزل الثاني والثلاثون في عصيون جابر الذي يعني«عظام إنسان».

وكان المنزل الثالث والثلاثون في قفارسين، التي هي قادس، وتعرف

أيضاً باسم قادس القفار، لأنه جرت ترجمة كلمة سين إلى«مقدس» من قبل«جسد دعي»، وذلك مثل ucus ، وهي حديقة، دعيت كمايلي Quia Minime Luceat ، لأنها لا تشع.

وهنا ماتت مريم أخت موسى وهارون ودفنت، وهنا أغضب موسى الرب بسبب كلمة تجديف تفوه بها، ولهذا جرى منعه من عبور نهر الأردن، وهنا التات عقله بسبب نحيب الناس، وضرب الصخرة بشك مرتين، وكأن الرب غير قادر على جعل الماء ينبع من الصخرة، ويجري الآن جدولان من هناك، يسقيان جزءاً من العربية.

وكان المنزل الرابع والثلاثون عند جبل هور في بلاد أدوم، وهو الجبل الذي صعد هرون إليه بناء على أمر من الرب، ومات في مكان كان اسمه بيروث، وقد دفن في جبل هور، وقد خلفه في منصبه ككاهن أعلى ابنه العازر، وعندما سمع عكان بأن الاسرائيليين قد باتوا على مقربة، أنشبوا قتالاً فوق البقعة التي أخاف فيها الجواسيس الناس بإخبارهم عن حجم وتعداد أبناء عكان، وقد هزم الاسرائيليون، لكنهم قاتلوا ثانية، وتمت هزيمة المنتصرين في المكان نفسه الذي انتصروا فيه من قبل، وأرغموا على الفرار.

وكان المنزل الخامس والثلاثون صلمونه.

وكان المنزل السادس والثلاثون فينون، وهذان المنزلان ليسا موجودين في السياق التاريخي، وفيهما تشكى الناس بعد وفاة هرون، ضد الرب وضد موسى، ذلك أنهم كرهوا المن، ولهذا جرى عضهم من قبل الأفاعي.

وكان المنزل السابع والثلاثون أوبوت الذي قيل معناه«ساحر» أو نبية».

وكان المنزل الثامن والثلاثون عبر في بلاد مآب، الذي معناه «كوم من

الحجارة عبرت».

وكان المنزل التاسع والثلاثـون ديبون جاد حيث أنشب الاسرائيليون القتال مع سيحون ملك العموريين، ومع عوج ملك بيسان، وقيل معنى سيحون«إغواء العيون»، ومعنى عوج«الحبس»، ومعنى بيسان«فوضى».

وكان المنزل الأربعون بعد ديبـون جاد في علمون دبلاتاريم التي قيل معناها«إغواء» أو«خجل الطرقات»، وعلى مقربة من هناك، باتجاه أريحا، يوجـد المكان الذي اسمه ثافـون حيث كتب مـوسى سفر التثنيـة، وهنا أيضـاً المكان الذي اسمـه قدمـوس، الذي أرسل مـوسى منه رسـلاً إلى سيحون ملك العموريين.

وكـان المنزل الحادي والأربعـون هو جبل عباريم الموجـود في مقـابل نبـوب، ومعنى اسم جبل عبـاريم هـو«جبل الذين عبروا» فهناك مـات موسى، وتم تشريفـه من قبل الرب بدفنه هناك، وعلى كل حال من غير الممكن رؤية قبره في أي مكان، وقـد خلفه في منصب القيـادة يوشع بن نون، ولهذا أطلق عليه أولاً اسم يشوع.

وكـان المنزل الثاني والأربعـون في المنطقـة السهليـة لبلاد مـآب، على ضفـاف نهر الأردن، على مقربة من أريحا، حيـث نصبوا خيمهم، وامتـد معسكرهم من القفار حتى بيتسرثيم فـوق جبل مآب، وفيها الناس هناك جـرى لعنهم مـن قبل بلعـام المقـدس، الذي اكتراه بلك مقـابل ثمن، ولعنهم من على كـرنيم، فـوق جبـل مـآب، لكـن اللعنات تحولت إلى مباركـات، وكان بلعام جـالساً على ظهر أتانه، عندمـا رأت ملاك الرب واقفاً أمامهـا، وبيده سيف مشهور، وقد تكلمت معـه بشكل إعجازي، ويوجد كهف كـرنيم المتقدم الذكر في جبل مـآب، وقد دعي هذا الجبل باسم«المقطوع» وذلك بسبب انحداره الشـديد، وفي ذلك السهل المتقدم الذكر، وضـع بلك — بناء على نصيحة بلعام — امـرأة في داخل بيت،

وبنى مذبحاً أمام الأبواب هناك، من أجل إمكانية قدوم الاسرائيليين إلى هناك للتضحية لـلأوثان، ومن ثـم اقتراف الزنا مـع بنات مـآب، وضـلالهم، لكن فنحاص، الكـاهن الغيور، طعن زمبري وعـاهرته معاً بسكين، حتى يمكن إبعاد غضب الرب، وجرى تعداد الناس هنا للمرة الثانية، وكذلك تعداد اللاويين، ومضى الناس من هناك لإنشاب القتال ضـد المدينيين، ومـات بلعـام، ولـدى اقتراب بني إسرائيل من ميـاه نهر الأردن، تراجع النهر، ووقف، وتجمعت مياهـه أمام تابوت عهد الرب، وذلك حتى عبروا جميعـاً، وبعـد هذا، بما أن سبط راؤبين ونصف سبط منشا، قد امتلكا الكثير من الحيـوانات حول الأردن، كانا أول من دخل إلى هناك وتملك، وقـد جلبـوا من قبل يشـوع بمثـابة ضيـوف إلى أرض الميعـاد، إلى الجلجـال، حيث وضعـوا خيمـة عهـد الرب مع خيـام بني إسرائيل.... وجرى بعد هذا إصـدار تحذير إلى بني إسرائيل بعدم جلب أية أوثان إلى الأرض المقـدسـة، أو أن يمتلكوا أياً منهـا هناك، وعـرفت جلجال بمعنى«الدحـرجة» أو«الكشف»، واستـولى بعد هذا سبط يهوذا على اليهودية، واحتلها سبط بنيامين معهم، وكـانا قد استوليا على أريحا، ليس بوساطة الخوف من السيف، وليس أيضاً بضربها بالكباش الناطحة للأسوار، أو باستخدام الأسلحة، بل سقطت أسوارها وتهاوت بعد حمل تابوت عهـد الرب والطواف به سبع مـرات حـولها، ولم يبق فيها أحـد حي باستثناء راحـاب، والذين اختـارتهم للبقاء أحيـاء، واستـولى نصف سبط منشـا وسبط افـرايم على السامـرة، واستـولى سبط زبلون، وسبط نفتـالي، وسبط آشر على الأجزاء العلوية مـن الجليل، وبالطريقة نفسهـا استولت الأسباط الأخـرى على جميع بلاد الملوك الاثنين والثلاثين مابين فلستيا وأدوم.

وعلى بعد ثلاثة أميال من أريحا وعلى ميلين من نهر الأردن تقوم بيت أجلا، وقد ترجمت هذه التسمية بأن معناها«مكان الانعطاف»، لأن أبناء

يعقـوب وأهل بيتـه تحلقوا حـول جسـده، على شكل النائحين، وذلك أثناء جلبهم إيّاه من مصر إلى حبرون، وفي القفـار الواقعة خلف أريحا، توجـد عين الجدي، حيث أخفى داود نفسـه، وقـد قيل بأن عين الجدي الواقعة قـرب البحر الميت، هي البلاد التي جرت العـادة بأن يجلب منها البلسم، حيث يحكى بأنه كـان ينمـو هناك، ولهذا أطلق عليـه اسم«نبيـذ عين الجدي»، وقـرب أريحا وليس بعيداً عن جلجـال يوجد أم كنخـور، وقيل بأن معنى هذا الاسم وادي عخور — أي للفوضى وللحشود — حيث جـرى رجم عخان حتى الموت، لأنه أخـذ أشياء ملعـونة، ووراء أريحا القـديمة، وعلى الجهـة الشرقية من هناك، يوجـد الجلجال المتقـدم الذكـر، حيث قـام يشـوع بختـن الناس للمـرة الثـانيـة، واحتفل بعيـد الفصح، وهنا انقطع المن عن بني إسرائيل، واستخـدمـواخبـز الطحين، وأقـامـوا في هذا المكان الصخـور التي جلبوهـا بعد إخـراجهـا من نهر الأردن، وبقي تابوت العهـد هناك لمدة طويلة، وفي المنطقة الواقعـة فوق بحيرة اسفلت توجـد شوى، وهي مـدينة قـديمة سكن فيهـا فيما مضى شعب قوي، تمّ قهره من قبل كدرلعومر.

وفي العـربية فيما بين عبريم وحـور توجـد الكرك، ومعنى هذا الاسم الأسـد الشجاع وفيهـا أقام بلدويـن أوف بولليون، الذي كـان الكونت الأول للرها، وأول ملوك الفـرنجـة في القـدس بعـد ذلك، أقـام قلعـة حصينة من أجل الاستيلاء على العـربية ووضعها بأيدي الصليبيين، وأن تكون ركيـزة لمملكـة داوود، وباتجاه الجنوب، يوجـد في العــربيـة جبل فاران.

وتتصل العربية بأدوم في بلاد بصرى، التـي هي بوزور التي جاء منها برخئيل البوزوري.

وهناك بوزور أخــرى في جبــال أدوم، وهـي التي قــال عنهـــا إشعيـا:«من هو ذاك الذي جـاء مـن أدوم في ثيـاب ملونة من بصرى»؟

ووراء بصرى إلى الجنوب، وباتجاه دمشق، توجد منطقة الطرخونية أو الإيطورية، التي كان حاكمها فيليب، وذلك وفق ما جاء في الانجيل.

وتتصل أدوم بسدراخ، التي هي سورية الدنيا(التحتى)، والمدينة الرئيسة في سورية هي دمشق، ولدمشق ثلاثة أسماء هي: دمشق، وآرام، وأرفاد، ودمشق هي المدينة المبجلة وعاصمة سورية، ويفصل لبنان فيما بين سدراخ وفينيقية، وفي فينيقية توجد مدينة صور التي هي Tyre، وهي أهم حاضرة للفينيقيين، وهي التي — حسبما أخبرنا السريان — لم ترض باستقبال المسيح، عندما سار في المناطق القائمة على شاطىء البحر، والتي — وفقاً لما ذكرته الكتابات المقدسة — قدمت عدداً كبيراً جداً من الشهداء، الذين يعرف الرب وحده عددهم، وفي صور قبر أورجين، ويوجد أمام صور صخرة رخامية كبيرة، عليها جلس المسيح، وقد بقيت هذه الصخرة على حالها دون أن يلمسها إنسان منذ أيامه حتى تاريخ إخراج المسلمين من المدينة المقدسة، لكن بعد ذلك أخذ الفرنجة والبنادقة يقتطعون قطعاً منها، وقد جرى بناء بيعة تابعةلكنيسة المخلص فوق الذي بقي من هذه الصخرة، وكان أبولونيوس ملكاً على صور عندما كان أنطيخوس يحكم في أنطاكية، وكان روا Reu وحيرام ملكان على صور، عندما كان سليمان يحكم في القدس، وقد استولى الاسكندر الكبير على مدينة صور بوساطة وصل أسوارها بالبر الرئيسي، لأنه في ذلك الوقت كان البحر يجري من حولها كلها، واستطاع البطريرك واريامندوس Wariamendus صاحب الذكرى المباركة، بفضل وقاية نعمة الرب، بشجاعة حصار صور، بمساعدة البنادقة براً وبحراً، في أيام المملكة الفرنجية، واستولى عليها، وهكذا تمكن بشكل مجيد من توسيع رقعة مملكة داوود.

وعلى بعد ثمانية أميال من صور، باتجاه الشرق، وعلى شاطىء البحر تقع الصرفند، وهي صرفند الصيداويين، وهنا سكن مرة النبي إيليا،

وأقام من الموت يونه ابن الأرملة التي استضافته بلطف، ومنحته الراحة وأطعمته.

وعلى بعد ستة أميال من الصرفند، تقوم صيدا، التي جاء منها ديدو، الذي بنى قرطاج في أفريقيا، وفسر اسم صيدا على أنه يعني «السعي وراء الأسقف»، واسم صور «التجارة»، ومن هذه المناطق التابعة لصور وصيدا، جاءت المرأة الكنعانية إلى يسوع،عندما كان يسير في تلك الأجزاء، وتحدثت إليه، وتحدث يسوع إليها، وهناك في جبال صيدا والصرفند يوجد بلدة جاث حيفر Gath-heper ، التي جاء منها النبي يونه.

وعلى مسافة ستة عشر ميلاً من صيدا تقوم بيروت، التي هي مدينة غنية جداً، ووجد في بيروت تمثال لمخلصنا، صنعه نيقوديموس بيديه، وعندما جرى بعد أمد قصير من آلام المسيح صلب هذا التمثال وطعنه من قبل بعض اليهود، من أجل توجيه إهانة له، تدفق منه دم وماء، وبناء عليه آمن كثير من الناس بالذي صلب حقاً، فضلاً عن هذا فإن كل من جرى دهنه بالذي تدفق من ذلك التمثال شفي من أي مرض كان يعاني منه، مهما كان نوعه.

٤— وبنيت دمشق من قبل ألعازر، خادم ابراهيم، وكان ذلك فوق المكان الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وبناء عليه إن معنى كلمة دمشق «نقطة دم» أو «قبلة دم»، ودمشق موجودة في سورية، وقد فسرت كلمة سورية بأنها تعني «العالي» أو «المبلل»، وسكن في المنطقة المحيطة بدمشق عيسو، وهي المنطقة التي عرفت أيضاً باسم سعير، أي «الرجل صاحب الشعر الكثيف»، ومعنى كلمة أدم «الرجل الأحمر»، أو «الرجل صاحب الشعر الأحمر»، ومعنى كلمة عيسو «تكسير».

وهناك جزء من سورية يدعى في هذه الأيام أدوم، وهو الذي ورد

ذكره في المزامير بقـوله: «فوق أدوم سـوف ألقي بحذائي»، وقـد دعيت أيضاً باسم أدوم لأن إشعيا قد قال: «من هو ذاك القادم من أدوم، وهو يلبس ثيـاباً ملونة من بصرى»، ويوجد في أدوم جبل سعير، الذي تقـوم دمشق تحته، وسكن في سعير كوريوس الذي قتل كدرلعومر، وفي أرض أدوم، وعلى بعـد ميلين من نهر الأردن، يوجد نهر يبـوق، الذي خاضـه يعقوب عندما كان راجعاً من بلاد الرافدين، وهناك أيضاً حيث تصارع مع الملاك، وغير اسمه من يعقوب إلى إسرائيل.

وعلى بعـد ميلين من دمشـق، يوجـد المكان الذي ظهـر فيـه المسيح لشاول، وهو يقول: «شاول، شاول، لماذا أنت تعذبني»؟، وأشع في ذلك الوقت ضوء عظيم جـداً من السماء حول شاول، وفي دمشق قـام حنانيا بتعميـد شـاول، ومنحـه اسم بولص، وفي دمشق استرد بولص بعـد تعميـده بصره، ومن فـوق أسـوار دمشق أنزل بـولص في داخل سلة، وبذلك هرب من نافذة ونجا من غضب معذبيه ومطارديه.

وقيل إن معنى كلمة «لبنان» «البياض»، وقـد ورد ذكر لبنان في أغنية سليمان في قـوله: «هلمي معي من لبنان ياعـروسي»، وأمـام لبنان ودونه (سلسلة) لبنان الشرقيـة، التي تطل على منطقـة دمشق، وينبع عند سفح لبنان نهرا: أبانا، وفرفر، وهما نهرا دمشق.

ويجري نهر أبانا خـلال جبـال لبنان وسهل عرقـه، ويصب في البحـر الكبير قرب المكان الذي انسحب إليه القديس يوستاخيوس بعد فقدانه لزوجته ولأولاده .

ويجري فـرفـر في سـورية إلى ربله، ثـم إلى أنطاكيـة، ومن هناك يسير مسـافـة عشرة أميـال بعيـداً عن هذه المدينة ليصب في البحـر عند ميناء السويدية.

وجـاء القـديس لـوقـا الانجيلي من أنطـاكيـة، ولهذا السبب عـرف

بالسوري من حيث الانتماء إلى أمة، ومن أنطاكية أيضاً جاء أصل الذنوب، الملك أنطيخوس، وأنطيخوس المشهور، الذي عانى تحت سلطانه المكابيون السبعة مع أمهم... وقد دفنوا مع بعضهم في أنطاكية في كنيسة مبجلة مكرسة على أسمائهم، وفي أنطاكية عانت القديسة بربارا، وعلى شرفها جرى بناء كنيسة جميلة هناك، زينت بالذهب وبأعمال الفسيفساء، وبكثير من الرخام، المختلف الألوان، وفي أنطاكية جلس القديس بطرس على عرش البابوية لمدة سبع سنوات من بابويته، وقد خلفه القديس يوديوس Eudius ، الذي خلفه القديس إغناطيوس، الذي حمل إلى روما مكبلاً بحبل، وقد مات هناك كشهيد، وفي أنطاكية دعي المسيحيون بهذا الاسم للمرة الأولى، لأنهم كانوا يعرفون من قبل باسم الحواريين[الجليليين].

وينبع من سفح لبنان نهرا«أر» و«دان»، وهما الأصلان اللذان يتشكل منهما عند سفح جبل جلبوع، نهر الأردن، وفي الأردن، على بعد ثلاثة أميال من أريحا، رضي المسيح، وتفضل بأن يجري تعميده من قبل متقدمه، وذلك في مكان زأر كالرعد فوقه صوت أبيه، قائلاً:«هذا هو ابني المحبوب، الذي أنا راضٍ عنه تماماً:استمعوا له»، ونزل الروح القدس في هذا المكان على المسيح على شكل حمامه، واغتسل في الأردن نعمان السوري سبع مرات، وذلك بناء على أمر من إيليا، وبذلك شفي من جذامه، ويدعى الوادي الذي يجري فيه نهر الأردن من جبال جلبوع إلى بحيرة اسفلت باسم«الغور»، ويعرف هذا الوادي أيضاً باسم أولون Aulon ، وهذه كلمة عبرية، وهو وادٍ واسع مع سهول منبسطة، وهو مسيج على كلا الطرفين بجبال تمتد طوال الطريق من لبنان إلى قفار فاران، ويمتد وراء أولون وادي بيسان، ويوجد خلف أولون، وعبر الأردن مدينة بعل، وهي مدينة سبط راؤوبين.

وفي وادي أولون، خلف الأردن مدينة بعل معون التي بنيت من قبل

بني راؤوبين، وفي أولـون، فيما وراء الأردن، هناك بيت رام، الـذي بني من قبل سبط جاد.

وفسرت كلمـة أردن، وقيل معناها هـو«النزول»، وهو يفصل الجليل عن أرض بصرى، التي هي المدينة الرئيسيـة في العربيـة، ويجري نهر دان تحت الأرض طوال الطريق من نبعـه حتى سهل ميـدان، حيث يظهـر مجراه بشكل مكشوف، وأطلق اسم ميدان على هذا السهل، لأن نهر دان موجود في وسطه، وفي العربية يطلـق اسم ميدان على الفسحة المفتوحة، التي يقابلهـا باللاتينية«السهل» أو«السـاحة»، وعـرف ميدان بهذا الاسم لأنه كان يجتمع فيه كل صيف أعداد لا تحصى من الناس، يجلبون معهم كل شيء يمكن أن يبـاع أو يشترى، ويتـلاقـون مع بعضهم، ويقيمـون هناك، ويكون هنـاك أيضـاً الكثير من الجند الفـرثيين والعـرب لحماية الناس ولاطعام قطعانهم في هذه المراعي الخصبة جداً، وتتألف كلمة دان من اجتماع كلمتي«مي» و«دان»، و«مي» في العـربية تعني«الماء»، و«دان» النهر، ومن هذا السهل يحول دان نفسه إلى نهر، ويمر من خلال السواد، حيث نصب يعقوب المبـارك مايزال قائماً، وهـو مبجل من قبل الاغريق والشعوب الأخـرى، والسواد هذا هو جـزء من بلاد عوص، التـي جاء منها يعقوب، ومن السواد جـاء بلداد السوادي، وفي عوص مدينة ثمان، التي هي المدينة الرئيسيـة في أدوم، ومن ثماني جاء علفـاز الثماني، ويوجد في عوص أيضاً مـدينة نعمان التي جاء منها سوفـر النعماني، وكان هؤلاء الثـلاثة أصـدقـاء يعقـوب الذين واسـوه، وينعطف دان مستـديراً نحـو طبرية، وذلك دون مـدينة جـدر، قـرب الحمامـات الطبيـة، ويجري عبر مـوضع الأشـواك ليلتقي بالأر، ويشكـل الأر بحيرة ليس بعيـداً عن بانيـاس، ثم يشكل بعـد ذلك بحـر الجليـل، القـائم بين بيت صيـدا وكفرناحوم.

٥ — ومن بيت صيـدا جـاء: بطرس، وأنـدرو، وجيمس، ويوحنا،

وجيمس بن ألفيوس، وعلى أربعة أميال من بيت صيدا تقوم كوروزين، التي ســوف تنجب المسيح الدجــال الذي ســوف يخدع الدنيــا، وعن كوروزين وبيت صيدا قال الرب:«الويل لك كوروزين والويل لك بيت صيدا».

وعلى بعد خمسة أميال من كوروزين، تقوم المدينة العظيمة جداً، وهي مـدينة جـدر، التي قـال عنهـا في المزمـور:«ويل لي إذا مـا أعقت... عن الحصول على مسكن بين خيام جدر» ومعنى كلمة جدر«الظلام».

وتقوم كفـر ناحوم عند رأس البحر، على الجهـة اليمنى، وكانت هذه مدينة قـائد المائة الذي شفى يسوع ابنه، ولهذا قـال عنه:«أنا لم أجد مثل هـذا الايمان في إسرائيل»، وصنـع الـرب كثيراً مـن المعجـــــــزات في كفرناحـوم، وغالباً مـا علّم في الكنيس، ومعنى كلمة كفـرناحوم«البلدة البيضاء»، أو«البنت الأعظم جمالاً»، أو«ابنة الجمال»، وهي كلمات تصف الكنيسة المقـدسة، وبناء عليـه فإن جميع الذين نزلوا من لبنان، الذي هو بياض الفضائل، صاروا أكثر بياضاً بها وفيها.

وعلى ميلين من كفـرناحـوم، يوجـد الطريـق النازل من ذلك الجبل، حيث وعظ الـرب الحشــود وعلمهم، وعين حـــواريبــه، وشفـى هنا المجـذوم، وعلى بعد ميلين من ذلك الطريق نزولاً، يوجـد المكان الذي أطعم فيه خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين، ولهذا يدعى ذلك المكان باسم«المائدة»، وكأنه كان مكاناً لتناول الطعام، ودونه يقوم المكان الذي ظهـر المسيح فيـه لحوارييـه بعـد قيــامتـه، وأكل معهم من سمكة مشـوية، وكان ذلـك على شاطىء البحـر، ومشى الرب على وجـه ذلك البحر جـاف القدمين، وذلك عندما ظهـر حوالي الساعـة الرابعة إلى كل من بطرس وأندرو، وكــانا آنذاك يصطادان، وهناك أيضــاً قــال يســوع لبطرس عندمـا حـاول أن يمشي على وجه مـاء البحـر وأخذ يغـرق:«يا ضعيف الإيمان لماذا شككت»؟، وهنا أيضــاً في وقت آخـر عندمــا ظن

حواريوه أن أنفسهم بخطر فوق سطح سفينة، جعل البحر يسكن، وعلى شاطىء هذا البحر هناك المكان الذي اسمه جرجوسيا، حيث شفى يسوع على ظهر الجبل، الذين تلبستهم الشياطين، ومنه قامت الخنازير الذين دخلت إليهم الشياطين المتقدمة الذكر، بناء على أوامره، وألقت بأنفسها نحو مكان سحيق، ويوجد عند رأس البحر هوة على جانب اليسار هي جنسارث، المكان الذي يولّد الرياح التي يتم الشعور بها حتى في هذه الأيام، ومن هذه الهوة نالت بحيرة جنسارث اسمها.

وعلى بعد ميلين من جنسارث توجد بلدة المجدل، التي جاءت منها مريم المجدلية المباركة، وهذه هي منطقة جليل الأمم في بلاد سبط زبلون، وسبط نفتالي الذي منه جاء طوبيا، وفي الأجزاء العلوية من هذا الجليل كانت المدن العشرين التي قدمها الملك سليمان هدية لصديقه حيرام، ملك صور، وعلى بعد ميلين من المجدل تقوم مدينة سينيرث، التي أطلق عليها اسم طبرية اشتقاقاً من اسم القيصر طايبروس، وهي المدينة التي اعتاد يسوع على التردد عليها في أثناء فتوته، ومنحت هذه المدينة اسمها إلى بحيرة طبرية، وعلى بعد أربعة أميال من طبرية تقوم مدينة بيت أوليا، التي جاءت منها يهوديت، وهي الأرملة الجيدة، التي أنقذت شعبها، وبحذر تولت قتل البابلي اولفرنس، بسكينتها، وكان ذلك بخيمته، وحملت رأسه، وظلته الحريرية المنسوجة بالذهب والأحجار الكريمة، وعادت بهما بيديها إلى المدينة، وعلى بعد أربعة أميال عن طبرية باتجاه الجنوب، توجد دوثيم(كذا)، حيث رأى يوسف أخوته يطعمون قطعانهم، وهم الذين لكراهيتهم له، باعوه هناك إلى الإسماعيليين، ومعنى كلمة دوثيم«الطعام»، أو الجزء الأخضر منه.

٦ — وعلى بعد اثني عشر ميلاً من طبرية تقوم الناصرة، وهي مدينة الجليل، ومدينة مخلصنا، لأنه هناك تمّ الحمل به، ونشأ وتربى، ومعنى كلمة ناصرة«الزهرة»، أو «النبتة» وليس هذا من دون سبب، فقد

شهدت فيها هناك نمو الزهرة التي أشبعت ثمرتها العالم أجمع، وتلك الزهرة هي مريم العذراء، التي أعلن لها رئيس الملائكة جبرائيل في الناصرة أن ابن العلي الأعلى ينبغي أن يلد، قائلاً:«حييت يا مريم، المليئة بالنعمة، الرب معك» وله أجابت مريم:«إنني جارية الرب، ليكن بي ما يتوافق وكلمتك».

وعلى بعد ميلين من الناصرة تقوم مدينة الصفورية، وذلك على الطريق الذي يقود إلى عكا، ومن الصفورية جاءت القديسة حنة أم أم يسوع، وعلى بعد ثلاثة أميال من الناصرة، وميلين من الصفورية باتجاه الشرق، في بلاد سبط آشر، توجد قانا الجليل، التي جاء منها فيليب، الذي إليه قال الرب:«يافيليب، إن الذي يراني، يرى أبي أيضاً»، ومثله ناثانئيل الذي عنه قال الرب:«إنه إسرائيلي حقيقي، لا يمكنك أن ترى فيه دنساً».

وفي قانا الجليل، قام يسوع أثناء جلوسه مع أمه في احتفال أحد الأعراس، بتحويل الماء إلى نبيذ، ويوجد في الناصرة جب صغير، اعتاد يسوع في طفولته، أن ينضح منه الماء لاستخدامات أمه، واستخداماته هو نفسه، وعلى بعد ميل من الناصرة باتجاه الجنوب، هناك المكان الذي اسمه«حافة الرابية»، الذي دونه كاد والداه أن يرمياه(يسوع) عندما كان يافعاً، لأنهما غارا منه بسبب حكمته، غير أنه مرّ من بينهما واختفى في لحظة، وعلى بعد أربعة أميال من الناصرة باتجاه الجنوب، يقوم جبل الطور، الذي على ظهره قام يسوع بتغيير شكله، وذلك بحضور حوارييه:بطرس، ويوحنا وجيمس، وكان معه موسى والياس، وهنا أيضاً سمع صوت الآب، وأشع جلالته من حول يسوع، قائلاً بصوت كالرعد:«هذا هو ابني المحبوب، الذي أنا عنه راضٍ تماماً»، وهو قد منع أيضاً بطرس وجون وجيمس من إخبار أي إنسان عمّا رأوه، حتى يقوم ابن الانسان من الموت، وهنا أيضاً قال بطرس:«دعنا نقيم هنا ثلاثة

هياكل، واحد لك، وواحد لموسى وواحد للياس»، وعلى بعد ميلين من الطور، باتجاه الشرق يقوم جبل الحرمون، الذي عنه قال المزمور:«الطور وحرمون سوف يغتبطان باسمك»، وهناك أيضاً حرمون آخر في أدوم قرب لبنان، وعندما كان إبراهيم نازلاً من جبل الطور ، قابل ملكيصادق، الذي كان كاهن وملك سالم، وكان إبراهيم عائداً من قتل أمالك، وقدم له خبزاً ونبيذاً، الأمر الذي يمثل التقدمة التي تعمل عند مذبح يسوع المسيح تحت النعمة.

ومعنى كلمة ملكيصادق«الملك العادل»، وعلى بعد ميلين من الطور توجد مدينة[نعيم] نين التي أقام يسوع عند بابها ابن الأرملة، وردّه إلى الحياة، وفوق نين توجد عين دور، وفي سهل نين بين عين دور والطور يوجد كدوميم، الذي هو جدول قيسون، فعلى ضفاف هذا الجدول، قامت النبية دبورة — بناء على مشورة باراخ بن أبينوئي وتوجيهه بإلحاق الهزيمة بالأدوميين، وذلك في الأيام التي قتل فيها سيسرا من قبل يئيل زوجة حابر الكتني، وطارد باراخ ذئب وزيح وصلمناع عبر الأردن، وقتلهم بالسيف، وانهزم جيشهم في عين دور، ولهذا قال المزمور:«من الذي هلك جيشه في عين دور، وصار مثل وحل الأرض»، وعلى بعد خمسة أميال من نين توجد مدينة إزرائيل، أي زرعين، ومعنى كلمة إزرائيل«الرب قد زرع»، ولهذا فإن إيزابل، تلك الملكة الشريرة جداً، التي استولت على كرم نابوت، قد رميت أيضاً بسبب أفعالها الشريرة، من أعلى قصرها وماتت، وما تزال آبدتها قائمة، ومن الممكن رؤيتها في هذا اليوم، وقرب يزرائيل يقوم سهل مجيدو، حيث هزم الملك يوشع وقتل من قبل ملك السامرة، وقد حمل من هناك إلى صهيون ودفن هناك، وعلى جبال جلبوع، تقوم القرية التي تدعى زلبوس Zel-bus .

وعلى ميلين من جلبوع تقوم سكيزوبولس، التي هي المدينة الرئيسية

في الجليل، والتي هـي بيسـان، أي بيت أو مـدينة الشمـس، وهي التي علقـوا على أسـوارها رأس شـاؤول، ومـن نولون Naulon على الأردن، وعلى بعد ثمانية أميال مـن بيسان تقـوم نمّون Nemmon وبيت عنيـا، حيث فيهـا عمّـد القـديس يوحنـا، وذلك حسبما نقـرأ في الانجيل، وتوجـد في الجليل زرعـون، التـي إليهـا أشـار إشعيـا بقـوله: زرعـون مـوجـودة في منطقـة السبـاخ، ولهذا فإن المنطقـة مـا بين الطور وسينارث تدعى زرعون.

والطور قـائم في وسط الجليل، وهو جبـل طويل ومستـدير بشكل رائع، وعلى بعد خمسة أميال من يزرابـل توجد مدينة جمنون[كذا]، وبين جنينوم(جينين) ومجيـدو مـوضع الغـور حيث قتل يـاهو ملك إسرائيل أخزيا ملك يهوذا.

٧ — وعلى بعـد عشرة أميال مـن جينين تقوم السـامـرة، التي تدعى أيضاً باسم سبسطية وأوغسطة التي جاء منها سمعان مجوس، وفيها دفن اشبين ومتقـدم الرب، أي يوحنا المعمدان، الـذي أعدم بقطع رأسـه من قبل هيرود عبر الأردن في قلعة مكرونتا، قـرب البحر الميت، وقد جلب من هناك من قبل تلاميـذه، ودفن بين إليجا وإيليا، وقـد أخبرنا فيما بعد أن جسـده قـد نبش عنه وأخـرج من قبل يوليـان المرتد، وأحـرق، وذر رمـاده في الهواء، وذلك باستثناء رأسه، الـذي كان قـد نقل قبل هذا إلى الاسكندرية، ومنها نقل بعـد ذلك إلى القسطنطينية، ومنهـا إلى بواتيه في فرنسا، وأيضاً باستثناء إصبع السبابة، التي أشار بها إلى يسوع عندما كان قـادماً للتعميـد قائـلاً:«انظروا حمل الرب، انظروا إلى الذي سـوف يزيل ذنوب الدنيـا»، وجلبت العذراء تقـلا المبـاركة معهـا سبابتـه إلى الألب، وحفظتهـا هناك وسط تبجيل عظيم جـداً، في كنيسـة القديسـة جين دي مورين، والسـامرة هو الاسم الذي يطلق على كل من المدينة والمقـاطعة، وفي السـامرة توجـد شـونام Sunam ، حيث منهـــا جاءت المرأة

الشـونامية، وتلفظ كلمـة شـونام شنيم Sanym، وفي السـامـــرة توجــد تيرسيليا Tersilia التي جاء منها مناهن، وعلى مسافة أربعـة أميال من سبسطية توجد مـدينة نابلس، التي تدعى أيضـاً باسم شكيم، ومن شكيم جـاء أبو عمـور، وهي قـائمـة بين دان وبيت إيل، ومن شكيم حملت تلك البلاد اسم بـلاد شكيم، وكـانت شكيم مـدينة عمور الذي ضاجع دينة ابنة يعقـوب، وذلك عندما كانت تسير في تلك المنطقـة إثر عـودتها من بـلاد الرافـدين، وقـد جلبت عظـام يوسف واستعيـدت من مصر إلى شكيم، ودفنت هنـاك، وعلى مقـربة من الجب الموجــود في شكيم صنـع يربعـام العجلين الذهبيين، مما جعله يتسبب بعبادتهما من قبل العشرة أسباط الذين أضلهم، واقتـادهم معه بعيداً عن القدس، وقد وضع واحـداً من هذين العجلين في دان، ووضع الثاني في بيت إيل، وقــد دمـر أبنـاء يعقـوب مـدينة شكيم هذه وقتلوا عمـور لغضبهم من مضاجعته لأختهم دينه، وتدعى شكيم في هذه الأيام باسم نابلس، أي«المدينة الجديدة». وقـرية شيكار واقعة خـارج شكيم، وذلك قـرب البـلاد التـي أعطاها يعقـوب إلى ابنه يوسف، وفيهـا يوجـد نبع يعقـوب، الذي هـو أيضـاً بئر، وهو الذي — تبعـاً لرواية الانجيل — جلس يسوع إلى جانبه عندما كان منهكاً بسبب سفره، وتحادث مع المرأة السامرية، وقد بني الآن فوق تلك البقعة كنيسة، وعلى مقربة من شكيم توجــد شجـرة البطـم، التي أخفى يعقــوب تحتهـا أصنامــه، ويؤكــد السـامريون أن مـدينتهم مظللة بجبلين مشهورين هما جبـآل في الشمال، وجـرزيم في الجنوب، لكن جيروم نقض هـذا التأكيـد وأعلن أن هذين الجبلين في أرض الميعاد في مقابل أحدهما الآخر، فأحدهما فوق أريحا(أي جبآل) عند المكان، الـذي بنى فيه يوشع — بناء على أوامـر من موسى — مذبحـاً للرب بحجارة غير منحوتة، وجـرزيم على مقربة من هناك، وقـد قال بأن أصـوات الرجـال وهم يبـاركون ويلعنـون مسموعـة من أحدهما إلى الآخـر، الأمر الذي من غير الممكـن القيام به وحدوثـه فوق

الجبلين المطلين على نابلس.

وعلى بعد ثمانية أميال من شكيم، باتجاه الجنوب، تقوم مدينة تمنة، وهي مدينة يوشع، حيث مات فيها، وحيث ضريحه ما يزال موجوداً، وعلى مسافة ميل من شكيم توجد بيت إيل، التي كانت تعرف من قبل باسم لوزة، وهي تدعى باسم أولام Olam في العبرية، وقد عاش هنا إبراهيم لمدة طويلة، وهنا أيضاً رأى يعقوب أثناء نومه السلم الواصل إلى السماء، والملائكة يصعدون وينزلون، وبناء عليه أفاق على الفور وقال: «هذا المكان في الحقيقة مقدساً، وهذا هو باب السماء».

وقد أقام هناك صخرة تخليداً لما رآه، وصب عليها زيتاً، وصار المكان يعرف باسم بيت إيل، وهو المكان الذي كان اسمه قبل لوزة، وفي بيت إيل كان إبراهيم — بناء على أمر من الملاك — على وشك التضحية بابنه اسحق(؟).

وعلى بعد اثني عشر ميلاً عن شكيم، وأربعة أميال عن القدس، وعلى الطريق الذي يقود إلى اللد، يقوم جبل شيلوه، ومدينة راما، حيث أقام تابوت العهد وخيمة العهد هناك بانتظار قدوم بني إسرائيل، لابل حتى أيام الملك داود، والنبي صموئيل.

وعلى بعد أربعة وعشرين ميلاً من شكيم، وستة عشر ميلاً من اللد، وستة عشر ميلاً من حبرون، وثلاثة عشر ميلاً من أريحا، وأربعة أميال من بيت لحم، وستة عشر ميلاً من بير السبع، وأربعة وعشرين ميلاً من عسقلان، ومثل ذلك من يافا، وستة عشر ميلاً من الرملة، تقوم مدينة القدس، وهي العاصمة الأعظم قداسة في اليهودية، والتي هي صهيون، ولهذا قيل عنها: «قد قيل بك أمجاد يا مدينة الرب» [مزمور: ٨٧ / ٢]، وهي أيضاً تعرف باسم إيلياء، اشتقاقاً من اسم إيليوس هدريانوس، الذي أعاد بناءها.

٨ — وعلى بعد أربعة أميال عن القدس، تقوم مدينة بيت لحم، وذلك باتجاه الجنوب، وهي التي قيل عنها:«أما أنت يا بيت لحم، لست بأي حال من الأحوال الأقل بين أمراء اليهودية»[ميخا:٥ / ٢ مع فرق كبير]، وكانت أيضاً تعرف باسم إفراته، ولهذا قيل عنها في المزمور:«هو ذا قد سمعنا به في إفراته»[مزمور:١٣٢ / ٦]، ومعنى كلمة إفراته«المغبرة»، وكانت بيت لحم مدينة يسي:«وزهرة سوف تنبع من جذوره».

وكانت هذه مدينة داود، الذي كان نموذجاً عن المسيح، فقد كان داوود قوي الذراع، ومتورد الوجنات، وقد قتل داود جالوت، وقتل المسيح الشيطان، وكان داود جميل الوجه، وكان المسيح أجمل من جميع أبناء الناس، ومعنى كلمة بيت لحم هو«بيت الخبز»، وهي فعلاً كذلك، ذلك أنها شهدت جلب زهرة الناصرة حيث أنجبت هناك ثمرة الكرمة من العذراء مريم، والمقصود بهذا ابن الرب الحي، الذي هو خبز الملائكة، وحياة العالم كله، ويوجد في بيت لحم قرب مكان المهد، المعلف الذي تمدد فيه الطفل يسوع، ولهذا قال النبي:«الثور يعرف صاحبه،وتعرف الأتان مزود صاحبها»، وقد حمل التبن من ذلك المزود، الذي تمدد فيه الطفل ، إلى روما من قبل الامبراطورة حنة، وأنعم به بشكل مشرف على كنيسة القديسة مريم العظيمة.

وعلى بعد ميل من بيت لحم، باتجاه الشمال، أشع النجم على الرعاة، عندما ولد الرب، وظهر الملاك فيما بينهم وهو يقول:«المجد للرب في الأعالي وعلى الأرض السلام، وللناس المسرة»، وجاء الرجال الحكماء إلى بيت لحم من الشرق، يقودهم نجم جديد، ليعبدوا عمانويل الذي ولد، وليتعبدوه بمثابة ملك الملائكة، وقدموا له هدايا من الذهب، والبخور، والمر.

وأصدر هيرود أمراً بقتل الأطفال الأبرياء في بيت لحم والمناطق

المجـاورة، وقد دفن القسم الأعظم منهم على بعـد ثلاثة أميـال من بيت لحم باتجاه الجنوب، وعلى بعد ميلين من تقوع، وعلى بعد ميلين من بيت لحم، باتجاه الغـرب، تقع الرملة، ولهذا عنهـا كتب:«سمع صـوت في رامه»، وتحت الكنيسـة في بيت لحم، ليس بعيداً عن مهد الرب، مـدفون جسد القـديس جيروم، وكذلك فإن الأرملة باولا ويوستـاخيوم، الذي كتب جيروم شخصياً رسالة إليه، مدفونان في بيت لحم، وعلى بعد أربعة أميال من بيت لحم باتجاه الجنوب، تقوم كنيسـة القديس كاريوث، الذي عندما مات، مـات معه رهبانه، لأنه كان راعيـاً تقياً لهم، وبما أنهم كانوا أتقيـاء فقـد تلقـوا إنذاراً مبكراً من الـرب بذلك، لأنه كـان أباً رحيماً لهم،وهم لم يرغبوا بالعيش بعـد موته، في هذا العالم، فقـد كان حبهم له عظيماً جداً، وكانوا يهيمون به.

ومن الممكن رؤية قـلاياتهم المتعددة في الكنيسـة المتقدمة الـذكر، على حـالها مثل وقت قتلهم لأنفسهـم لدى فقـدانهم لأبيهم، وقـد نقلوا فيما بعد إلى القدس، حيث ترقد أجسادهم كلها في مدفن فخم واحد.

وعلى بعـد ميل من بيت لحم، على الطـريق الذي يقـود إلى القـدس، والذي يعرف باسـم قبراتا، ومعناه إما«فراش» أو«ثقيل»، هنـاك موضع قبر راحيل، حيث ماتت بعـد وضعها لابنها بنيـامين، وحيث أيضاً تولى دفنهـا زوجها يعقـوب، وهناك هي ترقد، وقـد بنى يعقوب فـوق قبرها كـومـة مـؤلفـة من اثني عشرة صخـرة عظيمـة، وذلك تخليـداً لذكـرى أولادها الاثني عشر، وقبرها مع هذه الصخور باقٍ حتى هذا اليوم.

٩ — ومـدينة القدس، التي هي الحاضرة الرائعـة لليهـود، قائمـة في وسط العـالم، ومنهـا طرد داود شـاول، ومن ثـم حكم لمدة ثلاثين سنة ونصف السنة، وعن داود قـال الرب:«لقد وجدت رجـلاً وافق قلبي»، وفي القـدس ولد النبـي اشعيـا، الذي وجـد في أيام حكـم منشـا، ملك اليهودية، وهو الذي تنبأ عن المسيح بشكل أعظم وضوحاً مما فعله غيره

من الأنبيـاء، وقـد مـات شهيـداً، ذلك أنـه شطر إلى قسمين، بسبب الكراهيـة التي نالها، ويوجـد في القـدس جبل مـوريا، الذي عليـه رأى داوود الملاك، وهو يضرب بسيفـه المجـرد، وقـد أنـزل بشعب الرب ضربات مـؤلمة، وخشيـة منه أن ينتقـم الملاك منه شخصيـاً، ومن المدينة أيضاً، لأنه قـام بتعداد الناس، خـرّ على وجهه سـاجداً على الأرض، في توبة صحيحـة، وأسف عميق، وهنا سمع مسـامحة الرب لـه وغفـرانه، وقـام فوق جبل مـوريا في أيام حكم داوود أرض بيدر أرونا اليبـوسي، وهذه الأرض أراد داوود أن يشتريها منـه، حتى يتمكـن أن يبني بيتـاً للرب، لأنه نال غفـرانه وعفـوه في ذلك المكان، ووفره مـلاك الرب ولم ينتقم منه، وكـذلك وفـرّ المدينـة، وأوقف يديه عن القتل هناك، وقـد اشترى داود أرض البيـدر، غير أنه منع من قبل الرب من البناء عليهـا، لأنه كـان رجلاً دمـوياً، ولهذا السبب قام بإعـداداته لابنه سليمان، الذي إليـه منح الرب الإذن بالقيـام ببناء بيت للرب، وعندمـا توفي أبوه، قـام سليمان ببناء هيكل في بيت إيـل، وبنى أيضـاً مـذبحـاً، وكـرس الهيكل للرب، بعـدما أنفق عليـه أموالاً كثيرة جـداً، وقام بإيمان مهيب وتقـوى فسأل الرب أنه كلما طلب منه مطلباً أن يصغي له، وقد منحه الرب هذا الرجاء، ولهذا السبب حمل بيت الرب هذا الاسم«بيت الدعـاء»، وأقول بأن هذا الهيكل قـد جرى تدنيسـه وسلبه من قبل الفـرعون نيقـو، ملك مصر، وكـان ذلك في أيام رحبعـام، ابـن سليمان المتقـدم الذكـر، وتمكن نبوخذ نصر في أيام صدقيا، بوساطة كبير طباخيه نبوزردان، من أن يهدم أخيراً كل من الهيكل والمدينة، وقـد أمـر بأن يحمل إليـه كل شيء ثمين كـان هناك في الهيكل أو بالمدينة، وذلك بعـد سلبـه، وأن ينقل إلى بابل، وأمر أيضاً بحمل الملك صدقيا والشعب.

وأعيـد فيما بعـد بناء الهيكل أيام الملـك قـورش من قبل إسـدراس الكاتب، ونحميا الكاهن، وأعيد الناس، وأرجعوا تحت قيادة زيروبعل،

ويوشع الكاهن الأعلى، وجرى تدنيس الهيكل فيما بعد وتهديمه من قبل أنطيخوس، ثم أعيدت عمارته في أيام المكابيين، وكذلك جرى تدنيسه من قبل بومبي، الذي أقام فيه، عندما كان فاراً من أمام يوليوس قيصر، وجرى أخيراً تهديم الهيكل للمرة الثالثة، وقلب عاليه سافله حتى أساساته في أيام حكم تيتوس وفسبسيان.

ولسوف أدون في هذه الرسالة — بقدر ما أستطيع — لصالح جميع القراء لهذا الكتاب، الحقيقة حول الوضع الحالي لبيت إيل: إنه في جميع الأحوال ما من أحد يعرف بشكل أكيد من قبل أي أمير، أو في عهد حكم من أعيدت عمارته، فبعضهم يقول: أعيدت عمارته في أيام حكم الامبراطور قسطنطين من قبل أمه هيلانة، وذلك صدوراً عن احترامها للصليب المقدس الذي وجدته هناك، ويقول بعضهم الآخر: لقد أعيدت عمارته من قبل الامبراطور هرقل، صدوراً عن احترامه لصليب الرب، الذي أعاده بشكل ممجد من فارس بعد انتصاره، ويقول آخرون بأن عمارته قد أعيدت من قبل الامبراطور جستنيان، ويقول آخرون: لقد بني من قبل واحد من حكام ممفيس(مصر) تشريفاً«لله الكبير» أي الله العلي الأعلى،ويبرهن على صحة ذلك الكتابات العربية الموجودة عليه، وبناء على هذا كله: إن هذا الهيكل المبجل بتقوى من قبل جميع الناس من جميع الألسن سواء، يستحق أن يدعى باسم الهيكل الرابع، وفي الهيكل الأخير الذي كان موجوداً قبل هذا، جرى ختن الطفل يسوع، في اليوم الثامن من تاريخ ولادته، وجرى عرض جلدة غرلته في الهيكل في القدس من قبل ملاك من السماء، ثم حملت من قبل الملاك، وقدمت هدية إلى الملك شارل الكبير(شارلمان)، وقد نقلت من قبله إلى آخن في غاليا، وبعد هذا نقلت من قبل شارل الجريء، ابن لويس التقي إلى الكنيسة التي بناها على شرف المخلص في كارو Charroux في أكوتين، في مقاطعة بواتيه، وقد أوقف عليها ممتلكات عظيمة، عهد

بإدارتها للرهبان، حيث تعبد هناك بمهابة، من ذلك الوقت حتى اليوم الحالي، وفي يوم طهارة العذراء كان يسوع حاضراً مع أمه في الهيكل، وجرى استقباله وتسلمه من قبل سمعان المبارك، الذي قال له:«الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام»الخ«نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل»[لوقا:٢ / ٢٩ — ٣٣]، وفي الهيكل حرر المرأة من إثمها، بعدما اعتقلت وهي تمارس الزنا، وقال:«دعو الذي بلا ذنب يرمي أول حجر عليها» وقال للمرأة:«أيتها المرأة اذهبي بسلام، ولا تذنبي بعد».

وفتح في الهيكل سفر إشعيا، وشرح بعضاً مما جاء فيه لليهود، ومدح في الهيكل تقدمة الأرملة الفقيرة، التي رمت بها في صندوق الخزينة،لأنها قدمت كل ما كانت تمتلكه.

واعتاد يسوع أثناء إقامته في القدس على تعليم اليهود في هذا الهيكل، وكانوا على كل حال يغارون منه.

وحدث أنه على أعلى زاوية الهيكل، وقف الشيطان ليسوع، يحاول إغواءه وقال له:«إذا كنت ابن الرب ألق بنفسك من هنا»، فأجابه الرب قائلاً:«قف خلفي أيها الشيطان، إنك لن تغوي الرب إلهك»، ومن هذا الهيكل جرى إلقاء القديس جيمس من أعلاه، وهو الذي كان الكاهن الأعلى الأول تحت الغبطة في القدس، وفي الهيكل في القدس جرى إخبار زكريا من قبل الملاك بولادة ابنه يوحنا المعمدان، ولقد حدث مقتل الشهيد زكريا بن براخيا فيما بين الهيكل والمذبح، ولقد اعتادوا في ظل العهد القديم على أن يضحوا على هذا المذبح بثلاث حمائم وطيور، وقد صنع المسلمون من هذا المذبح مزولة، يمكن رؤيتها في هذه الأيام.

وحدث أنه عندما كان بطرس ويوحنا يمران من خلال الباب الجميل العائد لهذا الهيكل، أنه قال للرجل الذي كان محمولاً يطاف به

هناك، لأنه كان أعرجاً منذ ولادته:«إن ما لدي، أعطيك إياه».

ويوجد في القدس بركة الضأن، الذي اعتاد ملاك الرب في أيام يسوع، أن يثير الماء فيها في أوقات محددة، وعندها فإن أول شخص مريض يدخل إلى الماء بعد تحركه، يشفى من أي مرض كان يعاني منه.

وفي الاغريقية معنى كلمة Probatan باللاتينية«ملك الضأن»، لأنه بعد التضحية اعتاد الناس على غسل أحشاء الأغنام هناك، وهذه الأحشاء تكون بالعادة لونها أحمر بسبب دماء الضحايا، وأمام بركة الضأن شفى يسوع المريض وأعاد صحته إليه حيث قال له:«احمل فراشك وامش»، وفي وسط القدس أقام يسوع الفتاة من الموت، وفي القدس جرى سجن بطرس من قبل هيرود، وأطلق بعد هذا سراحه من قبل ملاك الرب، وحمل إلى خارج المدينة من خلال الباب الحديدي، الذي انفتح لهما من قبل نفسه.

وفي أحواز القدس، في وادي أبناء عمون، هناك مكان توفت Toph-et حيث لم يخجل الاسرائيليون من عبادة الأوثان العائدة للأمم، وفي أحواز القدس أيضاً، فيما بين مكان توفت، وحقل القصار، وحق الدم، دون قصر سليمان، وعلى جانب جبل صهيون، وتقريباً في وادي شعفاط توجد بركة استحمام سلوان، التي إليها أرسل يسوع الرجل الأعمى، بعدما ردّ البصر إليه، وقد أرسله إلى هناك حتى يغسل عينيه، وبالفعل غسل عينيه واسترد بصره، وبناء عليه قيل بأن معنى كلمة سلوان«أرسل»، وتأتي مياه سلوان — تبعاً لتقاليد السريان — من شيلوه، ويتدفق نبع سلوان بصمت، لأن مياهه تجري تحت الأرض، وعلى بعد أقل من رمية حجر عن سلوان يوجد جب روجل، وعلى مقربة من روجل توجد صخرة زوحلت Zoheleth ، حيث ضحى أدونيا Adonjiah بأضاحيه.

وفي وادي شعفاط جرى دفن القديس جيمس، ونقل بعد ذلك إلى القسطنطينية، ويرقد في وادي شعفاط الملك شعفاط تحت هرم حاد الرأس.

وعلى بعد ميلين من القدس، وعلى الطريق الذي يقود إلى شكيم، يقوم جبل جبعة، وذلك في ديار سبط بنيامين.

وعلى بعد ميلين من القدس، وعلى جانب جبل الزيتون، وذلك باتجاه بحيرة اسفلت تقوم بيت عنيا، وإلى جانب جبل الزيتون، وبملاصقته يوجد جبل العدوان، وهما منفصلان عن بعضهما بوساطة الطريق الذي يسير من وادي شعفاط، ومن خلال بيت فاجي، إلى بيت عنيا، وقد عرف باسم جبل العدوان، لأن الملك سليمان أقام عليه صنم ملوخ Moloch وعبده، وبيت عنيا هي القرية التي جاء منها سمعان المجذوم، الذي غالباً ما استضاف كل من يسوع ومريم، ومرثا، وتولى خدمتهم بكل إخلاص وتقوى، وفي بيت عنيا غسلت مريم قدمي يسوع بدموعها، ومسحتهما بشعرها، ودهنتهما بدهن، فنالت الغفران لذنوبها، ومدح في بيت عنيا كل من مرثا ومريم، وكانت مرثا مهتمة كثيراً بخدمته، واهتمت مريم بالاصغاء إلى كلماته، وقد أثير بأدعيتهما وبكائهما فأقام من الموت أخاهما ألعازر، وذلك بعدما مضى على موته ودفنه أربعة أيام، وقيل بأن معنى كلمة بيت عنيا هو«بيت الطاعة».

وكانت بيت فاجي أيضاً قرية كهنة، وهي«بيت الفم» أو «بيت الفك»، وجبل الزيتون هو جبل الدهن«المسح» أو جبل الأضحية، ووادي شعفاط هو وادي الحكم، وفسرت كلمة القدس بأن معناها هو«رؤيا السلام»، وفسرت أيضاً كلمة صهيون بأن معناها«برج مراقبة» أو «مراقبة».

ومن خلال هذا الطريق ذهب يسوع إلى القدس، وكان جالساً على

ظهــر أتان، وذلك في اليــوم الذي احتفل فيــه بأحــد السعف، ووفق الطريقة نفسها على كل كـاثوليكي يطيع أوامر العلي، أن يمثل في حضرة الكهنة، الأوصياء في عالم الرب، وذلك بغية أن يتسلم منهم التقويم، ثم يمضي في وادي الحكم، أي أن تقـول:ندم التــوبة الحقيقيـة، حتى يحكم على نفســه هنـاك، ويقــرع البــاب الشرقي، الـذي هو المسيح، الشرق الصحيح، وذلك من أجل أن يتمكن بجـدارة من الدخـول إلى القـدس المقـدسة، وإلى صهيـون السماوية، لكي يتـزين بثـوب السرور، وليحكم معه إلى الأبد.

وعلى جبل صهيــون كـان يســوع قــد غسل أقـدام حـوارييــه،وهو يقول:«افعلوا هذا وأنتم تتـذكرونني»، وعلى جبل صهيـون تعشى يسوع مع حوارييه.

هنا نهاية وصف بيد للأرض المقدسة.

حاج مجهول
(قرن ثاني عشر)
وصف الأرض المقدسة

على كل من يـود الدخـول إلى القـدس، أن يؤم الشرق دومـاً، وأن يدخل من خـلال باب القديس اسطفـان: فهناك في خارج البـاب جرى رجم القـديس أسطفـان، وعليه أن يسأل في القـدس عن الأمـاكن وفق ترتيبها الصحيح.

ويوجـد في القـدس ضريـح الرب، وعند المدخل إلى أبواب كنيسـة الضريح المقدس، ووراء الباب الخارجي، توجد كنيسة أكرا (الجمجمة)، حيث كـانت مريم المبـاركة واقفـة، وحيث كـان القديس يوحنا واقفاً أيضاً، وذلك عندما قال الرب «انتبهي أيتها المرأة هو ذا ابنك..... يابني هو ذا أمك»، ويوجـد خـارج باب الكنيسـة، على جهة اليسـار، مـذبح القديس يوحنا المعمدان، ومن داخل الباب، يوجد ثانية على جهة اليمين جبل أكرا (الجمجمة) حيث جـرى صلب الرب، ودونه توجد الجلجلة، حيث سقط دم الرب فوق الصخـرة، وكان هناك رأس آدم، وهناك قدم إبراهيم أضحيتـه، وعلى الطرف الآخر عند سفح جبل أكـرا يقوم المكان والعمود، حيث جرى جلد الرب، وعلى مقـربة منه باتجاه الشرق، وبعد النزول أربعين درجـة، يوجد المكان الذي وجـدت فيه القـديسة هيـلانة الصليب المقـدس، ويوجد في الكنيسـة ضريح الرب، وهناك على مقـربة منه، على الطرف الشرقي، وفي وسط السـدة هناك، يوجـد وسط العـالم، حيث تمدد الرب، عندمـا أنزله نيقـوديموس من على الصليب، ويوجـد على جهـة اليسـار سجن الرب، وبالجوار هنـاك المكان الذي يتعبـد فيـه الصليب المقدس.

وعلى مقربة من كنيسة الضريح المقدس، تقوم كنيسة القديسة مريم، التي تعرف باسم كنيسة القديسة مريم للاتين، وذلك فوق المكان الذي قيل بأن القديسة مريم المجدلية، والقديسة مريم زوجة كيفاس، قد مزقتا فيه شعريهما، عندما وضع الرب على الصليب، ويوجد هناك مشفى القديس يوحنا المعمدان.(المعطاء)

وعلى بعد رميتي سهم من ذلك المكان يوجد هيكل الرب، الذي بني من قبل سليمان، وله أربعة مداخل، واثني عشر باباً، ويوجد في وسط الهيكل صخرة عظيمة، حيث جرت العادة بوضع التابوت وخيمة العهد عليها، وكان في التابوت آنذاك عصا ابراهيم، وألواح الشريعة، والشمعدانات الذهب، ووعاء المن التي سقطت من السماء، وكانت هناك نار القربان، ومن هناك مايزال يتدفق الزيت الذي جرت العادة أن يمسح به الملك والأنبياء، وعلى مقربة من هذا المكان جرى تقديم ابن الرب، ورأى يعقوب السلم نازلاً من السماء، وعلى جهة اليسار من السدة يوجد النقش التالي:

«ملك الملوك الذي ولد من أم عذراء،

جرى تقديمه هنا، هذه أرض مقدسه.

هنا رأى يعقوب السلم، وهنا بنى

مذبحه. علّنا نتمكن من تعليق أعطيات حوله».

ويوجد على جهة اليمين المكان الذي ظهر فيه الملاك لزكريا، ودون ذلك مكان الاعتراف، الذي كان فيما مضى قدس الأقداس، وهو المكان الذي أطلق فيه الرب سراح المرأة التي أمسكت متلبسة بالزنا، وقد نقش هناك:

«من الذنب حررت أنا الناس

إذا ما اعترفوا بذنوبهم لي».

وهناك جرى الاعلان عن ولادة القديس يوحنا المعمدان، وهناك أيضاً عمود يجري تعبده من قبل المسلمين، حيث يقال بأنه قائم في المكان الذي قام عليه المذبح الذي أقيم فوق البقعة التي أراد ابراهيم أن يضحي فيها بابنه، وهناك أيضاً كنيسة فوق الموضع الذي ألقي عليه القديس جيمس من أعلى الهيكل، ووراء هذا، في خلف الهيكل هناك مذبح قرب المكان الذي قتل فيه القديس زكريا، والباب الجميل هو الباب الذي يؤدي إلى صحن الهيكل.

وعلى الجهة الأخرى من الهيكل، فيما بين الهيكل والباب الذهبي هناك أشجار، فهناك حمل الأطفال الأغصان، عندما ركب الرب على ظهر أتان، وهناك قرب هيكل سليمان، عند زاوية المدينة، توجد عليّة المسيح (المهد؟) وفراش أمه وحمامها، وهناك ضريح القديس سمعان.

وعلى الجهة الشرقية، قرب الهيكل، يوجد الباب الذهبي، وإلى الشمال هناك بركة الضأن، وهناك أيضاً على مقربة منها كنيسة القديسة حنة، والبئر الذي يذهب الحجاج إليه، وعلى مقربة من كنيسة القديسة حنة هناك كنيسة القديسة مريم المجدلية، وباتجاه الشمال، على مقربة من الضريح المقدس هناك كنيسة القديس شارتون.

وعلى جهة الجنوب هناك جبل صهيون، حيث توجد كنيسة جميلة بنيت تشريفاً لمريم المباركة، ففيها فارقت الدنيا ومضت إلى السماء، وقد حمل جسدها الأكثر قداسة إلى وادي شعفاط، وعلى جانب اليسار من هذه الكنيسة هناك بيعة قائمة حيث كانت قاعة القضاء والحكم على المسيح، وعلى جهة اليمين هناك الجليلية، حيث ظهر الرب لكل من سمعان (بطرس) والنساء، وفوق، قرب السدة يوجد المكان الذي نزل فيه الروح القدس على الحواريين، وفي تلك الكنيسة نفسها توجد المائدة

التي تعشى المسيح عليها، وذلك عندما قال: «خذوا، وكلوا، هذا هو جسدي»، ودون ذلك يوجد المكان الذي غسل فيه أقدام حوارييه، وهناك يوجد الحوض الذي حوى الماء، وفي هذا المكان نفسه وقف يسوع عندما قال: «سلام لكم»، وهنا أيضاً لمس القديس توما جنب الرب، وعلى طرف اليسار يوجد مذبح القديس اسطفان، وذلك فوق المكان الذي دفن فيه.

وفي خارج الكنيسة هناك كنيسة صغيرة فوق المكان الذي دفن فيه.

وفي خارج الكنيسة هناك كنيسة صغيرة فوق مكان قاعة المحاكمة، حيث جلد الرب، وتوج بتاج من شوك، وسخر منه، وهنا كان بيت كيفاس، وخلف جبل صهيون هناك كنيسة فوق المكان الذي فرّ إليه القديس بطرس، وذلك عندما أنكر الرب، وصاح الديك، وباتجاه وادي شعفاط، هناك بركة استحمام سلوان، حيث جرى دفن النبي إشعيا.

ويوجد فيما بين القدس وجبل الزيتون، ووادي شعفاط، حيث دفن الحواريون مريم المباركة، وهناك يوجد جدول قدرون، وهناك أيضاً البيت الاقليمي الذي كان اسمه جيسماني، فمن هناك أبعد الرب بطرساً وبقية الحواريين، بينما أخذ يصلي ويدعو قائلاً: «هل من الممكن يارب» الخ، وهناك أيضاً الحديقة، حيث ألقي القبض عليه من قبل اليهود، وعلى مسافة رمية حجر من هناك المكان الذي صلى فيه، وأخذ عرقه يتصبب منه على الأرض مثل نقاط كبيرة من الدم، وقرب هذا المكان يوجد ضريح الملك شعفاط، الذي منه حمل الوادي اسمه، وهناك أيضاً كنيسة فيها دفن القديس جيمس وزكريا الشيخ العجوز المقدس، وليس بعيداً عن هناك يوجد حق الدم، أو موضع دفن الغرباء.

وصعد الرب إلى أبيه من على جبل الزيتون، وهناك أمر حوارييه بالتبشير بالإنجيل إلى جميع المخلوقات، وليس بعيداً عن هناك توجد

كنيسة صغيرة، فيها تمت تلاوة صلاة الرب، وتحت يوجد كنيسة فيها ضريح القديسة بيلاجيا، بين جبل الزيتون وبيت عنيا تقوم قرية بيت فاجي، التي إليها أرسل بطرس ويوحنا لجلب أتان، وإلى جوارها في بيت عنيا، أقام الرب ألعازر وغفر للمرأة الخاطئة ذنوبها، وهناك كان بيت سمعان المجذوم، وإلى جوار ذلك كنيسة القديسة مرثا، حيث التقت هي ومريم بالرب.

ويمر الطريق الذاهب من القدس إلى بيت لحم من خلال باب داوود، ويمر بكنيسة القديس إلياس، التي بنيت فوق البقعة التي وقف عليها، ويوجد إلى جانب الطريق قبر راحيل، وفي بيت لحم ولد المسيح، وهناك ضريح القديس جيروم، والبئر الذي سقط فيه النجم، وهناك أيضاً صورة تظهر القديسة مريم مع الملوك الثلاثة، وفي الساحة الداخلية هناك قبور الأبرياء، وفي قبو كنيسة العذراء المباركة هناك مذبح قائم فوق المكان الذي ولدت فيه، وليس بعيداً عن بيت لحم هناك الكنيسة القائمة فوق المكان الذي ظهر فيه الملاك إلى الرعاة، وهناك أيضاً كنيسة فوق المكان الذي استراحت القديسة مريم فيه عندما كانت حاملاً بالرب، وعند شرقي هذه الكنيسة يوجد الطريق الذي يقود إلى قبر إبراهيم في حبرون، وذلك على بعد خمسة فراسخ عن القدس، وصنع الرب في هذا المكان نفسه(حبرون) آدم، وليس بعيداً عن هناك كان بيت قابيل وهابيل، وعلى مقربة منها يوجد المكان الذي ظهر الرب فيه لإبراهيم بين ثلاثة، وباتجاه الشرق(الغرب) يوجد المكان الذي حيت فيه مريم إيزابل، وحيث ولد يوحنا المعمدان، وحيث أيضاً سكن زكريا، وعلى بعد ميلين من هناك توجد قلعة عمواس.

ويوجد خارج باب القدس كنيسة الضريح المقدس، وذلك فوق المكان الذي جري قطع خشبته فيه، وفي القدس مكان سجن فيه القديس بطرس، ويوجد في الهيكل نبع ماء الحياة، ولهذا قال النبي:«لقد

رأيت مياهها تخرج»الخ(حزقيال:٤٧ / ١).

وعلى بعد سبعة أميال من القدس يقوم جبل القرنطل، وعند سفح ذلك الجبل هناك حديقة إبراهيم، وعلى مقربة من ذلك المكان توجد مدينة أريحا، وعلى بعد فرسخين من هناك يوجد نهر الأردن، والمسافة من ذلك النهر إلى جبل سيناء تحتاج إلى سفر ثمانية عشر يوماً.

والمسافة من القدس إلى السامرة(شكيم) التي اسمها الآن نابلس هي اثني عشر ميلاً، حيث يوجد البئر الذي تحدث الرب عنده مع المرأة السامرية، وهناك أيضاً الجبل الذي كان إبراهيم سيقدم عليه ابنه، وعلى بعد فرسخين من ذلك المكان توجد سبسطية، حيث جرى إعدام القديس يوحنا المعمدان بقطع رأسه، وحيث رماده محفوظ حتى هذا اليوم.

وعلى بعد فرسخين من هناك يوجد جبل الطور، حيث تغير شكل الرب، وعلى مقربة منه يوجد جبل حرمون، حيث تقوم مدينة نين، التي أقام الرب من الموت، أمام بابها، الابن الوحيد لأمه، وباتجاه الشرق يوجد بحر الجليل، حيث أطعم الرب خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين، وإلى الغرب توجد مدينة الناصرة النبيلة، حيث فيها تمت البشارة إلى العذراء المباركة من قبل الملاك، فهناك كان يوجد بيتها.

وينبغي تعبد هذه الأماكن وأماكن أخرى من قبل المؤمنين.

حاج مجهول
(قرن ثاني عشر، ربما سنة ١١٨٥)
حول بلاد ماوراء البحار

كل من سيزور أرض الميعاد سوف يرى الأماكن التالية كمايلي:

يأتون أولاً إلى مدينة الناصرة، فهناك أعلن الملاك البشارة إلى مريم المباركة، وحملت هي بوساطة روح القدس.

ثم يأتون إلى مدينة القدس، وهناك سوف تجدون في خارج الأسوار المكان الذي رجم فيه القديس اسطفان، ومن هناك سوف تقصدون الضريح المقدس، القائم في وسط مدينة القدس، وعند المدخل إلى كنيسة الضريح المقدس، وعلى جهة اليمين، يوجد المكان الذي عهد الرب فيه بالعناية بالعذراء المباركة إلى القديس يوحنا، وسوف تجدون هناك في داخل الكنيسة الجلجلة، وفوقها يوجد جبل أكرا، حيث جرى صلب ربنا، وسوف تذهبون من هناك إلى المكان الذي عثر فيه على الصليب المقدس، ثم في سدة الكهنة النظاميين ستجدون المكان الذي مدد ربنا عليه بعد إنزاله من على الصليب، ومن ثم لف(بكفن) من كتان، ويقال بأن هذا المكان موجود في وسط العالم، وقد حمل من هذا المكان إلى الضريح المقدس، وعند مدخل الضريح المقدس يوجد المكان الذي جلس الملاك فيه عندما كان ربنا في الضريح.

ونصل بعد هذا إلى جبل الزيتون حيث توجد بيعة القديس المخلص، التي تدعى باسم«قاعة قضاء بيلايطس»، ففي هذا المكان جرى تتويج ربنا، وربط، وبصق عليه، وحكم عليه من قبل بيلايطس، ولسوف تصلون بعد هذا إلى المكان الذي فارقت منه العذراء المباركة الحياة، ثم

إلى مكان عشـاء الرب، حيث أصـدر أوامـره إلى حـوارييـه، وغسل أقـدامهم، وهناك أيضاً المكان الذي كـرس فيـه جسده، وإلى حيث عـاد إليهم بعـد قيـامتـه، وكـانوا جلوسـاً وراء باب مغلق، وخـاطبهم بقـوله:«سلام لكم»، وفي ذلك المكان نزل الروح القـدس على الحواريين في يوم عيـد الحصـاد، وسـوف تجدون بعـد هذا قبر الملك سليمان وقبر القـديس اسطفـان، الذي كان الشهيـد الأول، والمكان الذي جـرى فيـه رسـم القـديس اسطفــان، ثم سـوف تأتون إلى المكان الـذي أخفى فيـه القديس بطرس نفسه، عندما أنكر المسيح.

ثم تأتون بعد هذا إلى نبع سلوان، حيث غسل الرجل الأعمى عينيه، واسترد بصره مبـاشرة ومن هناك تمضـون إلى هيكل الرب حيث جـرى تقـديـم المسيح، وقـد تسلمــه هناك سمعـان، وتذهبــون من هناك إلى القديسة حنة.

ومن ذلك المكان إلى وادي شعفاط، حيث سوف تجدون ضريح مريم العـذراء المبـاركة، وبجـوار ذلك المكان، يوجـد الموضع الذي ربط فيـه الرب، ثم إنكم تصعــدون إلى جبل الزيتــون، حيث ستجــدون المكان الذي صعد منه ربنا إلى السماء، وهناك أيضاً كنيسة تدعى«كنيسة الصلاة الربانيـة»، ومن هناك تذهبون إلى بيت عنيـا، حيث أقام ربنا ألعـازر من الموت، وهناك كنيسة القديسـة مريم المجدلية، وهناك صخـرة كان الرب جالساً عليها عندما جاءت مرثا إليه، وتمضون من هناك إلى نهر الأردن.

ومن ثم إلى بيت لحم، حيـث ستجـدون المكان الذي ولد فيــه ربنا، وهناك المعلف الذي تمدد فيــه، وبعــد هذا إلى الموضع الذي حمل إليــه الملاك البشائر الطيبة، والسرور العارم إلى الرعيـان(لوقا:٢) قائلاً:«المجد للرب في الأعــالي، وعلى الأرض»الخ، ومن هناك إلى مكـان البطريرك إبراهيم المقـدس، وبعـد ذلك إلى المكان الـذي ولد فيـه القـديس يوحنا المعمـدان، ومن بعـد إلى البئر الموجود في عمـواس، حيث كـان ربنا يوم

- ٣٩٠٩ -

عيد الفصح، وقد عرفوه من خلال كسر الخبز.

ومن هناك إلى جبل الطور، حيث تغير شكل ربنا.

والذي مع الرب الآب، ومع الابن، باتحاد مع الروح القدس، سوف يحكم إلى أبد الآبدين، آمين.

٢
أرنول
(١٢٢٠ م)

-٣٩١٣-

مدينة القدس

وصف أوضاع مدينة القدس والأماكن المقدسة في هذا اليوم

نظراً لرغبة أحسن المسيحيين في الحديث عن مدينة القدس، وعن الأماكن المقدسة التي عاش فيها يسوع المسيح ومات، ولتوفر الرغبة بالسماع عنها، سوف نحدثكم عنها، كيف كانت أيام استيلاء صلاح الدين والمسلمين عليها، وانتزاعها من المسيحيين، ولعل هناك العديد من الناس الذين يرغبون بسماع هذه الأشياء، أما الذين لن يسرهم ذلك، فيمكنهم المرور مرور الكرام بهذا المكان.

— ١ —

جبل صهيون — دير وكنيسة سيدتنا — البيت الذي صنع فيه يسوع عشاءه، والمكان الذي ظهر فيه لحوارييه، حيث أراهم جروحه، وحيث صعد إلى السماء، وحيث أرسل الروح القدس، وحيث توفت سيدتنا.

لم تعد مدينة القدس الممجدة قائمة في المكان الذي كانت قائمة فيه، عندما كان يسوع المسيح على الأرض، وعندما صلب، وعندما قام ثانية من الموت وعاد إلى الحياة، فعندما كان يسوع المسيح على الأرض،كانت مدينة القدس قائمة فوق جبل صهيون، غير أنها لم تعد قائمة هناك، والذي هناك الآن هو فقط دير للرهبان، وفي هذا الدير توجد كنيسة مريم المقدسة، ولقد أخبرنا، أن المكان الذي تقوم الكنيسة فيه، كان البيت الذي تعشى فيه يسوع المسيح مع حوارييه في يوم خميس (Jeudi Absolu)وشرع فيه القداس على المذبح، [وفي هذه الكنيسة يوجد المكان الذي ظهر فيه لحوارييه في يوم عيد الفصح عندما قام من الموت]، وفي هذه الكنيسة المكان الذي أرى فيه الجروح التي كانت في يديه وقدميه وجانبه، أراهم إلى القديس توماس في اليوم الثامن لعيد الفصح، وأخبره أن عليه أن يعطيه إصبعه حتى يضعه على جانبه، من

أجل أن يصدقه بثبات ودون أدنى شك، ولكي لا يكون غير مؤمن، بل أن يكون مؤمناً، وهناك أيضاً ظهر في يوم صعـوده لحوارييه، عندما جاء لوداعهم، وليعرج إلى السماء، وقد رافقـوه من هنا إلى جبل الزيتون، من حيث صعـد إلى السماء، ثـم عـادوا من هناك إلى مكانـه نفسـه وانتظروا الروح القـدس، وفقاً لما أمـرهم به يسوع المسيح، فقـد أمرهم بوجـوب العـودة إلى المدينة وأن عليهـم انتظار الروح القـدس، التـي وعـدهم بقدومهـا، وأرسل إليهم وهم في هذا المكان نعمـة روح القدس، وذلك في يوم عيد الحصاد، وكذلك يوجد في هذه الكنيسة المكان الذي توفيت فيـه مـريم المقـدسـة في الجليليـة، ومن هناك حملهـا الحواريون إلى وادي شعفاط، ووضعوها في ضريحها.

— ٢ —

ضريح وكنيسة سيدتنا في شعفاط، وكنيسة سيدتنا على جبل صهيون، ودير الكهنة النظاميين.

يوجد فـوق موقع ضريح مريم المقـدسة كنيسة يدعـونها باسم كنيسة مـريم المقـدسـة في شعفـاط، وهي تمتلك ديراً للرهبـان السـود، وتدعى كنيسة جبل صهيـون باسم كنيسة مريم المقدسـة لجبل صهيون، ولها دير كهنة نظاميين، وهذان الديران مـوجـودان خارج أسـوار المدينة: واحـد فوق الجبل، والآخر في الوادي ، والدير الموجودعلى جبل صهيون، قائم على يمين المدينة، في جهة الجنوب تماماً، والـذي في وادي شعفاط ، قائم باتجاه الشرق، بين جبل الزيتون وجبل صهيون.

— ٣ —

كنيسة الضريح المقدس والجمجمة

كانت كنيسة الضريح المقدس وجبـل أكرا(الجمجمة) حسب وضعها الحالي، في أيام يسوع المسيح، عندما صلب، خارج الأسوار، في حين هي

الآن في وسط المدينة، والمدينة كـذلك قائمـة على السفـوح المتجهة نحـو جبل الزيتون في الشرق خلف وادي شعفاط.

— ٤ —

الأبواب الأربعــة — باب وبرج داود — البـاب الخلفي نحـــو جبل صهيون — كنيسة القديس جيمس أوف غاليشيا Galicia .

يوجد في مدينة القدس أربعة أبواب رئيسية، متصالبة، كل واحد منها أمام الآخر، وذلك بين أبواب خلفية، وسأتولى الآن تقديم أسماءهم لك حسبمايلي:

باب داود، هو باتجاه الغرب، وهو يواجه تمامـاً الباب الذهبي، المتجه نحو الشرق، وذلك خلف «كنيسـة الهيكل»، وهذا الباب عـائد إلى برج داود، ولهذا السبب دعـي باسـم باب داوود، وتنعطـف من داخـل هذا البـاب نحـــو اليمين، إلى شـارع هناك، ومن قـــرب برج داوود يمكنك الذهاب إلى جبل صهيـون،[وذلك بوساطة باب خلفي مـوجود هناك]، ويوجــد في ذلك الشـارع، وأنت ذاهب نحــو البـاب الخلفـي، كنيسـة القديس جيمس الغاليشي، الذي كان أخاً للقديس يوحنا الانجيلي، وقد قيل بأن رأس القديس جيمس قـد قطع هناك، ولهذا جرى بناء الكنيسة في ذلك الموضع.

— ٥ —

شـارع داوود — شـارع البطريرك — باب بيت الاسبتـارية وكنيسـة الضريح المقدس — شـارع جبل صهيون — شارع العشـابين — سوق السمك — السـوق الكبير — حـوانيت الصـاغـة — الحجـاج مما وراء البحر — دير القديسة مريم الكبير — دير القديسة مريم للاتين — بيت الاسبتارية.

الطريق الكبير هـو الطريق الذي يمضي مبـــاشرة من برج داوود إلى الباب الذهبي، ويدعى هذا الطريق[مـن هناك حتى نقطة التبديل] باسم طريق داوود ، ويوجـد في الجهة الشرقيـة من برج داوود منطقة واسعـة يبيعـون القمح فيها، ولدى سير الانســان نزولاً مسافـة أبعد قليـلاً عن طريق داوود هذا، يصل إلى طريق قـائم على جهـة اليسـار، يدعى باسم طريق البطريرك، لأن البطريرك يسكن في رأســه، وهناك باب قـائم على جهة اليمين من شارع البطريرك ، من خلاله يمكن للانسان الدخول إلى بيت الاسبتـارية، ويوجد بعـد هذا باب ، يدخل الانسان منه إلى كنيسـة الضريح، لكن هذا ليس الباب الرئيسي.

وعندمــا تأتي إلى التحــويلـة، حيث نهاية طريق داوود، هنـاك طريق يدعى طريـق جبل صهيـون، لأنـه يمضي مبـاشرة إلى جبل صهيــون، ويوجـد على يســار التحـويلة طريق مغطى، وهو طـريق مقنطر، اسمـه طريق العشابين، حيث يبيعون الأعشاب، وجميـع فواكه المدينة وتوابلها، ويوجد عند رأس هذا الطريق مكان يبيعـون فيه السمك، ويوجد خلف هذا السـوق الذي يبيعـون فيـه السمـك، مكان واسع جـداً، على جهـة اليســار، يبيعـون فيه الجبن، والـدجاج، والبيض، والطيـور، وعلى جهـة اليمين لهذا السـوق توجد حـوانيت الصاغـة السوريين، ويبيعـون هناك سعف النخيل التي يجلبها الحجاج من بلاد ما وراء البحر.

وعلى جهة اليســار من السوق حـوانيت الصاغـة اللاتين، وعند نهاية هذه الحوانيت هناك دير للـراهبـات، يعـرف باسم دير القـديسـة مـريم الكبير، وبعـد دير الراهبات هذا يوجـد دير للرهبـان السود، اسمـه دير القـديسـة مـريم للاتين، ثم يلي ذلـك بيت الاسبتـارية، وهنا يقـوم باب الاسبتارية الرئيسي.

— ٦ —

الباب الرئيسي ومكان الضريح المقدس — كنيسة القديس جيمس لليعاقبة — أكرا — الجلجلة — برج الناقوس — بيعة الثالوث المقدس.

على يمين المشفى هناك الباب الرئيسي للضريح، وأمام باب الضريح هذا هناك ساحة مفتوحة جميلة جداً، وهي مبلطة بالرخام، ويوجد على جهة اليسار للضريح كنيسة تدعى كنيسة القديس جيمس لليعاقبة، وعلى جهة اليمين، وملاصق لباب الضريح هذا، يوجد درجات يصعد الانسان بوساطتها إلى جبل أكرا، ويوجد على قمة الجبل بيعة فائقة الجمال، وهناك باب آخر في هذه البيعة، يدخل الانسان منه ويصعد إلى كنيسة الضريح، وذلك بوساطة درجات أخرى موجودة هناك، وذلك كأن الانسان يدخل إلى الكنيسة.

وعلى جهة اليمين، وتحت جبل أكرا، هناك الجلجلة، وعلى جهة اليسار يوجد برج الناقوس العائد للضريح، وبيعة كانت تعرف باسم بيعة الثالوث المقدس، وهذه البيعة واسعة جداً، ذلك أنها المكان الذي يجري فيه زواج جميع نساء المدينة، وهناك الجرن الذي يجري تعميد أطفال المدينة فيه، وهذه البيعة ملاصقة للضريح، ولهذا هناك باب يشكل مدخلاً إلى الكنيسة.

— ٧ —

آبدة الضريح — كنيسة الضريح المقدس — سدة جوقة المرتلين في الضريح المقدس — مذبح الاغريق — البوصلة.

يوجد على يمين هذا الباب الضريح، وفي هذا المكان، حيث يوجد الضريح، نجد أن الكنيسة مستديرة تماماً، وهي مفتوحة من الأعلى، بدون أي غطاء، وفي داخل الآبدة هناك صخرة الضريح، والآبدة

مقنطرة من الأعلى، وعند رأس هذه الأبـدة، أي تماماً عند رأس مـذبح هناك في الخارج مذبح يطلقون عليه اسم«المطهر»، وينشدون هناك يومياً قداساً عند شروق الشمس، ويوجد هناك مكان جميل جداً، كله مستدير حـول الضريح، وهو بأكمله مبلط: وبذلك يمكن للناس القيـام بمسيرة حول الضريح، وبين الشرفـة حيث يغني الكهنة النظاميون وبين الآبدة، هناك مـذبح، عنده يتـولى الاغـريـق الانشـاد، ويوجـد مكان مغلق بين الجهتين، وهناك بينهما يمضي الانسان من خـلاله من مكان إلى آخر، وفي وسط شرفة الكهنة النظاميين هناك قطعة مـن الرخام، تدعى«البوصلة»، ويقرأون هناك الانجيل.

— ٨ —

أكرا(الجمجمة)

وعلى جهة اليمين للمـذبح العلوي لهذه الشرفة يقـوم جبل أكرا، وفي أثناء تلاوة قـداس القيـامـة يقـوم الشماس عندمـا يقـرأ في الانجيل كلمة«صلب» بـالتوجه نحـو جبل أكرا، ثم يلتفت نحـو الضريح وذلك عندمـا يقول:«Surrexit, non est hic»، ثم يشير بإصبعـه عند الوصـول إلى قـوله:«Eue Locus ubi Posuerunt eum» ، ثم يعود إلى الكتاب، وينتهي من قراءة الانجيل.

— ٩ —

الكهنة النظاميـون ومكاتبهـم الوظيفيـة — الرواق المغلق — بيعـة القديسة حنة(هيلانة) — المهجع والمطعم.

يوجـد عنـد رأس الشرفـة باب يدخل منه الكهنـة النظاميـون إلى أمـاكنهم: وعلى جهـة اليمين بين هذا البـاب وجبل أكـرا هناك حفـرة عميقـة، ينزل إليها الانسـان بدرجات، ويـوجد هناك بيعـة اسمها بيعـة القـديسة هيـلانة، فهناك وجـدت القـديسة هيـلانة الصليب، والمسـامير

والمطرقـة، والتاج، وكـانوا قد اعتـادوا في أيام وجود يسـوع المسيح على الأرض على رمي الصلبـان في الحفـرة، بعـدمـا يفـرغـون من صلب اللصوص، وكـذلك الأطراف التي كانوا يقطعـونها من المجرمين، وبناء عليـه أطلقـوا على هذه التلة اسـم جبل أكـرا(الجمجمـة)، لأنهم كـانوا ينفذون هناك الأحكام، ومـا كانت تأمر به الشريعة، وكـانوا يلقون على هذا الجبل الأطـراف التي كـانوا يقطعـونها لدى تنفيـذ الأحكام على المدانين من قبل الشريعـة، وعندمـا يخرج الكهنة النظاميـون من الضريح المقـدس، هناك على جهـة اليسـار مهجعهم، وعلى جهـة اليمين المطعم، الذي هو مـلاصق لجبل أكـرا، وبين هـذين المكتبين هناك رواقهم المغلق وأرضهم التي يمشون عليها، ويوجد في وسط هذه الساحة مكان واسع مفتوح، منه يستطيع الانسان أن ينظـر إلى علية هيلانة في الأسفل، وغير ذلك لا يستطيع الانسان أن يرى شيئاً.

— ١٠ —

شارع العشابين — شارع الطبيخ — الشارع المغطى

أمـا وقد أخبرتكم عن الضريح وحـدثتكم كيف هو، سيكون مفيـداً العـودة إلى التحـويلة، فقبل التحويلـة وملاصق لشـارع العشـابين(الآن سـوق اللحم) هناك شارع اسمـه شارع الطبيخ(الآن سـوق العطارين)، وهم يطبخـون في الشـارع الطعـام للحجـاج، ويبيعـونه، ويغسلون رؤوسهم، ويوجـد أمـام شـارع الطبيخ هذا شـارع يدعى الشـارع المغطى(الآن سـوق الخواجـات)، وهناك يبيعـون الأمتعـة، وهو كله مقنطر، ويذهب الانسان من خلال هذا الشارع إلى الضريح المقدس.

— ١١ —

شـارع الهيكل — مـوضع الجذارين — المشفى — الجسر — كنيسـة صنجيل — الباب الجميل.

سنترك التحويلة الآن، وسوف نذهب إلى الباب الذهبي، والطريق الذي يأخذ الانسان من التحويلة إلى الباب الذهبي، هو طريق الهيكل، وقد أطلق على هذا الطريق اسم طريق الهيكل، لأن الانسان يأخذ هذا الطريق إلى الهيكل، وكذلك إلى الباب الذهبي.

ولدى مضيك نزولاً عبر هذا الطريق تصل إلى موضع الجذارين، وذلك على جهة اليسار، وذلك حيث يبيعون لحم البلدة، ويوجد على جهة اليمين هناك شارع آخر، يذهب الانسان من خلاله إلى المشفى الألماني، ولذلك يدعى هذا الطريق باسم طريق الألمان، وعلى جهة اليسار، يوجد على الجسر كنيسة صنجيل، وعلى رأس هذا الشارع هناك باب يدعى باسم الباب الجميل، وذلك لأن يسوعاً المسيح دخل من هذا الباب إلى مدينة القدس عندما كان موجوداً فوق الأرض، وهذا الباب موجود في السور فيما بين سور المدينة والباب الذهبي.

— ١٢ —

الهيكل — البلاط — قصر سليمان — مسكن الداوية — كنيسة الهيكل والدير هناك.

الهيكل قائم بين سور المدينة، وسور الباب الذهبي، وهناك ساحة واسعة طولها أكثر من رمية سهم وعرضها أكثر من رمية حجر، موجودة قبل أن يدخل الانسان إلى الهيكل، وهذه الساحة مبلطة ولهذا السبب عرفت باسم البلاط، وإذا ما قدمنا من الباب القائم على جهة اليمين، نجد هيكل سليمان، وهناك يعيش رهبان الداوية، وفيما بين الباب الجميل والباب الذهبي هناك كنيسة الهيكل، وهذه مرتفعة، لذلك يصعد إليها الانسان بدرجات، ولدى الصعود على هذه الدرجات يجد الانسان منطقة واسعة كلها مبلطة بالرخام، تشكل رصيفاً عريضاً، ويمتد هذا الرصيف حول إطار كنيسة الهيكل بشكل كامل، وكنيسة

الهيكل مستديرة تماماً، ويوجد على جهة اليسار للرصيف المرتفع العائد للهيكل، مكان سكنى راعي الدير، والكهنة النظاميين، ويوجد في هذا الجزء هناك درجات، يصعد الانسان عليها إلى الهيكل، ويكون صعوده من الرصيف المنخفض إلى الجزء العلوي.

— ١٣ —

البيعة المقامة حيث استشهد القديس جيمس — المرأة التي كانت مذنبة — الباب الذهبي — باب سليمان — باب شعفاط.

باتجاه الشرق وإلى جوار كنيسة الهيكل، هناك بيعة القديس جيمس[الرسول] الصغرى، لأنه هناك استشهد، عندما رماه اليهود من أعلى الهيكل، وفي داخل هذه البيعة يوجد المكان الذي أنقذ فيه يسوع المسيح المرأة المذنبة، التي كانوا على وشك القيام بقتلها، لأنهم أمسكوها وهي تزني، وقد سألها عندما حررها:أين هؤلاء الذين اتهموك؟ وقد أجابته بأنها لا تعرف، ثم إنه قال لها بأن عليها الذهاب، وأن لا تذنب بعد الآن، وعند نهاية الرصيف، باتجاه الشرق، يذهب الانسان نزولاً بوساطة بعض الدرجات حتى يصل إلى الباب الذهبي، وبعد نزوله هذه الدرجات يجد فسحة واسعة، تمتد حتى الباب الذهبي، وكانت هذه هي الساحة التي صنعها سليمان، وما من أحد يمكنه المرور من هذه الأبواب لأنها مغلقة، اللهم إلاّ مرتين في العام، عندما تجري إزالة الجدار المغلقة به، ويكون ذلك في يوم أحد السعف، وذلك عندما يمضون في مسيرة، لأن المسيح قد مرّ من هناك أثناء مثل هذا اليوم، وجرى استقباله بمسيرة. وكذلك يكون الأمر يوم عيد الصليب المقدس، وذلك في شهر أيلول، لأن الصليب جلب إلى القدس من خلال هذا الباب، وكان ذلك بعدما انتصر الامبراطور هرقل على فارس، وأعاده وأدخله من خلال هذا الباب إلى المدينة، فآنذاك استقبل من قبل مسيرة، وبما أنه ما من أحد قد خرج قط من المدينة من خلال هذا الباب، هناك باب

خلفي موجود على الطرف، يدعى باب شعفاط، والذين يرغبون بالذهاب إلى خارج المدينة من هذه المنطقة، يذهبون من خلال هذا الباب الخلفي، وهذا الباب الخلفي موجود على جهة اليسار بالنسبة للباب الذهبي.

— ١٤ —

الكنيسة المسماة بكنيسة المهد — كنيسة الهيكل — الأبواب الأربعة — الدير.

تنزل من جهة اليمين من الرصيف الأعلى العائد للهيكل إلى الجزء المنخفض، ومن هناك يذهب الانسان إلى هيكل سليمان، وعلى جهة اليسار، ولدى مضيك في الأسفل من الرصيف الأعلى، هناك كنيسة تدعى كنيسة المهد(سرير عيسى في الزاوية الجنوبية الشرقية للحرم)، وكان يوجد هناك المهد الذي عاش فيه الرب خلال طفولته، وذلك حسبما يقولون، وتمتلك كنيسة الهيكل الآن أربعة أبواب متصالبة، ويواجه الباب الأول الغرب، وهو الباب الذي يدخل منه الانسان من المدينة إلى الهيكل، ويمكنك أن تدخل بوساطة الباب الآخر المتجه نحو الشرق إلى بيعة القديس جيمس، ومن خلال هذا الباب يمضي الانسان أيضاً ويخرج إلى الباب الذهبي، ويمكنك أن تذهب بوساطة الباب المتجه نحو الجنوب نحو هيكل سليمان، أما الدخول إلى الدير فيكون بوساطة الباب المتجه نحو الشمال.

— ١٥ —

الباب الذهبي — باب القديس اسطفان وكنيسته — الاسطبل — بيت المجذومين — باب القديس ألعازر الخلفي.

أما وقد وصفت لك الهيكل والضريح حسبما هما الآن، والمشفى، والشوارع التي تنطلق من باب داود إلى الباب الذهبي، وهما البابان

اللذان أمام بعضهما بعضاً، أولهما متجه نحو الشرق، والآخر متجه نحو الغرب، ولسوف أحدثك الآن عن البابين الآخرين، اللذان أحدهما فوق الآخر، وبينهما: إن الباب المتجه نحو الشمال اسمه باب القديس أسطفان، ومن هذا الباب يدخل الحجاج إلى المدينة، وكذلك جميع القادمين من عكا إلى القدس، وأيضاً الذين يقدمون براً من النهر القائم إلى جانب البحر من جهة، وإلى جانب عسقلان من الجهة الأخرى.

ولدى دخول الانسان لهذا الباب، يجد في الخارج، على جهة اليمين كنيسة القديس أسطفان حيث يقال بأن القديس اسطفان قد رجم هناك، وأمام هذه الكنيسة، وعلى جهة اليسار هناك بناء كبير جداً، وكان اسمه الاسطبل Anerie ، فهنا جرت العادة بإيواءالحمير،والخيول الموسومة، العائدة للاسبتارية، ولهذا أطلق على المبنى اسم الاسطبل، وقد جرى هدم كنيسة القديس اسطفان هذه من قبل صليبيي القدس، قبل حصارهم، لأن الكنيسة كانت ملاصقة للأسوار، ولم يجر هدم الاسطبل، بل استخدم فيها بعد لخدمة الحجاج الذين جاءوا إلى القدس أثناء الهدنة، وذلك عندما كانت المدينة بأيدي المسلمين، لأن المسلمين كانوا لا يسمحون لهم بالإقامة داخل المدينة، ولهذا السبب كان مبنى الاسطبل له فوائد عظيمة، وكان على جهة اليمين لباب القديس اسطفان، على مقربة من السور، يوجد المشفى المخصص للمجذومين في القدس، وكان إلى جوار المشفى باب خلفي اسمه باب القديس لادر Ladre الخارجي، وهنا يتولى المسلمون قيادة المسيحيين لإدخالهم إلى المدينة،حتى يمكن أخذهم محروسين إلى الضريح، لأن المسلمين لا يرغبون في أن يرى المسيحيين أعمال المدينة وشؤونها، ولهذا السبب يسمحون لهم بالدخول من خلال الباب الموجود في شارع الضريح المقدس، ولا يسمحون لهم بالدخول من الباب الرئيسي.

[وافهم جيداً أن الحجاج المسيحيين الذين يرغبون بالذهاب إلى

الضريح والأماكن المقدسة الأخرى، يستخرج المسلمون منهم أتاوات عالية، وهدايا وخدمات، ويفرض المسلمون على كل واحد ثلاثين بيزنطة Bezants، غير أنه جرى فيما بعد حرمان جميع المسيحيين الذين دفعوا أموال كراء، أو خدمات أو أتاوات، أو تعويضات، مقابل زيارة الأماكن المقدسة، ولهذا لم يعد المسلمون يتلقون مبالغ كبيرة كما كانوا قد اعتادوا].

— ١٦ —

باب الثالوث الخلفي — شارع القديس اسطفان — شارع وبيت الضريح المقدس — شارع كنيسة الضريح المقدس — تحويلة السريان واللاتين — الشوارع الثلاثة — الشارع المغطى — شارع العشابين، وشارع الطبيخ — شارع قنطرة يهوذا — كنيسة القديس مارتن والقديس بطرس،

لدى دخولك إلى المدينة من خلال باب القديس اسطفان تصل إلى شارعين، أحدهما وهو القائم على اليمين، يذهب إلى باب جبل صهيون، القائم في الجنوب تأكيداً، وباب جبل صهيون قائم فوق في مقابل باب القديس اسطفان، ويمضي الشارع الموجود على جهة اليسار مباشرة إلى باب خلفي يدعى الدباغة، ويستمر ماضياً باستقامة تحت الجسر، وهذا الشارع الذي يمضي إلى باب جبل صهيون يدعى باب شارع القديس اسطفان، حتى تصل إلى التحويلة السريانية.

ولدى قدوم الانسان بوساطة التحويلة السريانية، يجد على جهة اليمين شارع الضريح،(خط الخانكاه)، وهنا يوجد باب بيت الضريح، ومن هناك يدخل الذين يعملون في الضريح إلى مساكنهم، وأمام هذه التحويلة، وإذا ما انعطفت نحو اليمين يوجد شارع مقنطر مغطى، يمضي الانسان بوساطته إلى كنيسة الضريح، ويبيع السريان في هذا

الشـارع الأمتعـة ويصنعـون الشمـوع، ويبيعـون أيضـاً أمـام التحـويلة السمك، وعلى هذا فإن هذه التحـويلـة تصل بين ثلاثة شـوارع، وتصل أيضاً التحويلة اللاتينيـة ، ويدعى واحد من هذه الطرق الطريق المغطى، وهناك يبيع اللاتين أمتعتهم، واسم الشارعين الآخرين: شارع العشابين، والثـالث شـارع الطبيخ، ولـدى سيرك على طول شـارع العشـابين إلى شـارع جبل صهيـون، تجد نفسك قـد وصلت إلى باب جبل صهيـون، وذلك إذا ما عبرت شارع داوود.

وتمضي بوسـاطة الطريق المغطى ومن خـلال التحـويلة اللاتينيـة، إلى شارع يدعى شارع قنطرة يهوذا، ولـدى عبورك لشارع الهيكل، فإن هذا الشارع يمضي مباشرة إلى باب جبل صهيـون، ويدعى هذا الشارع باسم شـــارع قنطرة يهوذا، ذلك أنهم يقــولون بـأن يهوذا قـد خنق على هذه القنطرة الحجريـة، وعلى جهة اليسار لهذا الطريـق توجد كنيسة القـديس مارتن، هذا وكنيسـة القديس بطرس هي على مقـربة من هذه الكنيسة ، على جهة اليسار، ويقولون بأن يسوعاً المسيح قد صنع هناك الطين الذي وضعـه على عيني الرجل الذي لم يبصر قط، وأمـره بالذهاب وأن عليـه أن يغتسل في بركة سلوان، فإذا فعل ذلك فلسوف يبصر، ونفذ الأوامر، وصار قادراً على الرؤية بعينيه.

— ١٧ —

خـارج باب جبـل صهيـون — الطرق الثـلاثة — بـركـة سلوان — كنيسة القديس بطرس في الجليلية.

يوجد خارج جبل صهيون ثلاثة طرق، يقود أولها، وهو الموجود على جهة اليمين، إلى دير جبل صهيـون وإلى كنيسته، وكـان يوجد بين الدير وبين أسـوار المدينة فسحـة كبيرة، وكنيسة في وسطهـا، ويسـاير الطريق الموجـود على جهـــة اليسـار ســور المدينة حتى البـــاب الذهبي: وينزل

الانسـان من هناك إلى وادي شعفاط، وإلى نبع سلوان، وعلى مقـربة من هذا البـاب، على جهـة اليمين لهذا الطريق كنيسـة القـديس بطرس في الجليليـة، وكـان هناك حفـرة عميقـة في هذه الكنيسـة، قيل أخفى فيهـا القديس بطرس نفسه عندما أنكر يسـوعاً المسيح، وسمع صياح الديك، وبكى هناك، ويمضي الطريق المستقيـم من هذا البـاب، إلى الجنوب عبر الجبل، وذلك حتى يتم جواز الدير، ولدى اجتيازك الدير يمكنك المضي نزولاً، ومن هناك إلى بيت لحم.

— ١٨ —

البركـة الألمانيـة — حقل الدم — بركـة البطريرك — أرض مـدفن الأسد.

مّـا أن تنزل مـن الجبل حتى تصل إلى بركـة في الوادي، تـدعى باسم البركة الألمانية(بركة السلطان) لأن ألمانيا، فيها جمع المياه التي كانت تنزل من أطراف الجبال، وقت الأمطار وتسقي مياه هذه البركة خيول المدينة، وفي جزء آخـر من الوادي — على جهة اليسـار — هناك على مقربة من هذه البركـة أرض للـدفن اسمهـا(حقل الدم) حق الـدم، فهناك يدفنون الحجـاج الذين يتوفـون في مشفى القـدس، وكانت قطعـة الأرض هذه الحاوية للمـدفـن قـد شريت بالمال الذي باع فيـه يهوذا جسـد المسيح، وذلك وفقـاً لما جـاء في الكتـابات المقدسـة، وكـان يوجـد خـارج باب داوود، باتجاه الغرب، بركـة تدعى باسم بركة البطريرك، كـانوا يجمعون فيها الميـاه، ويسقون بها الخيـول، وعلى مقربة من هذه البركـة كان هناك أرض دفن، كـانت تدعـى باسم«مقبرة الأسـد»، ولسـوف أخبركم الآن لماذا عرفت بهذا الاسـم ودعيت هكذا: فقد حـدث — حسبما قالوا — في يوم من الأيـام الغـابرة، أن نشبت معـركـة، بين مكان الـدفن هذا والقدس، قُتل فيهـا عدد كبير من المسيحيين، وكـان أهل المدينة على نية القيـام بإحـراق جثث هؤلاء المسيحيين في اليـوم التـالي، بسبب الروائح

الكريهة التي وجـدت، وجاء — على كـل حال — أسـد في الليل ونقل الجثث جميعاً إلى حفرة هناك، وفوق هذه البقعة(بركة ماملا + قبة العبد) جرى بناء كنيسة كانوا يصلون فيها يومياً.

— ١٩ —

دير الجورجيين(الكرج) حيث عثر على جـزء من الصليب، وأي نوع من القوم هم.

وعلى مقربة من هذا الموقع، وعلى بعـد فرسخ واحـد، كان هناك دير الجورجيين، الذي قالوا بوجود قطعة من الصليب فيه، تمّ العثور عليها، وكان قد جرى العثور على الجذع القائم للصليب أمام الهيكل، لأنه كان قد بقي على مقربة من الهيكل، لأنه كـان قد جلب من لبنان مع الخشب من أجل الهيكـل، لأنهم لم يكن بإمكانهم إيجاد مكان منـاسب لوضعــه، لأنه كان إما طويل جداً أو قصير جداً، ولذلك حدث، أن الناس عندما كـانـوا يقـدمـون إلى الهيكل، وأقــدامهم مغطاة بالطين، كــانوا يحكون أقدامهم عليـه، وحدث كـذلك أيضاً في أحد الأيـام أن ملكة مرت من هناك ورأته مغطى بالطين فنظفته بثيابها وتعبدته.

وســوف أحــدثكـم الآن عن هذه القطعــة من الخشــب، ومن أين جاءت، وذلـك كما يتحدثون في هذه البـلاد، فقد حدث أنه عنـدما تمدد آدم على فـراش مـوته، رجـا واحداً مـن أولاده باسم الرب أن يجلب له غصناً صغيراً من شجـرة الفـاكهة التي أكل منهـا عندمـا أذنب، وجلب الابن له الغصن، وأخـذه آدم ووضعه في فمـه، وعندمـا وضعه في فمـه عضـه بسرعة، ففـارقت روحه، ولم يستطيعـوا بأي سبيل من السبل نزع هذا الغصن مـن بين أسنانه، ولهذا دفنوه معــه، وصــار للغصن — كما قـالوا — جذراً، وغـدا مع الأيام شجـرة جيدة، وعندمـا جاء الرسـول اقتلع هذه الشجرة من جذورها، ومن هناك حملت إلى جبل لبنان ، ومن

- ٣٩٢٨ -

بعد ذلك أعيدت إلى القدس مع مواد أخرى من أجل بناء الهيكل، وكانت أخشاباً قطعت من جبل لبنان، وحدث أيضاً — كما يقولون — أنه عندما وضع يسوع المسيح على الصليب، كان رأس آدم داخل تلك القطعة من الخشب، وعندما تدفقت دماء يسوع المسيح من جراحه، خرج رأس آدم من قطعة الخشب وتلقى الدم، وهذا هو السبب في أن جميع الصلبان التي يصنعونها في بلاد القدس ويضعونها عند قدمي الصليب هي على شكل رأس، وذلك تذكراً لرأس آدم.

ولسوف أحدثك الآن عن الجورجيين الموجودين في الدير، حيث تمّ العثور على قطعة من الصليب، ومن أي نوع من القوم هم، وإلى أي البلاد ينتمون، وأما البلاد التي جاءوا منها فتدعى أفيجيا Avegia (الكرج)، ويوجد هناك ملك وملكة، ولهذا يدعو بعض الناس هذه البلاد باسم بلاد النساء، لأن الملكة تركب وتذهب إلى الحرب، ولها جيش خاص بها من نسائها مثلما الملك لديه جيشه الخاص من رجاله، وللنساء في هذه البلاد ثدي واحد فقط، وسأخبرك عن السبب: عندما تلد فتاة، ثم تنمو وتغدو فتاة صغيرة يقومون بتدمير ثديها الأيمن بوساطة حديدة محماة حتى الاحتراق، ويتركون لها الثدي الأيسر من أجل إرضاع ولدها، والسبب الذي يدعوهم إلى تدمير هذا الثدي الأيمن، حتى لا يعيقهن ولا يؤلمهن أثناء مدّ القوس وتفويقه عندما يكن في المعركة.

— ٢٠ —

عمواس

على بعد ثلاثة فراسخ من القدس، وباتجاه الغرب، هناك نبع، يدعى نبع عمواس، وقد كان هناك قلعة، وقد حدث، أنه وفقاً لما حكاه الانجيل، أن ربنا ذهب إلى القلعة مع اثنين من حوارييه، وكان ذلك بعد

قيامـه من الموت، وقد جلس عند هذا النبع ليأكل، وهـم لم يعـرفوه حتى قـام بكسر الخبز، ثم إنه اختفى وباتـوا غير قادرين على رؤيتـه، ومن ثم عادوا إلى القدس إلى الحواريين ليعلموهم كيف أنه تحدث إليهم.

— ٢١ —

الشارع الذي يمضي إلى الباب الخلفي للدباغـة — شارع شعفاط — الميـــدان — بـاب دولوروس Dolorous. الجدول — كنيســـــة القديس يوحنا الانجيلي — دير الراهبات في بيت عنيا.

وأعود الآن إلى باب القديـس اسطفان، وإلى الشارع الذي يجري على جهة اليسار ويصل إلى الباب الخلفي للدباغة، وبعد سيرك بعض الشيء على طول هذا الشـارع، سـوف تجد شارعـاً مـوجـوداً على جهة اليسـار اسمـــه شـارع شعفـــاط، وبعـد مســـافـة قصيرة يجد الانســـان طريقين متصـالبين، حيث أن الطريق الكائن على جهـة اليسـار بينهما هو الطريق القـــادم من الهيكل ويذهـب إلى الضريح، وعند نهاية هذا الطـريق هناك موجود فوق في مـواجهة الهيكل، باب اسمه باب دولوروس، وعبر هذا الباب يسوع لـدى خروجه عندما أخذوه إلى جبـل أكرا ليصلبوه، ولهذا السبب يدعى باب دولوروس، وكان يوجد على جهة اليمين عند تقاطع الطريق، جدول، أتى الانجيل على ذكره، حيث حكى بأن ربنا قد عبره عندما أخـذ للصلب، وتوجد كنيسة القـديس يوحنا الانجيلي هنا، وهي لها بيت للسكنى كبير، وتعود ملكية البيـت والكنيسة إلى راهبات بيت عنيا، اللائي سكن هناك عندما كانت هناك حرب ضد المسلمين.

— ٢٢ —

حارة اليهـود — كنيسة القـديسة مـريم المجدليـة — باب خلفي — كنيسة الاستراحة — السجن — بيت بيلايطس — باب خلفي آخر.

وأعود الآن إلى شارع شعفاط — وبين شارع شعفاط وأسوار المدينة

- ٣٩٣٠ -

على جهة اليسار هناك شوارع ممتدة حتى باب شعفاط، وهي مثل مدينة، ويسكن هناك معظم سريان القدس، وكانت هذه الشوارع تدعى باسم حارة اليهود، وكان في حارة اليهود هذه كنيسة القديسة مريم المجدلية، وعلى مقربة من هذه الكنيسة كان هناك باب خلفي، لا يمكن للانسان أن يخرج من خلاله إلى الخارج حيث الحقول، بل يذهب إلى ما بين السورين، وعلى جهة اليمين لشارع شعفاط كانت هناك كنيسة الاستراحة، حيث يحكى بأن المسيح قد استراح هناك عندما جلبوه للصلب، وكان هناك السجن الذي وضع فيه خلال الليل، بعد اعتقاله في جيسماني، وبعد قليل نحو الأمام، وذلك على جهة اليسار لهذا الشارع كان هناك بيت بيلايطس، وكان يوجد قبل هذا البيت، باب جانبي يمكن للانسان أن يدخل منه إلى الهيكل.

— ٢٣ —

دير القديسة حنة — بركة الضأن.

يوجد على جهة اليسار، قرب باب شعفاط، دير للراهبات، اسمه دير القديسة حنة، وأمام هذا الدير هناك نبع اسمه البركة، وكان يوجد فوق النبع كنيسة، ولم يعد هذا النبع يتدفق، لكنه يرشح دون الكنيسة وتحتها، وحدث في أيام يسوع أن الملاك كان يأتي أحياناً إلى هذا النبع لتحريك الماء، وأول من يدخل للاستحمام في داخله بعدما يكون الملاك قد حركه، يشفى من أي مرض أو عجز كان به، وكان لهذا الماء خمس قناطر، ويتمدد أمام هذه القناطر كثير من المرضى والأشخاص العاجزين، وهم ينتظرون تحرك المياه، وحدث في إحدى المرات أن يسوعاً المسيح جاء في أحد الأيام، ووجد هناك رجلاً، وسأله يسوع المسيح عما إذا كان يرغب في نيل الشفاء، فأجابه:«ياسيدي لا أمتلك إنساناً يساعدني على الذهاب والنزول إلى داخل النبع، عندما يتولى الملاك تحريك الماء، وقد بذلت جهدي لأنزل من على فراشي والذهاب

إلى الماء، غير أنني وجدت إنسـاناً آخر قد استحم قبلي»، ثم جـاء يسوع المسيح وأخبره أن عليه أن يحمل فـراشه ويذهب لأنه قـد شفي، فما كان منه إلاّ أن قفـز معـافى ومضى مغادراً، وكـان اليـوم الذي وقع فيـه هذا الحادث يوم سبت حسبما روى الانجيل.

— ٢٤ —

دير وادي شعفاط — كنيسة وضريـح سيدتنا — كنيسة جيسماني — كنيسة القديس المخلص — النساك والسياح في وادي شعفاط.

يذهب الانسـان من باب شعفـاط نزولاً إلى وادي شعفـاط، ويوجـد على جهة اليمين لهذا الباب، البـاب الذهبي، وكان في وادي شعفاط دير الرهبان السود، وكان في الدير كنيسة القديسة مريم، وفي الكنيسة يوجد الضريح الذي دفنت فيــه، وهي مـا تزال فيـه هناك، وعنـدمـا استـولى المسلمـون على المدينة هدمـوا الدير، وأخـذوا الحجـارة لتحصين المدينة، لكنهم لم يهدموا الكنيسة، وأمـام هذه الكنيسة، عند سفح جبل الزيتون، كانت هناك كنيسة في الصخـور، كانت تعرف باسم جيسماني، ففي ذلك المكان جرى اعتقـال يسوع المسيح، وكان يوجـد على الطرف الآخر من الطريق، لدى صعـودك لجبل الزيتـون، وعلى بعـد حوالي رميـة حجـر، كنيسـة المخلص المقدس، فهنا ذهب يسـوع المسيح ليصلي في الليلة التي اعتقل فيهـا، وهنا أخذ عـرقه يتقـاطر مثل الدم، وكان يوجـد في وادي شعفاط نسـاك وسواح على الطرف الآخر مـن الوادي، بأعداد أكبر من أن أخبركم بها، وذلك امتداداً حتى بركة سلوان.

— ٢٥ —

دير جبل الزيتـون — كنيسـة الدعاء الالهي — شجـرة التين الملعـونة — بيت فاجي.

كان على ذروة جبل الزيتون دير للرهبان البيض، وعلى مقربة من هذا

- ٣٩٣٢ -

الدير، كان على جهة اليمين طريق يقود إلى بيت عنيا، ممتداً على طول طرف الجبل، وعند انعطاف هذا الطريق على جهة اليمين كانت هناك كنيسة القديس الدعاء الإلهي، فهنا يحكى بأن يسوعاً المسيح عمل الدعاء الإلهي وعلمه إلى حوارييه، وعلى مقربة من هناك كانت شجرة التين التي لعنها الرب عندما ذهب إلى القدس، لأن الحواريين ذهبوا لجمع التين، ولم يجدوا شيئاً عليهـا، ولم يكن الوقت هو وقت الموسم الذي يفترض وجود تين عليها، وفي هذا اليوم نفسه رجع يسوع المسيح من القدس ليذهب إلى بيت عنيا، وذهب الحواريون إلى شجرة التين، فوجدوها قد يبست، وبين كنيسة القديس الدعاء الالهي وبيت عنيا، وعلى طرف الجبل، كانت هناك كنيسة تدعى بيت فاجي، وإلى هناك جاء يسوع المسيح في يوم أحد السعف ومن هناك أرسل اثنين من حوارييه ليجدوا له الأتان، ومن هناك ذهب على ظهر الأتان التي جلبوها له إلى القدس.

— ٢٦ —

لم يذكر الكاتب أسماء الديرة والكنائس غير الخاضعة لروما

لقد تحدثت عن البيع والديرة الموجودة في داخل القدس وفي خارجها، وفي الشوارع اللاتينية، لكنني لم أذكر أسماء ديرة وكنائس السريان، أو الاغريق، أو اليعاقبة، والكرج Boamins ، والنساطرة، والأرمن، ولابقية الشعوب، ممن لايقدم الطاعة إلى روما، وهم الذين امتلكوا كثيراً من الكنائس والديرة في المدينة، لأنني لم أرغب في قول أي شيء عن هؤلاء الناس الذين لا يقدمون الطاعة إلى روما.

القسم الثاني

— ١ —

حول الحج في الأرض المقدسة

لقد حدثتكم عن أحوال المدينة المقدسة، في الأيام التي استولى فيها صلاح الدين وبقية المسلمين عليها، وانتزعها من الصليبيين، وبعد هذا سوف نتحدث عن الحج، وعن كيفية كان الحجاج يذهبون إليها، وفي الحقيقة يتوجب على الناس من الغرب، أي من مملكة فرنسا مثلاً، ومن ألمانيا، ومن البلدان الأخرى الموجودة في تلك الأجزاء من العالم، أي الذين يرغبون في الذهاب إلى الأرض المقدسة، عليهم أخذ الطريق المباشر إلى الشرق.

ويذهب الانسان أولاً من عكا إلى حيفا التي هي على بعد أربعة فراسخ، وقرب هذه المدينة يوجد جبل الكرمل، حيث كان السيد القديس دنس، الذي كان قد ولد في بلدة اسمها Franchville، حيث يوجد الآن في ذلك المكان بيعة، كما ويوجد تحت المذبح كهف صغير، وذلك حيث كان قد ولد، وكان المكان ما يزال يرى حتى الآن، ويوجد إلى جانب البيعة واد صغير، وعلى بعد رمية حجر هناك نبع السيد القديس دنس، وهو الذي وجده، وعمله بيديه، وهو مكان جميل جداً، وهو أجمل مكان يصلح للانسان فوق الجبل كله.

ويوجد على هذا الجبل نفسه دير القديسة مرغريت، وهو دير للرهبان الاغريق، وهو أيضاً مكان بهي، ويوجد في هذا الدير آثار جيدة، وعلى السفوح يوجد المكان الذي قطن فيه القديس إلياس، وفي هذا المكان هناك بيعة بين الصخور، وعلى مقربة من دير القديسة مرغريت هذا، على سفح الجبل نفسه، هناك مكان جميل وبهي حيث يسكن النساك

اللاتين، الذين يدعـون بـاسم الأخـوة الكرمليين، حيث توجـد كنيسـة صغيرة لسيدتنا، وفي خـارج هذا الجزء هناك الكثير من الماء الجيد، الذي ينبع من صخور الجبل نفسـه، والمسافة هي فـرسخ ونصف الفرسخ من دير الاغريق إلى النساك اللاتين.

ويوجـد بين القديسـة مرغـريت وأخـوان الكرمل مكان فوق البحـر اسمــه حنة، حيث هناك المســامير التـي صنعت والتي استخــدمت في صلب ربنا، ومـا يزال المكان الـذي عثر فيـه على هذه المســامير مـرئي، وعلى مقربة من جبل الكرمـل هذا، فيما بين النساك اللاتين، هناك مكان يدعى القـديس يوحنا الصوري، ويوجـد هنا كنيسة إغـريقية، فيهـا آثار جميلة، وقـد عمل هنا القديس يوحنا معجـزات جيدة، وعلى مقـربة من هذا الموضع باتجاه قلعة عثليت هناك قرية اسمها كفر ناحوم(كفر لام؟) حيث ضرب الفلس الذي بيع به الرب.

والمسافة من حيفا إلى قلعة عثليت هي ثلاثة فراسخ، وهي قائمة على شاطىء البحـر، وهي عائدة من حيث الملكيـة إلى طائفة الداوية، وهناك ترقد القديسة يوفيميا العذراء الشهيدة.

والمسافة من قلعـة عثليت إلى مدينة قيسارية خمسة فـراسخ، وقيسارية مدينة قائمة على شاطىء البحر، وهي عائدة بملكيتها إلى بارون المملكة، ويوجد خـارج أسوار المدينة بيعة فيهـا يرقد القديس كـورنليوس، وهو الذي عمده القديس بطرس، وهو الذي صار بعد السيد القديس بطرس رئيس أسـاقفـة لهذه المدينة، ويوجد إلى جـانب هذه البيعـة صخـرة من الرخام جميلة جـداً، وكبيرة وطويلة، يدعونها باسم مائـدة يسوع المسيح، وهناك أيضاً صخـرتين صغيرتين، هما مستديرتان، وكبيرتان من الأسفل ومدببتـان من الأعلى، وهما تعرفـان باسم شمعداني ربنا، ويرقـد في هذه البيعـة أبناء السيـد القـديس فيليـب، الذي تولى هداية وتعميـد الخصي، وعندما قام بتعميده أمسكه الرب وحمله إلى أرسوف، ومن أرسوف جاء

يبشر باسم ربنا امتداداً حتى مدينة قيسارية.

وعلى مقربة من ها هنا وإلى جهة اليسار، وقرب بلدة اسمها Pein Perdue (نهر التماسيح) تقوم بيعة سيدتنا، وهي قائمة عبر مستنقع، وإلى هذه البيعة غالباً ما يقدم الناس من قيسارية برحلة حج، لأن المكان جميل، وأهل للتقوى العظيمة، ويوجد في هذا المستنقع كثير من التماسيح، التي وضعها هناك صاحب قيسارية، بعدما جلبهم من مصر.

والمسافة من قيسارية إلى أرسوف هي تسعة فراسخ، وقلعة أرسوف على مقربة من قلعة قائمة فوق رابية رملية، وهذه القلعة ملك للاسبتارية، وعلى طريقها الأعلى صخرة مقطوعة(Roche - Tail-lie ، نهر الفالق)، ويوجد هناك ممر شيطاني، فهناك يسكن أناس بلا إيمان، من أجل نهب الناس الذاهبين إلى يافا، وقطع الطريق عليهم.

والمسافة من أرسوف إلى يافا هي ثلاثة فراسخ، ويافا بلدة وقلعة، والقلعة موجودة على مقربة من البحر، وهي كونتية، ووجد في يافا، دون القلعة، في كنيسة القديس بطرس رداء القديس جيمس الغاليشي.

والمسافة من يافا إلى عسقلان هي ثمانية فراسخ، وهي قائمة على شاطىء البحر، وجرت العادة بدعوة أسقف بيت لحم باسم أسقف عسقلان، لكن لمكانة بيت لحم العلية نقلت الأسقفية من عسقلان إلى المكان المقدس في بيت لحم، وما يزال هناك كرسي الأسقفية في كنيسة السيد القديس بولص، مع كل ما يعود إليه.

والمسافة من عسقلان إلى غزة هي ثلاثة فراسخ، والمدينة القائمة على شاطىء البحر تدعى غزة، وهي المدينة التي دمر فيها شمشوم الجبار أبوابها وحملهم إلى الرابية بعيداً عن البلدة، وهناك مسافة ثلاثة فراسخ من يافا إلى الرملة، والرملة مدينة وأسقفية، وفي سهل الرملة خرج بلدوين ملك القدس، ومعه خمسة من الفرسان ضد صلاح الدين الذي

كـان معـه ثـلاثين فـارسـاً، وإلى هناك جلبـوا معهـم الصليب المقـدس الحقيقي، وهو الصليـب الذي تألم عليـه ربنا وعـانى الموت عليـه في القـدس، وهناك شوهد السيـد القـديس جرجس بشكل مكشـوف أثناء القتال، وذلك حيث هزم الملك بلدوين المسلمين، وحدث القتال في هذه المعركة في يوم عيد القديسة كاترين.

ومن الرملة إلى بيت نوبة خمسة فراسخ، وبيت نوبة بلدة واسعة.

ومن بيت لحم إلى جبل البهجـة[جبل صمـوئيل] خمسة فـراسخ، ويوجـد على جبل البهجة كنيسـة القديس صمـوئيل النبي، وهناك على اليمين يتوجب وجود الضريح المقدس لربنا.

— ٢ —

حول القدس

وعلى مقـربة من شرفة المرتلين، حيـث وسط العالم، كما حـدده ربنا، يوجد أيضاً المكان الذي وضع فيه كل من نيقوديموس ويوسف الرامي، جسده المقـدس، عندما دفن، بعد آلامه المقـدسة[وعندما كـان قد وضع على الصليب جـرى دهنه ولفـه بوسـاطة أقمشـة قبرية]، ولدى الخروج نحـو الخارج، يجد المرء على الجهـة اليسرى للشرفـة، جبل أكـرا، حيث وضع الرب على الصليب، وتحت ذلـك الجلجلة، وذلك حيث تسـاقط الدم الثمين لمخلصنا فوق رأس آدم[وهناك ضحى إبراهيم إلى ربنا، وهنا أيضـاً قـال ربنا للـص الذي تاب وطلب الرحمة: Amendico Tibi أي سـوف تكون معي في الفـردوس، وهنـاك تسلم لونجينوس Lon-ginus رغبته من ربنا المقدس، الذي رآه بعينيه].

وعلى مقـربة من الشرفـة، وبجـانب المذبح العـالي، تحت جبل أكـرا، يوجد عمـود حيث كان ربنا قد ربط وجلد، وإذا مـا ما نزلت من هناك أربعين درجـة، تجد المكـان الذي وجـدت فيـه سيـدتنا القـديسـة حنة

الصليب الحقيقي، وإلى جانب السدة، وصدوراً من جهة اليمين للضريح، المقدس، يوجد سجن ربنا، وهناك ينبغي أن تكون السلسلة التي ربط بها،[وقد ظهر في هذا المكان للمرة الأولى لمريم المجدلية، وكان ذلك بعد قيامته]، وهناك على الجانب الآخر عند المدخل إلى الضريح المقدس، اثنتين وأربعين درجة إلى بيعة الاغريق، وهي البيعة التي جرت العادة أن يكون فيها الصليب الحقيقي، حيث عثر عليه هناك، وصورة سيدتنا التي تكلمت إلى مريم المصرية، وحولتها إلى المسيحية،[وإلى يمين المذبح العالي، وفي الأعلى كله كان هناك الصليب الحقيقي، وفي مساء عيد الفصح، بعد مضي آخر ساعات القمر، وعندما تلامس أشعة الشمس ذراع صورة القديس جبرائيل، التي رسمت فوق الضريح، وقتها تأتي النار المقدسة من السماء فتشعل واحداً من المصابيح العائدة للضريح].

والتالي في مقابل هذا الطريق خروجاً من الضريح، وباتجاه الشمال الشرقي تقوم كنيسة القديس كاريستو Caristo (شارتون)[الذي رقد في الأرض ثمانمائة سنة]، وباتجاه الجنوب وعلى مقربة من هذه الكنيسة، توجد كنيسة سيدتنا للاتين، وهي أول كنيسة لاتينية وجدت في القدس، ولهذا السبب عرفت باللاتينية، والرهبان فيها رهبان سود[ويحكى بأن القديسة مريم المجدلية، وكذلك مريم كيفاس، قد مزقتا هناك شعريهما عندما وضع الرب على الصليب]، وعلى مقربة منها بيت فرسان القديس يوحنا[الاسبتارية].

وقبل الضريح، وعلى رميتي سهم باتجاه الشرق، يوجد هيكل الرب، حيث له أربعة مداخل واثني عشر باباً، وهناك في وسط الهيكل الصخرة الكبيرة المقدسة، حيث وضع تابوت ربنا في أيام داوود، وكان هناك العهد القديم، وعصا هرون، والشمعدانات الذهبية السبعة، ووعاء المن الذي نزل من السماء، والنار التي اعتادت أن تلتهم قرابينهم التي كانوا

يقدمـونها هناك، وألواح الميثاق القديم، والزيت الذي كـان يتقاطر هناك ويمسح به الملـوك والأنبيـاء، وعلى هذه الصخـرة نام يعقـوب، ورأى الملائكة وهم يصعـدون إلى السماء وينزلون بـوسـاطـة سلم[وعلى هذه الصخرة، ظهـر الملاك، عندما تولى داوود تعـداد الشعب، وبيده السيف حيث قتل به الناس، وهناك جلس ربنا ووضع نفسه عندمـا أراد اليهود اعتقـاله، وجاء نجم ونزل نحـوه وأعطاه نوراً، وفي داخل الباب المتجـه نحـو الجنوب، كـان هناك نبع، الذي يغنون حـوله فيما بين عيـد الفصح وعيد الحصاد:

" Vidi aquam egredientem de Templo a latere dextro » الخ وعلى زاوية الهيكل تعرض ربنا للمحنة، حيث حاول الشيطان إغواءه، ومـن زاوية الهيكل جرى إلقاء القـديس جيمس، وهو الذي كـان أول أسقف للقـدس، وكـان على رصيف الهيكل في الخارج هناك مذبح، حيث كان اليهود، يضحون بثلاث حمامات وطيور، وذلك حسب الشريعة القـديمة، وجرى على طرف الصخـرة تقديم ابن الرب، وكان تحتها قدس الأقـداس، وهناك غفر الرب ذنوب المرأة التي أخذت وهي تزني، وهناك كان الاعلان عن يوحنا المعمدان، وبجوار هذا المكان تقـوم بيعة القـديس جيمس ، الذي كـان أول أسقف للقـدس]، وهناك خـارج الهيكل مـذبح حيث جـرى قتـل زكـريا بن براخيـا، أي مـا بين الهيكل والمذبح، وعند مـدخل الهيكـل هناك البـاب الجميل وذلك باتجاه الغـرب، وهناك بـاتجاه الجنوب هيكل سليمان، وإلى جـانـب هيكل سليمان، باتجاه الشرق حمام ربنا، وذلـك في زاوية المدينة،[أي في القـرنة داخل صحن الهيكل] ويوجـد إلى الشرق من هيكل الرب البـاب الذي اسمـه القـدس، وظاهر هناك في الخارج عـلامـات حـوافـر الأتان التي ركبها الرب يوم فصح الورود، ويوجد في الأسفل الأبواب الذهبية.

وعند المخرج الشمالي الشرقي للهيكل يوجـد باب الفردوس والنبع،

وعلى هذا الطرف وإلى جانب جدار الهيكل هناك بركة الضأن[وكانت هذه البركة صهريج اعتاد الملاك على دخول الماء فيها وتحريكه من أجل شفاء أول شخص مريض يدخل إلى الماء، وعلى مقربة من ها هنا القديسة حنة وضريحها، ويقول بعضهم أن هذا المكان هو بركة الضأن، وخلف القديسة حنة توجد كنيسة القديسة مريم المجدلية.

وباتجاه الجنوب، هناك فوق مدينة القدس جبل صهيون، وكان هناك كنيسة كبرى، هدمت، وذلك حيث توفيت سيدتنا، ومن هناك حملها الرسل إلى شعفاط، وقبلها هناك بيعة، حيث جرت محاكمة ربنا، وضربه، وتعذيبه، وعذب بالشوك وبه توج، وهنا قاعة كيفاس وبيته، ودون الكنيسة التي هدمت هناك بيعة الروح القدس، فهناك نزل الروح القدس على الحواريين، وهناك المكان الذي غسل فيه ربنا أقدام حوارييه، ومكان وعاء الماء ما يزال هناك موجوداً، وإلى هناك دخل الرب، مع أن الأبواب كانت موصدة، وقال لهم : «سلام لكم»، ثم أنه قال للقديس توماس:«ضع عليّ إصبعك ويدك ولاتكن غير مؤمن»، وعلى جبل صهيون جرى مسح سليمان.

ويوجد هناك في أسفل المدينة بركة سلوان للسباحة، وإلى جانبها يرقد القديس إشعيا، وعلى مقربة من هناك حق الدم، أي المكان الذي شري بمبلغ ثلاثين فلساً، وهو المبلغ الذي دفع ثمناً لربنا، وهو المدفن الذي يدفنون فيه الحجاج.

وتحت الأبواب الذهبية، يجري في الوادي جدول، يدعى قدرون، ومن هناك جمع داوود الأحجار الخمسة، التي قتل بها جالوت، وهناك في شعفاط المكان الذي رقدت فيه سيدتنا، وعلى مقربة من هناك يوجد جيسماني، وهو المكان الذي اعتقل فيه ربنا: وهناك من الممكن رؤية أثر الأصابع العشرة لربنا على الصخرة، وهناك ترك القديس بطرس، والقديس جيمس، وبقية الحواريين والرسل، عندما ذهب يصلي للرب

الآب، وهناك، على بعد قرابة رمية حجر، المكان الذي صلى الرب فيه للرب الآب، وهناك تساقط العرق منه نقاطاً من دم، نحو الأرض، وهناك رقد القديس بطرس، والقديس جيمس، والقديس سمعان، والنبي زكريا، ويوجد على سفح هذا الوادي قبر الملك شعفاط، الذي منه نال الوادي اسمه، وفوق، باتجاه الشرق، يوجد جبل الزيتون، واعلم أنه من على جبل الزيتون مضى يسوع المسيح إلى السماء في يوم الصعود، حيث ما تزال طبعة قدمه الأيمن ظاهرة حتى الآن على الصخرة، وهناك أمر حوارييه بأن عليهم الذهاب والتبشير بالانجيل إلى جميع المخلوقات، ودون ذلك يوجد كهف، وذلك حيث استشهدت القديسة بيلجيا، وعلى السفح المتجه نحو الجنوب هناك بيعة، حيث عمل يسوع المسيح الدعاء الالهي.

— ٣ —

حول الأماكن القريبة من القدس

بين جبل الزيتون وبيت عنيا تقوم قرية بيت فاجي، حيث أمر ربنا القديس بطرس والقديس جيمس وبقية الحواريين بالذهاب وإحضار أتان له مع فلوها.

وعلى بعد فرسخ من القدس تقوم بلدة بيت عنيا، التي فيها بيت سمعان المجذوم حيث غفر ربنا لمريم المجدلية ذنوبها، وهناك أقام ألعازر من قبره.

ومن القدس إلى القرنطل سبعة فراسخ، وهناك صام ربنا لمدة أربعين يوماً، وعلى مقربة من هناك أريحا، ومن أريحا إلى نهر الأردن سبعة فراسخ، وهناك جرى تعميد ربنا من قبل يوحنا المعمدان[والمسافة من هناك هي سفر يوم إلى الكرك، ومنها أيضاً المسافة نفسها إلى الشوبك]، والمسافة من نهر الأردن إلى جبل سيناء هي سفر ثمانية أيام، فهناك أعطى

ربنا شريعـة موسى، وترقـد هناك القديسـة كاترين، العـذراء والشهيدة، وذلك في ضريح رخامي جميل جداً، وهذا الضريح مقدس إلى درجة أن نوعاً من الـزيت يخرج منه وهو يشفي كثيراً من الأمراض، وقـد ظهرت نعمة الرب هناك وشـوهدت إلى درجة أن كثيراً من الحيـوانات الضارية الموجـودة في الجبل هناك، هـي لا تعيش على شيء، سـوى لحس ضريح سيـدتنا القديسـة كـاترين، وذلك بالإضـافة إلى المن الذي يتسـاقط على الجبل.

والمسـافة هي فـرسخ واحد من جنوب القـدس إلى القديس إليـاس، الموجـود على مقربة منه حقل الورود، وإلى جـانبه يوجـد ضريح راحيل زوجة يعقـوب، وفوق في مقابل هذا المكان، يوجـد على الجانب الآخر، وعلى رابية، مدينة بيت لحم، والمعلف الذي مـدد فيه ربنا، وذلك عندما ولد، وقـد لفّ بقطع قماش صغيرة، ويوجـد هناك مكان المهـد، والمكان الذي وجد فيـه الملوك الثلاثة، وهم:[كسبر، ومليكور، وبلطسـار]، وقد جـاءوا مـن الشرق، وتعبـدوا ربنا، وذلك عندمـا قـدمـوا له الذهب، والبخور، والمرّ، ويوجد هناك على جهة اليمين من السدة، المدينة، حيث الجب الذي سقط فيه النجم، الذي قاد الملوك الثلاثة، ويرقد على اليسار الأبرياء، ويوجـد تحت السـاحة الداخليـة لضريح القـديس جيروم[على بعـد فرسخ من بيت لحم كنيسـة، وذلك حيث أعلن الملاك للرعـاة عن ميلاد ربنا، وهنـاك غُني للمرة الأولى:«المجد للـرب في الأعالي»]، وعلى مسافـة صغيرة، فوق بيت لحم، توجد بيعـة القديس إبراهيم في حبرون، فهناك صنع ربنا آدم وحـواء، وعلى مقربة من هناك بيت قـابيل وهابيل، وبجوار هذا المكان الموضع الذي أظهر الرب فيـه نفسه للقديس إبراهيم على شكل ثالوث، ولقـد رأى القـديس إبراهيم ثلاثة أشخـاص، وعبـد واحداً،[وهناك دفن الآباء الثلاثة مع زوجاتهم].

وباتجاه الشرق[الغرب] الموضع الذي حيت فيه سيدتنا ايزابل، وهناك

ولد القـديس يوحنا المعمـدان، وزكـريا والده، وعلى مسـافـة ميلين من هناك توجـد قلعة اسمهـا قلعة عمـواس، وظهر هناك ربنا إلى القـديس لوقا وإلى كليفاس بعد قيامته.

وعلى مقـربة من القـدس باتجاه الغـرب، وعلى بعـد فـرسخ مـوضع القــديـس الصليب، فهناك نمت الشجــرة التي منهـــا صنع الصليب المقدس، والمسافة من القدس إلى السامرة، التي اسمها نابلس، اثني عشر فـرسخـاً، وهناك تحدث ربنا إلى المرأة الســامـرية، عنـد جب يعقـوب، والمسـافـة مـن هناك هي فـرسخين إلى سبسطيـة، فهناك جــرى إعـدام القديس يوحنا،[وهناك يوجد رمـاد جسده]، والمسافة من هناك إلى جبل الطور هو عشرة فراسخ.

— ٤ —

الحج من عكا

أمـا وقد تحدثنا عن الأرض المقـدسـة للقدس، والمنطقـة المحيطة بها، فإننا نصل الآن إلى عكا، وهناك يوجـد حجـاج يحتـاجون إلى من يتـولى إرشـادهم، وعلى كل من يريد التـوجه إلى الأمـاكن المقدسـة، أن يمضي مباشرة من عكا إلى الناصرة، والمسـافة بينهما سبعة فـراسخ، ويوجد على الطريق شفا عمرو، التي تبعد عن عكا مسـافة ثلاثة فراسخ، وهي التي على جبلهـا كنيسة القـديس جيمس، والقـديس يوحنا حيث ولدا، ومـا تزال البقعة، التي ولدا عليهـا مشاهدة، والمسافة من شفـا عمرو هذه إلى الصفـورية هي ثلاثة فراسخ، والمسـافـة من هناك هي فرسخ واحـد إلى الناصرة.

وهناك جـاء ربنا إلى العـذراء مـريم، وهناك أيضـاً المكان الذي أعلن الملاك فيه عن قدومه، وكان ذلك داخـل صخرة مجوفة، هي موجودة في الكنيسـة على جهــة اليسـار، وقــد بني في ذلك الموضع بيعــة تشريفـاً

لسيدتنا،[وهناك المكان الذي سكنت فيه، وهناك النبع الذي حملت الماء منه، وهو الماء الذي سقت به مولانا، وفي بركة مياه هذا النبع، غسلت سيدتنا الأقمشة التي قمطت بها ربنا، وأرسلت سيدتنا ربنا ليجلب الماء من هذا النبع عندما كان قد كبر بعض الشيء، وكان هذا بعد عودتهما من أرض مصر]، وعلى مقربة من هناك وعلى رمية سهم هناك نبع القديس جبريل، ومن الناصرة إلى قفزة ربنا المسافة فرسخ واحد، وعلى طرف هذا الطريق توجد بيعة القديس زكريا، وهي عائدة إلى الأرمن، وهي مكان جميل.

والمسافة من الناصرة إلى قانا الجليل هي ثلاثة فراسخ، وفي قانا الجليل حدث عرس آرخيتركلينوس Architriclinus ،[رئيس المتكأ] وفي هذا العرس جعل الرب الماء نبيذاً، وما يزال من الممكن رؤية المكان الذي حدث فيه هناك، ومن قانا الجليل إلى البئر الذي جلب منه الماء إلى عرس أرخيتركلينوس، مقدار رمية سهم.

والمسافة من الناصرة إلى جبل الطور هي ثلاثة فراسخ،وعلى هذا الجبل حوّل الرب شكل ذاته أمام حوارييه، وتوجد هناك كنيسة للرهبان اللاتين السود، ومن جبل الطور إلى جبل حرمون[جبل الضاحي، أو حرمون الصغير] مسافة فرسخ، حيث توجد مدينة نين(نون)، وهناك أقام ربنا طفلاً من الموت أمام باب المدينة، ومن مقربة هذا المكان، وباتجاه الشرق، المسافة ثلاثة فراسخ إلى بحر الجليل.

[وبحر الجليل ليس أكثر من مجرد بحيرة ماء عذب، تشكلت من مياه نهر الأردن ومن مياه ينابيع أخرى تتجمع هناك، وعلى بحر الجليل هذا أكل ربنا مع حوارييه بعدما قام، وقد أكل ظهور بعض الأسماك، ولهذا بقيت عظام الظهور كلها عارية، وبقيت بقية الأسماك كلها كاملة، ثم إنه ألقاهم ثانية في الماء، فتحركت الأسماك على الفور، وذهبن يسبحن مع بقية الأسماك بدون ظهور إلاّ العظام التي كانت عارية تماماً، وهذه

الأسماك هي بحجم — إن لم تكن أكبر — أسماك الـروش، التي نحتفظ بها في المياه العذبة في فرنسا]، وتقوم إلى جانب البحر مدينة طبرية حيث صنع فيهـا ربنا كثيراً من المعجزات، وهناك أمـر ربنا السيدين: القـديس بطرس والقـديس أندرو، اللذان كـانا في القـارب، برمي شبكتيهما في البحر، وعلى وجـه هذا البحر مشى ربنا عـاري القدمين نحـو القديسين بطرس وأندرو، اللذان كانا في القـارب، وكان هذا عندما كـان القديس بطرس خائفاً، لأنه ظن أن هناك عاصفة.

وعلى مقربة من هناك كفر ناحـوم، وعلى الجهة المقابلة يوجد مستنقع جنسـارث، ويوجد على جهـة اليمين جبل مغطى بالعشب، فهناك وعظ ربنا الحشد من الناس، وعلى مقـربة من هناك المكان الذي أطعم فيه ربنا خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة مع سمكتين، وعلى مقربة من ها هنا في الأسفل يوجد السجن الذي وضع فيه ربنا حتى دفع الضريبة من أجل مـروره، وهناك أمـر الرب القـديس بطـرس باصطيـاد سمكة، وعندمـا أخـذها، أمــر ربنا بفتحهـا، فكان فيهـا درهم من الفضــة، دفع به ربنا الضريبة المتوجبة عليه.

ومن طبرية إلى صفد مسافـة ثلاثة فراسخ، وعلى الطريق يوجد الجب الذي ألقي يوسف فيــه، عندمـا بيع إلى الاسماعيليين، وفي صفـد كهف توبيت، حيث دفن الميت، وعلى جسر صفـد توجد الصخـرة التي عليها ارتاحت سيدتنا،

ومن صفد إلى القديس جرجس[مزار الخضر — مجدل كروم] المسافة خمسة فراسخ، وهناك كنيسة للرهبـان السود، ومن القديس جرجس إلى عكا أربعة فراسخ، وفي طبرية يوجد المشعل الذي رماه اليهود نحو ربنا، عندما أراهم كيف ينبغي أن يموتوا، وقد أصـابت النار الجدار، وهناك ينمو الآن شجرة كبيرة.

— ٥ —

حول الحج إلى الأماكن الأخرى النائية

[إن جميع أماكن الحج تلك التي أتينا على ذكرها موجودة في مدينة القدس المقدسة وفي أرض الميعاد المقدسة، ولسوف أحدثكم الآن عن أماكن الحج الأخرى التي هي في أماكن نائية.

فعلى مقربة من دمشق يوجد جبل، وعلى هذا الجبل كنيسة سيدتنا، سيدة الصخرة كما يدعونها، ويوجد في هذه الكنيسة اثنتي عشرة راهبة وثمانية رهبان، ويدعى هذا المكان باسم سردانيس Sardaines [صيدنايا]، وبعض الناس يدعونها سردينيا Sardenai ، ويوجد في هذه الكنيسة مائدة من خشب، حيث أن طولها ذراع وعرضها نصف ذراع، وكان قد رسم على هذه المائدة صورة سيدتنا القديسة مريم، وقد حفرت بالخشب، ويصدر من هذه الصورة أطيب الزيوت رائحة، وقد مسح كثير من الناس أنفسهم به، فلم يعانوا بعد ذلك من أي مرض من الأمراض، ولم يتوقف هذا الزيت عن الصدزر مطلقاً، وذلك مهما أخذ منه، وإلى هذه الكنيسة يأتي المسلمون من الأحواز المجاورة، ويكون ذلك في أيام عيد سيدتنا في شهري آب وأيلول، فهناك يصلون ويتعبدون ويعملون النذور، وكانت هذه الصورة قد صنعت في القسطنطينية وبطريرك القدس هو الذي أخذها من هناك، وقد طلبتها راعية الدير فأعطيت لها، وحملتها إلى حيث أخبرتكم أنها موجودة.

وفي طرطوس أول كنيسة بنيت تشريفاً لأم الرب، وسيدتنا، والقديس بطرس الرسول هو الذي بدأ ذلك أولاً.

وكان في مدينة بيروت تمثالاً ليسوع المسيح، وكان قد صنع بعد وقت قصير من صعوده إلى السماء، وقام اليهود بصلب هذا التمثال سخرية بربنا، وطعنه اليهود في جانبه بحربة، وتدفق من هذا الجانب ماء ودم،

وبهذه المعجـزة آمن كثيرون بربنا، واعتـادوا أن يدهنوا بهذا الماء والدم المرضى ويعالجوا أمراضهم.

وفي مـدينة بابل الجديدة التي هـي مـوجـودة في مصر، عند مـدينة القاهرة(بابليون هي المدينة والقاهـرة هي القلعة)، في بابليون هذه يوجد نبع، وقـد اعتادت سيـدتنا أن تغسل في هذا النبع مـلابس ابنها العـزيز، عندمـا كانـا في مصر، بسبب هيرود، ويقدر المسلمـون هذا النبع تقـديراً عظيماً ويأتون إليه عن طواعية ورغبـة للاغتسال هناك، وبمياه هذا النبع تسقى الأشجار التي تحمل البلسم الحقيقي.

وعند قلعة القاهرة، يوجد حتى هذه الأيام شجرة نخيل تحمل التمر، وجـاءت سيدتنا في أحـد الأيام إلى تحت هذه النخلة ورغبت بالحصـول على بعض تمرها، لكن النخلة كـانـت عـاليـة جـداً، ومـا كـان بإمكانها الحصـول على التمر، فـانحنت النخلة نحـو قـدميهـا، وأخذت السيـدة الرائعة من هذه الفاكهـة، ثم نهضت النخلة ثانية ووقفت منتصبة، ورأى كثير من المسلمين والكفـار ممن كـانوا هناك آنذاك هذا المشهـد، ثم قـام الكفـار بقطع هذه النخلة، غير أنهم وجـدوها في اليـوم التـالي منتصبـة، وسليمة تماماً، لم يظهر عليها أي قطع أو خدش، فما كان منهم من ذلك الوقت فصاعداً إلاّ أن قدموا احتراماً عظيماً لهذه الشجرة].

رواية إرنول عن فلسطين

لقد سمعتم عـن صلاح الدين الذي يتولى الآن حصـار الكرك، وبناء عليه سـوف نتحدث عن نهر الأردن، ونبين من أين ينبع، وكيف يجري، وأين ينتهي.

يقسم هـذا النهـــر فيها بين بلاد المسلمين وبـلاد المسيحيين، ويحصل ذلك بجريانه، فأرض المسيحيين قـائمة على هذا الجانب، واسمها أرض الميعـاد، واسم الأرض العائـدة للمسلمين«العـربية»، ويدعـون في أرض الميعـاد جميع المجـاري المائيـة باسم أنهار (Fluns)، وينبع عند سفح الجبل نبعـان، اسم أولها«أر» واسم الثـاني«دان»، ولسوف أحـدثك الآن عن هذا الجبل، وأبين لك الاسم الذي يعرف به: إن الاسم الذي يعرف به هذا الجبل، هو جبل لبنان، ويمتد هذا الجبل مسـافة أربعة أيام طولاً، وذلك إلى قلعـة قـائمـة فيها وراء طرابلس يطلقون عليهـا اسم عـرقـة، فهناك جرى صنع سفينة نوح، ومن جبل لبنان هذا أخـذ ت إلى البحر، ولهذا السبب، عـرفت هذه القلعة باسـم عرقـة، لأن سفينة نوح صنعت هناك، وهذا الجبل جـزء من بانيـاس ومن البـلاد المسيحية، ويمتـد من مقابل طرابلس ويساير الساحل، ويقوم الجزء المسيحي من هذا الجانب، وأما الجزء الآخر فهو التابع لبانياس.

ويوجـــد في هذا الجبل كثيراً من البقـــاع الجيـــدة، والبلدات الحسنة، يتقاسمها المسلمون والمسيحيون نصفين فيما بينهما، وتجد في أحد الأماكن جميع السكان مسلمين، وتجد في مكان آخر جميع السكان مسيحيين، وبين هذين الجبلين(السلسلة الغربيـة والسلسلة الشرقية) يوجـد وادٍ، يطلقون عليه اسم وادي البقاع، وإليه ذهب رجـال الاسكندر للاحتشاش عندما كـانوا يحاصرون صـور، هذا وإن الذين يحبـون السجع وصنعـة الكلام يحبون إطلاق اسم وادي يوسفاس Josaphas عليه.

والآن أمـا وقـد أخبرناكم عـن جبل لبنان، الذي ينبع النبعـان من سفحه، سوف أحدثكم عن مدينة قائمة دون سفح الجبل وفوق النبعين، اسمها بـانيـاس، وكـانت هـذه المدينةمسيحيـة في أيام غـودفـري دي بولليون، هذا ولا يمكنني إخباركم في أيام من من الملوك جرى فقدانها، غير أن الملوك الفرنجـة قاموا فيها بعـد بتحصين قلعتين قامتـا على مقربة منهـا، اسم أولاهما تبنين، وكـانت هـذه قلعـة الملك، وهي على مسـافـة خمسة فراسخ مـن صور وأربعة فراسخ من مدينة بـانياس، واسـم القلعة الثـانية صفـد، وكـانت هذه بيـد الداوية، وهي تبعد أربعـة فـراسخ عن مدينة بانياس.

ولسوف أحدثكم الآن عن بانياس، وأبين لكم أي بلدة هي، وما هو اسمها القـديم، فهي التي تعرف باسم فيليبون، وقد عـرفت أيضاً باسم قيسارية فيليـب، وكان فيليب هذا أخاً لهيرود، وأعنـي هيرود الذي أمر بإعـدام يوحنا المعمـدان، وكـان هو زوج المرأة التي كـانت عند هيرود، عندما أمر بإعدام القـديس يوحنا، وكان ذلك بسبب أنه قال لهيرود بأنه يتوجب عليـه أن لا تكون زوجة أخيه عنده، ولذلك أمر بإعـدامه، وفي قيسارية أعطى ربنا مفاتيح الفردوس إلى القديس بطرس، وبذلك يمكنه أن يفتح وأن يغلق، وهذه المدينة قريبة من الجليل.

ولسوف أحـدثك الآن عن هذين النبعين، اللذان تجري ميـاههما نحو بحر الجليل، وقبل أن يدخلا إلى البحـر يتحدان، ويصبحان نهراً واحداً، ويحمل أول النبعين اسم«أر» أمـا الثـاني فيعـرف باسم«دان»، وعندمـا يتحدان يصير اسمهما الأردن، ويدخل هذا الماء إلى البحر على مقربة من بانيـاس، ويجري في وسط البحـر، وإلى جانبـه هناك جسر يعـرف باسم جسر طبرية، وعندما يجتاز هذا الجسر يصير اسمه «نهر الأردن».

ولسوف أحدثكم الآن عن هذا البحر، وأبين لكم أي بحر هو، فهذا البحر ليس بحـراً مالحاً، بل هو بحر عذب وجيـد للشرب، وهذا البحر

هو مجرد أربعة فراسخ بالطول وفرسخين بالعرض، وتطلق الكتابات المقدسة على هذا البحر، اسم بحر الجليل، كما تطلق عليه في أماكن أخرى اسم بحر طبرية، لأن مدينة طبرية قائمة على هذا الجانب من البحر، وهو الجانب العائد للمسيحيين، هذا وتطلق الكتابات المقدسة في بعض الأماكن الأخرى على هذا البحر اسم بحر الناصرة.

ولقد كان على هذا الجانب من البحر حيث جعل يسوع المسيح الماء نبيذاً، وذلك عندما كان في عرس رئيس المُتكأ في مدينة طبرية، وبين طبرية وبانياس موضع يدعونه باسم المائدة، وذلك على مقربة من بحر الجليل، ففي هذا المكان أطعم يسوع المسيح الحواريين وخمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة من الشعير مع سمكتين، حتى أنهم تركوا سلتين من الفتات وعلى جزء آخر من البحر وباتجاه بانياس توجد مدينة اسمها كفر ناحوم، فهناك فيها ولد كل من القديسين بطرس وأندرو، وهناك أيضاً صنع يسوع المسيح عدداً كبيراً من المعجزات، فقد شفى عدداً من الناس مثل ابن الملك وآخرين.

وعلى مقربة منها هناك مدينة اسمها نين، وإلى هناك أيضاً، ذهب يسوع المسيح في أحد الأيام، لقد ذهب هو شخصياً ومعه حواريوه، وعندما اقترب من المدينة، واجه سيداً، كان قد حملوه وأتوا به لدفنه، ثم أقبل يسوع المسيح نحوه، وقال بأن عليه أن يقوم، فاستجاب وقفز قائماً، لأن يسوع المسيح قد أقامه، وعلى بعد خمسة فراسخ من هذا البحر، بحر طبرية، تقوم مدينة اسمها الناصرة، وهي تبعد ستة فراسخ عن مدينة عكا، ففي هذه المدينة ولدت سيدتنا القديسة مريم، وإلى هذه المدينة نفسها جلب الملاك لها رسالة تفيد بأن يسوع المسيح يتوجب أن يأخذ شكل وجسد آدم من خلالها، وعندما كانت سيدتنا القديسة مريم مع الطفل، أي مع ابن الرب الآب، ذهبت إلى جبل قريب من الناصرة، مع ابنة خالة لها سكنت هناك، وكان اسمها ايزابل وكانت حاملة بطفل هو

السيد القديس يوحنا المعمدان، ويوجد في ذلك المكان دير يطلقون عليه اسم دير القديس زكريا، لأن زكريا قد سكن هناك، وهو أيضاً كان والد القديس يوحنا المعمدان.

وعلى مقربة من الناصرة، وعلى مسافة نصف فرسخ، هناك جبل جميل، اسمه باللاتينية: Montem Excelsum Valab ، وفي اللغة الرومانسية«القفزة»، لأنه يوجد على طرف هذا الجبل شعب منحدر، إليه كانوا يقودون الناس من أهل الناصرة الذين استحقوا الموت، ليرغموهم على القفز من هناك نحو الأسفل، وحدث الآن في إحدى المرات أنهم عندما اقتادوا يسوعاً المسيح إلى هناك لإرغامه على القفز نحو الأسفل بسبب كلمة قالها لليهود في الناصرة، أنه اختفى من بينهم وجلس مع ذلك على صخرة كانت موجودة هناك، ولذلك لم يكن بإمكانهم رؤيته أو العثور عليه.

وهذا الجبل المشرف على الجرف، هو الجبل الذي حمل الشيطان يسوعاً إليه، عندما جلبه من القرنطل حيث كان قد صام، وجاء حمله إلى الهيكل أولاً، ومن الهيكل حمله إلى الجبل، وأراه جميع البلاد والمنطقة، والثروات التي كانت في الأرض، وقال له بأنه سوف يعطيه كل الذي رآه لو أنه قام بعبادته، فقال يسوع المسيح له بأن عليه المغادرة وأن لا يحاول إغواءه ثانية، وغادر الشيطان، وحضر الملائكة إلى هذا الجبل.

وتحت هذا الجبل جبل آخر ليس مرتفعاً مثل الجبل الذي تحدثت عنه أعلاه، وهناك سهل جميل جداً بين الاثنين، واسم هذا الجبل الآخر جبل الطور، وإلى هذا الجبل جلب الرب مرة القديس بطرس، والقديس جيمس، والقديس يوحنا، وتحول شكله أمامهم، ولهذا السبب يحافظون في كثير من البلدان، على الاحتفال بعيد تحويل الشكل، ولقد نسيت أن أخبركم عندما كنت أتحدث من قبل، كم يبعد عن القدس ذلك الجبل الذي حمل الشيطان يسوعاً المسيح إليه، إنه واقع على مسافة سفر يومين.

ولسوف أحدثكم الآن عن نهر الأردن، وأبين كيفية جريانه، وأين يصب، فهو عندما يخرج من بحر الجليل، يجري نحو الجنوب، ويستمر بالجريان لمسافة رحلة ثلاثة أيام في الطول، ثم ينتهي في البحر الذي يدعونه باسم بحر الشيطان، وهو يعرف من قبل العالم ومن قبل الكتابات المقدسة باسم بحر الملح،لوجود جبل من الملح على الشاطىء باتجاه الكرك، ولأنه مالح جداً، إلى حد أن ما من شيء يمكن أن يقارن بملوحته وبمرارته،فملوحة البحر الكبير ومرارته هي لا شيء بالنسبة له، وهذا البحر لا يجري بأي اتجاه، بل هو أشبه ببحيرة، ولكن بدون أسماك، لأن الأسماك لا يمكنها الإقامة هناك، ولا حتى كما كان مرة، في جميع المنطقة التي كان البحر فيها، وتقوم هذه المنطقة فيما بين مدينة الخليل والكرك.

ولكي أتمكن من إخباركم المزيد حول هذا البحر، سوف أحدثكم عن المكان الذي تقوم فيه الكرك، إنها تقوم في العربية، فعلى مقربة منها يقوم جبل سيناء، وذلك في المنطقة التابعة لصاحب الكرك، ويقع جبل سيناء هذا فيما بين البحر الأحمر والكرك، فهناك أعطى الرب الشريعة إلى موسى بعد عبورهم للبحر الأحمر، وإلى هذا الجبل، وإلى حيث جرى إعطاء الشريعة، حمل الملائكة جسد القديسة كاترين، وذلك عندما قُطع رأسها في مصر، وهي ترقد هناك في الزيت الذي يخرج من جسدها، ويوجد هناك فوق البقعة دير للرهبان الاغريق، لكن الدير الرئيسي لتلك الطائفة ليس هناك، بل موجود عند سفح الجبل، ويوجد هناك دير وصومعة، ولا يستطيع أحد أن يصعد الجبل على ظهرحصان، أو أن يحمل معه لحماً، من أجل معيشة الموجودين فوق.

ويوجد فوق ثلاثة عشر راهباً، يعيشون حياة قاسية، حيث يحملون إليهم إلى هناك الخبز، ولا شيء آخر، ويأكل بعضهم ثلاث مرات في الأسبوع خبزاً مع الماء، وهناك بعضهم الذين يأكلون الأعشاب

والنباتات البرية مع خبزهم، وذلك مما يجدونه هناك، وصام موسى على هذا الجبل لمدة أربعين يوماً، ولم يأكل حتى أعطيت الشريعة له.

ولسوف أحدثكم الآن عن البحر الأحمر، الذي هو قريب، فهذا هو البحر الذي ضربه موسى بعصاه، فانشطر البحر، وصار بمثابة سياج على هذا الجانب وعلى الجانب الآخر، وهذا هو البحر الذي اجتازه بنو إسرائيل بأقدام جافة، عندما قدموا من مصر، وعندما عبروا جاء الملك فرعون وراءهم، ودخل البحر وهو يريد أن يقتلهم وأن يعتقلهم لكنه هلك هو وجيشه كله، فقد حرك موسى عصاه، وضرب بها البحر ، فانغلق البحر، وغرق فرعون هو وجيشه كله، ولم ينج أحد منه، ونجا بنو إسرائيل،لأنهم كانوا قد عبروا قبل أن ينغلق.

وكان الأمير أرناط قد بنى على شاطىء هذا البحر خمسة غلايين، وعندما اكتملت عمارتهم أمر بإنزالهم إلى البحر، ووضع فيهم فرساناً وعساكر، وما يكفي من أطعمة، وكان هدفه أن تقوم هذه الغلايين بجولة شاملة هناك، لمعرفة أي قوم من الناس يسكنون شواطىء هذا البحر في الأجزاء الأخرى، وقد غادرت الغلايين عندما صارت جاهزة، ومخرت أعماق البحر واجتازت إليه، ولم يسمع أحد من الناس ما الذي حدث لهذه الحملة منذ أن غادرت(*)، ويجري في وسط البحر الأحمر هذا نهر الفردوس، فهو عندما غادر البحر يجري في وسط أرض مصر، واسم هذا النهر في الكتابات المقدسة سيحون(بيسون)، لكنه يعرف من قبل الناس باسم نهر النيل.

والآن وقد قلنا ما قلناه عن النيل، سوف أحدثكم عن مدينة الخليل،

* — كان هذا سنة ١٢٨٣، وكان صلاح الدين عندما سمع بهذه الحملة، أمر واليه على مصر بتحريك أسطول، برئاسة القائد لؤلؤ، فقد أدرك لؤلؤ الأسطول الفرنجي، فأحرقه بالروحاء، ولاحق من كان فيه، فقتل بعضهم، وأسر آخرين، ثم عاد سالماً غانماً.

القائمة خلف بحر الشيطان، وهي التي أشرت إليها من قبل في أرض الميعاد، ففي هذا المكان تقوم مدينة اسمها حبرون، فهنا تحدث القديس إبراهيم وسكن بعدما جاء من حرّان، فهناك كان قد ولد، وهي المكان الذي اسمه في الكتابات المقدسة«آرام»(*)، وكان ذلك لدى الحديث بأن الرب قد أخبره بأن عليه المضي نحو الأمام، وعليه أيضاً أن يسكن في البلاد التي سوف يخبره عنها، وقد اشترى في هذا الموضع حقلاً من الأرض من أجل دفن نفسه وجماعته، وبالفعل هناك دفن مع ابنه اسحق، ومع يعقوب ابن اسحق، الذي توفي في مصر، والذي كان والد يوسف، فعندما مات والداه في مصر، أمر بنقلهما ودفنهما مع أخوانه في حبرون، وبعدما مات يوسف، جلب بنو إسرائيل عظامه معهم عندما قدموا من أرض مصر إلى أرض الميعاد ، وقد دفنوه مع أبيهم، [تذكر التوراة أنه دفن في شكيم]، وعندما سكن إبراهيم هناك لم تكن هناك بلدة، غير أنهم فيها بعد أقاموا تلك المدينة هناك التي أسموها الخليل، لأن خليل الرحمن إبراهيم سكن هناك، وتتبع هذه المدينة صاحب الكرك، وهي تبعد خمسة فراسخ عن بيت لحم، حيث ولد يسوع المسيح.

وبيت لحم هي مدينة لكنها ليست كبيرة، حيث يوجد فيها شارع واحد، والمسافة من بيت لحم إلى القدس هي فرسخين.

ويوجد بين بيت لحم والقدس دير، يوجد فيه رهبان إغريق، واسم هذا الدير دير«المجد للرب في الأعالي»، فهناك كان الملائكة قد غنوا عندما ولد يسوع المسيح، وقد تحدثوا إلى الرعيان وأعلنوا أن مخلص العالم قد ولد، وقالوا بأن عليهم أن يذهبوا إلى القدس(بيت لحم) حيث كان موجوداً، ولسوف يجدونه مقمطاً بقطع قماش، وقد ذهبوا فوجدوا كل شيء حسبما أخبرتهم الملائكة، ونحن نقدم الشكر والحمد إلى يسوع

* — الرائج انعدام العلاقة بين آرام وحران، وأن إبراهيم عليه السلام ولد في أور في العراق.

المسيح، لأنه قضى بالأمور أن تكون هكذا، وإلى جانب هذا الدير هناك أرض حقل يدعى«حقل الزهور».

أما وقد فرغنا من هذا، سوف أحدثكم عن مدينة تقع على مسافة فرسخين من النهر، وهي التي حصنها أهل البلاد عندما سمعوا من يقول بأن بني إسرائيل أخذوا يدخلون أرض الميعاد، وأنهم لا بد مارون من هناك، واسم هذه المدينة أريحا، وكانت مسورة بحجارة صماء، وبعدما عبر بنو إسرائيل النهر حاصروها، لأنها كانت المدخل إلى أرض الميعاد.

وعلى مقربة من هذه المدينة حقل مليء بالثعابين، ويمسكون هناك الثعابين، التي يُصنع منها المرهم، ولسوف أخبركم كيف يمسكونها، فالرجل الذي يتولى إمساكها يقيم سياجاً حول الحقل، ويسير مردداً عبارات سحره وتعاويذه، ويقوم بالغناء من حول السياج، وتقدم جميع الأفاعي التي تسمعه نحوه، فيتولى إمساكهن بسهولة وكأنهن خرفان، ويأخذهن لبيعهن في المدينة إلى الذين يصنعون المرهم، هذا وهناك بعض الأفاعي العاقلة بين هذه الأفاعي، فهؤلاء البعض عندما يسمعونه وقد بدأ بالغناء، يضعون واحدة من أذنتيهم على الأرض، ويمنعون السماع عن الأخرى بوساطة الذيل، وبذلك يتوقفون عن السماع، وبهذا المرهم الذي يصنعونه من هذه الأفاعي من الممكن معالجة جميع أنواع السموم.

ولسوف أحدثكم الآن عن نوعين من الأفاعي، موجودين في العربية، وكذلك في الصحراء البعيدة، والذي يتوفر من هذين النوعين فقط ثعبانين، ولا يمكن أن يكون هناك أكثر، وهما حاميان جداً، ولهما رائحة نتن هائلة إلى درجة أن ما من طائر يمكنه أن يحلق فوقهما في المكان الذي يلتقيان به، بل يسقطون موتى من الحرارة ومن رائحة النتن الصادرة عنهما، كما أنه لا يوجد إنسان أو حيوان يشم نتنهما إلا ويسقط ميتاً، وسوف أحدثكم الآن كيف يلدان، وكيف ينشآن، ففي ذلك

موتهما، فعندمـا يحل الوقت الذي يلتهبان به، يأتي الذكـر ويضع رأسه في فم الأنثى، وبذلـك تحمل، وعندمـا تحمل تغلق فمهـا وتعض بأسنانها فتقطع رأس الذكر، وبذلك يمـوت، وعندما يحين وقتهـا تقوم بالولادة، والذي تلده هو ذكر واحد وأنثى واحدة، وهذا ما يتكرر كل مرة.

وهناك على الطريـق أعطى المسيح البصر إلى الرجـل الذي صرخ له، لأنه كان بلا عينين، ومن هناك على بعـد فرسخ واحـد عن أريحا، يوجد القرنطل، حيث صام الرب على الجبل.

ويوجد عند سفح الجبل نبع جيـد وجميل، وقد كان هذا النبع في أيام النبي إيليا له طبيعة شـاذة، بحيث لم يوجد تحت أديم السماء مكان لمسته مياه ذلك النبع إلاّ ومـات فيه كل مـا هو أخضر من أنواع النباتات، ولم يكن هناك امـرأة في العـالم شربت منه ثم أنجبت ولداً، وكـذلك لم تكن هناك أنثى حيـوان شربت منه ثم كـان لها أولاد، ثم جـاء إيليا وعـالجه، فوضع ملحـاً فيه، وبعـدما عـالجه لم يعد يؤذي، بل صـار جيداً، وروى جميع تلك الأرض والحدائق وصـولاً إلى النهـر، والقـرنطل حيث صـام الرب، هو مـــوضع في الصحـــراء على هذا الجانب مـن النهـــر، وأمـــا الصحراء التـي عاش فيها القـديس يوحنا فمـوجودة عبر النهـر، وقرب النهر قام بتعميد الذين جاءوا إليه للتعميد، وهكذا عمّد يسوعاً المسيح، وعلى طرف النهر حيث جرى تعميده هناك دير للرهبان الاغريق، اسمه دير القديس يوحنا.

ويوجد بين أريحا والقدس مكان اسمه الصهريج الأحمر، وكان يوجد هناك خان كان ينزل به الذين يذهبون من القدس إلى أريحا، وإلى النهر، وهناك حمل السـامري الرجل الـذي وجده قـد سُرق على الطريق، وهو الذي تحدث عنه يســوع المسيح عندمـا سألوا:«من هـو جـاري؟»[انظر لوقا:١٠/ ٢٥ — ٣٧].

وألآن وقد تحدثت إليكم عن بحر الجليل، وعن النهر، وعن هذا الجانب وذلك الجانب، وعن الخط بين المسيحيين وبين المسلمين، ذلك أنني أخبرتكم بأن المسلمين قد عبروا النهر عندما كانوا في أحد الأيام في فوربلت Forbelet ، ومضوا إلى حصار الكرك.

وعندما سمع بلدوين ملك القدس خبراً أفاد بأن صلاح الدين كان قد بعث خلف رجاله للقدوم إلى البلاد، جمع جيشه كله، وعسكر بهم في مكان اسمه ينابيع الصفورية، والسبب الذي جعلهم يطلقون عليهم اسم ينابيع الصفورية، هو قربهم من بلدة اسمها الصفورية، ففي هذه البلدة ولدت القديسة حنة أم سيدتنا القديسة مريم، وعند هذه الينابيع أقام الملك أيام الصيف عندما لم تكن هناك هدنة مع المسلمين، وقد أقام هو وجميع فرسانه والداوية والاسبتارية وجميع بارونات البلاد، وسبب إقامتهم هناك هو أن المسلمين جاءوا إلى البلاد، وكانوا جاهزين للزحف للتصدي لهم، وهذا المكان الذي توجد فيه الينابيع يبعد فرسخاً عن الناصرة، وخمسة فراسخ عن طبرية، وكذلك خمسة فراسخ عن عكا، وهناك أقام ملك القدس لمدة ثلاثة أشهر هو وجيشه، وذلك حتى جاء صلاح الدين إلى البلاد، وإلى أن حشد قواته.

وعندما حشد صلاح الدين جيشه، وجمع قواته في دمشق، قام بالزحف، وقطع كثيراً من طريقه وعبر النهر وأقام في مكان فيه نبع اسمه نبع عين طبون Tabaun ، وهي موجودة عند سفح الجبل تحت صخرة، ويبعد هذا الجبل مسافة أربعة فراسخ عن ينابيع صفورية، وذلك حيث كان ملك القدس مع جيشه، وفرسخين عن قلعة اسمها زرعين(يزرعئيل)، وهذه القلعة موجودة في مكان اسمه دوثان، وفي هذا الموضع الجب الذي ألقى فيه بنو إسرائيل أخاهم يوسف، وباعوه إلى تجار أخذوه إلى مصر.

ولسوف أحدثكم الآن عن نابلس، وأبين لكم كيف هي، وأين تقوم،

فالتي كانت موجـودة عندما كان المسيح على الأرض لم تكن هي نابلس بعـد، وهنا سكن السامـرة أولاً، وتقوم نابلس بين جبلين، وأهل البـلاد يطلقون على أول هذين الجبلين اسم جبل قابيل، وعلى الآخر اسم جبل هابيل، وجبل هابيل دائماً أخضر في كل من الشتاء والصيف، وذلك من خلال العدد الكبير من أشجار الزيتون التي تنمو هناك، وأما جبل قابيل فـدوماً جـاف، ذلك أنه كله صخـري وحصـوي(*)، وعند سفح جبل قـابيل تقـوم مـدينة اسمهـا عسكر(شيكار)، وتتجـه هذه المدينة نحـو الشرق، وإلى جـانب جبـل هابيل، وباتجاه مشرق الشمـس، هناك جبل اسمه جبـل القديس إبراهيم، وعلى هذا الجبل مكان يدعـونه باسم بيت إيل، وهذا هو المكان الذي جلـب إليه إبـراهيم ابنه اسحق ليضحي به، وكـان ذلك عندمـا أمـره الرب، وهنـا أعـدّ الملاك له كبشـاً ليضحي به عوضاً عن ابنه.

وإلى جانب هذا الجبل، وباتجاه الشرق، هناك مدينة، كانت — عندما كان يسوع المسيح على الأرض — تعرف باسم السامرة.

وكان دون هذه المدينة سهل كان اسمـه سهل شكيم، وكان هناك بئر عمله يعقـوب وأعطاه إلى ابنه يوسف، وإلى هذا البئر يذهب أهل المدينة للشرب، ويبعد هذا البئر مسافة نصف فرسخ عن نابلس.

وجرى تدمير مدينة السامرة هذه تماماً، بعد أيام يسوع المسيح، وذلك عندمـا كـان فسبسيـان على الأرض، ولم يكن هناك مـدينة على الأرض أطول منهـا، وهناك أديرة السـامـرة حيث يقـدمـون قـرابين فصحهم، وذلك أنه لا يمكنهم التضحية في أي مكان آخـر، مثلما لا يمكن لليهود

★ — هذا الجزء فيه غلط غريب، ويبدو أن المصنف قـد نقله عن رواية أخرى لم يفهمها جيداً، فجبل هابيل هو جبل عيبال، وبناء عليه ينبغي أن يكون جبل قابيل هو جبل جرزيم، وعلى هذا وضعت بيت إيل على جبل هابيل، هذا وجبل جرزيم فيه وفـرة من المياه، لكن جبل عيبال جبل جاف.

التضحية إلاّ في القدس، وإلى هناك جاء السامرة من بلاد مصر، ومن بلاد دمشق، ومن جميع بلاد بنيم Paynim، ويأتي هؤلاء القوم إلى ها هنا في يوم عيد الفصح، ويكون موعد عيد الفصح لديهم متوافقاً مع الموعد الذي يتخذه اليهود، وهناك يقومون بالتضحية.

وعلى بعد خمسة فراسخ عن نابلس هناك قلعة اسمها بيت هرون، وحدث مرة في غابر الأيام أن واحداً من قادة نبوخذ نصر، الذي كان ملكاً لفارس، قام بحصار هذه القلعة، وكان اسم هذا القائد هولوفرنس.

وعلى بعد فرسخين عن نابلس، هناك مدينة اسمها سبسطية، وهي قائمة على الطريق الذي يمضي من نابلس إلى الناصرة، ففي هذا المكان كان قد دفن جسد السيد القديس يوحنا المعمدان، فإلى هناك جلب حواريوه جسده، بعدما أمر هيرود بقطع رأسه، وبعد أمد وجيز من ذلك، وعندما سمعت زوجة هيرود بأنه قد دفن، بعثت إلى هناك وأمرت بإخراج عظامه من الأرض، وأحرقتهم، وباعت الرماد، ولهذا السبب ما برح الأطفال في ليلة عيد القديس يوحنا يشعلون ناراً من العظام، لأن عظامه قد أحرقت.

والمسافة من نابلس إلى القدس هي اثني عشر فرسخاً، ومن نابلس إلى الناصرة هي اثني عشر فرسخاً، وكذلك فإن المسافة من نابلس إلى قيسارية هي اثني عشر فرسخاً، ومن نابلس إلى نهر الأردن هي خمسة فراسخ، لكن ليس إلى المكان الذي جرى تعميد يسوع المسيح فيه، ذلك أن المسافة من نابلس إلى المكان الذي عمّد فيه أبعد بكثير، مع أن النهر هو نفسه.

— ٣ —

بورتشارد راهب دير جبل صهيون

استهلال:

كان بورتشارد راهب دير جبل صهيون ألمانيا، إما من أهالي مدينة ستراسبورغ أو مدينة مجديبورغ، وقد عاش في القرن الثالث عشر، وصار راهباً من رهبان طائفة الدومينيكان وذهب إلى الشرق في سنة ١٢٣٢م، وقد زار مصر، وسورية، وماعرف باسم أرمينيا، التي كانت تعرف قديماً باسم مملكة كليكيا، ويقال بأنه أمضى عشر سنوات في دير جبل صهيون في القدس، ولم يعد إلى أوربا حتى تقدمت به السن كثيراً، هذا وتاريخ وفاته غير معروف.

ومن لهجة كتابته، يمكن أن ننظر إلى العصر الذي عاش فيه على أنه عصر تسامح، وقادت صحة أوصافه في كثير من الأحيان م.دي.أنفيل Annville ، للاعتماد عليه كدليل، وقدأعلن ج.س.م لورانت — الذي اعتمدت على طبعته في هذه الترجمة — أنه أعظم الحجاج في جميع العصور الوسطى وأشهرهم، ومع هذا يلاحظ أن شهرته التي دفعت إلى تحقيق كتابه أكثر من عشرين مرة، أن ما من طبعة من الطبعات المتقدمة أعطتنا نصاً كاملاً، وأنه لم يكن هناك وفاق حول اسمه الذي ورد بأشكال متنوعة منها:بوركاردوسBorcardus ، وبروكاردوس Brocardus ، وبرغادوسBerghadus . وذهب لورانت إلى القول بأن بورتشارد نفسه قد أخرج الكتاب مرتين، ففي المرة الأولى قدمه كنشرة خاصة أخذت شكل رسالة مرفقة بخريطة، وقاد نجاح هذه النشرة إلى إخراج نسخة مصححة نشرت على شكل كتاب، وظهر منذ ذلك الحين تعارض عظيم في النص، وذلك عندما نقارن طبعة منه بأخرى، فعلى سبيل المثال نقل العقيد كوندر الكلمات التالية من ص١٢ من هذه السلسلة حول مدينة القدس:

"Relictis Tamen Prioris concavitatis Vestigiis"

مظهـراً أن وادي[السيل] تيروبوان Tyropoeon لم يكن مليئاً مثلما هو الآن، ولم ترد هذه الكلمات في نص لورانت، غير أننا نقرأ في الفصل الثامن نصاً مشابهاً جاء فيه:«في هذه الأيام جميع مجرى وادي السيل ملىء تماماً، ومع هذا فإن آثاره، يمكن تتبعها وفق هذه الطريقة».

ونقل لورانت نصين عن طبعة هنريكوس كانيسوس، الذي حقق الطبعة المبكرة من كتاب مصنفنا هذا، فقد أشار بورتشارد في هذين النصين بشكل اعتيادي إلى أماكن في مجديبورغ ومن حولها، وذلك كمقياس للمسافات، ومن ذلك اعتقد لورانت أننا نستطيع من دون خطر أن نفترض أنه كان ألمانياً، إن لم يكن من أهالي تلك المدينة.

وأكثر أهمية تقدير تاريخ كتابته وزيارته لفلسطين، فالحوادث التي أتى على ذكرها تبرهن أنه كتب بعد سنوات:١٢٦٠ و ١٢٦٣و١٢٦٨،و١٢٧١، وقبل سنتي ١٢٩١ و١٢٨٥، وعلى هذا فإن تاريخ سنة ١٢٨٣ يبدو صحيحاً، مع أنه لم يذكره بنفسه، وذكر بعض الكتاب أنه أمضى عشر سنوات في الأرض المقدسة، أي من سنة ١٢٧٥ حتى ١٢٨٥(انظر م. لى كلارك — التاريخ الأدبي لفرنسا: ٢١ / ١٨٢)، والمؤكد هو أنه أمضى عامين هناك، ونستخلص هذا مما قاله في الفصل الرابع، فقد كان هناك في أيام حكم الملك المنصور قلاوون(١٢٧٩ — ١٢٩٠)، سلطان مصر وخليفة بيبرس، وقد كتب قبل ثماني سنوات من انتهاء الحروب الصليبية، وكان ذلك في أيام هنري ملك قبرص والقدس، وفي أثناء هدنة العشر سنوات، التي أبرمها قلاوون في سنة ١٢٨٢ م، مع الداوية والاسبتارية، ومن المفترض أن لقب De monte Sion الذي حمله، قد جاء من إقامته الطويلة في الدير هناك، لكن من الواضح أننا لا نمتلك برهان قوي يبرهن هذا ويؤيده.

وكان بورتشارد مخلصاً في تحرره من التعصب، مع أنه كما يبدو، كان

على المستوى الشخصي تقياً، وكانت رعايته ومساعدته للطوائف الأخرى مدهشة، ويبدو أن قراءاته كانت ضخمة،وقد أظهر كثيراً من الذكاء، في تعلمه ما أمكنه تعلمه أثناء رحلاته، وكذلك في استيعاب المعلومات التي تلقاها، وقد عاش فيها بين هراطقة وكفار، وبين نساطرة وأرمن وسريان، وكأنهم إخوان له، وقد أظهر أكثر من أي كاتب معاصر له مزيجاً غريباً من الشجاعة والتواضع، والإيمان، وحب المعرفة، ويبدو أن هذا كان من سمات الصليبيين في القرن الثالث عشر، وهي حقبة البطولة في العصور الوسطى، ولقد كان قادراً على زيارة بلدات هي الآن مدمرة، ومناطق كانت مزدهرة هي الآن مشعثة، ولم يكن بالطبع خلواً من السذاجة حيث قام بمزج الحكايات الخارقة، وردد أصداء الملاحم، فلقد كان حسبما وصفه م.ف.لى كلارك بقوله:

"il Faut reconnaitre chez ce religieux un esprit fort eleve, qui, au moment ou les croisades Finissent, raconte avec unenaivete admirable ce quil a vu ou cru voir. No us devonsa sa, curiosite attentive des absevations importantes de geographie et d,histoire naturelle" (التاريخ الأدبي لفرنسا:٢١/ ١٨٢).

وأتى فابري(١/ ٤/ ١٧) على ذكر بورتشارد بالاسم، ونقل مارينو سانوتو صفحات كثيرة من كتابه، قام بانتحالها حجاج آخرون، وفي هذا كله اعتراف مخلص بها قدمه، واعتماداً على بورتشارد قام الجغرافيون باستقاء المعلومات حول التقسيم الجغرافي لفلسطين، وسورية، والعربية، وعن مكانة دمشق الأبدية في سورية، وكذلك الكلام المضطرب حول الايطورية والطرخونية، الذي رددوه بصواب أعلى أو أدنى، ولقد كتب بورتشارد بلاتينية وسيطة جديدة، ونقل عن هوراس وكذلك عن جيروم ويوسيبوس، ولسوء الحظ أنه تولى وصف الأرض المقدسة

- ٣٩٦٤ -

بوساطة خطوط تقسيم كثيرة، انطلاقاً من مدينة عكا، وهذه خطة لم تكن مجدية تماماً في التوضيح والتحديد، لكنها نقلت مع أشياء أخرى كثيرة من قبل مارينو سانوتو.

وصف بورتشارد راهب جبل صهيون للأرض المقدسة

تمهيد:

أخبرنا القديس جيروم أننا نقرأ في تواريخ قديمة حول رجال زاروا بلداناً، وعبروا بحاراً، إلى حد أننا يمكن أن نتصور معهم ونرى الأشياء التي قرأنا عنها في الكتب ورأوها بأنفسهم، وهكذا زار أفلاطون الكهان المتنبئين في ممفيس، وذهب أبولونيوس إلى مصر، ودخل إلى بلاد فارس، وعبر إلى القوقاز، وبلاد الألبان، والسكيزيين، والمسغيتيين -Mes sagetae، والهنود، والبراهمانيين، وذلك حتى يمكنه رؤية ياركاسlarchas ، وذهب أخيراً إلى مصر، حتى يمكنه رؤية مائدة الشمس الشهيرة في الصحراء الرملية، فما وجه العجب على هذا، إذا ما تشوق المسيحيون لرؤية الأرض التي تحدثنا عنها جميع كنائس المسيح، ولزيارتها؟ فقد بجل الناس القدماء قدس الأقداس، لأنه كان هناك تابوت العهد، والخيمة الملائكية مع كرسي الرحمة، والمن، وعصا هرون التي أزهرت، وهذا كله يشكل نماذج عن الأشياء التي ستأتي، وأوليس ضريح المسيح يستحق العبادة منا أكثر من أي شيء آخر، لأن أي إنسان كلما دخل إلى هناك، ومهما كان عدد المرات، سوف يتصور بعقله وبصيرته المخلص ممدداً هناك وملفوفاً بأقمشة كتانية؟ وإذا ما تقدم أكثر قليلاً، سوف يرى الصخرة وقد دحرجت وأزيحت، والملاك جالس عليها وهو يري النساء المنديل وأقمشة القبر، وأي مسيحي، بعد رؤيته لهذه الأشياء، لن يبادر مسرعاً بالذهاب إلى بيت لحم، ليرى الطفل الوليد وهو يبكي في المعلف، فقد جاءت مريم لتأوي إلى النزل الذي كان موجوداً تحت صخرة مجوفة، من الممكن رؤيتها في هذا اليوم.

وكان الملائكة يغنون: المجد للرب، والسلام للناس، وكان ذلك

بحضور الرعـاة، وأكثر عجباً من هذا كلـه، رؤية الحكماء الثلاثة بأبهتهم يركعـون أمـام المعلف، من دون سقف فـوق رؤوسهم، إلاّ الصخـرة الممتدة نحو الأمام؟، ودعه يعـود من هناك إلى القدس، عله يرى يسوعاً ويسمعـه وهو يعظ في الهيكل، ويعلم حـوارييـه على جبل الزيتـون، ويتعشى على جبل صهيـون، ويغسل أقـدام حوارييـه، ويعطيهم جسـده ودمـه، ويصلي في جيسماني، ويتعـرق دمـاً، ويقبّل الذي خـانه، ومن ثم يعتقل ويجر بقـوة إلى السجن ويسخر منـه، ويبصق عليه، ويحكم عليـه، ويحمل صليبـه، ويغرق تحت وطأة وزن الصليب أمـام باب المدينة الذي من الممكن رؤيته في هذا اليـوم، ثم يساعده سمعان القـرني، وبعد ذلك قيامه بالاحتفـال بأسرار قداس آلامه فوق أكـرا، وما برحت ذكرى كل واحدة من هـذه الأحداث، وكل واحد من هـذه الأماكن كاملـة وتامة، كما كانت عندما حدثت هذه الأشياء ها هنا، وفي الحقيقة هناك في المدينة أمـاكن كثيرة تقـدست بأحـداث آلام ربنا، إلى حـد أن يومـاً واحـداً لن يكون بأي حـال من الأحـوال كـافيـاً لزيـارتها جميعـاً بشكـل نافع، وبالاضافة إلى هذا كله، هناك أشيـاء أخرى تثير الناس في تلك الأماكن وتدفعهم إلى درجة عـالية من الانفعال العـاطفي، ومن هو الذي يمكنه أن يذكـر كم هو عدد الـرهبان والراهبـات من جـورجيا، ومن أرمينيـا الصغـرى والعظمى، ومن بلاد الكلـدان، وسـورية، وميـديا، وفـارس، والهند، وأثيـوبيـا، والنوبة، وكـذلك الأنبـاط، والموارنـة واليعـاقبـة، والنسـاطرة، والاغـريق، والسريان، ومن الطـوائف الأخـرى، الذين يتجـولون في هذه الأيام في تلـك البـلاد على شكل جماعـات، كل منهـا مكون من مـائـة أو مـائتين، أو أكثـر أو أقل، وهـم يزورون كل مكان مقدس، ويقبلون بعـاطفة جياشـة القلعة، ويتعبدون البقـاع التي سمعوا بأن يسـوعاً الجميل جلس عليهـا، أو وقف، أو عمل أي عمل؟ تراهم يضربون صدورهم، وهم يبكون أو يتنهدون، ويغنون بالدور، ويعبرون بمظاهرهم الجسـدية عن مشاعـرهم الدينيـة التي يمتلكونها بدون أدنى

شك، وعمق هـذه المشـاعـر كـان يستـدر عطـف الكثيرين حتى أن المسلمين كـانوا يبكون لذلك، فلقـد رأيت أيها المولى الـرب، إبراهيم، يسرع — كما حدثنا المؤرخون القـدماء — بمغادرة بلاده، وترك أسرته، وبيت أبيـه، ليقدم مسرعـاً إلى هذه البلاد، فينصب خيمتـه فيما بين بيت إيل، وبين عـــاي، ويقيم بعض الوقـت في جـــرار Gerar ، وبئر السبع، وحبرون، وإنني أرى حـزقيـال يغـادر ميـاه بابل، ويُحمل بشعـر رأسه فيما بين السماء والأرض، وهو يشق طريقـه إلى القدس، وما الذي يمكنني قوله عن العذراء الرائعـة، التي، بعد الاعلان الذي عمله الملاك لها، ووعدها، قد عرفت بأن رحمهـا قد عمل بيتاً للرب،فلم تكن راضية بسهول الجليل الواسعة والجميلة، بل بادرت مسرعة للصعود إلى المنطقة المرتفعـة في اليهـودية، وذلك لـرغبتهـا في أن تكون أقـرب إلى الأمـاكن المقـدسـة؟ ومـا الذي يمكنني قـوله عن البطريـرك يعقـوب، ويوسف وأخـــوانه، الذين، لأنهم لم يستطيعـــوا السكنى في تلـك الأرض أثناء حياتهم، اختاروا أن يدفنوا فيها بعد مماتهم؟.

ومـا الذي أحتاجـه للقـول أكثر؟ من الممكن أن نتنهـد وننزعج تجاه انعـــدام الحماســـة لدى المسيحيين في أيـامنا، الذين لـديهم أمثلة كثيرة مضروبة أمام أعينهم، ويترددون في العمل على انتزاع البلاد التي قدسها يسوع بدمه، من أيدي الأعداء، مع أنهم يغنون يومياً بحمده في الكنائس خلال العـالم كله: لأنه لا يوجد يوم أو ليلةعلى مـدار السنة لايغني فيها كل مسيحي تقي، أو ينشد، أو يتلو، أو يعظ، أو يتفكر، أو يقرأ حول ما جرى أو كتب في هذه البلاد، وفي مدنها وأماكنها المقدسة؟.

وعندمـا رأيت أن بعض الناس قـد تملكتهم الرغبـة في أن يتصـوروا هذه الأشياء بعقـولهم، وهي الأشياء التي لم يكونوا قـادرين على رؤيتها بأعينهم، ورغبة مني في تلبية رغباتهم، بقـدر ما أمتلك من طاقة، فكرت بقدر ما أستطيع، في أن أكتب بكل عناية وصف ما أشاهده، وأن أصف

بدقة متناهية تلك البلاد، التي مررت ماشياً عليها مراراً، ذلك أنني أريد أن يعرف القارىء أنني لم أضمن أوصافي إلاّ ما رأيته بأم عيني، عندما كنت في المكان الموصوف نفسه، أو إذا لم أستطع الوصول إليه، كنت أراه من فوق أحد الجبال المجاورة، أو من مكان موائم آخر،ولقد دونت بدقة الأجوبة التي قدمت إلي من قبل السريان أو المسلمين، أو من قبل قوم آخرين من سكان البلاد، وذلك بعدما سألتهم بدقة متناهية.

وفي الحقيقة، لقد قلت: إنني إما مشيت على قدمي وطفت على البلاد كلها من دان إلى بئر السبع ومن البحر الميت إلى البحر المتوسط، فتلك هي حدودها، أو أنني تقصيت فبحثت بعناية حول الأماكن التي لم أستطع الوصول إليها.

ولدى تفكري وتقديري كيف يمكنني القيام بوصف هذه البلاد بشكل نافع ومفيد، ولكي يتمكن عقل قارئي بسهولة من فهم ما سأخبره عنه، رأيت اختيار نقطة مركزية ومن ثم إعداد البلاد كلها وترتيبها من حولها، وفق تنظيم صحيح، ولقد وقع اختياري على مدينة عكا لتكون هي المركز، لأنها معروفة أكثر من أي مكان آخر، ومع هذا فإن هذه المدينة ليست واقعة في وسط البلاد، بل هي قائمة على شاطىء البحر في الجزء الغربي من حدودها، وقد مددت من هناك أربعة خطوط، كل واحد منها متجه إلى إحدى اتجاهات العالم الأربعة، ولقد قسمت كل ربع إلى ثلاثة أجزاء، حتى تتوافق هذه الأجزاء الاثني عشر مع الرياح السماوية الاثني عشر، ووضعت في كل قسم من هذه الأقسام المدن والأماكن التي ورد ذكرها في الكتابات المقدسة، حتى يمكن بيسر وسهولة إيجاد موضع كل مكان، وجزء العالم الموجود فيه.

هنا بداية القسم الأول من البلاد المقدسة

١ — عليكم أن تعرفوا في البداية أن ما ندعوه باسم الأرض

المقدسة، هو ما وقع حصة لأسباط بني إسرائيل الاثني عشر، وقد عرف أول الأقسام باسم مملكة يهوذا، وكان حصة سبطي يهوذا وبنيامين، وعرف القسم الآخر باسم مملكة السامرة، وهو الذي يعرف في هذه الأيام بتبعيته لمدينة سبسطية، التي كانت عاصمة ديار الأسباط العشرة المتبقية، وهي التي عرفت باسم إسرائيل، وقد أطلق على هاتين المملكتين مع جميع بلاد فلسطيا، اسم فلسطين، وكانت فلسطين إحدى مقاطعات سورية، وذلك مثلما سكسوني أو فرانكونيا، مقاطعتين من بلاد ألمانيا، ومثلما لومبارديا وتوسكانيا مقاطعتين في إيطاليا.

ويمكن فهم هذا بقدر أكبر، إذا عرفنا بوجود عدد كبير اسمه سورية، وكل منها حمل اسماً مختلفاً، ومع هذا فإن مجمل البلاد الواقعة فيما بين نهر دجلة ومصر تدعى بشكل عام سورية، والجزء الأول من هذه البلاد هو الواقع ما بين نهري الفرات والدجلة، وهو الممتد طولياً من جبل طوروس حتى البحر الأحمر، ويدعى هذا الجزء باسم سورية الجزرية، لأنها تقوم في وسط المياه، وتحتوي على كثير من الشعوب، منهم مثلاً: الفرثيين والميديين، ويحدها من الجنوب بلاد الكلدان التي توجد فيها مدينة بابل، ومرة أخرى إن حدودها من الجنوب العربية، التي تمتد حتى البحر الأحمر، وهو الذي يدعى في هذه الأجزاء باسم الخليج العربي، هذا وإن الجزء الأول من هذا القسم الجزري كله، هو الجزء الذي يمتد نحو الشمال، وهو الذي اسمه بشكل خاص الجزيرة السورية، وفي هذا الشطر تقوم مدينة الرها، التي كانت تعرف في القديم باسم راسيس Races والآن باسم راسك Rasc فهذه هي سورية الأولى.

وسورية الثانية هي سورية المجوفة، التي تبدأ عند نهر الفرات، وتنتهي عند نهر بانياس الذي يجري عابراً قلعة المرقب، ويصب في البحر المتوسط عند مدينة بانياس، التي هي مقر أسقف، وتبعد فرسخاً واحداً

عن القلعة المتقدمة الذكر، وفي مقاطعة سورية المجوفة هذه تقوم مدينة أنطاكيةمع ملحقاتها، مثل اللاذقية وأفاميا وسواهما كثير.

وسورية الثالثة هي سورية فينيقية، التي تبدأ في الشمال عند النهر المتقدم الذكر، أي نهر بانياس، وتمتد جنوباً حتى بترا إنشيسا Incisa ، أو القفار عند سفوح جبل الكرمل، ويدعى هذا المكان في هذا اليوم باسم قلعة الحجاج(عثليت) وهي من أملاك فرسان الداوية، وفي سورية الفينيقة هذه كثيراً من المدن، من ذلك مثلاً: المرقب، وطرطوس، وطرابلس، وبيروت، وصيدا، وصور، وعكا، وكفر ناحوم، وقد عرفت هذه المنطقة باسم سورية الفينيقية صدوراً عن اسم ابنة أغينور التي كانت أختاً لقدموس، فهو الذي بنى صور، وجعلها المدينة الرئيسية في هذه البلاد، وأطلق اسمه على البلاد، فعرفت به.

وسورية الرابعة هي سورية دمشق، حيث مدينة دمشق هي العاصمة هناك ،وسورية هذه متصلة بسورية الثالثة، أي سورية فينيقية، وذلك من الجهة الشرقية هناك، وتدعى سورية الرابعة هذه أيضاً باسم سورية لبنان، لأن جبل لبنان المشهور موجود فيها.

والتالي لسورية الرابعة هذه، أي سورية فينيقية(كذا) فلسطين، التي يتوجب دعوتها باسم فلسطيم Philistiim ، بسبب وجود فلسطينيات ثلاثة، وهؤلاء الثلاثة جميعاً أجزاء من سورية الكبرى، وهي كمايلي: فلسطين الأولى، وهي المقاطعة التي عاصمتها مدينة القدس، وذلك مع جميع المنطقة التلية الموجودة هناك حتى البحر الميت، لابل حتى القفار وإلى قادش بارينا(القفار)، وعاصمة فلسطين الثانية هي قيسارية فلسطين، التي تعرف أيضاً باسم قيسارية القائمة على شاطىء البحر، وذلك مع جميع بلاد فلسطيم شروعاً من بترا انشيسا، أو قلعة الحجاج(عثليت)، وذلك امتداداً نحو الجنوب حتى بيسان، وفلسطين الرابعة هي تلك التي عاصمتها بيسان، وذلك على مقربة من نهر

الأردن، عند سفح جبل جلبوع، وكانت هذه المدينة تعرف فيما مضى باسم سكيزوبولس، والصحيح هو دعوة فلسطين هذه باسم الجليل، أو مرج ابن عامر الكبير.

وهناك مثل هذا ثلاث عربيات، هي بالطريقة نفسها أجزاء من سورية الكبرى، والعربية الأولى هي التي عاصمتها بوستروم، التي تعرف الآن باسم بُزريث Buzereth ، وفي القديم باسم بصرى، ويحد هذه المقاطعة من جهة الغرب الطرخونية والإيطورية(الجيدور)، كما يحدها من الشمال دمشق، ولهذا السبب عرفت سورية دمشق باسم«العربية»، وهذا يعلل لماذا أطلق على أرتاس Arethas اسم ملك العربية، في حين كان هو في الحقيقة ملك دمشق، والعربية الثانية هي المنطقة التي عاصمتها هي البتراء، التي كانت تعرف بالقديم باسم ربّاث Rabbath على جدول أرنون Arnon، وكانت هذه العربية هي بلاد أبناء عمون، ومهما يكن من أمر فإن مدينة عار Ar كانت في بلاد مآب، وهي تحتوي على مملكة سيحون ملك حشبون، ومملكة عوج ملك بيسان وجبل جلعاد، وهي تحد العربية الأولى من جهة الجنوب، والعرية الثالثة هي التي عاصمتها الشوبك، والتي تعرف أيضاً باسم الكرك، وهي التي عرفت فيما مضى باسم القفار، وهي قائمة على مقربة من البحر الميت، وتحتوي هذه العربية على بلاد مآب، التي ينبغي أن تدعى باسم سورية سوبال، وتحتوي أيضاً على جميع أدوم التي هي جبل سعير، وعلى جميع المنطقة القائمة حول البحر الميت حتى قادش بارينا، وعصيون جابر، وباتجاه البحر الأحمر عبر الجزء الأعرض من القفار حتى نهر الفرات، وهذه هي العربية الكبرى التي فيها مكة، المدينة المدفون فيها محمد(ﷺ)(كذا).

وليكن ما قيل حتى الآن عن البلدان المصاقبة للأرض المقدسة كافياً، ولقد أخذت الجزء الأكبر مما قدمته من كتابات الأب المبجل في الرب،

اللورد جيمس دي فيتري، نائب الكنيسة الرومانية المقدسة في الأرض المقدسة، ومهما يكن الحال، لقد رأيت معظم هذه الأماكن بأم عيني.

ودعوني الآن أحول قلمي إلى وصف خاص للبلاد التي صارت من نصيب الأسباط العشرة.

٢ — وينبغي أن تعرفوا أولاً وقبل كل شيء، كما قلت من قبل، بأنني قد قسمت الأرض المقدسة إلى أربعة أقسام، وذلك تماشياً مع الأقسام الأربعة للسماء، أي: الشرق، والغرب، والجنوب والشمال، وبناء عليه فإن مجمل القسم الغربي متجه نحو البحر المتوسط، ومثل ذلك أجزاء القسمين، الجنوبي والشمالي، التي هي متصلة بالقسم الغربي. وعلى هذا سوف أبدأ مع الخط المستقيم لمدينة عكا، التي كانت تعرف قديماً باسم بطولميس، وأن أسير باتجاه الشمال لأصف المدن والأماكن القائمة على شواطىء البحر المتوسط.

وسوف نشرع على هذا بوصفنا من مدينة عكا، ونمضي من هناك بخط مستقيم نحو صور، ثم إلى المدن التاليةلها، فهذه سنتولى وصفها في أماكنها، لكن من المعروف أن هذه المدينة لم تكن قط جزءاً من الأرض المقدسة، كما لم يتملكها بنو إسرائيل في يوم من الأيام، وعلى كل حال إنهم عندما اقتسموا البلاد فيما بينهم أعطيت إلى سبط آشر، غير أن سبط آشر لم يتملكها قط، فهي واقعة في مقاطعة فينيقية، وعلى بعد أربعة فراسخ نحو الجنوب يقوم جبل الكرمل، ومدينة حيفا، التي تقوم عند سفح هذا الجبل نفسه، خلف جدول قيسون، حيث قتل النبي إيليا كهنة بعل.

وتمتد مقاطعة فينيقية، أو سورية الفينيقية، مسافةثلاثة فراسخ باتجاه جنوب هذا المكان حتى بترا إنشيسا، التي تعرف باسم قلعة الحجاج(عثليت)، فهذا المكان هو الحد الجنوبي لفينيقية.

ومدينة عكا محصنة بالأسوار، وبتحصينات خارجية، وبأبراج، وخنادق، وشرافات وسواتر قوية جداً، وهي مثلثة بشكلها مثل ترس، حيث يطل طرفان منها على البحر المتوسط، أما الطرف الثالث، فيطل على السهل المحيط بها، وعرض هذا السهل أكثر من فرسخين في بعض الأجزاء، وفي بعض الأجزاء أقل، وهو خصب جداً، في المروج وفي الأرض المفلوحة، وفيه كروم وحدائق، ينمو فيها جميع أنواع الفواكه، ويوجد في المدينة عدد من الأماكن الحصينة والقلاع والحصون ممتلكة من قبل فرسان طوائف: الاسبتارية، والداوية والتيوتون، وهذه المدينة من أملاك ملك القدس، ولها ميناء واسع جداً، وذلك على الجانب الجنوبي حيث يمكن للسفن أن ترسو.

وعلى بعد أربعة فراسخ باتجاه الشمال من عكا تقوم قلعة ايمبرتي[حمصين] على شاطىء البحر، وهي مثل ذلك فيها وفرة من الكروم والحدائق، والمياه الجارية، وذلك عند سفح جبل شارون.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من هناك، وبعدما يعبر الانسان جبل شارون، تقوم قلعة اسكندرونة[جنوب صور]، التي يقال بأن الاسكندر الكبير قد بناها عندما كان يحاصر مدينة صور، وقد أعاد بلدوين ملك القدس عمارتها، وأسند حفظها إلى بعض النبلاء الذين نالوا ألقابهم منها، وفيها وفرة من المروج، والمراعي، وحقول التين، والزيتون، والكروم، وذلك وسط مياه جارية وحدائق.

وعلى بعد أكثر من فرسخ بقليل من هذه القلعة، يوجد بئر مياه الحياة الرائع(رأس العين) وذلك على بعد رمية سهم بعيداً عن الطريق الذي يقود إلى صور، ومياه هذا البئر قادمة من لبنان، وذلك حسبما جاء في نشيد الانشاد، ومع أنه يدعى بئراً بالمفرد، هناك أيضاً أربعة آبار أخرى، لها الشكل نفسه، لكن لها أحجام مختلفة، والبئر الرئيسي بينها مقياسة أربعين ذراعاً بالطول وكذلك بالعرض، وذلك حسبما قسته أنا شخصياً،

أما مقياس كل واحد من الثلاثة الأخرى فهو حوالي خمسة وعشرين ذراعاً، وهذه الآبار كلها مسيجة بأسوار قوية جداً من حجارة قاسية جداً، وهذه الأسوار متصلة ببعضها آخذة شكل بناء لا يمكن تدميره، وارتفاع الأسوار مقدار رمح أو حتى أعلى من ذلك، وتتجمع المياه في هذه الآبار ثم ترتفع، فتتدفق من فوق الأسوار من كل جانب، وهناك مجرى ماء ينطلق من هذا المكان، ويسوق الماء داخل أقنية عميقة ومرتفعة بقدر قامة إنسان، فلقد جربت هذا وعرفته بنفسي، وذلك عندما دخلت إلى مجرى الماء الذي تجري فيه المياه، ويجر أهالي صور هذه المياه إلى جميع أجزاء السهل، حيث يسقون بها الحدائق والبساتين، والكروم، وقصب السكر، الذي ينمو هناك بكميات عظيمة، ومنه يتلقى صاحب صور مداخيل كبيرة، وتقوم هذه الآبار على بعد أكثر بقليل من رمية سهم بعيداً عن شاطىء البحر المتوسط، ومياههم هذه تدير في تلك المسافة الضيقة دواليب ست طواحين ذوات حجم كبير، وتصب بعد هذا في البحر، وواضح أن هذه الينابيع تتوافق تماماً مع ما جاء في الالهيات[٢٤/ ٣١]:«سوف أسقي حديقتي الأفضل، وسوف أروي بوفرة أرض حديقتي، وانظروا لقد صار جدولي نهراً، وصار نهري بحراً»، وهذه المياه موائمة كثيراً ومفيدة للسكان.

وعلى بعد أقل من فرسخ واحد عن هذا البئر تقوم مدينة صور، وهي واقعة على شاطىء البحر، وقد نالت المدح والاطراء بما فيه الكفاية من قبل حزقيال، وإشعيا، وارميا، ومن أسفار العهد القديم الأخرى، وكان من المعتاد امتلاكها لجدول من مياه الحياة المتقدمة الذكر، جلب من هناك من خلال أنابيب مدهشة، وأهرامات ما تزال آثارها مشاهدة حتى هذا اليوم، ولقد زرت هذه الأماكن ورأيتها بعيني.

ويحكى بأن مدينة صور قد بنيت من قبل تيراس بن يافث، وكان ذلك بعد الطوفان، ثم أعيدت عمارتها من قبل فينيق، كما تقدم القول،

وصارت عـاصمة فينيقيـة، ولها أسوار واسعة محيطـة بها، هي كما أعتقد أعظم من أسوار مدينة عكا، وهي ذات شكل مستدير، تقف في البحر، فوق صخرة قـاسية جداً، محاطة تقريباً مـن جميع الجهات بالبحر، وذلك باستثناء الجهة الشرقية، من المدينة، وهي منهـا قام نبوخذ نصر أولاً، ثم الاسكندر فيما بعد، بوصلها باليابسة، وذلك لمسافة مقدارها رمية حجر، وهي مسيجة في هذا المكان بثـلاثة أسوار، قوية وعاليـة، وسماكتها خمسة وعشرين قدمـاً، وقد جرى تمتين هذه الأسـوار كثيراً بوساطة اثني عشر برجـاً حصيناً، هي الأحصن بين ما شـاهدته، حيث لا مثيل لها في جميع أنحـاء العـالم، والقلعـة متصلة بهذه الأبـراج، وهي قلعـة فـائقـة القـوة والحصانة، قائمـة فوق صخرة في البحر، ومحاطة أيضـاً بأبراج مع أماكن حصينة، ولا يمكن للعـالم كله أن يستـولي على هذه المدينة بغير خيـانة، وفي هذه المدينة آثار مقدسة كثيرة، وذلك حسبما نعلم من خلال التاريخ اللاهـوتي، حيث حـــدثنـا عن الشهــــداء الذيـن تألموا هنـاك في أيام ديوكلشيان، فالرب وحده يعلم كم هو عـددهم، ويرقد أورجين مدفوناً هناك، في قبر مبني في جدار كنيسة الضريـح المقدس، فلقد رأيت ضريحه هناك، ويوجـد هناك أعمـدة من الرخـام والحجارة الأخـرى، بأحجـام عظيمة يقف الانسان مندهشاً لدى رؤيته لها.

ويوجـد في هذه المدينة كـرسي رئاسـة أسقفيـة، فهي المدينة المطرانيـة لفينيقية، ولرئاسة الأساقفة فيها نواب ومساعدون منهم أساقفة بيروت، وصيـدا، وعكا، وتمتد رعـوية هذه المطرانيـة حتى بترا انشيسا، أو قلعـة الحجاج(عثليت) التي تقدم ذكرها.

وقد أمضيت هناك مرة عشرة أيـام، وقمت في مرات كثيرة بفحصها بكل دقة وبقدر ما استطعت.

وعلى الرمال، على مسافة رميتي سهم، خارج بابها الشرقي، يعرضون مكاناً، يقـولون بأن المسيح قد وعظ فيـه، حيث رفعت امرأة كـانت بين

الحشد صوتها،وقالت:«بورك الرحم الذي حملك»الخ، ويعرضون أيضاً هناك صخرة عظيمة، كان المسيح قد وقف عليها آنذاك، وهذا المكان لم تغطه الرمال قط، مع أن الرمال في ذلك المكان خفيفة، وتتطاير هناك مثلما يتطاير الثلج في الشتاء في البلدان الغربية والشمالية، ولدى تطاير الرمال بوساطة الريح تتكوم هناك الأسيجة والأماكن المشابهة، غير أن هذا المكان، وإن قام في وسط الرمال، قد بقي دوماً غير مغطى في الصيف وفي الشتاء، وذلك حسبما رأيت بعيني.

ويوجد في ذلك المكان أيضاًعمود مرمي على الأرض، مشكلاً علامة، قد قيل بأن تلك البقعة هي المكان الذي جرى فيه قتل بعض الحجاج لدى زيارتهم لتلك المنطقة، وقد قتلوا بشكل خياني من قبل المسلمين.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ قصيرة، إلى الشمال من صور، يجري نهر الليطاني، ويصب في البحر المتوسط، وإلى هذا النهر وصل يوناثان أثناء مطاردته للملك ديميتريوس، وذلك حسبما نقرأ في سفر المكابيين الأول، وينبع هذا النهر من ايطورية أو جليل الأمم، وذلك من منطقة كان اسمها في القديم بلاد الراحوب، وصار فيها بعد كابول، وهو يجري قاطعاً قلعة الشقيف، التي يمتلكها فرسان الداوية، وذلك على مقربة من رامه، التي هي المكان الذي إليه طارد يوشع الملوك الواحد والثلاثين، وذلك حسبما نقرأ في سفر يوشع.

وعلى بعد فرسخين من هذا النهر تقوم صرفند الصيداويين، التي يرى الناس أمام بابها الجنوبي بيعة أقيمت فوق المكان الذي جاء إليه النبي إيليا إلى المرأة الصرفندية حيث سكن، ثم أقام ابنها من الموت، والعلية التي استراح فيها ما تزال مشاهدة هناك حتى الآن، ولا تحتوي الصرفند على أكثر من ثمانية بيوت قائمة، وتدل خرائبها على أنها كانت فيما مضى مدينة عظيمة.

وعلى بعد فرسخين تقوم صيدا، التي هي مدينة عظيمة في فينيقية، ويبرهن على ضخامة حجمها حتى هذا اليوم خرائبها، وكانت عظيمة إلى حد أنني لو أردت الكتابة عنها، فإن ذلك سيكون صعب التصديق، وكانت قائمة فيما مضى وسط سهل مستطيل الشكل، يمتد من الشمال إلى الجنوب عند سفح جبل لبنان الغربي، فيما بينه وبين البحر، وكانت مدينة فائقة الجمال، ولقد بني من وسط خرائبها مدينة أخرى، وصحيح أنها مدينة صغيرة بالفعل، لكنها حصينة، فهي أشبه بالحصن، وهي قائمة جزئياً على ساحل البحر، ولها على جانبيها قلعتين حصينتين جداً، الأولى قائمة في الشمال قائمة على صخرة في البحر، وقد بنيت هذه القلعة هناك من قبل حجاج من ألمانيا، وتقوم القلعة الثانية في جهة الجنوب، فوق رابية، وهي جيدة الحصانة، وهاتين القلعتين مع المدينة أيضاً تحت سلطان فرسان الداوية.

والمنطقة المجاورة خصيبة جداً، وفيها وفرة عظيمة من الأشياء الجيدة، ولها مناخ صحي تماماً، وهناك قصب سكر ممتاز، وكروم.

وأمام الباب الشرقي للمدينة القديمة، التي هي خرائب الآن، تقوم بيعة فوق المكان الذي جاءت إليه امرأة كنعانية، والتمست عونه من أجل ابنتها التي تلبسها الشيطان، وكان ذلك على الطريق الذي يقود إلى الايطورية وإلى قيسارية فيليب(بانياس).

وتقع سلسلة لبنان الغربية على بعد فرسخ واحد إلى الشرق من صيدا، ويبدأ هذا الجبل، عند نهر الليطاني الذي تقدمت الاشارة إليه، ويمتد إلى مسافة سفر خمسة أيام، أي خمسة فراسخ فيما وراء طرابلس، وهو لا يبعد مطلقاً أكثر من فرسخين عن البحر، باستثناء قرب طرابلس، حيث أنه يبعد نحواً من ثلاثة فراسخ، ويصل في بعض الأماكن إلى قرب البحر، إلى حد عدم توفر طريق للعبور، وهو مليء بكروم رائعة، وذلك مثلما كتب عنه:«والرائحة هناك ستكون كخمر

لبنان»[هوشع:١٤/ ٧ — مع فوارق]، وتصنع الخمـرة الجيدة على طول الطريق إلى قلعة المرقب.

وعلى بعد تسعة فـراسخ فيها وراء صيدا، تقوم مدينـة بيروت القديمة والجليلة، حيث يقال بأن الرب قـد بشر ووعظ، وصنع اليهود تمثالاً من صلصـال سخرية منه، وعندمـا صلبـوا هذا التمثال سـال منه كثيراً من الدم، مازال محفوظاً بإجلال حتى هذا اليوم في أماكن كثيرة.

والأسقف في هذه المدينة هو نائب لرئيس أساقفة صور، مثله في ذلك مثل أسقف صيـدا، ويمتـد الكرسي المطـراني لمدينة صـور لمسـافـة ثلاثة فـراسخ بعـد بيروت، أي إلى ممر نهر الكلب،فهناك يصب هذا النهـر في البحـر، ومثـل ذلك تنتهي هنا حـدود بطـريركيـة القـدس، وهنـا تبـدأ بطريركيـــة أنطاكيـــة وكـونتيـــة طرابلس، ويدعى هذا المكـان باسم ممر الكلب، ولا يمكن عبـوره إلاّ بإذن من المسلمين، لأن عدة رجـال فقط يمكنهم أن يمنعوا العالم كله من العبور هناك.

وعلى بعد ستة فراسخ من بيروت، وعلى شـاطىء البحر، تقوم مدينة بيبلوس[جبيل]، وهي أول مـــدينة في بطريركيـة أنطـاكيـة، ولهذه المدينة أسقف خاص بها، وقـد أشار حزقيال إلى هذه المدينة أثناء مـدحه لمدينة صـور حيث قال:« شيـوخ جبيل وحكماؤها كـانوا فيك قلافـوك، جميع سفن البحـــــر ومــــلاحــــوها كــــانـوا فيك ليتـــاجــــروا بتجـارتك»[حـزقيـال:٢٧/ ٩]، وصـاحب جبيـل هو من أتبـاع كـونت طرابلس، واسـم هذه المدينة في هذه الأيام جبيـل، وهي مـــدينة صغيرة جداً.

وعلى بعد أربعـة فراسخ من جبيل تقـوم البترون، وهي مدينة كـانت فيها مضى غنيـة جداً بـإنتاج خمر رائع، لم يكن في الدنيـا أجـود منه، غير أنها مدمرة الآن تماماً.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ تقوم قلعة[أنفة] راس شكا، التي معظمها تقريباً قائم في البحر، وهي من ممتلكات أمير أنطاكية، ولقد رأيت فيها اثني عشر برجاً، والموقع بالفعل حصين جداً، والخمرة في هذه البلدة هي الخمرة الأكثر شهرة في جميع هذه الأماكن.

وعلى بعد فرسخين من راس شكا، وخلفها تقوم مدينة طرابلس، وهي مدينة جميلة جداً، قائمة كلها تقريباً في البحر، مثلها في ذلك مثل صور، وهي مليئة بالناس، حيث يسكن فيها الاغريق واللاتين والأرمن، والموارنة والنساطرة، وآخرون كثر، وكثير من الأعمال تعمل فيها من الحرير، وسمعت بشكل مؤكد أن فيها نساجون للحرير، ولوبر الجمل، ولأقمشة أخرى مماثلة.

ولاشك أن المنطقة المحيطة يمكن دعوتها باسم الفردوس، بسبب وجود ما لاحدود له من الكروم الجميلة، ومغارس الزيتون، والتين، وقصب السكر، ولا أذكر أنني رأيت مثل هذا في أي مكان آخر من العالم.

وطول السهل القائم أمام المدينة فرسخ، وعرضه نصف فرسخ، ويوجد في هذه البقعة حدائق، فيها مختلف أنواع الفواكه بوفرة كبيرة، حتى قيل بأن دخل أصحابها منها كل سنة يبلغ ثلاثمائة ألف قطعة ذهبية.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ وراء هذه المدينة يقوم جبل لبنان، الذي ينبع عند سفحه«نبع الحدائق»(نهر قاديشا)، وهو نبع لمياه الحياة، وجداول من لبنان، نقرأ عنها في نشيد سليمان، ويظهر هذا النبع أنه ينبع قليلاً، لكنه يقوم فجأة بجمع قواه، فيعمل نهراً قوياً وفائق العظمة، وهويسقي جميع الحدائق والسهل بين طرابلس وبين لبنان، ويزيد من ثراء المنطقة بشكل رائع، ومياهه ممتازة، حيث أنها باردة وعذبة، ويوجد على ضفته كثيراً

من الصـــوامع، كما جـرى بناء الكثير من الكنائس، وينبـع كما قلنا من سفح الجبل، ويلتف جـزئيـاً حول جبل النمـور، ثم يسـاق بين الحدائق لسقايتها، هذا ولن نقوم بذكر الجداول الأخرى التي مثل هذا تصب في البحر، في أمـاكن مختلفة، ومـؤكد مـا جاء في سفـر إستير وقيل عن هذا النبـع«ومن نبـع صغير صنعـت فيضــــــاً عظيماً، ومــــــاء كثيراً»، [استير:١١/ ١٠].

وعلى فـــرسخين من طرابلس يقـــوم جبـل النمـور، الـذي له شكل مستـدير، وهو مـرتفع بعض الشيء، قـائم على بعـد فـرسخ واحـد من لبنان، ولقـد رأيت عند سفحـه، في الجانب الشمالي كهفـاً فيـه قبر طوله اثني عشر قدمـاً، ويزور المسلمون هذا المكان بتقـوى، ويقولون بأنه قبر يوشع، وهذا مالا أعتقد أنه صحيح، لأن العهـد القديم قال بأنه دفن في تمنه — حـارس[القضاة: ٢ /٩] إلى جـانب جبل افرايم، قـرب شكيم، والذي أميل للاعتقـاد به أن هذا هو قبر كنعان بن حـام بن نوح، أو قبر واحد من أولاده، الذي من الممكن البرهنة على أنه سكن في ذلك المكان نفسه، وذلك حسبما سنتحدث فيما بعد.

وعلى بعـد حوالي ثلاثة فـراسخ إلى الشمال من هذا الكهف تقع نهاية جبل لبنان وسلسلة جبـــال لبنان الشرقيـــة، ويرى الانســـان عند المكان الذي يلتقيان فيـه قلعة عـرقة، وهي القلعـة التي بناها عرقـة بن كنعان، وأطلق عليها اسمـه، فهذا مـا نتعرف عليه من سفـر التكوين:١٠، ومن أخبـــار الأيام الأول:١/ ١٥، وهذه الأرض الذي ينتهـي بها جبل لبنان رائعـة جـــداً وجميلة، وخصبـــة، أمـا من أجل وضـع وطول جبل لبنان فلسـوف أحدثكم عن ذلك لدى الحديـث عن قيسارية فيليب[بانيـاس] ونبع نهر الأردن.

وعلى بعد نصف فرسخ إلى الشرق من قلعة عرقة، تقوم السن، وهي بلدة بنيت من قبل سينوس بن كنعان، وهو أخو عـرقة، وكان ذلك بعد

الطوفان، وليس بعيداً عن عرقة، وذلك حسبما جاء الخبر في شروح سفر التكوين، ومهما يكن من أمر، فإن النساطرة الذين يسكنون هناك قد أخبروني، بعدما سألتهم،، بأن البلدة قد حملت اسمها من سينوكيم Synochim، ولقد حصلت على الجواب نفسه من مسلمي ذلك المكان.

ودون قلعة عرقة وبلدة سينوكيم، يوجد سهل كبير، فائق الجمال والخصوبة، ويمتد حتى الكرك[حصن الأكراد]، التي كانت فيما مضى من ممتلكات فرسان الاسبتارية، وذلك امتداداً حتى أنطرطوس التي تعرف الآن باسم طرطوس، وطول هذا السهل حوالي أحد عشر فرسخاً، وستة فراسخ عرضاً، ويحتوي هذا السهل على الكثير من القرى، والحدائق الجميلة، وأشجار الزيتون، وأشجار التين، وبقية أنواع أشجار الفواكه من مختلف الأنواع، إلى جانب الكثير من الأخشاب، فضلاً عن هذا كله، في هذا السهل وفرة من الجداول، والمراعي، ولهذا يسكن التركمان، والمدينيين Midianites ، والبدو هناك في الخيم مع زوجاتهم وأولادهم، وقطعانهم وجمالهم، ولقد رأيت هناك قطيعاً كبيراً جداً من الجمال، وأعتقد أنه كان هناك عدة آلاف من الجمال.

ويحد هذا السهل من جهة الشرق جبال مرتفعة لكن ليس كثيراً، وترتفع هذه الجبال على مقربة من عرقة، وتمتد حتى الكرك، ويسكن في هذه الجبال قوم اسمهم الباطنية جفاة، وأناس قساة يكرهون الصليبيين، والمسافة من بلدتي عرقة وسينوكيم، عبر ذلك السهل إلى طرطوس هي ثمانية فراسخ، وعرفت طرطوس بهذا الاسم لأنها تقوم في مقابل أرواد.

وأرواد هي جزيرة في أعماق البحر، وذلك على بعد نصف فرسخ عن اليابسة، وقام فيها وما يزال حتى أيامي هذه مدينة جميلة، ورد ذكرها لدى حزقيال في قوله:«بنو إرواد مع جيشك على الأسوار من حولك»[حزقيال:٢٧/ ١١]، وقد جاء في الشرح قوله:«أرواد مدينة

قائمة في البحر في مقابل طرطوس وعلى مقربة من صور»، وفي الحقيقة إن المسافة فيما بينها وبين صور سفر خمسة أيام، وأسس هذه المدينة أراديوس، وهوابن كنعان، وكان ذلك بعد الطوفان.

ولنلاحظ هنا أن حام بن نوح، قد ولد كنعان، بعد الطوفان، وولد كنعان صيدون، الذي كان أول أولاده، وكذلك حثيا،واليبوسي، والأموري، والجرجاشي، والحوي، والعرقي، والسيني، والأروادي، والصماري، والحماني[التكوين:١٠/ ١٥ — ١٨]، ومن هؤلاء انتشرت أسر الكنعانيين في الخارج، وأربعة من الأحد عشر ولداً من أولاد كنعان، وأعني بذلك: صيدون، بكره، وهو الذي بنى صيدا، وعرقة وهو الذي أسس عرقة، وسينوس وهو الذي أسس سينوكيم، وأرواد وهو الذي أسس أرواد، وكما قلنا، إن هؤلاء الأربعة قد بقيوا في تلك البلاد القائمة عند نهاية لبنان، وذلك حسبما حكي لنا، غير أن السبعة الآخرين، أي:حيثا، ويبوس، وأمور، وجرجاش، وحوي، وعرقة، وحماني، قد تركتهم يارب إسرائيل لأنفسهم، حتى يتعلموا كيف يقاتلون، هذا وأوابد وأضرحة الأولاد الأربعة الأول مرئية في هذه الأيام على بعد فرسخ واحد قبل أن يصل الانسان إلى طرطوس، وهي فائقة الثراء ولها حجم رائع، ولقد رأيت الحجارة هناك، وقمت بقياس إحدى الحجارة فوجدت طولها أربعة وعشرين قدماً وعرضها مثل ارتفاع رجل طويل، وعلى هذا إنه لأمر رائع النظر إليها، فكيف جرى رفع هذه الأحجار ومن ثم استخدامها في البناء، فهذا كله فوق فهم الناس وإدراكهم.

وإلى جانب طرطوس، وعلى بعد نصف فرسخ إلى الشرق منها، هناك بعض الجبال، غير أنها ليست عالية جداً، كما أنه ليس من الصعب الوصول إليها، وهؤلاء في البلاد التي اسمها بلاد الحشيشية، الذين سوف نأتي على وصف طقوسهم بشكل مطول أكثر فيما بعد.

وقد بشر القديس بطرس لمدة طويلة في طـرطوس، وذلك عندما كان في طريقه إلى أنطاكية، فهذا ما نقرأ عنه في رحلة القديس كليمنت.

فهنا وجـد كليمنت أمه، وهنا أيضـاً بنى القديس بطرس أول كنيسـة تشريفاً للعـذراء المباركة، وهذه الكنيسـة موجودة حتى هذا اليـوم، وقد احتفلت فيها بقداس، لأنني أقمت هناك لمدة ستة أيام.

وعلى بعـد سبعة فـراسخ من طرطوس تقـوم قلعـة المرقب، التي هي من أملاك رهبـان الاسبتارية، أي فـرسان مشفى القـديس يوحنا، وهذه القلعة مطلة على مدينة بانياس، وعلى بعد فرسخ واحد عن البحر، وهي محصنة بشكل جيد، وقـائمة فوق جبـل مرتفع جداً، وقـد نقل الآن مقر الأسقف الذي كـــان في بانيـــاس، إلى القلعـــة، وذلك بسبـب إهانات المسلمين، والأسقف هناك هو نائب لرئيس أساقفـة أفاميا، مثله في ذلك مثل أسقف عرقة.

وتشكل مدينة بـانياس، والنهر الذي يحمل الاسم نفسـه، وهو الذي يجري مجتازاً لها، حـدود مملكة القدس، وهنا، بـالوقت نفسه، تبـدأ إمارة أنطاكية، وهنا أيضاً تنتهي كونتية أنطاكية، والآن، إنه على كل حال، لقد سافـرت إلى ما وراء هذا المكان، ورأيت البـلاد، ومع هذا لم أكتب شيئاً عنها، لأنني لا أنوي أن أكتب شيئاً، إلاّ عن الأرض المقدسة.

وليكن ما قد قيل فيه كفاية عن القسم الأول.

هنا بداية القسم الثاني من الأرض المقدسة

٣ — ينطلق القسم الثـاني من عكـا نحـو الشمال، وأول مكان يصل الانسان إليـه، إذا ما انطلق من عكا باتجاه الشمال تمامـاً، هو القلعة التي كـانت تعـرف باسم قلعـة القـرين، والتي كـانت فيها مضى من أمـلاك فرسان التيوتون، وهي الآن مهدمة تماماً.

وعلى بعد أربعة فراسخ منها، وبالاتجاه نفسه تقوم قلعة تبنين، وهي مكان حصين جداً، قد بنيت من قبل صاحب طبرية، وذلك لضبط مدينة صور، عندما كانت صور بأيدي المسلمين، وهي تبعد سبعة فراسخ عن مدينة صور.

وعلى بعد أربعة فراسخ من هناك تقوم مدينة حاصور[قرب نبع الليطاني] القديمة، حيث سكن هناك الملك القوي يابين، الذي قاتل ضد يوشع وإسرائيل مع الملوك الواحد والثلاثين عند مياه ميروم، ولقد جاء في سفر يشوع:١١، بأن يوشع قد أحرق مدينة حاصور القوية بالنار، ويشهد على شهرة هذه المدينة حتى هذا اليوم خرائبها، وآثارها.

وعلى بعد حوالي الستة فراسخ إلى الشمال من هناك، توجد مدينة بانياس، وذلك عند سفح جبل لبنان، وكانت هذه، حسبما قرأنا في سفر القضاة، تعرف أولاً باسم ليش Laish ، وبما أنها كانت بعيدة عن صيدا، مسافة تقارب الأحد عشر فرسخاً، وبما أنها لم يكن لها حلفاء(كانت موجودة في الوادي المجاور لبيت راحوب) فقد استولى أولاد دان عليها، وأطلقوا عليها اسم لشم — دان[يشوع:١٩/ ٤٧]، وذلك صدوراً عن اسم أبيهم دان، وغالباً ما أطلق عليها فقط اسم دان، وذلك تماشياً مع ما جاء في التوراة قوله«يجتمع إليك كل إسرائيل من دان إلى بئر السبع»[صموئيل الثاني:١٧/ ١١]، ذلك أن هذه المدينة تشكل الحد الشمالي للأرض المقدسة، مثلما تشكل بئر السبع الحد من الجنوب، وعلى هذا نقرأ في سفر الملوك الأول:١٩/ ٣ بأن:«إيليا أتى إلى بئر السبع التي ليهوذا»، ثم نقرأ بعد هذا أنه هو نفسه:«سار في البرية مسيرة يوم»، ولا شك أن هذا يعني بجوار تلك المدينة، واسمها الآن بيت جبرين(كذا)، هذا وعندما كان فيليب طيطراخ الايطورية مع منطقة الطرخونية، رغب في أن تحمل مدينة بانياس — أو دان — اسمه، وأن يصبح اسمها قيسارية فيليب، ويطلق عليها الاغريق اسم

بانيـاس، وهذ الأسماء كلها باتت منسيـة الآن، وهي تدعى بشكل عـام باسم بلنياس.

وفـوق هذه المدينة، من على الجانبين هناك نبعـا نهري«الأر» و«دان»، وذلك عند سفح جبل لبنان، وهما يلتقيـان أمـام باب المدينة، ويشكلان نهراً واحداً، وهو نهر الأردن.

لكن لاحظ أن هذا ليس نبع الأردن الحقيقي، لأن يوسفيوس أخبرنا — وما قاله صحيح — أنه على بعد مائة وعشرين غلوة من ذلك المكان هناك نبع اسمه فياله Phiale [بركة الرام] هو ملىء بشكل دائم، ولم يفض قط، بل يجري تحت الأرض إلى ذلك المكان، وهناك يتـدفق، ومن ثم يعرف باسم دان، وقـد تبرهن هذا في كثير من الأحيان برمي قش في فياله، والعثور عليهم بعد ذلك في نبع دان، ولا يطلق المسلمون على هذا النبع اسم فيـاله بل ميدان، أي مـاء دان، كأن تقول هذه ميـاه دان، لأن معنى كلمـة«مي» في العـربيـة«مـاء»، ودان«تـل القـاضي» هو اسم النبع المتقـــــدم الـذكـــــر، ويطلـق القـــــديس متـى على هذا المكـان اسم«مجدل»[متـى:١٥/ ٣٩]، واسمـــــه عنـد القـــــديس مـــــرقص دلمانوثة[مـرقص:٨/ ١٠]، وهو ليس بعيـداً عن مـدينة[أرض] السـواد، قرب آبدة أيوب المبارك[الشيخ سعد] وذلك في منطقة الطرخونية، وهذا سوف يجري شرحه بشكل أطول فيما سيأتي.

وبعد دوران طويل من هذين النبعين، يلتقي هذان النبعـان أمام باب بانيـاس، ويشكلان نهر الأردن، ويفصل هذا النهـر فيما بين الطرخـونيـة والايطوريـة، وأخيراً يصب في بحـــر الجليل فيما بين كفـــر ناحـــوم وكورزين، على بعـد أربعة فـراسخ من مدينة قيدار، القـائمة فـوق رابية مطلة عليه.

وفي منتصف الطريق فيما بين بانيـاس وبحر الجليل، يدخل النهـر إلى

وادي، حيث يشكل بركـة في أثناء الوقـت الذي تذوب فيـه الثلوج من على جبل لبنان، وتدعى هـذه البركـة باسم ميـاه ميروم Merrom حتى هذا اليـوم، وهنا تحارب يوشع مع يابين ملك حـاصور والملوك الواحـد والثـلاثين الآخـريـن، وهزمهم وطاردهم حتـى ميـاه مسرفـوت وإلى صيدون العظيمـة، وذلك لمسافة تقـارب ثمانية فـراسخ[يشوع:١١/٨]، وتجف هذه المياه كلهـا تقريباً في أيام الصيف، والشعـراء والنباتات التي تنمو هناك كثيفـة جداً، حيث مـآوي للأسود والدببـة وأنواع الحيوانات الضارية الأخـرى، مما يجعلها مكاناً للصيـد الملكي، ويقع النصف الأول من هذا الوادي في القسم الثاني المتجـه نحو الشمال، ويقع النصف الثاني في الثلث التـالي، والجزء الثالث، الواقع خلف هذا الوادي، والممتـد على طول الضفـة الشرقيـة لنهر الأردن حتى لبنان وذلـك على جهة اليسـار، وإلى جبل حرمـون نحو الجنوب الشرقي، وإلى مـدينة بصرى إلى الشرق فوق جبل سنير، المتصل بجبل حرمون، إنه السهل المعروف باسم سهل لبنان، أو منطقة الطرخـونية، وذلك حسبما جاء في سفـر يشوع، وسبب التسمية بالطرخونية، هو أن هذه المنطقة كلها قليلة المياه الجارية، ولذلك قام سكانها بجمع مياه الأمطار داخل أقنية وصهاريج، وقاموا بعد ذلك بنقلهـا إلى مكان آخـر بوسـاطة طراخين، أو أنابيـب، وذلك من أجل سقاية أنفسهم مع حيواناتهم.

وبما أننا أشرنا إلى جبال: حرمون، ولبنان، وسنير،بات من الضروري هنا، التحـدث إليكم بشكل أطول حـولهم، لأن بذلك يمكن للمسـائل الأخرى أن تفهم، وعلى هذا، عليك أن تعرف أن الجبال التي إلى جانب بركة أرنون، والتي بين عمان ومـآب والأموريين، وكـذلك جبل جلعاد، القـائم في بلاد عوج، ملك بيسـان، وجبل سنير، وجبل حـرمون، فـوق بعل — جاد، وبحـر الجليل، وجبل لبنان أن تعرف أن كـل هذه الجبال هي جبـال متصلة، تحمل أسماء متنوعـة في أماكن متعـددة، مثلما يمكن

رؤية ذلك في أي يوم في جبال الألب، التي تفصل ألمانيا عن لومبارديا، ومهما يكن الحال، إن جبل جلعاد هو الأعلى بين هذه الجبال جميعها، ويبدو بالفعل كأنه رأسهم جميعاً، وعلى هذا أعتقد أن ما قاله إرميا(٢٢/ ٦): «جلعاد أنت لي. رأس من لبنان» هو صحيح تماماً، وجبل سنير متصل بجبل جلعاد، وهو أيضاً يعرف باسم سعير، لأن عيسو ، أو سعير، قد سكن فيه، وذلك كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد، وهو قائم فيما وراء بحر الجليل، وهو من حصة نصف سبط منشا، ويتصل في المكان نفسه بجبل حرمون، الذي يحد منطقة الطرخونية، ويمتد حتى دمشق، التي يتصل قربها بلبنان، بين بانياس ودمشق، وبالنسبة إلى لبنان نفسه، فالذي أعتقده، هو أن أعلى مكان فيه هو حيث يجتاز مدينة بانياس، وهذا المكان أعلى من أي مكان آخر في السلسلة كلها التي تدعى باسم سلسلة لبنان، والسلسلة في هذا المكان تبعد فرسخين عن مدينة صور، ومن الممكن رؤيتها بوضوح من صور، وفي الحقيقة لقد رأيتها أنا نفسي من هناك تشع منيرة في وسط الليل، وطول السلسلة رحلة سفر خمسة أيام، وقمتها طوال تلك المسافة مغطاة بالثلج، وهي تقترب أكثر فأكثر من شاطىء البحر، وهكذا حتى نجدها عند السفح، أي فوق بانياس، تبعد اثني عشر فرسخاً عن البحر، وتبعد عند النهاية، أي قرب عرقة ثلاثة فراسخ عن البحر، والذين يسافرون بحراً من صور إلى طرطوس يرونها طوال الطريق، ودونها تقترب سلسلة لبنان الشرقية من البحر أكثر من أي مكان آخر، وهناك وديان خصبة في كل من لبنان وسلسلة لبنان الشرقية، كلها تفلح بشكل جيد، وهناك وفرة من المروج، والكروم، والحدائق والبساتين، وهناك— بكلمة موجزة— جميع الأشياء الجيدة في العالم، ويقطن فيهما كثير من الاقوام، كما قلنا من قبل، من أمثال: الموارنة والارمن، والاغريق، والنساطرة، واليعاقبة، والجورجيين، الذين هم جميعاً مسيحيين، وهم حسبما يقولون خاضعون جميعاً لكنيسة روما.

هنا بداية القسم الثالث من الأرض المقدسة

٤— يمتد القسم الثالث من عكا إلى الجنوب الشرقي، وعلى ثلاثة فراسخ على هذا الامتداد تقع قلعة جدّين [شرقي عكا]، وهي قائمة على جبل شارون، وكانت هذه القلعة فيما مضى من أملاك طائفة التيوتون، غير أنها مهدمة الآن.

وبعد مسافة ثلاثة فراسخ تقوم قلعة الملك (معليا) في وادٍ، وكانت أيضاً فيما مضى ملكاً للطائفة نفسها، وفيها وفرة من جميع الأشياء الجيدة، وفواكه من أنواع موجودة في تلك المنطقة ونادرة الوجود في مناطق أخرى، وهي الآن بأيدي المسلمين.

وعلى بعد أربعة فراسخ باتجاه مياه ميروم هناك وادي صعننيم، حيث نصب حابر القيني خيمته، وذلك ليس بعيداً عن مدينة حاصور، وكانت زوجته التي اسمها ياعيل هي التي قتلت سيسرا، قائد جيش ملك حاصور، بغرس وتد الخيمة في صدغه، وذلك حسبما نقرأ في سفر القضاة [٤/ ١١—٢٤].

وعلى مسافة فرسخين يقع وادي كابول [جنوب شرقي عكا] الذي يدعوه المسلمون باسم زابول، وأطلق على المنطقة اسم كابول، لإظهار عدم السرور، وذلك حسبما نقرأ في الإصحاح الثالث من سفر الملوك [الأول: ١٢—١٣]

وعلى مسافة فرسخين من هذا المكان تقوم قلعة صفد وكذلك مدينة صفد، وقلعة صفد —بتصوري— هي الأجمل والأكثر حصانة بين جميع القلاع التي رأيتها قط، ذلك أنها قائمة فوق صخرة عالية جداً، وكانت بالعادة ملكاً لفرسان الداوية، غير أنها سقطت بشكل خياني مخجل، فيه إيذاء وألم لجميع الصليبيين، لأنها مادامت بأيدي السلطان، فهو المسيطر على جميع الجليل، أي على جميع ديار أسباط: زبلون، ونفتالي، وآشر،

ويساكر، ومنشّا وجميع البلاد حتى عكا، وصور، وصيدا.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الشمال من صفد، وليس بعيداً عن سهل صعننيم تقوم قادش نفتالي، التي جاء منها باراق بن أبينوعم، الذي قاتل ضد سيسرا على جبل الطور، وكانت هذه مدينة ملجأ في ديار سبط نفتالي، وكانت مليئة بجميع الأشياء الجيدة، ويرى في هذا المكان حتى اليوم خرائب واسعة، وأضرحة فائقة الجمال.

ويوجد على بعد فرسخين وراء قلعة صفد، حيث ينزل الانسان من الجبل باتجاه الشرق، وعلى بعد رمية حجر من بحر الجليل، وفوق الطريق الذي يقود نحو الشرق، يوجد درب فوق ذلك الجيل، غالبا ما صعد يسوع المسيح عليه، إلى حيث— كما حدثنا القديس متى— كان يعظ ويقيم القداسات، وهناك أشبع خمسة آلاف انسان من خمسة أرغفة وسمكتين، وإلى هناك اعتاد الصعود والصلاة، بعد ما كان يبعد عنه الحشود، وإلى هناك هرب عندما أرادوا جعله ملكاً، وهنا علم حوارييه الصلاة، وهنا أمضى الليل في الصلاة، وحدث عندما كان نازلاً من هذا المكان، أن قام قائد المائة بالتوسل إليه لمساعدة خادمة المشلول، وإليه إلى هناك جاء حشد كبير من المرضى، ومن الذين تلبستهم الشياطين، وهنا لمس المجذوم فشفاه، وهناك وقف وسط الحقل مع حوارييه، ويمكن للانسان أن يرى من هذا الجبل بحر الجليل، والايطورية، ومنطقة الطرخونية بعيداً حتى لبنان، وأن يرى كذلك سنير، وحرمون، وبلاد زبلون، ونفتالي، حتى قيدار وجميع منطقة جنسارث حتى دوثان وبيت أوليا، وأماكن أخرى كثيرة، وطول هذا الجبل حوالي رميتي سهم، ورمية حجر أو أكثر عرضه، وهو معشوشب وجميل، وموائم لأعمال الوعظ والتبشير، ومشاهد هناك حتى هذا اليوم، الصخرة التي جلس عليها يسوع المسيح، عندما قام بالوعظ، وأيضاً الأماكن التي جلس فيها الحواريون، (واسم هذا المكان لدى المسيحيين: المائدة).

وعند سفح هذا الجبل، على مقــربة من البحـر، أي على بعـد حـوالي الثلاثين خطوة، هناك نبع لماء الحيـاة، مسيج بجدار، ويطلقون على النبع اسم عرق النيل (عين التبغه)، لأن سمك الـ Coracinus يتكاثر فيها، وهذا السمك ليس مـوجـوداً في مكـان آخـر، واسم هـذا النبع عند يوسفيـوس «كفـرناحـوم»، لأن السهل كلـه الواقع بين ذلك النبع ونهر الأردن» أي على مسافة قدرها فرسخين، يدعى كفرناحوم.

وعلى بعد حوالي العشرين خطوة من ذلـك النبع، وعلى شاطىء بحر الجليل، يوجد الموضع الذي وقف يسوع عليه على الشاطىء، بعد قيامه، وقال لسبعـة من حوارييه كـانوا يصطادون السمك هناك: «أيها الاولاد هل لديكم أي شيء نأكله»؟، وعنـدمـا كنت في هذا المكان في يوم عيـد القـديس أوغسطين [٢٨— آب]، رأيت ثلاث طبعـات لخطوات الرب يسوع قـد طبعت على صخرة، لكن عندمـا عدت إلى هناك ثانيـة في يوم عيد البشارة، وجدت أن المسلمين قد أخذوا الصخرة.

وعلى بعد عشر خطوات من هناك، يوجد الموضع، الذي عندما خرج الحواريون من السفينة، رأوا فيـه نار فحم، وسمكة مـوضـوعة فـوقهـا، وخبزاً، (ويدعى هذا المكان من قبل المسيحيين باسم المائدة).

وعلى بعد مسافة فرسخ واحد نحو الشرق من هذا المكان، توجد كفر ناحوم، التي كانت فيما مضى مدينة جليلة، غير أنها متواضعة جداً الآن، ليس فيهـا سـوى سبعة بيـوت لصيـادي سمك فقـراء، وبشأنها تحققت كلمة الرب يسوع المسيح في قوله: «وأنت ياكفرناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية». [متى ١١/ ٢٣].

وعلى بعـد فـرسخين من ذلك المكـان يدخل نهر الاردن إلى بحـر الجليل، وعلى الشـــاطىء الأقصـى منه، مـن الممكن حتـى الآن رؤية خرائب مـدينة كورزين، وذلك على شـاطىء بحر الجليل. وعلى مسـافة

فرسخ واحد وراء ذلك المكان، أي كـورزين، يبدأ صعود جبل سنير— المعروف أيضاً باسم سعير— والمدخل إلى الايطورية.

وبعـد هذا بمسـافة ثلاثـة فراسخ، تقـوم قيـدار، وهي مـدينة جليلة، بنيت في موقع حصين، على الطرف الشرقي لجبل سنير، ويمر من خلال هذه المدينة، الطريق الذي— كما تقـدم القـول— يسـاير شـاطىء بحـر الجليل، ويجري نحـو الغـرب، وذلك حسبما جـاءت الرواية في توبت: ١/١، واسم الطريق في اشعيـا: «طريق البحـر» [اشعيـا: ٩/١]، لانه يسير على طول شـاطىء البحـر، وأضاف اشعيـا بقـوله: «عبر الاردن» لأنه يقود إلى مـاوراء الاردن إلى المنطقة التي تدعى آرام، وتـدعى أيضاً بـاسم «جليـل الأمـم» لأنه عنـد ذلك المكـان، الجليـل محدود من قبـل الأردن.

وإنه على بعد أربعـة فراسخ من هذا المكان، الموضع الـذي يصب فيه الأردن في بحـر الجليل ويجري حتى قادش نفتـالي، وفي منتصف الطريق بينهما يوجد نصف آخر من مياه ميروم، المتقدمة الذكر، ويمر نهر الأردن خـلال وسط وادي ميـاه ميروم، وعنـدمـا يخرج من هناك يعطف مجراه أولاً باتجاه الشرق، ثم باتجاه الجنوب، وهكذا يصب في بحر الجليل.

وعلى بعـد أربعـة فـراسخ إلى الشمال من مصب نهر الأردن، ومـدينة كورزين، تقوم مدينة السواد، التي جاء منها بلداد، الوارد ذكره في أيوب باسم السـوادي، وعلى مقربة منهـا، وعلى الجهـة الشرقية يوجـد ضريح أيوب.

وعلى السهول القريبـة من هذه المدينة، وذلك على الجانب المتجه نحو مـدينة قيـدار، اعتـاد المسلمـون من بلاد آرام، والجزريون، وأهل حماه، وسورية، ومآب، وعمان، وجميع أجزاء بلاد الشرق، اعتادوا على التجمع هناك حول نبع فياله، المتقدم الذكر، وكـانوا يعقدون سوقاً يستمر طوال

أيام الصيف وذلك بسبب جمال المكان ولطافته، وينصبون الخيام ذوات الألوان المتنوعة، التي تقدم مشهداً جميلاً جداً لأهل قيدار لدى النظر إليه من فوق الرابية، وهذه الخيم هي التي ورد ذكرها في نشيد انشاد سليمان [١/ ٥] تحت اسم «خيام قيدار».

وعلى بعد أربعة فراسخ الى الشرق من مدينة كورزين تقوم مدينة قيدار، فوق رابية مرتفعة، ويطلق يوسفيوس عليها اسم جمالا (الحصن)، لأن الجبل الذي تقوم عليه شكله يشبه شكل الجمل، مع تلعة في الوسط تشبه سنامه، وهي تنتهي بانخفاض يشبه شكل ذيله.

واعرف هاهنا— كما سلف بنا القول— أن المنطقة الموجودة قرب الأردن، وعلى الضفة الشرقية منه، والممتدة حتى جبل حرمون وبصرى، تعرف باسم منطقة الطرخونية، أو باسم «سهل لبنان» ويعرف الجانب الغربي من ضفة نهر الاردن باسم جليل الأمم، أو باسم الايطورية، أو كابول، أو «المدن العشرة»، ويمر «طريق البحر» في الوسط هناك، أي الطريق المنطلق من عكا والمار خلال وادي ديار سبط آشر، وهو الذي يعرف الآن باسم وادي القديس جرجس [الخضر في البعنة]، والممتد إلى جبال منطقة الطرخونية، التي عبرها تقوم بلاد آرام، وبناء على هذا جاء في الشرح على قوله: «كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب» (أيوب: ١/ ١): الخبر التالي: «ولد آرام— أبو السوريين، الذي اسس مدينة دمشق— عوص، الذي أسس منطقة الطرخونية، وهو الذي حكم فيما بين سورية المجوفة وفلسطين، وهي التي حملت اسمه فعرفت باسم بلاد عوص، وبناء عليه نقول فلان سكن في بلاد عوص، أو هو عوصي البلاد.

وحُكمت هذه المنطقة من قبل الطيطراخ فيليب، ومثلها أيضاً الايطورية، القائمة على هذا الجانب من بلاد الاردن، باتجاه الغرب، والممتدة حتى جبال الصيداويين، والسريان، وأهل عكا، وهي التي

تفصلهــا عن فينيقيــة، فكلتــاهما في هذا الثلث وفي النصف المتقــدم، ويحدها من الشمال لبنـان ومن الشرق نهر الاردن، ومن الجنوب بحـــر الجليل، ومن الغرب جبال فينيقية.

هنا بداية القسم الرابع

٥— يبدأ القسم الرابع من عكا، ويمضي نحو الشرق تماماً، ويمر من قرب قلعـة صفد، ويدعها قـائمة على يساره، ومن هناك يسـاير شاطىء بحر الجليل، حيث يمر من أمام مدينة كفر ناحوم، من قبل المكان الذي دعـا فيـه الرب متى من مـوضع استـلام العشـور، ومن الممكن في هذه الأيام رؤية بيت متى، والمكان الذي اعتاد على الجلوس فيه، على الطريق السلطاني، ثم إن الطريق يمضي صـاعـداً جبـال حـرمـون، على الطرف الأقصى من الأردن.

ويوجد في هذا القسم المدن التالية:

والمكان الأول، ويبعد مسـافة خمسـة فراسخ عن عكا، هو عبـارة عن قـرية اسمها القـديس جـرجس (البعنه)، حيث من المعتقد أن القـديس جـرجس قد ولد في هذا المكان، وتقـوم هذه القرية في واد واسع جـداً، وخصب، وجميل بين التـلال والروابي، ويمتـد هـذا الوادي الممتع حتى يصل إلى بحر الجليل، وكان بالعادة تـابعاً لسبط آشر، ويمتد حتى صفد بطول يبلغ حوالي العشرة فراسخ، وما جاء حوله في سفر التكوين: ٤٩، هو صحيح تمـاماً، وذلك بسبب جماله، وذلك قـوله: «آشر خبـزه سمين وهو يعطي لذات ملـوك» (٢٠)، وهذا القـول صحيح تمامـا فيما يتعلق بحصة هذا السبط.

وعلى بعد مسـافة أربعة فـراسخ من هناك، وباتجاه الجنوب، لكن مع بعض الميل نحـو الشرق هناك قـرية نعسون (حـاصـور) العائـدة لسبط

نفتاني في واد، وقد قرأنا عن هذا المكان في سفر توبيت.

وعلى بعد مسافة ثلاثة فراسخ من هناك باتجاه الجنوب، تقوم دوثان، حيث وجد يوسف إخوته، ودوثان قائمة عند سفح جبل بيت أوليا، وعلى بعد فرسخ منه، وهي بلدة فائقة الجمال، مليئة بالكروم، والزيتون، والتين، والمراعي الخصبة.

ومابرح يرى في هذا المكان، في الحقل الجب الذي وضع فيه يوسف من قبل إخوته، ولقد رأيته هناك إلى جانب الطريق الذي يمضي من جلعاد، ويتصل في بيت صيدا بالطريق الذي يذهب من سورية الى مصر، ويصعد هذا الطريق من دوثان الى مقربة جبل بيت أوليا، ثم يعبر مرج ابن عامر، ويمر بجبل الطور على جهة اليسار، وذلك عبر سهل مجيدو، ثم يمضي صعوداً لجبل إفرايم، ويدخل الرملة، ومن هناك إلى غزة فمصر، وعبر هذا الطريق جاء الاسماعيليون الذين اشتروا يوسف.

ونقرأ في سفر الملوك الثاني حول بلدة دوثان هذه، بأن السوريين التفوا حول اليشع هناك، وقادهم هو من هناك الى وسط السامرة، الواقعة على قرابة سفر يوم واحد. واعلم أن دوثان ليس فقط اسم البلدة، بل تحمل المنطقة الاسم نفسه صدوراً عن اسم البلدة، وهذه المنطقة كانت منذ القديم تابعة لهذه البلدة، وهي منطقة منبسطة، مسيجة من كل جانب بهضاب منخفضة، وهي مروية بينابيع، ولذلك فيها مراعي جيدة، صالحة لإطعام المواشي.

وعلى بعد فرسخين إلى الشرق من نعسون، وعلى مسافة حوالي الثلاثة فراسخ إلى الشرق من دوثان، توجد مدينة نفتالي(قدس)، التي جاء منها طوبياس، وهي قائمة في مكان حصين، لأنه يوجد على جانبها الغربي جبل فائق الارتفاع، لايمكن لإنسان أن يتسلقه، ويمكن فقط تسلق قطعة صغيرة منه على الجهة الشرقية، وأعتقد أن هذه المدينة كانت

تعرف باسم جتباتا Jotapata ،(جفات جنوب غربي صفد) في أيام استئصال اليهود، وذلك وفقاً ليوسفيوس، ففيها جرى حصار يوسفيوس نفسه من قبل الرومان، ووقع بأيديهم أسيراً، حسبما أخبرنا هو نفسه، واسمها في هذه الأيام سيريم Syrim(ميرون؟)، وهي على بعد أكثر من فرسخ بقليل عن صفد.

وعلى بعد فرسخين من نفتالي، عند زاوية بحر الجليل، حيث يبدأ بالانعطاف من الشمال نحو الجنوب، تمتد بيت صيدا(قرب المينة عند شيخ سياد) التي هي مدينة أندرو، وبطرس، وفيليب، ولا يتجاوز حجمها في هذه الأيام سبعة بيوت، وتقوم على طرف الطريق من سورية إلى مصر، وكان لديها في العصور القديمة مجرى ماء من النهر، دعاه يوسفيوس باسم الأردن الصغير، وهو يصب في بحر الجليل في منتصف الطريق بينها وبين كفرناحوم، وآثار هذا المجرى يمكن رؤيتها حتى في هذا اليوم.

وعلى بعد مسافة فرسخين نحو الجنوب تقوم المجدل التي هي قلعة مريم المجدلية، التي رأيت بيتها ما يزال قائماً هناك، وقد ولجت إلى داخله، وتقوم المجدل على شاطىء البحر، وذلك على بعد حوالي ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من بيت أوليا، ويوجد على جانبيها الغربي والشمالي سهل معشوشب كبير.

واعرف أن هذا القسم الرابع ليس فيه المزيد من البلدات على هذا الطرف من بحر الجليل، غير أنه يوجد على الشاطىء الآخر كثيراً من المدن والقلاع، العائدة لهذا القسم، وذلك في بلاد الجرسانيين الموجودة في مقابل هذا مباشرة.

ففي هذا المكان هناك كثير من المدن، منها على سبيل المثال: جرسه، وجدر، وفحل، والسواد مدينة بلداد السوادي، وتمان التي جاء منها

علفاز التياني، وعدد كبير آخر.

وتقوم الآن بلدة جرسة(خرسة) على شاطىء بحر الجليل، عند سفح جبل سعير، تقريباً في مقابل طبرية، لكن نحو الشمال قليلاً منها، وكانت هذه بالعادة من أملاك نصف سبط منشا، الذي جاءت حصته عبر الأردن.

واعرف بأن هذه البلاد الواقعة عبر بحر الجليل كثيرة الجبال، وذلك كما بدا لي، لكنني لم أكن فيها قط، وقد كانت جزءاً من مملكة باشان، ويعرف شطر منها باسم جبل سعير، لأن عيسو قد سكن هناك، وذلك كما سأخبركم بعد قليل، وعرفت في مكان آخر باسم جبل سنير،لأنه كان هناك، وعرفت أيضاً باسم جبل حرمون، لأنه كان هناك أيضاً، وهكذا عرفت أماكن متعددة وجبال في هذه البلاد بأسماء مختلفة، ومع أن الجميع هو عائد لنصف سبط منشا، لكن نصف سبط منشا لم يتملكها قط، لأن أبناء عيسو سكنوا في هذه الأجزاء، ومازالوا يسكنون حتى هذا اليوم، وهم يعرفون بشكل عام باسم المسلمين، لأنهم لا يختلفون عنهم لا باللغة أو العادات، إلاّ — ربما — في الطريقة التي ينظمون بها شعورهم، وكذلك بالألبسة التي يرتدونها.

لكن مع هذا عليك أن تعرف أن هناك جبل سعير آخر، أو أدوم، وذلك في مقابل قفار البحر الأحمر، حيث نقرأ في سفر التكوين:١٤، كيف هزم كدرلعومر والملوك الآخرون الذين كانوا معه الحوريين في جبل سعير، فوقتها لم يكن هذا الجبل يعرف باسم جبل سعير، لأن عيسو الذي كان يدعى باسم سعير، ومن اسمه نال الجبل اسمه، لم يكن قد ولد بعد، وعلى هذا علينا أن نعتقد بأنه دعي بهذا الاسم مقدماً من قبل، وهكذا نقرأ في سفر التثنية:٢(٤):«أنتم مارون بتخم لإخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم، فاحترزوا جداً» وقد قيل هذا أولاً لبني إسرائيل، عندما قاموا خارجين من مصر، وذلك عندما كانوا

في قادش بارينا(القفار)، وكانوا على وشك القدوم إلى جبل سعير، الذي هو قريب من قادش بارينا، المكان الذي كانوا فيه آنذاك، لكن من المؤكد أن بني إسرائيل لم يأتوا قط إلى تخوم جبل سعير هذا، القائم عبر بحر الجليل، لأن بحر الجليل هذا متصل بدمشق، إلى حيث لم يصلوا مطلقاً.

وجبل سعير الآخر، الذي قرأنا عنه أنه متصل ببريه فاران، هو الجبل الذي تجول حوله بنو إسرائيل لأيام كثيرة، لأن الرب حرم عليهم الدخول إلى هناك، ونقرأ عن جبل سعير هذا في سفر التثنية:٢(١٢):«وفي سعير سكنوا قبلاً».

وفي جبل سعير هذا الذي هو قريب من بحر الجليل، ومن جبل جلعاد، كان يسكن عيسو في الوقت الذي عاد فيه يعقوب من بلاد الرافدين إلى سورية، فنحن نقرأ في سفر التكوين:٣٦، بأن عيسو الذي كان بلا شك ساكناً مع أبيه في بير السبع، أخذ كل ما امتلكه، وذهب للسكنى في منطقة أخرى، وهذا مما لا شك فيه، وقد فصل نفسه عن أخاه، ولقد التقى بيعقوب، لدى عودته من بلاد الرافدين عند مخاضة جدول يبوق، المتصل بتلك البلاد باتجاه الجنوب، ونقرأ في سفر التكوين:٣٢/ ٣١،أنه:«عندما عبر يعقوب فنيئيل أشرقت له الشمس»،ونقرأ أيضاً بعد:«ورفع يعقوب عينه ونظر وإذا عيسو مقبل»[٣٣/ ١]الخ، وهذا المكان الذي اسمه فنيئيل مرئي حتى هذا اليوم، ومعروف بالاسم نفسه، ليس بعيداً عن سكوت، في المنطقة الشرقية عبر الأردن، فإلى هناك — كما قرأنا — جاء يعقوب فيما بعد مباشرة، وهذا المكان نفسه موجود عند سفح جبل سعير المتصل ببحر الجليل، وأما بالنسبة لجبل سعير، الذي سكن فيه الحوريون قديماً، والذي فيه يسكن أبناء عيسو الآن، هو بعيد سفر عدة أيام عن هذا المكان، ولم يكن بإمكان عيسو القدوم بشكل مفاجىء لرؤية أخاه، لأنه

بعيد جـداً، وواقع وراء البحر الميت، وعلى مسـافة سفـر خمسة أيام منه، ومرد وجـود هذه الأسباط المختلفـة من أبناء عيسو، والأمـاكن المختلفة التي سكنوا فيها، مـرد هذا الأمر كما أعتقد، وسببـه هو أن عيسو امتلك عــدة زوجــات، وعلى هذا سكـن الأولاد الذين أنجبهم مـن محلة ابنه إسماعيل وأخت نبايوت[تكويـن:٢٨/ ٩] في جبل سعير الذي هو قريب من برية فاران، وذلك في المنطقة نفسها التي سكن فيها ختنه، الذي نقرأ عنه في سفر التكوين:٢١، بأنه صـار رامياً، وسكن في برية فاران، فهناك — جـاءنا الخبر — بأنه سكن مع ذريتـه، هذا وتزوج عيسـو زوجـات أخـرى إلى جانـب زوجاته الأول، كـان من بينهن:أهو ليبـامـة ابنة عني بنت صبعون الحوي، وكـان هذا الحوي ابن كنعان، ومما لا شـك فيه أنه سكن في منطقـة بيسـان في الجليل، على مقربة من جبـال جلبـوع، ليس بعيـداً عن بحــر الجليل، وعلى مقـربة من هذا المكان نفســه هناك جبل سعير آخر، سكن فيه عيسو، في الوقت الذي كان يعقوب راجعاً فيه من بلاد الرافـدين، وعلى هذا كان من السهـل جداً عليـه لقاء أخيـه هناك، وذلك حسبما يشير النص، لأننا نقرأ في سفر التكوين:٣٢،أنه بعدما ترك لابان، أخـذ طريقـه وقـابل مـلائكـة الرب، وقـال:«هذا جيش الرب»، وأطلق على ذلك المكان اسم محنايم، أي«المحلة»،(هذا المكان مـوجود في هذا اليوم عند سفح جبل جلعـاد، في ديار سبط جاد)، ومن هناك بعث برسل إلى أخيه، وقـد عادوا إليه إلى هناك، وبناء عليه — كما قـرأنا بعد — عزل جـانباً بعضاً من قطعـانه هدية إلى أخيه عيسـو، وقد بعث بهذه الهدية مع رسله، وهكذا قـرأنا:«فاجتازت الهدية قـدامه. وأمـا هو فبات تلك الليلة في المحلة.(أي في محنايم) ثم قـام في تلك الليلة وعبر مخاضـة يبـوق،(التي مـا تـزال مـرئيــة هناك) وصـارعــه إنســان حتى طلوع الفجر»إلخ، ونتـابع القراءة بأن«يعقوب دعـا ذلك المكان باسم فنيئيل»، ومـا يزال هذا المكان قـائماً حتى هذا اليـوم على ضفتي مخاضـة جـدول يبـوق، أيضــاً في ديار سبط جـاد،«وأشرقـت له الشمس إذ عبر فنيئيل»

وبعد هذا«رفع يعقوب عينيه ونظر وإذا عيسو مقبل»الخ، وعلى هذا إننا نعـرف الأمـاكن التي جـاء عيسو إليـه بها، وكلهـا على مقـربة من جبل سعير، القائم وراء بحر الجليل.

وهناك أيضـاً جبـل سعير ثالث في مندلقـة أشـدود وعسقـلان، التي وقعت حصـة لسبط يهوذا وقت اقتسـام البـلاد، لكن مـا هو السبب في تسميتـه كذلك، إنني لا أتذكـر أنني قرأت حـول ذلك، غير أن السكان هناك يدعـون باسم:آدوميين، مثلما دعي أبناء عيسـو الآخـرين باسم الأدوميين اشتقـاقاً من اسم أدوم، ولهذا السبب أطلق على أنتيبـاتر وابنه هيرود العسقلاني اسم الأدوميين.

ويكفي ما قيل عن هذا الموضوع.

ويوجـد هذا الجبل في حصـة جاد في جبل جلعـاد، في مقـابل المكان الذي يخرج فيـه نهر الأردن متـدفقاً من بحـر الجليل، وذلك ليس بعيـداً عن جبل جلبـوع، على مقـربة من مـدينـة بيسـان، ومن هناك نزولاً من الضفـة الشرقيـة للأردن، توجـد ديار سبطين ونصف سبط، وهي تمتـد نزولاً حتى مـراعي أرض مُـآب عند سفح جبـل عبريم في شطيم في مقـابل أريحا، وإذا ما تابعنـا السير نحو الجنوب على طول ضفـة الأردن نفسها في بلاد مآب، نصل حتى البتراء في القفار، التي تعرف الآن باسم الكرك، ويأتي بعد هذا جزء من بلاد عمون، وذلك مسايرة لجميع طول البحـر الميت، مع الاحاطة بنهـايتـه الجنوبية، وصـولا حتى جبل سعير، المتصل ببرية فـاران، قـرب قـادش بارينا، حيث هناك على الطرف قفـار سيناء والبحر الأحمر.

هنا بداية القسم الثاني من الربع الشرقي

٦ — في القسم الثـاني مـن الربع الشرقي الذي يبـدأ مـن عكا نحـو الجنوب الشرقي، عندمـا يقطع الانسـان أربعـة فـراسخ يصل إلى قـانا

الجليل، حيث حوّل الرب الماء إلى نبيذ، وهذا المكان مرئي حتى هذا اليوم، حيث تقوم أجران الماء الستة، وغرفة الطعام حيث كانت المواد فيها.

هذا وإن جميع هذه الأماكن، مثلها في ذلك مثل جميع الأماكن الأخرى التي صنع فيها الرب أي عمل، هي موجودة تحت الأرض، ويمضي الانسان إليها بوساطة عدد كبير من الدرجات حيث يفضي إلى قبو، وهذا هو الوضع في موضع البشارة، والمهد، وفي قانا الجليل هذه، وفي أماكن أخرى كثيرة،كلها مشاهدة تحت الأرض، والسبب الوحيد الذي يمكنني أن أجده لهذا، مرده إلى التدمير المتتابع للكنائس التي بنيت فوق هذه المواضع، فقد سترت الخرائب بالأتربة التي تراكمت فوقها، وبعدما جرت تسوية الخرائب بلا عناية، تمت إقامة أبنية جديدة فوقها، وبناء عليه بات على المسيحيين الذين تشوقوا لزيارة هذه الأماكن، ورغبوا بالوصول إلى البقعة نفسها التي شهدت وقوع الحدث، أن يقوموا بأعمال تنظيف الأماكن هذه، وإقامة سلالم تقود نزولاً إليها، ولهذا السبب بدت غالبية هذه الأماكن على شكل أقبية، وإلى الشمال من قانا الجليل هناك جبل مرتفع وطويل، وعلى سفوح هذا الجبل تقوم هذه البلدة، وفي أسفل الجبل، يوجد على الجانب الجنوبي سهل جميل جداً، أطلق عليه يوسفيوس اسم سهل الكرمل(وادي الملك)، وهو يمتد بعيداً حتى الصفورية، وهو فائق الخصوبة والجمال.

وعلى بعد حوالي الفرسخين إلى الجنوب من قانا الجليل، وذلك على الطريق من الصفورية إلى طبرية، هناك قرية اسمها رومه(شمال المشهد) فيها يقال جرى دفن النبي يونه، وتقف هذه القرية تحت الجبل المقبل من الناصرة، ويحدها الوادي المتقدم ذكره، أي وادي الكرمل من الجانب الجنوبي.

وعلى بعد حوالي الفرسخ إلى الشرق من رومه هناك قرية واسعة،

يبدو أنها دعيت فيما مضى آبل — محولة، حيث نقرأ في سفر يودث بأن هولوفرنس قد قدم إليها عندما كان متوجهاً إلى بيت أوليا، ولابد أنه فعل ذلك، فبسبب وعورة تلك الأماكن لم يكن متوفراً طريق آخر هناك، ومن المعتقد أن هذه القرية قد كانت موضع مسقط رأس النبي إيليا، وذلك حسبما نقرأ في سفر الملوك الأول، وهي قائمة في المنطقة التي كان اسمها دوثان، وذلك على بعد نصف فرسخ إلى الغرب من تلك القرية، ويوجد فيها عدد كبير من الأعمدة الرخامية، وخرائب كثيرة، وكلها يدلل على أنها كانت فيما مضى مدينة رائعة، وهي قائمة فوق مكان مرتفع وحصين.

وعلى بعد فرسخ واحد من آبل — محولة يقوم جبل بيت أوليا، حيث قتلت يودث هولوفرنس، ومن الممكن رؤية هذا الجبل من خلال الجليل كله تقريباً، وهو جبل فائق الجمال وحصين، ومازال عليه هناك كثيراً من البيوت وكثيراً من الخرائب، وعند نهاية هذا الجبل هناك قرية قد بنيت لحماية الجبل،وهناك آثار معسكر هولوفرنس موجودة حتى هذا اليوم في حقل قرب دوثان، وهناك أيضاً الوادي الذي غسلت فيه يودث نفسها، وهو الذي عبرته في طريق عودتها إلى بيت أوليا، وقد تفحصت هذا كله بقدر ما أمكنني من دقة، لأنني أمضيت في دوثان ليلة واحدة.

وعلى بعد فرسخين طويلين إلى الجنوب الشرقي من بيت أوليا، وذلك على شاطىء بحر الجليل، هناك مدينة طبرية الجليل الرائعة،التي من اسمها عرفت البحيرة وأطلق عليها اسمها أحياناً، وكانت هذه المدينة تعرف في العصور القديمة باسم جنسارث، ولهذا السبب ومن اسمها أطلق على هذا البحر اسم بحر جنسارث، لكنها مع الأيام، استولى عليها هيرود، طيطراخ الجليل، وأطلق عليها اسم طبرية تشريفاً للقيصر طايبيروس، وهي مدينة طويلة جداً، وقائمة فوق طرف طويل

من شاطىء البحـر، وعند نهايتها الجنوبية هناك حمامات طبيـة، وخرائب كثيرة، وتنمو هناك أشجار نخل عظيمـة، وكروم عنب، وبساتين زيتون، والتربة هناك خصبة جداً.

واعلم أن المنطقـة التي تعـرف باسم منطقـة المدن العشرة تنتهي عند مـدينة طبرية هذه، وقــد كتب اللورد جيمس دي فيتري، الذي كـــان بطريرك القــدس، ونائب كــرسي رومـا، في كتــابه الذي كتبـه حــول الاستيـلاء على هذه المنطقة يقـول مايلي:«إن حـدود أونهايات بلاد المدن العشرة موجودة على البحـر في الشرق، وصيدا الكبرى في الغرب، وبناء عليـه كان هذا هو عـرضهـا، أما طولها فيمتـد من مـدينة طبرية، وجميع الشاطىء الشمالي لبحـر الجليل حتى دمشق، وعرفت باسم المدن العشرة صدوراً عن المدن الرئيسية الموجودة هناك، وهي:طبرية،وصفد،وقادش، ونفتـالي، وحـاصـورة، وقيسـارية فيليب، وكفـر نـاحـوم(التي يدعـوها يوسفيـوس باسم جوليـا) ولوتاباتا، وبيت صيـدا، وكورزين، وبيسـان، التي كان اسمهـا أيضاً سكيزوبولس، هذا وهناك مـدن أخرى كثيرة إلى جانب هذه المدن.

ولنلاحظ على كل حال، أن هذه البلاد قـد عرفت بأسماء مختلفة حتى هذا اليـوم، وكما تقـدم القول عـرفت أحيـاناً باسم الايطورية، وأحيـاناً أخـرى باسم بلاد الراحوب، وأحيـاناً باسم كـابول، وهي كلها واحـد، والمنطقة نفسهـا، ومع أنها دعيت بأسماء عديدة ومتنوعـة، هي لاتتجاوز رحلة سفــر يوم واحـد في الطول، أو في العــرض، كما أنني لاأظن أنها طويلة كثيراً في عـرضهـا، لكن فيها وراء بلاد صيـدا، والجبـال التي بيننا وبين المسلمين الذين يعرفون باسم البقاعية، وأيضاً الذين يسكنون حول ممر الكلب، تقوم الايطورية الأصيلة، وذلك في واد اسمـه وادي البقاع، وبسبب طوله، نجـده يمتد حتى سفح جبـل لبنان، ويعرف باسم غـابة لبنان.

وفي عـودة مـن طبرية، وعلى مسـافـة سـتـة فـراسخ نحـو الغـرب، وفرسخين إلى جنوب قانا الجليل توجد صفورية، وهي بلدة جميلة جداً مع قلعة مـوجودة فـوقها، ويقال بأن يواكيم، والد العـذراء المباركـة قد ولد هناك، وهي قائمة في ديار سبط آشر، على مقربة من وادي الكرمل.

وعلى مسـافة فـرسخين إلى الجنوب من الصفـورية، أو بالحري باتجاه الشرق، توجد الناصرة، التي هي المدينة المباركة للجليل، حيث كان فيها فـرع من أبناء يسي، فبعدمـا تلقت التحية من الروح القـدس، حملت في رحمهـا المبارك يسـوعـاً المسيح، وتبعد الناصرة سبعـة فـراسخ عن عكا، وفيهـا مـايزال مـوجـوداً المكان حيث جلب الملاك جبرائيل بشـارة الخلاص إلى العـذراء المباركـة قائـلاً:«حييت أيتها المليئة بالنعمـة، الرب معك، بوركـت أنت من بين النسـاء»، وقـد رتّلتُ هناك عـدداً من القـداسـات، وكـان بعضهـا حتى في اليـوم نفسـه، أعني يوم البشـارة المقـدسـة، وذلك عندمـا صار الرب جسـداً، ليبـارك اسم الرب يسـوع المسيح، إلى الأبد، وإلى الأبد.

وهناك ثلاثة مذابح في البيعة، التي نحتت من قلب الصخر، مثلها في ذلك مثل مكان الـولادة، والآلام والقيـامـة، وفي القـديـم جـرى نحت الجزء الأكبر من الناصرة من الصخـر، وهذا مـا يمكن رؤيتـه في هذا اليوم، ومـايزال حتى هذا اليوم الكنيس قائم هناك، بعدمـا جرى تحويله الآن إلى كنيسـة، وهو الذي عندمـا كان يسـوع يعلم فيـه، قرأ من سفـر إشعيـا النبي، وذلك لدى مناولتـه إياه، والذي قـرأه هو:«روح الرب فوقـي، لأن الرب مسحني»الخ، فضلاً عن هذا يوجـد عند نهاية المدينة، في كنيسة جبرائيل، جب، هو مبجل من قبل السكان، حيث يقال: غالباً ما قام الطفل يسوع بنضح الماء منه عندما كان يخدم أمه.

وعلى بعـد مسافـة أربع رميـات سهم، إلى الجنوب من المدينة يوجـد المكان المعروف باسم«قفزة الرب»، وذلك حيث أرادوا رمي يسوع نحو

الأسفل، غير أنه مـرّ من بين أيديهم، وشـوهد فجـأة — حسبما مـرئي هناك — على طرف الجبل، على مسافة رمية سهم، ومن الممكن أن يرى الانسان هناك على الصخرة طبعة مـلامحه وملابسه، ويمكن للانسان أن يرى من ذلك الجبل، جبل الطور، ورابيـة حرمـون الصغيرة(جبل النبي ضاحي)، وقـرى:عين دور، ونين، ويزرعيل، ورؤية كل مـا حواه سهل ابن عامر.

وعلى بعـد فـرسخين من النـاصرة، باتجاه الشرق، هناك جبل الطور، حيث تحول شكل الـرب، وهناك من الممكن حتى الآن رؤيـة خـرائب ثلاث بيع، أو مزارات، كانت قد بنيت تنفيذاً لرغبة بطرس، وفضلاً عن هذا هناك خـرائب على غاية مـن العظمة هناك، تشمل أمـاكن، وأبراج، وأبنية عادية، هي الآن أماكن مأوى للأسود وللحيونات الضارية، وعلى هذا يتـوفـر هناك مكـان للصيـد الملكي، والجبـل صعب التسلق، وهو شاهق الارتفاع، وهو موائم لبناء قلعة عليه.

ويوجد على سفحه، على الجانب الجنوبي، هناك مقابل قرية عين دور، وذلك إلى جانب الطـريق الذي يقود من سوريـة إلى مصر، يوجد المكان الذي يقـال بأن مليكصـادق قـابل فيـه إبراهيم، وذلك لدى عـودته من القتال ضد الملوك الأربعة قرب دمشـق، وعند سفحه، في الجهة الغربية، في مـواجهـة الناصرة، هناك بيعـة بنيـت في المكان الذي قـال الرب فيـه لحوارييـه، لدى نزوله من الجبل:«لاتخبروا أحـداً بالذي رأيتمـوه»، ومن سفحـه في الشرق يجري جدول قيشـون، وذلك حيث قـاتل باراق ضـد سيسرا، وغلبه، وأرغمه على الفرار، ويتشكل هذا الجدول من مياه جبلي الطور، وحـرمـون، وتجري هذه الميـاة باتجاه بحـر الجليل، وتصب على مقـربة من قلعـة كـوكب الهوا(بلفيـور Belvior)، التي هي من ممتلكات فرسان مشفى القديس يوحنا.

وعلى مسافـة فرسخ واحـد إلى الشرق من جبل الطور، توجد قـرية

عين دور، القائمة على هضبة حرمون الصغيرة(كذا)، وهذه الحرمونية ليست جبلاً مستقلاً بذاته، بل كتلة مرتفعة من الأرض، نازلة من جبل حرمون، وهي باتجاه جبل الطور وملتصقة به، وفوقها تقوم قرية عين دور، حيث نقرأ في المزمور:«بادوا في عين دور»[مزمور:٨٣/ ١٠]، وسكنت في هذه القرية المرأة التي كانت صاحبة جان، والتي لدى حادثة شاؤول أصعدت صموئيل، وذلك حسبما نقرأ في سفر صموئيل[الأول:٢٨/ ٧ — ١٨]، وصموئيل يرقد الآن مدفوناً في راماثيم — زوفيم، الموجودة على مسافة سفر يومين من ذلك المكان.

وعلى بعد فرسخين من الناصرة، وأكثر من فرسخ واحد عن جبل الطور، توجد رابية حرمون الصغيرة، الموجود على طرفها الشمالي مدينة نين، التي أقام الرب أمام بابها ابن الأرملة من الموت.

ويبلغ طول هذا الجبل وامتداده أربعة فراسخ في مقابل بحر الجليل، وينتهي ليس بعيداً عن المكان الذي يتدفق فيه نهر الأردن خارجاً من بحر الجليل.

هنا بداية القسم الثالث من الربع الثالث

٧ — في القسم الثالث من الربع الثالث، الذي يسير باتجاه الجنوب، إن المكان الذي يصادفه الانسان بعد مغادرته لعكا، هو الجزء الأول من جبل الكرمل، وذلك على بعد مسافة أربعة فراسخ من عكا، وهنا يوجد المكان الذي قتل فيه النبي إيليا كهنة بعل، عند جدول قيشون، وذلك حسبما نقرأ في سفر الملوك الأول:١٨/ ٤٠، وعلى بعد مسافة قصيرة يصب جدول قدرون في البحر المتوسط، وذلك على مسافة فرسخ واحد عن مدينة حيفا، إنما على بعد حوالي الثلاثة فراسخ عن مدينة عكا.

وفيما يتعلق بجدول قيشون هذا، يلاحظ أنه وإن بدا في الحقيقة أنه جدول واحد، وهكذا جرى الكلام عنه أنه واحد، مع ذلك ينبغي عدّه

مـزدوجـاً، لأنه يجري باتجاهين، فـالفـرع الأول منه يجري باتجاه الشرق ليصب في بحـر الجليل، ويجري الفـرع الآخـر باتجاه الغـرب ليصب في البحر المتـوسط، ويقوم هذا المجرى المزدوج من جبلي الطور وحـرمون، لأنهما ليسـا بعيـدان عن بعضهما بعضـاً، وكل واحـد منهما له رابيـة قـد أرسلهـا باتجاه الآخـر، وعلى هذا بدا الجبلان وكـأنهما متصلان أحـدهما بالآخـر عند السفح، والرابية هي أعلى من جـانب جبل حرمـون، وهي تعرف باسم الحرمـونية، وقـد تقدمت الاشارة إليهـا، فعليها تقـوم قرية عين دور، وتعيق هذه الرابيـة مياه الأمطار التي تتساقـط على كل واحد من الجبلين، والتي تجري نـازلة بالاتجاه نفسـه، لكن شطراً منهـا يجري باتجاه الشرق، ويصب في بحـر الجليل، ليـس بعيـداً عن مـدينة بيسـان، وعند جـدول قيشون هذا تحارب باراق مع سيسرا، وذلك حسبما قـرأنا في سفر القضاة: ٥، ويجري الشطر الآخر باتجاه الغرب ليصب في البحر المتوسط، وعند فرع قيشـون هذا قتل إيليا كهنة بعل، وذلك حسبما قرأنا في سفـر الملوك الأول:١٨/ ٤٠، وهو الشطـر الذي يجري باتجاه الغـرب وترفده مياه من جبل عفريم والمناطق المجاورة له في السامرة، ومن جميع بقاع سهل ابن عامر، وجبل قابيل، ومجيدو،[في عزبوبة قرب التعنه].

وعلى بعـد ثلاثة فـراسخ من المكـان الذي قتل فيـه كهنة بعل، تقـوم القلعـة المبنيـة فـوق جبل قـابيـل، واسمهـا تل كمـون، وفي نهاية جبل الكرمل تماماً، هنـاك المكان الذي قتل فيه لامخ قـابيل حين رماه بسهـم، وذلك حسبما جـاء الخبر في سفـر التكـوين:٤/ ٢٣، قـولـه:«فإني قتلت رجلاً لجرحي».

وعلى بعـد ثلاثة فـراسخ إلى الجنوب من جبل قابيـل، توجد مجيـدو، التي اسمها في هذه الأيام سبورب Suburbe ، فهناك مات أحازيا ملك يهوذا، الذي أصـابه ياهو ملك إسرائيل بوسـاطة سهم، ورمـاه في حصـة حقل نابوت اليزرعيلي، وفي مجيـدو هذه نفسها جـرى قتل يوشع

ملك يهوذا من قبل فرعون ملك مصر، عندما كان زاحفاً نحو نهر الفرات.

واعرف هنا أن حقل مجيدو، وسهل ابن عامر، وسهل الجليل هم واحد والشيء نفسه، وكل هذه الأسماء قد زالت من الوجود، وهي الآن تعرف باسم سهل الفابا(الفولة) الذي يقوم على بعد ثلاث رميات سهم عن مدينة أفيق، ولكن في الحقيقة الكاملة أن هذا هو سهل الجليل الذي يحده من الشرق بحر الجليل والأردن، ومن الجنوب جبل عفريم والسامرة، ومن الغرب جزئياً من قبل جبل الكرمل، ومن الشمال بحر فينيقيا ولبنان، ويبدو أن طول هذا السهل هو عشرة فراسخ، وعرضه ستة فراسخ أو أكثر،وهو في بعض الأماكن خصب جداً بالقمح، والزيت، والخمرة، ومليء بجميع الأشياء الجيدة في العالم، وبناء عليه لا أعتقد أنني رأيت قط أرضاً أفضل، لولا أن مساوئنا وذنوبنا حالت دون زراعتها من قبل الصليبيين.

وعلى بعد أكثر من فرسخين إلى الشرق من جبل قابيل توجد قرية المزرعة(قرب الفولة) وهي قائمة على شاطىء جدول قيشون، وذلك على بعد فرسخ واحد من سفح جبل حرمون.

وعلى بعد فرسخ إلى الجنوب من المزرعة تقوم قلعة اسمها قلعة الفولة، وعلى الطرف الغربي وعلى بعد ثلاث رميات سهم، وذلك على جهة اليمين من طريق يزرعيل، من الممكن رؤية خرائب مدينة أفيق، فهناك قاتل السوريون ضد أخاب، ملك إسرائيل، وقالوا في ذلك الحين:«إن آلهتهم آلهة جبال.... وإذا حاربناهم في السهل فإننا نقوى عليهم»(الملوك الأول:٢٠/ ٢٣).

وعلى بعد فرسخ إلى الشرق من أفيق، وذلك على الجهة اليسارية من الطريق إلى يزرعيل، وعلى الجهة الجنوبية من جبل حرمون، يمكن

للانسان أن يرى مدينة شونيم(سولم إلى الشرق من الفولة)، فإلى هناك غالباً ما ذهب إيليا عندما كان على طريقه من الكرمل إلى الجلجال، أو الأردن، لأن هذا الطريق كان الطريق الأقل وعورة وارتفاعاً بالنسبة له عندما كان يريد الذهاب إلى أريحا، حيث أقام مع أبناء الأنبياء، وكان يذهب من الكرمل، أي أن تقول من خلال شونيم إلى بيسان، ومن هناك على طول سهل الأردن إلى الجلجال، ولهذا نقرأ في سفر الملوك الثاني:٤/ ٨، كيف أنه احتاج كلما ذهب إلى الأردن إلى المرور بشونيم، ولهذا اعتاد على الاقامة مع المرأة الشونيمية، وحدث أنه من هذه المدينة نفسها، جاءت إليه هذه المرأة ذاتها عندما توفي ولدها، جاءت إليه إلى الكرمل، التي تبعد مسافة أربعة فراسخ عن ذلك المكان، وقام إيليا بإقامة ولدها من الموت، وهنا نصب الفلسطينيون معسكرهم عندما جاء شاؤول من جلبوع، ومن مدينة شونيم هذه جاءت أبيشاغ Ab-ishag الشونيمية التي رعت الملك داوود العجوز، واحتضنته ومددته على صدرها.

وعلى بعد فرسخين إلى الشرق من شونيم، أو بالحري إلى الجنوب الشرقي، تقوم مدينة بيسان، الموجودة بين جبل جلبوع والأردن، إنما على بعد نصف فرسخ عن الأردن، فعلى أسوارها علق الفلسطينيون جثث شاؤول وأولاده بعدما قتلوهم على جبل جلبوع، وكانت بيسان هذه تعرف من قبل باسم سكيزوبولس، وذلك حسبما أخبرنا يوسفيوس، لكن الناس جميعاً يدعونها الآن باسم بيسان، وهي موقع فائق الجمال والبهاء.

وفوقها، على الجانب الغربي، يقوم جبل جلبوع، الذي يمتد حتى يزرعيل، وذلك على بعد فرسخين نحو الغرب.

وعلى بعد فرسخين إلى الغرب من بيسان هناك ينابيع، ونبع عظيم على فرسخين فوق بيسان، وهذا هو«النبع الموجود في يزرعيل»[عين

جـــالوت دون يزرعيل إلى الشرق]، الـذي ورد ذكــره في صمـــوئيل الأول:٢٩/ ١، حيث ضرب الفلسطينيـــون مخيمهم، عندمـــا كـــانوا في جلبوع، بين ذلك النبع وبيسان.

وعلى مسافـة قريبـة، هي حوالي رميتي سهم، عن ذلك النبـع، توجد مـدينة يزرعيل(زرعين)، وهي قائمـة فوق رابيـة مرتفعـة بعض الشيء، وقـد كــانت فيها مضى إحـدى المدن الملكيــة في إسرائيل، لكن في هذه الأيام ليس فيهـا أكثر من ثلاثين بيتـاً، واسمهـا الآن الذي تدعى به هو زرعين، وهي قـائمـة عند سفح جبل جلبـوع، على الجهة الغـربيـة منه، وتبعـد عن مدينة شـونيم فرسخين قصيرين، وشـونيم قائمـة إلى الشمال منها، وذلك على الطرف الجنوبي من جبل حرمون.

وهذان الجبلان — أعني جبل حـرمون وجبل جلبوع — متـوضعان بشكل جاء فيه موقع جبل جلبوع إلى الجنوب منها، وحرمون إلى الشمال منها، مـع وجود فـراغ بينهما قدره فرسخين قصـار، وهما يمتدان طـولياً من الشرق إلى الغـرب، وكـلاهما ينتهي في الشرق عند الأردن، وطولها فرسخان أو أكثر.

وفيما بينهما جرت معارك كبيرة، فهنا قاتل جدعون ضد مدين، وقاتل شـاؤول ضد الفلسطينيين، وأخـاب ضـد السوريين، وفي الأيام الحاليـة قاتل التتار ضد المسلمين هناك.

[وليلاحظ فيما يتعلق بجبل حـرمون هذا، أن هناك جبـلاً آخر يحمل الاسم نفســه، يقع وراء الطرخـونيـة، وعلى مقـربة من جبل سنير، وهو أعظم بكثير وأعلى من هذا الجبل، وفي كثير مـن الأمـاكن من الكتـابات المقدسة، الإشارة إلى حرمون هذا وليس إلى حرمون[الصغير] ذاك.

وفي السهل فيما بين هـذين الجبلين يبـــدأ الوادي الـذي يعـــرف باســم«الوادي المشرق»[مـــوره أو وادي يزرعيل]، وذلك بسبـب جماله

وخصبـه، وهو يمتـد مـن ذلك المكان مسـايراً نهر الأردن نزولاً حتى البحـر الميت، وقبل أن يدمـر الرب سـدوم وعمـوره، كـان هذا الوادي المشرق«مروياً بشكل جيد في كل مكان، وكأنه بستان الرب، وذلك مثل أرض مصر»، فهذا ما نقرأه في سفر التكوين:١٣/ ١٠.

ومن يزرعيل هنـاك مشهـد جميل يغطي جميع الجليـل، حتى الكرمل، وجبـال فينيقيـة، وجبل الطور، وجبل جلعـاد، والمناطق الواقعـة عبر الأردن، وجميع جبل إفرايم حتى الكرمل.

ويساير الطريق من جبل جلعاد إلى يزرعيل، الطرف الجنوبي من جبل جلبوع، وذلك من الأردن، ويمر عبر عين نون وساليم[يوحنا:٣/ ٢٣]، حيث أجـرى يوحنا التعميـد، وحـدث أيضـاً أنه عبر هذا الطريق جـاء ياهو من راموت جلعـاد(الملوك الثاني:٩/ ١٧)، عندمـا قال الرقيب:«إني أرى جماعة»الخ، وليـس صحيحاً ما يقـوله بعضهم من أنه لا الندى ولا المطر يتسـاقط على جبـال جلبوع، لأنني عندمـا كنت هناك في يوم عيـد القديس مارتن[١١— تشرين ثاني] تسـاقطت الأمطار حتى تبللت ثيابي كلهـا ووصل البلل إلى الجسد، فضـلاً عن هذا امتلأ الوادي بميـاه تلك الأمطار، ومع هـذا صحيح هناك بعض الأمـاكـن في هذه الجبـال هي صخرية، وجافة، وجرداء، مثل بقية جبال اسرائيل.

وعلى بعـد أربعـة فـراسخ إلى الجنـوب من يزرعيل تـوجـد عين جنيم(جنين)، وهي بلدة كـانت فيما مضـى مسـورة، لكن أسـوارها قـد تداعت، وهي قـائمـة عند سفح جبـل إفـرايم، وتنتهي عند هذه البلدة منطقة الجليل، وتبدأ منطقة السامـرة، وتقع جنين على بعد حوالي السبعة فراسخ إلى الغرب من الأردن.

وتُحد هذه المنطقة من الجنـوب ببلاد تمّون[إلى الشمال — الشرقي من شكيم]، التي فيها جبال مرتفعة جداً.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من مدينة جنين تقوم مدينة سبسطية، التي عرفت فيما مضى باسم السامرة، وذلك عندما كانت عاصمة لمملكة الأسباط العشرة، التي عرفت باسم إسرائيل، وجعلتها ذنوبها لاتمتلك ما يساوي مقدار بيت واحد، لكن هناك كنيستان بنيتا على شرف القديس يوحنا المعمدان، ولقد قام المسلمون بتحويل واحدة من هاتين الكنيستين إلى مسجد، وكانت تلك التي كانت هي الكنيسة الرئيسية، وكانت فيما مضى كاتدرائية الأسقف، وفعلوا هذا بشكل خاص بضريح يوحنا المعمدان نفسه، الذي كان معمولاً من الرخام، ويشبه ضريح الرب، ذلك أنه رقد مدفوناً هناك بين إيليا وعوبيدا، وتقوم هذه الكنيسة على طرف الجبل، في المكان الذي ينحدر الانسان منه وينزل، ويقدر المسلمون القديس يوحنا المعمدان تقديراً عظيماً، ومكانته لديهم هي التالية لمكانة المسيح والعذراء المباركة، وهم يولونه اهتماماً عظيماً، وهم عن حق يعلنون بأن المسيح هو كلمة الله، لكنهم يقولون إنه ليس رباً، وهم يقولون بأن العذراء المباركة قد حملت من روح القدس، وقد حملت به كعذراء وبقيت عذراء، وهم يقولون بأن يحيى كان نبياً عظيماً وفائق القداسة، ويقولون أيضاً بأن محمداً(ﷺ) كان رسول الله، وقد أرسل من قبله لهم فقط،وقد قرأت شخصياً هذا في القرآن [الكريم] الذي هو كتاب شريعتهم.

وتقف الكنيسة الثانية على حافة الرابية، وذلك حيث قام قصر الملك فيما مضى، ويقطن هناك رهبان إغريق، ومسيحيون، استقبلوني بلطف، وأعطوني طعاماً، وأراني أولئك الإغريق أنفسهم في تلك الكنيسة، المكان الذي قالوا بأن يوحنا قد سجن فيه، ثم قتل فيه صبراً، وهذا ما بينت أنه خطأ جسيم، لأن المؤرخين، ويوسفيوس، وحكايات القديسين، وكاتب التواريخ، والتاريخ اللاهوتي، كلهم مجمعون على القول بأنه قتل صبراً في مخرونتا Macherunta [مخور شرقي البحر الميت]، التي

تعرف الآن باسم هيلون Haylon ، عبر الأردن، زيادة على هذا، كـان هيرود الذي أعـدم يوحنا طيطراخ الجليل، والبـلاد الواقعـة عبر النهر، وهي بلاد جلعاد، أو بالحري بلاد السبطين، ولم تكن له سلطة في السـامـرة، التي كـانت تحت إدارة بيـلايطس، وذلك حتى القـدس، أو اليهودية، وبناء عليـه لم يكن بإمكانه لاسجن يوحنا ولا إعـدامه، لأنه لم تكن لديه سلطة هناك، لكن بعد إعـدامه في مخرونتا — كما قلنا من قبل — دفن جسده في السامرة من قبل حوارييه، بين النبيين المتقدمي الذكر، غير أن رأســه قـد دفن في القــدس، هذا ولم أشهــد في أي مكان من الأرض المقـدسـة خـرائب عظيمـة مثل التي في السـامـرة، فهناك رأيت خرائب كبيرة جداً، ووضع هذه المدينة لايتوافـق مع ما ذهب إليه كاتب التواريخ، في تعليقه على قول النص التالي:«هكذا تفعل بي الآلهة، وهكذا تزيدني، إن كـان تراب السـامـرة يكفي قبضـات لكـل الشعب الذي يتبعني»[الملوك الأول:٢٠/ ١٠]، ويبـدو أنه قـد خيل إليـه أن أسـوار المدينة وقمة الجبل كـانا على ارتفاع واحـد، وأن الأبنية قد شيـدت فوق القمـة، لكن الحال لم يكن كـذلك، لأن أسـوار المدينة كـانت عند سفح الجبل، وكانت حصينـة ومدعمة بأبراج فـائقة الحصـانة، وكان الجبل في داخلهـا، ويرتفع بشكل تدريجي، وقـد انتشرت عليـه الأبنيـة وتوزعت مثلها في ذلك مثل عنقـود من العنب، وكانت الأبنيـة مرتفعـة إلى درجة قاربت فيها القمة، وكان القصر على قمة الجبل، وكان فائق الجمال، ومن الممكن أن يشـاهد حتى هذا اليـوم كثيراً من الأعمـدة الرخـاميـة التي دعمت أماكنـه وأروقته، وحول الجبل كلـه، وتحت القصر، ودون بيوت الأعيـان، وفي مـوقع السـاحـة العـامـة، أو السـوق للبيع والشراء، يجد الانسان حتى في هذه الأيام، من حول الجبل كله، أعمـدة رخامية واقفة في داخل الأسـوار، وكـانت هذه الأعمـدة، فيما مضى، تدعـم قناطر الشوارع، لأن شـوارع هذه المدينة كانت مقنطرة، وفقـاً لعادات الأرض المقـدسـة، وباختصـار ليس لدي المزيـد لأقـوله حـول هذه المدينة، التي

أصبحت الآن في حالة بائسة، حيث غدت في الحقيقة حديقة للأعشاب، مثلما أراد أخاب ملكها، وطلب أن يعمل كرم نابوت اليزرعيلي،لأنه كان قريباً من بيته[الملوك الأول:٢١/ ٢]، وفي الحقيقة، تحول في هذه الأيام، بسبب قضاء الرب العدل، ليس ذلك الكرم، بل قصر الملك نفسه أيضاً، إلى حديقة أعشاب، وكان وضع هذه المدينة وضعاً رائعاً للغاية، حيث منها من الممكن رؤية البحر قرب يافا، حتى رأس العين، وقيسارية فلسطين، وعبر كل جبال إفرايم إلى رامات — زوفيم، وإلى الكرمل بوساطة البحر قرب عكا، وهو مليء بالينابيع، والحدائق، والكروم، وجميع الأشياء الجيدة التي يطلبها الانسان في هذا العالم.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الشرق من السامرة، تقوم مدينة تيرزه -Ti razah (لعلها التياسير إلى الشمال الشرقي من شكيم) فوق رابية عالية، وقد حكم هنا ملوك إسرائيل لبعض الوقت قبل بناء السامرة، وقد كانت في حصة سبط منشا.

وعلى بعد ستة فراسخ إلى الشرق من تيرزه، وعلى الطريق الذي يقود إلى الأردن، تقوم بلاد تفوه Tappuah [عين تفوح]، التي تحتوي على عدد من الجبال، بينها جبل مرتفع جداً، وكان هذا أيضاً في حصة منشا، ويمتد حتى سهول الأردن عبر مواجهة مخرونتا(مخور شرقي البحر الميت).

وعلى بعد فرسخين جنوبي السامرة، وذلك قرب الطريق الذي يقود إلى شكيم وعلى الجهة اليمنى لجبل مرتفع، يقوم جبل بيت إيل(بيتين)، الذي عليه وضع يربعام بن نبط، ونصب العجلين الذهبيين، مما جعل إسرائيل تقع في الاثم، ويصحف المسلمون اسم هذا الموقع، ويدعونه بوثيل Bothil لأنهم لايقدرون على تلفظ كلمة بيت إيل.

ويوجد على بعد نصف فرسخ من هناك، وذلك على الجانب الأيسر

من الطريق، جبل أكثر ارتفاعاً من الأول، ويدعى هذا الجبل باسم دان، وهو قائم فوق مـدينة شكيم، ويقول بعضهم بأن العجل الذهبي الآخر قد نصب هناك فـوقه، هذا ويقول بعض آخـر بأنه نصب في مدينة دان، التي اسمها الآن بلنيـاس، أو قيسارية فيليب، ويبـدو أن هذا بالحري ما قصده جيروم، ويمكن للانسان أن يختـار ما يرضيه، والذي هو على كل حال مؤكد، أن هذا الجبل، عرف باسم جبل دان.

وتقوم بين هذين الجبلين مدينة شكيم، التي اسمها الآن نابلس، وهي مدينة فائقة الجمال، ومليئة بالأشياء الجيدة، لكنها غير محصنة، كما أنه من غير الممكن تحصينها بأية وسيلة من الوسائل، وكل ما يمكن للسكان أن يفعلوه هو أنه إذا جاء عـدو إلى أول البـابين، القيـام بالهرب إلى البـاب الآخـر، وذلك إذا كانوا أقل عـدداً: لأن المدينة قائمـة في واد بين جبلين عاليين جداً، ولذلك يمكن لأي إنسان أن يرميهابالحجارة بيده.

وعلى بعد حوالي رميتي سهم من بـابها الجنوبي، يوجد جب يعقوب، وذلك إلى جـانب الطريق الـذي يقـود إلى القـدس، وهنا يوجـد مقعـد يعقوب، وذلك حين جلـس إلى جانب الجب، وسأل المرأة السـامرية أن تعطيه شربة ماء.

وفـوق هذا الجب، على جهـة اليمين، يوجـد جبل مـرتفع له قمتين، تعرف أولاهما باسم جبل جـرزيم، وتعرف الأخـرى باسم جبل عيبال، وقد بنى يوشع مذبحاً على جبل جـرزيم، وكتب سفر التثنية(؟) ووقفوا يبـاركون ويلعنـون، ويجيبون من جبل إلى آخـر، وذلك حسبما أمـروا في سفر التثنيـة:٢٧، ويشاهد فوق جبل جـرزيم هناك في هذه الأيام هيكل قديم جداً، كان قد بناه سنبلّات Sanballat ، حاكم المنطقة الواقعة عبر الأردن، تكريماً لجوبتير أولمبيوس، وجعله شبيهـاً بالهيكل الموجود في القـدس، وقـد بناه من أجل صهـره منسّـه، الذي أراد أن يكون كـاهناً أعلى، ومـايزال هذا الهيكل قـائماً هناك، حتـى أيام الدمـار الذي قـام به

الرومان، وآثاره وخرائبه ماتزال مرئية حتى هذا اليوم، ومن المعتقد أن هذا الجبل وهذا الهيكل هو ما عنته المرأة السامرية وأشارت إليه، عندما قالت للرب: «أباؤنا سجدوا في هذا الجبل»[يوحنا:٤/ ٢٠].

ويوجد على جهة اليسار لهذا الجب بلدة كبيرة، غير أنها خرائب، وهي التي أعتقد أنها كانت شكيم القديمة، لأنه يوجد هناك خرائب عظيمة جداً لقصور رخامية، وأعمدة تستحق الاعجاب، واقعة على بعد رميتي سهم من جب يعقوب، ومكان الاستراحة، وذلك فوق موقع جميل جداً، سوى أنها بدون ماء، هذا وإنني لم أشاهد قط مثل هذه البقعة بخصبها وغناها، وهي تبعد رميتي سهم عن المدينة، التي اسمها نابلس، وإنني أعتقد أن نابلس هذه قد كانت بلدة تاباص(طوباس)، ويقع إلى جانب هذا الجب قطعة الأرض التي أعطاها يعقوب إلى ابنه يوسف، خصيصاً له دون إخوته[يوحنا:٤/ ٥]، وإنها طويلة وخصبة، وهي في الحقيقة واد جميل جداً، وأنا لا أعرف أي واد آخر مساوياً له في غناه.

وفي شكيم دفنت عظام يوسف، وقد جلبت إلى هناك من مصر.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من شكيم، قرب الطريق، وعلى جهتك اليمنى وأنت ذاهب إلى القدس، تقع قرية لبنه(خان لبّن)، وهي موضع جميل جداً، وهناك لبنه أخرى في ديار سبط يهوذا، لكن هذه كانت موجودة في ديار سبط إفرايم.

وعلى بعد خمسة فراسخ إلى الجنوب من لبنه توجد بلدة مخماس، وهي بلدة واسعة نسبياً، وقد كانت تشكل حدود ديار سبط إفرايم باتجاه الجنوب، واسمها الآن البيرة(وهم) وكانت فيما مضى من أيام ملكاً لفرسان الداوية، وعلى مقربة من طرفها الجنوبي، تقوم الحدود بين ديار سبط إفرايم، وديار سبط بنيامين.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الجنوب مـن مخماس توجد جبعة شاؤول، حيث جـرى إغضـاب زوجـة اللاوي التي جـاءت من بيت لحم، ومن أجل هذه الفعلة جرى تدمير تقريباً كل سبط بنيامين، وقد كانت مسقط رأس شاؤول بن قيس، الذي كان أول ملك لإسرائيل.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الجنوب من جبعـة، تقوم قرية(رامه)الرام، وهي قائمة فوق رابية، وذلك ليس بعيداً عن طرف الطريق، وذلك على جهة اليسـار، وأنت ذاهب إلى القدس، ومن المعتقد أن إرميـا قصد هذا المكان بقوله:«سمع صوت في رامه».

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من رام، تقوم مـدينة القدس الرائعة، التي لن أقول عنهـا هنا شيئاً، لأنني أرغب بالعـودة إلى شكيم، وسوف أذكـر أولاً المدن القائمـة عند زاوية جبل إفـرايم، وأوقف وصفي حيث أتجاوزها.

واعـرف على كل حال أن هناك كثيراً من القـرى في الأرض المقدسـة اسمها رامه، واحدة منها قرب تقوع، على الطريق من هناك إلى حبرون، وأخـرى في ديار سبط نفتـالي، والثـالثة ليست بعيـدة عن قلعـة صفـد، والرابعة هي شيلوه، التي تعـرف أيضاً باسم رامـه، وفسر اسم رامه بأنه يعني«ارتفاع»، وفي الحقيقـة تقوم جميع هذه القرى فوق هضـاب مرتفعة جداً.

والآن، إذا مـا مضى الانسـان جنوباً(كـذا) من شكيم باتجاه الأردن، فإن المكان الأول الذي سـوف يلقاه هو إيمـون(كفرعـانا إلى الشمال من بيت إيل)(كفر العموني)[يشوع:١٩/ ٢٤]، وهي بلدة جيـدة جداً، قائمة في مكان جميل، فيه وفرة من جميع سلع الدنيا، وقد كانت في حصة سبط إفرايم.

وعلى بعـد أربعة فـراسخ من إيمـون، لدى نزولك من جبل إفـرايم،

على السهل، وعلى بعد فرسخين عن الأردن، توجد قرية الفصيل Phe-sech، وذلك عند المكان الذي يجري فيه جدول كيرث Che-rith لدى نزوله من الجبل، وهنا أقام إيليا عندما جلبت الصقور الطعام له في الصباح وفي المساء.

وعلى بعد فرسخ واحد من الفصيل، على جهة اليسار، باتجاه بلاد تفوه، توجد قلعة عين دوك Docus ، حيث قتل بطليموس بن أبوبوس، سمعان المكابي بشكل خياني، ويستطيع الانسان من هذا المكان أن يرى بوضوح بلاد جلعاد، وبلاد السبطين ونصف السبط، وبلاد هشبون والمنطقة المرتفعة لبلاد مآب، وجبال عبريم، وفسغه، ونبو.

ومن هناك ينزل الانسان إلى سهل الأردن، ويمتد هذا السهل حتى أريحا، وعبرها، طوال الطريق نزولاً مع الأردن حتى البحر المالح، ويقوم جبل عبريم، وفيغير Pheger ، وفسغه مباشرة في مواجهة هذا المكان، وذلك عبر الأردن، وعليك أن تعرف أيضاً أن نهر الأردن يمتلك سهولاً جميلة على ضفتيه، وذلك امتداداً من منابعه عند سفح جبل لبنان حتى برية فاران، بطول حوالي مائة ميل وأكثر، فضلاً عن هذا، هناك فوق هذه السهول نفسها جبال عالية جداً، على كلا الجانبين، ممتدة حتى البحر الأحمر.

وعلى بعد خمسة فراسخ باتجاه الجنوب، لكن مع انحراف قليل نحو الشرق من فسغه، يقوم موقع الجلجال، حيث أقام بنو إسرائيل معسكرين لمدة طويلة، بعد عبور الأردن، وهناك جرى ختن بعضهم.

وعلى بعد نصف فرسخ عن الجلجال، على الطريق إلى أريحا، وذلك على جهة اليمين من الطريق، هناك جبل يدعى جبل القرنطل، فهناك صام الرب أربعين يوماً وأربعين ليلة، وهو جبل مرتفع جداً، وصعب التسلق، وقد أغوي على جبل آخر،ببعد ثلاثة فراسخ عن هذا الجبل،

وهو قائم في القفار، على الجانب الجنوبي لبيت ايل وعاي.

وعلى بعد حوالي الرميتي سهم تحت القرنطل، ينبع نبع إيليا[رأس العين]، وتتدفق مياهه وتسير، وهي المياه التي عالجها إيليا، لأنها كانت مالحة، وعقيمة، ويجري هذا الجدول قرب الجلجال، على الجانب الجنوبي، ويدير طواحين كبيرة، ويتوزع بعد هذا على عدة أقنية، ويسقي قصب السكر، والحدائق والبساتين حتى أريحا، وماوراء أريحا، ثم يصب في الأردن.

وعلى مقربة من الجلجال، وعلى بعد نصف فرسخ إلى الجنوب، يوجد وادي عكور (وادي القلط) وذلك عند سفح جبل، وفي هذا الوادي جرى رجم عاخان، لأنه سرق أشياء ملعونة.

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الشرق من الجلجال تقوم أريحا، التي كانت فيما مضى مدينة مجيدة، في حين لايوجد فيها الآن أكثر من ثمانية بيوت، ويوجد هناك آثارقرية بائسة، هذا وقد جرى هناك تدمير جميع الأوابد والأماكن المقدسة، تدميراً كاملاً.

ويوجد على بعد فرسخين من أريحا، إلى جانب الأردن، بيعة[قصر اليهود]، التي بنيت على شرف القديس يوحنا المعمدان، وذلك فوق البقعة التي من المعتقد أن تعميد الرب قد جرى فوقها، ومع هذا يرى بعضهم بأن التعميد كان في ساليم[يوحنا:٣/ ٢٣]، غير أن التقاليد الكنسية تنكر هذا.

هذا وإن الذي حدث في أريحا معروف كثيراً، ولهذا لاأرى تدوينه هنا.

وعلى بعد فرسخين من أريحا، وذلك على مقربة من البحر الميت توجد بيت أوله(قصر حجله) حيث ناح بنو إسرائيل لوفاة يعقوب أباهم، وذلك بعدما جلبوا جسده من مصر، ويبعد هذا المكان فرسخاً

واحداً عن الأردن، وهناك يسكن رهبان إغريق(أرثوذكس).

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من أريحا، وفرسخ واحد عن بيعة القديس يوحنا القائمة قرب الأردن، يوجد البحر الميت، الذي يدعى أيضاً باسم بحيرة اسفلت، أي بحر الحمر، أو بحر الملح، وهو يفصل العربية عن اليهودية، ويوجد على شواطئه الشرقية بلاد مآب، وعمون، وجبل سعير، وهو مما حدثتكم عنه من قبل، وهو يمتد حتى قادش بارينا(القفار)، وبرية فاران.

وفي حوالي منتصف الطريق، على شاطئه الشرقي من الممكن رؤية الشوبك(الكرك)، التي كانت تعرف في القديم باسم البتراء في القفار، وتعرف الآن باسم الكرك، وهي قلعة فائقة الحصانة بنيت من قبل بلدوين ملك القدس، بقصد توسيع حدود مملكة القدس، لكنها مملوكة الآن من قبل السلطان، ويضع فيها جميع خزائن مصر والعربية.

وعلى مسافة سفر يومين إلى الجنوب الشرقي من الكرك توجد ايريوبولس(ربّه) التي اسمها الآن البتراء، وهي المدينة الحاضرة لجميع العربية الثانية، وذلك حسبما أوضحنا من قبل، وكانت في القديم تعرف باسم عار، وهي قائمة على جدول أرنون، على حدود المآبيين، والعمونيين، والعموريين، وعلى هذا الشاطىء نفسه، يوجد الموضع الذي اقتيد منه بلعام إلى جبل مآب ليتولى لعن بني إسرائيل.

وعلى بعد خمسة فراسخ إلى الجنوب الغربي من أريحا توجد بلدة صغور(الزويرة)، وذلك عند سفح جبل عين الجدي، ويقوم بين هذا الجبل والبحر الميت عمود الملح، الذي يحدثنا سفر التكوين بأن امرأة لوط قد تحولت إليه، ولقد حاولت مراراً رؤية هذا العمود، لكن المسلمين أخبروني بأن المكان غير آمن، بسبب الحيوانات الضارية والأفاعي، والهوام، وبشكل خاص بسبب البدو الذين يسكنون في تلك

الأجزاء، وهم شجعان جداً وذوي جرأة عظيمة، ورجال أشرار، وأبقتني هذه المناقشات متشوقاً للذهاب إلى هناك، لكن علمت بعد ذلك أن الأمر لم يكن كذلك.

وقياس عرض البحر الميت هو ستة فراسخ من الشرق إلى الغرب، أما طوله من الشمال إلى الجنوب فهو سفر خمسة أيام، وذلك حسبما أخبرني المسلمون، وهو دائماً يصدر الأبخرة الدخانية، وهو مظلم جداً مثل مدخنة الجحيم، وقد كتب حول هذا وقيل كثيراً من قبل مختلف الناس، وقد تعرفت على كثير مما هو متداول، ومع هذا عليك أن تعلم بأنني لن أخاف إخباركم بالذي رأيته بأم عيني، ومعي آخرون كثر، والذي وضح لي أن جميع الوادي، الذي كان يدعى بحق باسم الوادي المشرق، وذلك من نهاية هذا البحر التي هي برية فاران حتى إلى سفر نصف يوم، أو ما يقارب ذلك، وراء أريحا، قد صار قاحلاً بسبب الأبخرة الدخانية لهذا البحر، وهكذا هو لاتنمو فيه لاالنباتات ولا الأعشاب من أي نوع من الأنواع، في جميع عرضه، الذي هو خمسة فراسخ وفي بعض الأماكن ستة فراسخ، وذلك باستثناء مدينة أريحا، حيث يوجد قصب السكر، والبساتين والحدائق المروية من قبل نبع إيليا، وهذا في الحقيقة قضاء مرعب من قبل الرب، الذي عاقب هكذا منذ قرون كثيرة ذنوب السدوميين، ذلك أنه حتى الأرض نفسها دفعت ومازالت تدفع العقوبة منذ عدد كبير من آلاف السنين.

وفوق البحر، على جهة اليمين، وكذلك على جهة اليسار هناك جبال جرداء، وقاحلة مشعثة، وهي مسكونة فقط من البرابرة، وذلك امتداداً لأميال كثيرة، وذلك بعيداً حتى أقصى مكان يمكن أن تصله الأبخرة الدخانية عندما تساق من قبل الريح.

وأعلن بعضهم أن نهر الأردن لايمزج مياهه بمياه ذلك البحر، بل تتولى الأرض ابتلاع مياه هذا النهر قبل أن يصل إلى مياه البحر، لكن

المسلمين أخبروني أن الحقيقة هي أن كلاهما يدخلان البحر، ويتركانه كذلك، لكن بعد مغادرتها له بوقت قصير يبتلعان من قبل الأرض.

ويفيض هذا البحر في بعض الأوقات، ومرد ذلك إلى ذوبان الثلوج من على جبل لبنان والجبال الأخرى، وفيضان اليرموك، وجداول كل من:يبوق، وحرمون(اقرأ:أرنون) وزارد(العدد:٢١/ ١٢)، وكذلك مياه الأمطار المتساقطة على الجليل، وعلى جبل جلعاد، وفي بلاد مآب، وعمون، وسعير، فالمياه تتجمع من هذه الأماكن كلها وترفد نهر الأردن، الذي يصب في هذا البحر، فضلاً عن هذا يتم العثور على الحُمر فيه، ويستخرج من داخله، ويتجمع هذا الحُمر عندما تحرك الرياح مياه البحر، ويتعلق ببعضه، ومن ثم يقذف إلى الشواطىء بكميات كبيرة، وهذا الحمر قوي، ودوائي، ولايمكن إذابته إلاّ بدماء الطمث، ويطلق اسم الحمر اليهودي عليه، ولهذا دعيت البحيرة باسم بحيرة اليهودية، أو بحيرة اسفلت، أي أن تقول بحيرة الحمر، وقد أخبرنا سفر التكوين:١٤، أنه كان هناك كثيراً من«آبار حُمر» أو الحفر الطينية، في وادي سدوم،الذي هو الآن بحر الملح، ويوجد الآن كثير منها على شاطئه، ويوجد هناك دوماً أهرام مبني قرب كل بئر، وهذه الأمور رأيتها بنفسي، وليكن ما قلته عن هذا البحر فيه كفاية.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من موقع الجلجال المتقدم الذكر، والمسافة نفسها من نبع إيليا، نحو الشمال، في الجبال، وذلك على الجانب الشمالي من جبل القرنطل، تقوم مدينة عاي، التي استولى عليها يوشع عنوة، وقتل ملكها، وذلك حسبما أُخبرنافي سفر يشوع(٨).

وعلى بعد فرسخ واحد إلى الشمال، إنما قليلاً إلى الغرب من عاي،توجد مدينة بيت إيل(بيتين)، التي حملت فيما مضى اسم لوز، وذلك في ديار سبط بنيامين، وقد حدث هناك أنه عندما كان يعقوب ذاهباً باتجاه الشرق، وهارباً من أمام وجه أخيه عيسو، أن نام متخذاً

صخرة وسـادة له، ورأى سلماً مقاماً فوق وجـه الأرض، وذروته ممتدة حتى السماء وواصلة إليهـا، وهكذا إلى آخـر مـا رآه، حسبما نقـرأ في سفـرالتكوين، وقـد نصب هناك صخرة، لتكون بمثـابة عمـود، وأطلق على المكان اسم بيت إيل، هذا وإن الذين يقولون بأن هذا قـد حدث في القـدس مخطئون، لأن مليكصادق كـان آنذاك يحكم في القدس، وكـانت وقتذاك مدينة جليلة، وكذلك لم يكن من الضروري بالنسبة ليعقوب أن ينام هناك في الحقل، ولا أن ينـام مطلقـاً على جبل مـوريا، الذي كـان آنذاك — كما هـو الآن — متصـلاً بالمدينـة، زيادة على مـا تقـدم إن البراهين على هذا الأمر مـرئية في بيت إيل في هذا اليـوم:فهناك الصخرة المقـامـة بمثـابـة عمـود، وقبر كـل من دبورة ومـرضعـة رفقـة[التكوين:٣٥/٨] وذلك تحت المدينـة في الوادي، ومع هذا يقـول بعضهم:لقد أطلق على القدس اسم بيـت إيل، ويستندون بحماقة على ما جاء في هذين البيتين:

«سوليما، وبيت إيل، وأورشليم، ويبوس، وإيلياء،

بهذه الأسماء دعيت مدينة القدس المقدسة، وباسم سالم أيضاً».

ولسوف أكـون مسروراً أن أتعلم من هؤلاء الناس، في أية أماكن من العهدين القـديم والجديد، قد وجـدوا برهاناً على أن القـدس قد دعيت باسم لوز، أو بيت إيـل، اللهم مـالم يكونوا قـد قصـدوا تسميـة الهيكل ببيت إيل، أي بيت الرب، وزيادة على ما تقدم إننا عندما نقرأ ما جاء في سفـر التكوين:١٣/ ٣ قوله:«وسـار إبراهيم في رحـلاته من الجنوب إلى بيت إيل»، نجد أن جيروم الذي شاهـد المكان، قدم الشرح التالي:«بيت إيل مـدينة تبعـد إثني عشر ميـلاً عن القـدس، وواقعـة في ديار سبط بنيـامين، على يدك اليمين وأنت ذاهب إلى نابلس»، ونابلس هي شكيم، قـرب لـوز، الواقعـة في ديار سبط إفـرايم، وتمر الحدود فيما بين سبطي بنيامين وإفرايم من خلال الوسط هناك.

وعلى بعد فـرسخ واحد إلى الشمال من بيت إيل، باتجاه رامـه، توجد نخلة دبورة، زوجـة لفـدوت Lapidoth ، التي كـانت قـاضيــة إسرائيل، وأرسلت باراق للقتال ضد سيسرا على جبل الطور.

وعلى بعد فرسخين من بيت إيل، وفـرسخ واحد من القدس، وليس بعيـداً عن رامة بنيـامين، توجـد عناتا Anathoth ، وهي قرية كهنة صغيرة، وكانت مسقط رأس النبي إرميا.

وإلى الشرق والجنوب من عناتـا تبـدأ القفـار القـائمـة بين القـدس وأريحا، والتي يطلق الآن عليهـا اسم قفار القـرنطل، وتمتد إلى مـا وراء الجلجال حتى القفار الموجودة مقابل تقوع وعين الجدي.

وعلى مقـربة من البحر الميت، على شـاطئه الغـربي، وعلى بعد فـرسخ واحد عن الزويرة Zoar ، تصعد إلى جبل عين الجدي، إلى حيث تخبأ داوود، عندمـا بحث شـاؤول عنه ليقتله، وذلك حسبما قـرأنا عن ذلك.

وكـان على هذا الجبل ومن حولـه حديقـة بلسم، لكن في أيام هيرود الكبير، قامـت كليوباترا ملكة مصر، كـراهية منهـا لهيرود ،وإيثاراً لمارك أنتـوني، فنقلت هذه البستـان إلى بـابليـون في مصر، ولقـد رأيتهـا هناك عندمـا أتيت إلى مصر إلى السلطان، الذي أخذني إلى هناك، وقـد جلبت معي كثيراً مـن خشب البلسـم، واغتسلت بميـــاه البئر الـذي يسقي الحديقـة، وقد أخبرني الحدائقي أن الثيران لا تقـوم بنضح الماء من ذلك البئر، من ظهيرة السبت حتى الاثنين، ولو قطعت تقطيعاً.

وطول هذه الحديقة رميتي سهم، ورمية حجر أو أكثر عرضاً، وتفلح حـديقـة البلسم في مصر من قبل حـدائقيين مسيحيين فقط، وتسقى من البئر الذي هو هناك، وهو الذي يقال بأن العـذراء مريم غالباً مـا قامت بتغطيس الطفل يسوعاً فيه.

ومع هذا مـا يزال هنـاك حتى هذا اليـوم فـوق عين الجدي بعض الكروم الرائعـة الصالحة لإنتـاج النبيذ، لكن المسلمين لا يدعـونهم، ولا يوجد هناك مسيحيين ليتولوا رعايتهم.

وتحت عين الجدي، وعلى جـانب البحـر الميت هنـاك أشجـار فـائقـة الجمال، لكن ثمارها عندما تقطف تكتشف بأنها كلها رماد ومجرد غبار في داخلها.

وجبـال عين الجدي مرتفعـة جـداً، وذات شكل غريب ولها شعـاب صعبة وعـرة، ووديان، بشكل أنا لم أشاهد نظيراً له، وهي تبعث الرعب إلى الذي ينظر إليها ويتأملها.

وعلى بعد أربعـة فراسخ إلى الغـرب من أريحا، وذلك على الطريق إلى القدس، إلى اليسارمن القرنطل تقوم قلعة أدوميم Adummim [عند طلعـة الدم]، وذلك في المكان الذي وقـع فيـه الرجل بأيدي اللصـوص عندما كـان نازلاً من القدس إلى أريحا، وقد حدث مثل هذا مـراراً فوق البقعـة نفسهـا في الأيام الحاليـة، وقـد نال المكـان اسمـه من الدم الذي سفك مراراً هناك، وفي الحقيقة إنه لأمر مرعب أن يكون الإنسان هناك، وخطر جداً ، مالم يرتحل الإنسان ويسافر برفقة حراسة.

وعلى بعـد فـرسخين إلى الغـرب من أدوميم توجـد بحـوريم Bo-hurim في ديار سبط بنيـامين، وكـانت هذه مـدينة شمعي بن جيرا، الذي شتم داوود عندمـا هرب من أمام أبشالوم، وذلـك حسبما قرأنا في سفـر صموئيـل الثاني: ١٦/ ٥، وهي قلعـة جميلة، وقـائمـة فوق هضبـة عالية.

وفي الوادي تحت، يوجـد على الجهـة الشرقيـة مـن الطريق السلطاني العـام، الذي يخرج من أدوميم، صخـرة بيئون Beon (بوحان Bo-han)(دبوس العبـد، حجـر لتحـديد المسـافـات من العصر

الروماني)العائد لأبناء سبط رأوبين، وهي كبيرة مثل قِدْر، ويبدو أنها من الرخام.

وعلى بعد رميتي سهم إلى الغرب من بحوريم، تقوم بيت عنيا، على منحدر رابية هناك، وبيت عنيا هي قرية:مرثا، ومريم، وقبل بابها، وعلى بعد أقل من رمية حجر، وعلى مقربة من بركة هناك في حقل، من الممكن مشاهدة المكان الذي جاءت إليه مرثا أولاً، ثم تبعتها إليه مريم- بناء على دعوتها- وذلك للقاء الرب عندما جاء الى بيت عنيا.

وما برحوا يرون في بيت عنيا، بيت سمعان المجذوم- الذي جلس فيه معه الى المائدة، ومثل ذلك بيت مرثا،الذي كان فيه ضيفاً مراراً،وقد عمل هذا البيت الآن وصار كنيسة مكرسة لهما،ويشاهد هناك أيضاً قبر العازر،الذي قام منه، وهو ليس بعيداً عن الكنيسة،وقد بني في هذا المكان بيعة بهية وجميلة من الرخام، وآبدة ضريح مغطاة بالرخام، كنت قد نزلت إليها، ويبجل المسلمون هذا الضريح كثيراً، بسبب معجزة القيام من الموت التي صنعها الرب هناك.

ولدى مغادرتك لبيت عنيا، لايمكنك رؤية القدس أولاً، بسبب وجود جبل الزيتون، الذي يقف بينهما،والذي عليك هو الارتقاء الى مكان مرتفع، وعندها يمكنك رؤية جزء من المدينة المحبوبة وجبل صهيون، يا إلهي، كم من الدموع التقية سكبت في هذا المكان من قبل الذين قدموا إليه، ثم تملكوا بهجة الدنيا كلها، حيث رأوا مدينة الملك العظيم،وكم هو ممتع أن ترى مكان مجدك، أيها اليسوع المبارك،وكذلك عندما نرى مكان خجلك واضطرابك بمثل هذا السرور! لكن دعونا الآن نضع هذه الأمور كلها جانباً، ونمضي بقدر ما نستطيع من سرعة الى القدس .

وعندما ننزل الآن من الجبل، ستكون المدينة ثانية محجوبة عن

أنظارنا،فضلاً عن هذا، هناك على الجهة الشرقية من جبل الزيتون، قرب بيت فاجي، قرية صغيرة جداً، نمر من قربها من على مسافة رمية حجر، وذلك على جهة اليسار في الوادي، وذلك عند سفح جبل العدوان[الجزء الجنوبي من جبل الزيتون]،ونأخذ الطريق الذي يساير الجهة الجنوبية من جبل الزيتون، ونستدير حوله،فنصل الآن الى المكان الذي ركب فيه ربنا ظهر أتان،وعلى الفور تشرق أمامنا وتشع المدينة،مع الهيكل، وكنيسة الضريح المقدس،والأماكن المقدسةالأخرى، ونكون الآن قد وصلنا الى نهاية الانحدار من جبل الزيتون، حيث رأى الرب المدينة، وبكى بحرقة عليها،في حين مضت الحشود وسارت من أمامه ومن خلفه، وهي تصرخ«المجد لابن داوود»، وهي أيضاً مبتهجة لقدومه المبارك، ودعونا نتابع سيرنا، ونمر عبر جدول قدرون، بين مكان صلاته عندما كان يعاني من آلامه ومن أسره في جيسماني،ولنتبعه،إذا صدف وتمكنا من معاناة الوصول إلى الجلجلة، حيث سمرت قدماه على الصليب، وكان الدم يسيل منهما،فدعونا نموت هناك مع المسيح، حتى يمكن أن نبعث معه ثانية.

القدس

٨ — والآن، القدس، المدينة الأسمى لدى الرب، حيث هناك أشياء رائعة جداً، قد جرى الحديث حولها، وما يجري يومياً، وهي متوضعة على أرض جبلية، فالجبال قائمة من حولها، ومع هذا تمتلك بلاداً جيدة وخصبة في أحوازها، وذلك ما عدا في الشرق باتجاه الأردن، وهي تبعد ستة وثلاثين فرسخاً عن عكا، القائمة إلى الشمال، وستة عشر فرسخاً عن سبسطية أو السامرة، وثلاثة عشر عن شكيم، وسبعة وثلاثين عن الناصرة، وجميع هذه الأماكن واقعة إلى الشمال منها، وهي تبعد ثلاثة عشر فرسخاً عن يافا، القائمة قليلاً إلى الشمال الغربي منها، وهي أيضاً تبعد ستة فراسخ عن أريحا، القائمة إلى الشرق منها، وكذلك هي على

فرسخين عن بيت لحم، وثمانية عن تقوع، وثمانية عن حبرون، وهذه الأماكن واقعة إلى الجنوب منها.

وهي قائمة على شكل مزدوج على منحدر رابية، أي أن تقول على طرفيها الجنوبي والغربي، ففي الاتجاه الجنوبي هي قائمة على امتداد طرف جبل صهيون، أو بالحري جزء منها هو على جبل صهيون نفسه، وجزء على سفوحه هناك، ويمتد طولها من جبل صهيون باتجاه الشمال، ويوجد على جانبها الغربي جبل جيحون، ومنه تمتد عرضياً باتجاه الشرق، حتى تصل إلى جدول قدرون، أو وادي شعفاط، الذي هو الشيء نفسه.

وهي مدينة واسعة إلى حد ما، وذلك حسبما سأحدثكم فيمايلي، وهي لاتقوم —كما يحاول عبثاً بعضهم أن يقول — في مكان مختلف عما كانت عليه في أيام آلام الرب، وهم يحاججون قائلين بها أن معاناة الرب كانت خارج الباب، والمكان الآن هو في داخل أسوار المدينة، وبناء عليه لابد أن المدينة كانت قائمة في مكان مختلف، غير أنهم لايعرفون ما الذي يقولونه، ويريدون أن يظهر ما لم يرونه، فالمدينة قائمة الآن حيث قامت دوماً، لأنه بما أن هيكل الرب قائم داخل أسوار المدينة، سيكون من الحماقة، لابل من غير الممكن مطلقاً نقله إلى مكان آخر بسبب أسواره المحيطة به من كل جانب، فضلاً عن هذا من غير الممكن كونه في مكان مناسب آخر، لكن الحقيقة المقررة هي إن المدينة توسعت نحو الخارج، وذلك بالعرض وليس بالطول، وجميع المدينة القديمة مع جبل صهيون موجودان الآن داخل الأسوار، ومسكونان، لكن في هذه الأيام عدد السكان قليل بالنسبة لمدينة من هذا الحجم الكبير، لأن السكان فيها يعيشون في رعب متواصل، ولقد قمت، بقدر ما أستطيع بالبحث والتقصي عن وضعها القديم.

ففي الزمن القديم، مثلما الحال في هذه الأيام، يشرف جبل صهيون جزئياً فوق المدينة، لأنه مكان رحب، من الممكن في داخله استيعاب

مدينة واسعة إلى حد ما، وهذا الجبل موجود عند باب الماء، أو باب نبع سلوان، على الطرف الشرقي، وهويشكل نصف دائرة حولها بوساطة الطريق الممتد من الجنوب إلى الطرف الغربي، حيث كان برج داوود موجوداً، وكان موجوداً خلال جميع هذه الدائرة صخوراً منحدرة، وقناطر تشبه القناطر نصف الدائرية والمسماة ميلو Mello ، ولكي يتم ملء ما كان بين جبل صهيون والجزء المنخفض من المدينة نقرأ بأن ملوك اليهودية بذلوا جهوداً كبيرة، ويقوم برج داوود على الطرف الغربي، وذلك فوق رابية مرتفعة بعض الشيء أكثر من سور الصخرة المنحدر، أما بشأن مجرى السيل الذي يأتي من الجانب الجنوبي لجبل صهيون، ويتدفق جارياً نحو الطرف الغربي، فإنه ينعطف مباشرة، ويستدير من الغرب إلى الشرق مباشرة، فور وصوله إلى البرج وتطويقه له، وعلى هذا يقوم البرج فوق صخرة موجودة عند منعطف مجرى السيل، وانقسم الوادي، أو مجرى السيل، الذي التف دائرياً هناك، إلى واديين عميقين، يمضي أولهما باتجاه الشمال، ويمضي الآخر باتجاه الشرق، ويصنع هذان الواديان قرنة أخرى في مقابل القرنة حيث يقوم برج داوود، وهي التي كانت قرنة المدينة التحتا، حسبما سنوضح فيمايلي:

ويمر هذا الوادي الذي يقبل منحدراً من برج داوود، ويسير على طول الطرف الشمالي لجبل صهيون حتى جبل موريا، حيث كان الهيكل، فاصلاً بذلك جبل موريا والمدينة التحتا كلها عن جبل صهيون، ويمضي مجرى السيل هذا أبعد بعد ليصل حتى جدول قدرون، وذلك من خلال المكان الذي يقوم فيه باب الماء الآن، فيما بين جبل صهيون وقصر سليمان، الذي كان قد بني على الطرف الجنوبي من جبل موريا، وعلى هذا كان مجرى السيل هذا يطوق في العصور القديمة جبل صهيون من كل جانب، وهذه كانت مدينة داوود، وفي هذه الأيام جميع مجرى السيل ممتلىء، ومع ذلك فإن آثاره يمكن تحديدها وفق هذه الطريقة.

ويجري مجرى السيل الثـاني، أو الذي انفصل عنـه، عند برج داوود، حسبما قيـل من قبـل، يجري بـاتجاه الشمال، ويشكـل خندق المدينـة على الجهـة الغـربية، وذلك على طول امتـداد المدينة، حتى نهايتهـا الشماليـة، وكان الطريق كله على طولها معـاقاً من الجانب الداخلي بوسـاطة صخرة اسمها عند يوسفيـوس أكرا Acra ، وعلى هذه الصخرة جــرى بناء سـور المدينة، ويحيط هذا السور بالمدينـة من الغرب، حتى باب إفـرايم، حيث ينعطف ويلتف ثانيـة إلى الشرق، وذلك حتـى باب الزاوية، وهو الذي كــان قـائماً عند زاوية المدينـة، وهي الزاوية الشماليــة الشرقيــة، وينعطف السور هنا ثانيـة من الشمال مستديراً شرقـاً إلى الجنوب، ويجتاز خارج منطقة الهيكل، ويحيط بها وببيت الملك، وبباب النبع أو الماء قرب جبل صهيون في الشرق، وهذا هو إطار المدينة، وبما أن الصخرة المتقدمة الذكـر، أي التي بني عليهـا سـور المدينة الغـربي، كـانت عـاليـة جـداً، وخـاصـة عند الزاوية التـي يلتقي فيهـا الجزء الغـربي من السـور بالجزء الشمالي، فقـد غــدا هذا المكان أعلى بكثير من البقيـة، وهنـا جـرى بناء برج[قلعـة جـالوت — أو قلعـة البيـازنة] دعي باسم نبـولوسـا -Neb ulosa وذلك مع قلعة حصينة جداً، ماتزال خـرائبها موجودة هناك، ومنها يمكــن للانسان مشـاهدة العربية، والبحـر الميت، وأماكـن أخرى كثيرة، ومع هذا قـد يقول بعضهم بأن برج نبـولوسا كـان قرب الهيكل، بيـد أن هذا أمـر ينفيه شكـل الأرض والسفوح والمنحـدرات الموجـودة هناك، ومن هذه الصخرة العاليـة جداً والقائمة في الجهـة الغربية، حسبما قلنا من قبل، يـأخـذ عـرض المدينة بالانحــدار تدريجيـا نحــو السـور الشرقي، القائم فـوق جدول قـدرون (وادي جهنم)، وكان هذا المكان، وكذلك هو الآن، الجزء الأعظم انخفاضاً في المدينة، ولهذا من المعتاد أن تجري فضلات المدينة وتعبر باب الروث لتصب في بركة قدرون.

وعبر مجرى السيل، أ و الوادي، المتقدم الذكـر على الجهة الغـربية من

المدينة، وذلك على جهة يسارك وأنت خارج من الباب القديم أو باب القضاء، هناك جرى صلب الرب، وبعد آلامه بوقت طويل امتلأ مجرى السيل، وأقيم سور جديد حول برج داود، ويمتد إلى باب إفرايم، الذي يعرف الآن باسم باب اسطفان.

وعلى هذا يمكنك أن ترى أن المدينة معلقة ناتئة على جهة الجنوب بوساطة جبل صهيون وعلى جهة الغرب بوساطة تلك الصخرة، وجزء من جبل جيحون، الذي ينبعث مرتفعاً ارتفاعاً عالياً على طول الجهة الغربية، وعلى هذا فإن المدينة كلها قائمة— كما كانت— على السفوح نحو الاتجاه الشرقي والاتجاه الشمالي، عند أسفل هذين الجبلين.

وكان جبل موريا— حيث قام هيكل الرب، وحيث كان قصر الملك قد بني— أعلى بعض الشيء من المدينة، وهذا ما هو مرئي بوضوح من وضع الهيكل وساحاته، وذلك حسبما وصفهم يوسفيوس، فكل منهم موصوف في تواريخه، غير أنه من المعتقد أن جميع هذه الأماكن هي الآن مسواة تماماً ومهدمة، وهي جميعاً تقريباً أكثر انخفاضاً من أي جزء من المدينة، لأن الجبل قد هدم من قبل الرومان ورمي في جدول قدرون [وادي جهنم] وذلك مع جميع خرائب الهيكل وساحاته، وذلك حسبما هو مرئي في هذا اليوم، ومنطقة الهيكل مربعة، وهي أكثر من رمية سهم طولاً وعرضاً، ويلامس الهيكل المبني الآن هناك سور المدينة تقريباً، وهو ليس الهيكل الحقيقي والقديم، لأنه وجدت أربعة هياكل بينه وبين السور، وهو الآن لايبعد تقريباً أكثر من مائة قدم عن السور وعن جدول قدرون.

وليس بعيداً، كأن تقول، أقل من رمية حجر إلى الشمال من منطقة الهيكل، يوجد باب الوادي الذي دعي هكذا لأن الانسان يذهب منه وينزل إلى وادي شعفاط، وقد عرف هذا الباب أيضاً باسم باب الضأن، لأن من خلاله كان يؤتى بالمواشي للتضحية في الهيكل، وإلى جانبه يقوم

برج اعتقد بعضهم بأنه برج نبولوسا، أو برج حنانئيل Hananeel، غير أنه في الحقيقة هو برج فاسليوس Phaselus، الذي من الممكن مشاهدة خرائبه حتى الآن.

وبالدخـول مـن باب الوادي أو باب الضأن، ومـن ثم السير بشكل مستقيم، سيجد الانسان على مقربة من منطقة الهيكل بركة الضأن حيث اعتـاد الـ Nethinims على غسل قـرابينهم ومن ثـم اعطاءهم إلى الكهنة لتقـديمهم في الهيكل، ومن الممكن رؤية استمرار هذا من خـلال وجـود القناطر الخمسـة التي — حسبما حدثنا القـديس يوحنا— اعتـاد الناس المرضى على الرقود تحتها، انتظاراً لاضطراب الماء وتحركه.

وعلى الجهة اليمنى للطريق، ولدى دخولك عبر الباب المتقدم الذكر إلى كنيسـة القـديسة حنة، ترى هناك بـركة أخـرى كبيرة تدعى «البركـة الداخليـة»، وقد صنع هذه حـزقيا وفق الطريقـة التالية: أوقـف المجرى العالي لوادي جيحـون، وساق ميـاهه تحت الأرض إلى غربي برج داود، وذلك من خلال الوادي المتقدم الذكر، بحفره الصخر الصلب بالحديد، وذلك حسبما نقـرأ في الإلهيات، وسـاق الماء من خـلال وسط المدينة إلى هذه البركة، وكـانت الغاية من ذلك أن يتـوفر الماء لشرب الناس في أيام الحصار، ولكي لايتمكن الآشوريون من اعاقتهم [إشعيا:٧/ ٣، ٢٦/ ٢. الملوك الثاني: ١٨/ ١٧]، أما بالنسبة لنبع ماء جيحون، القائم قرب حقل القصار، فقد ساق مياهه إلى البركـة العليا، الموجودة فوق بركة سلوان [إشعيا: ٧/ ٣]، ذلك أن هذه البركـة عرفت باسم البركة العليـا، بالنسبة لموضع بركـة سلوان للاغتسال، التـي كانت تتلقى الماء من هذه البركـة، ومن نبع سلوان، ذلك أنها منخفضة بوضعها أكثر منهما.

واعرف الآن هـذه البرك المختلفة وأسمائها، وكـانت البركة الـرئيسية التي هي البركـة الأولى في القدس، بركة الضأن، وكـان لها خمس قناطر، وقد عمل سليمان هذه البركـة، من أجل خدمة الهيكل ، وكـانت البركة

الثانية على مقربة منها، في الجهة الشمالية، في كنيسة القديسة هيلانة، وقد دعيت باسم البركة الداخلية، والذي صنعها هو حزقيا، وقد تقدم وصفها الآن من قبل، والبركة الثالثة هي بركة سلوان للاغتسال، التي كانت قائمة عند سفح جبل الزيتون مع جبل صهيون، قرب حق الدم، وهي تحصل على مياهها من نبع سلوان، وحزقيا هو الذي صنع هذه البركة أيضاً، والبركة الرابعة هي البركة العليا، التي ذكرناها قبل قليل، والتي صنعها حزقيا أيضاً، وإذا ما وجدت في أي مكان قد ذكر بأن هذه البركة الرابعة قد كانت في داخل المدينة فإن ذلك غير صحيح، لأن ذلك كله غير ممكن، وأعرف أن الانسان يقرأ في شرح وفي نص: «فتستقون مياها بفرح من ينابيع الخلاص» [اشعيا: ١٢]، بأن البركة العليا كانت في المدينة، وأن مياهها كانت تأتي إليها من نبع سلوان، لكن هذا من غير الممكن مطلقاً، لأن المدينة أعلى بأكثر من أربعمائة ذراع من نبع سلوان، ولايمكن للماء أن يجري نحو مثل هذا العلو العظيم، ومع هذا صحيح أن مياهها تحصل عليها من نبع سلوان، ومن نبع جيحون المنخفض، ليس بعيداً عن بركة سلوان للاغتسال، هذا ولم أر بركاً أخرى، كما أنني لم أقرأ عن وجود شيء من هذا القبيل، أو أنه وجد في القديم أية برك أخرى في القدس، ما لم يرغب انسان في عدّ «البحر النحاسي» القائم أمام الهيكل، بركة من البرك، وجرى على كل حال، في الأيام المعاصرة بناء بعض أماكن الاستحمام في داخل المدينة، وذلك ليس بعيداً عن بيت البطريرك، ومشفى القديس يوحنا، وهما لم يرد ذكرهما في الكتابات المقدسة.

ويحيط وادي شعفاط أيضاً بالمدينة، ويسير على طول الجانب الشرقي عند سفح جبل الزيتون، ومع أن هذا الوادي عميق نسبياً، هو بالفعل ممتلىء تماماً، لأن الرومان— وفق ما أخبرنا به يوسفيوس— قاموا، عندما كانوا يحاصرون المدينة من ذلك الجانب، بقطع أشجار الزيتون

والأشجار الأخرى، وصنعوا منها سواتر دفاعية لأنفسهم، وقد ملأوا الوادي بالسواتر الدفاعية، فضلاً عن هذا، بعد ما جرى الاستيلاء على المدينة،أمر إليوس هدر يانوس بجميع الخرائب العائدة لساحات الهيكل، فرميت في وادي قدرون، وأمر أيضاً بتسوية جبل موريا، حتى لايمكن تحصين المكان مرة ثانية، كما أمر أيضاً بفلاحة المدينة بالملح، وهذه الأشياء كلها بديهية بالنسبة لأي إنسان يكون في الموقع، لأن ضريح العذراء الرائعة، القائم في وادي شعفاط، ليس في قعره، لكن عند سفح جبل الزيتون، لم يكن أبداً أعلى من قعر الوادي، أو فوق وجهه، وذلك في الأيام التي كانت القدس فيها مسكونة، أي قبل التدمير، وهو الآن عميق جداً تحت الأرض، وهكذا فإن الكنيسة كلها، مع أنها كانت عالية ومقنطرة، هي الآن تحت الأرض تماماً، ومغطاة كليا، والوادي فوقها كامل الاستواء، وهكذا هناك طريق يمكن للانسان أن يمشي عليه فوق سطح الكنيسة وهناك على كل حال على وجه الأرض بناء على شكل بيعة، تدخلها، وتنزل من خلالها درجات كثيرة تحت الأرض إلى الكنيسة نفسها، وبذلك تأتي إلى ضريح العذراء الرائعة، وأعتقد أن هناك ستين درجة، والضريح قائم في وسط السدّة، أمام المذبح، وهو من الرخام ومزين بشكل رائع، ولقد دخلت إلى هذه الكنيسة، وكنت بها، ورأيت الضريح، لكن هذه الكنيسة رطبة جداً في داخلها، لأن وادي قدرون يجري تحتها، وهو مغطى بالركام الذي أشرنا إليه أعلاه، وفي أي وقت يكون هناك فيضان من مياه الأمطار، يتفجر هذا الوادي الذي مايزال يجري في القناة القديمة تحت الركام، وينبع، وبذلك يملأ الكنيسة، وهكذا تجري المياه فوق جميع الدرجات، وتتدفق من فم البيعة فوق ذروتهم، وفي أرض مقبرة الكنيسة، ليس بعيداً عن بابها، ينضح الناس من السكان المحليين الماء من بئر سماه نحميا (٢/ ١٣): «عين التنين»، وهذه العين موجودة أمام باب الوادي، أو باب الضأن، وتضاء كنيسة العذراء المباركة من الداخل بوساطة نوافذ

شرقية، تطل على جبل الزيتون، حيث من طبيعة الأرض يمكن للضوء أن يدخل من خلالهن.

وباتجاه الشرق— ليس بعيداً— أن تقول حوالي الخمسين قدماً عن باب البيعة الذي يقود إلى الكنيسة، هناك باب كنيسة أخرى، اسمها جيسماني، حيث كانت الحديقة التي دخل إليها الرب مع حوارييه، وهي قائمة على طرف الجبل، ومبنية مقابل صخرة مجوفة معلقة وناتئة من الجبل، وتحت هذه الصخرة كان الحواريون جالسين عندما قال الرب لهم: «اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك» [متى:٢٦/ ٣٦]، والمكان الذي جلسوا فيه مرئي في هذا اليوم، ومرئي أيضاً المكان الذي أُعتقل فيه من قبل الحشد، وحيث قام يهوذا بخيانته بوساطة قبلة، ومن الممكن رؤية طبعة جمجمته فوق الصخرة النائته، وعلامات رأسه وشعره، ويحكى بأنه عمل هذه العلامات، لدى امساكه بالصخرة، عندما اعتقله الحشد، واعرف أنه من غير الممكن استخراج غبار من هذه الصخرة، أو اقتطاع جزء منها، فلقد عملت طويلاً بوساطة أدوات حديدية، حتى أتمكن من اقتطاع شظية منها، ومع هذا فإن الطبعات المشار إليهن أعلاه من الممكن رؤيتهن بكل وضوح، وكأن الصخرة قد كانت عجيناً.

وعلى رمية حجر إلى الجنوب من جيسماني يوجد المكان الذي صلى فيه بعيداً عنهم، وأخذ عرقه يتصبب على الأرض مثل نقاط من دم، وهنا أيضاً توجد صخرة من النوع نفسه عليها أيضاً طبعات لركبتيه ويديه.

وبين هذا المكان وبين جيسماني، وفي مقابل كنيسة العذراء المباركة، يمر الطريق الذي يقود إلى جبل الزيتون، وبيت عنيا، والأردن.

وعلى أكثر من رمية حجر نحو جنوب المكان الذي صلى الرب فيه، في مقابل الهيكل، وعند سفح جبل الزيتون، في وادي شعفاط، يقوم قبر

ذلك الملك، الذي يمتلك آبدة فائقة الجمال قد بنيت فوقه.

وعند سفح جبل صهيــون، وفي مقــابـل قصر سليمان، وذلك على الجانب الغربي من وادي شعفـاط، يوجد نبع سلوان ، الذي تتـدفق منه الميـاه من خـلال أنابيب إلى البركـة العليـا، وإلى بركـة استحمام سلوان، ويكون هذا عندما يفيض النبع بالمياه، لأنه لايتدفق بشكل متواصل، بل بين آونة وأخرى.

وكل من هاتين البركتين مـوجـودتين عنـد سفح جبل صهيـون، بينه وبين حق الدم، وتصب الميـاه كذلك في هاتين البركتين من نبع جيحـون المنخفض (بركـة السلطان)، الـذي ينبع تحت حقل القصـار، وذلك على مقربة من المكان الذي وقف فيه ربشكا Rabshakeh، وجدف ضد الرب.

وعلى مقربة من هاتين البركتين، أي على مسافة لاتتجاوز رمية حجر، على طول الـوادي إلى الجنوب، يوجـــد حقـل حق الدم، وذلـك حيث يجري دفن الحجاج، وهـوالذي شري بالثلاثين قطعة فضيـة التي باع بها يهوذا الرب، ويوجـد في هذا الحقـل كثيراً من الاضرحـة ذات النفقـات العالية.

ودون البركتين وحقل حق الدم، وذلـك على الجهـة الشرقيـة منهم، يجري جدول قدرون، وذلك مع المياه التي يجلبها معه من أجزاء علوية، نذكـر منها: رامـه، وعناتا Anathoth، وضريح ملكة عبادين، ومن الممكن سماع أصـوات خـرير الميـاه الجارية عميقاً تحت كنيسـة العـذراء المباركـة، وهي تتدفق إلى هذا المكان، فضلاً عن هذا نجـد أن المياه التي تفيض من هاتين البركتين تلتحـق بها، وهكذا تتـدفق هذه الميـــاه جميعـاً لتصب في وادي جيسماني، الذي عرف أيضاً بمـوضع توفت، ويوجد في هذا الوادي صخـرة زوحلت، وكـذلـك بئر روجل(عين أيوب)، حيث

أقام أدونيا حفلاً عندما حاول أن يكون ملكاً، وهناك أيضاً جرى دفن إشعيا، الذي قطع إلى نصفين قرب نبع سلوان، والموقع على بعد أكثر من رمية حجر عنه، وكل هذه الأماكن فائقة الجمال، مع حدائق ونباتات خضراء، وهي مليئة بالفواكه الجيدة، وتسقى بمياه جدول قدرون.

وفوق هذا المكان يوجد جبل العدوان، وكان في هذا الوادي حديقة، وكانوا قد اعتادوا على تعبير أولادهم هناك من خلال النار، وعبادة الأصنام.

وليكن ما قيل فيه كفاية بالنسبة لوصف الأماكن حول المدينة.

واعلم الآن أن هناك كثيراً من الأماكن المقدسة في المدينة، تحرك الانسان نحو التقوى، وهي كثيرة إلى حد أن يوماً واحداً لايكفي لزيارتها جميعاً، ومهما يكن من أمر، تحتل كنيسة الضريح المقدس المكان الأول بين جميع هذه الأماكن.

وهذه الكنيسة مستديرة، ومقاييس قطرها بين الأعمدة هو ثلاثة وسبعين قدماً، دون حساب النتوءات الخارجية، التي قياسها ثلاثين قدماً من حول سور الكنيسة، ويوجد فوق ضريح الرب، القائم في وسط الكنيسة، هناك فتحة مستديرة، وعلى هذا فإن مجمل قبو الضريح قائم في الهواء الطلق.

وإلى جوار هذه توجد كنيسة الجلجلة، وهي مستطيلة، ومتصلة بشرفة كنيسة الضريح المقدس، غير أنها منخفضة عنها بعض الشيء، لكنهما معاً قائمتان تحت سقف واحد.

وطول الكهف الذي يوجد فيه ضريح الرب ثمانية أقدام، ومثل ذلك ثمانية أقدام عرضه، وهو مغلف كلياً بالرخام في الخارج، لكنه في الداخل مجرد صخرة عارية، كما كانت أيام دفنه، والباب الذي يؤدي إلى مدخل هذا الكهف موجود من الجانب الشرقي، وهو منخفض كثيراً،

وصغير.

ويجد الانسان لدى دخوله على جهته اليمنى قبر الضريح المقدس، وذلك مقابل الجدار الشمالي، وهو من الرخام الرمادي، وعلوه ثلاثة أشبار فوق سطح الأرض المبلطة، وطوله ثمانية أقدام، ومثله مثل القبو أوالكهف نفسه القائم في داخله، مغلق من كل جانب، ولايوجد ضوء خارجي يتسرب إلى داخله، لانعدام وجود نافذة تجلب الضوء إلى الداخل، لكن هناك تسعة مصابيح معلقة فوق ضريح الرب، وهي تعطي الضوء في داخل المكان، وهناك أيضاً كهف آخر خارج هذا الكهف، له الطول نفسه والعرض والاعداد والتنظيم في كل من الخارج والداخل، ويبدو أن هذان الكهفان من الخارج كأنهما كهف واحد، لكن عندما تدخل سوف تجد أنهما منقسمان ومنفصلان في الوسط أحدهما عن الآخر، ويدخل الانسان أولاً إلى الأول، ومن ثم إلى الثاني، الذي يوجد فيه الضريح، وإلى الأول دخلت النسوة عندما قلن:«من سيدحرج هذه الصخرة لنا»الخ، وقد دحرجت هذه الصخرة نحو مواجهة الباب في الكهف الداخلي، وفي هذه الأيام قسم كبير منها ممدد أمام باب الكهف الداخلي، الذي نحوه وإلى مقابله قد دحرجت، وذلك في الوسط هناك، وقد نقل الجزء الآخر منها إلى جبل صهيون لدعم المذبح هناك، وقد رأيت هذه القطعة أيضاً هناك، في ذلك المكان.

ويبعد جبل أكرا(الجمجمة) حيث جرى صلب الرب فوقه، سبعين قدماً عن مكان الضريح، ويصعد الانسان ثمانية عشر قدماً فوق سقف الكنيسة المبلط إلى المكان الذي ثُبت فيه في الصخرة، والفتحة —أو الصدع — في هذه الصخرة نفسها التي فيها جرى تثبيت الصليب واسعة بقدر رأس إنسان، وتمتد طولياً ثمانية عشر قدماً، وذلك من مكان الصلب نزولاً حتى البلاط في الأسفل، وإلى هذا اليوم من الممكن رؤية لون دم مولانا يسوع المسيح في صدع الصخرة، وكان هذا الصدع

تحت يده اليسرى، وقــد بني في هذا المكــان، حيث كــانت يده اليسرى ،مذبح رخامي جميل جداً، وقد رتلت هناك قداساً حول الآلام، وقرأت خبر الآلام وفقاً لرواية القديس يوحنا، في قـداس جرى الاحتفال به في المكان نفسه لآلام المسيح.

وهذه البيعة مبلطة كلهـا بالرخام، وجدرانها مغطاة بالرخـام، ومزينة بأعمال الفسيفساء من الذهب الخالص،

وعلى بعد أربعة وعشرين قدماً إلى الشرق من الجمجمة، هناك مذبح، يوجد تحته قطعـة من العمود، الذي جُلد الرب عنده، وقد حملت إلى ها هنا وجلبت من بيت بيلايطس، وهي مغطاة بحجارة المذبح، إنما بطريقة يمكن بها لمسها، ورؤيتها، وتقبيلهـا من قبل المؤمنين، والعمود قطعة من صخرة رخاميـة سماقية داكنة، فيها نقاط حمراء طبيعية، يعتقـد العامة أنها لطخ من دم المسيح.

ويقال بأن شطراً آخر من هذا العمود قد نقل إلى القسطنطينية.

وعلى بعـــد عشرة أقـدام إلى الشرق من مـــذبح هذا العمـــود، ينزل الانسان أربعين درجة إلى المكان الذي وجدت فيه هيلانة الصليب.

ويوجد هنا بيعة مع مذبحين عميقاً تحت الأرض.

ويبـدو لي أن المكان الذي استخرج منه الصليب قـد كان واحـداً من خنادق المدينة، فيه كانت ترمى الصلبان، بعد إنزال الأجساد عنها، وفيه أيضـاً كـانت ترمى جميع فضـلات المدينة التي تراكمت فـوق الصلبـان، وبقي الأمــر كـذلـك حتى جاءت هيــلانة فنظفت المكان ووجــدت الصليب، لأن مكان الآلام كـــان على مقـربة من المدينة، وكـــانت هناك حديقة في ذلك المكان.

هذا وإن المكان الذي وقفت فيــه العـذراء المباركـة على مقــربة من

الصليب مع المرأتين الأخرتين، لم يكن ذراع الصليب في جهة الشمال، بل أمام وجه ابنها في الجهة الغربية، أو قريب من هناك، والمكان الذي وقفت فيه أمام وجه ابنها، وهو معلق فوق الصليب، مرئي عند سفح الجبل مع الصخرة التي جرى تثبيت الصليب عليها، وهو مبجل من قبل المؤمنين، وغالباً ما رأيت هذا المكان، فضلاً عن هذا، عندما كان المسيح معلقاً فوق الصليب أدار وجهه نحو الغرب،وليس نحو الشرق، كما ذهب بعضهم إلى القول، وهذا واضح لأن مجرى السيل الذي تقدم ذكره، والذي خدم بمثابة خندق للمدينة على الجهة الغربية، كان خلف الصليب، وقد ألقي الصليب فيه، وفيما بعد تم العثور عليه هناك حسبما تقدم القول.

وهناك عدد كبير من المذابح المزينة في هذه الكنيسة.

وقبل الباب الغربي لهذه الكنيسة، يوجد المكان، الذي صلت فيه مريم المصرية أمام تمثال العذراء المباركة، وذلك بعدما حاولت دخول الكنيسة، فدفعت بشكل اعجازي ولم تمكن من الدخول إليها، ثم تمت تعزيتها باستجابة العذراء المباركة لصلواتها.

وبالذهاب من هناك نحو برج داود وجبل صهيون، يوجد المكان الذي قتل فيه صبراً القديس جيمس من قبل هيرود أغريبا، وذلك حيث المكان الذي سخر فيه اليهود من المسيح، وأيضاً المكان الذي سجنوه فيه حتى الصباح، وهو المكان صار يعرف باسم سجن الرب، وعلى رمية حجر من هذا المكان يوجد الموضع الذي انتقلت إليه مريم العذراء المباركة وسكنت فيه طوال المدة التي عاشتها، بعد صعود الرب إلى السماء، وعلى مقربة من هذا المكان الذي القاعة الكبرى للعشاء، حيث تعشى الرب مع حوارييه، وغسل أقدامهم، وأعطاهم جسده ودمه، وظهر لهم مرات عديدة بعد قيامته، وحيث جرى اختيار متى رسولاً من قبل الجميع، وحيث نزل الروح القدس، وتم أيضاً صنع أشياء

رائعة كثيرة.

واعلم أن مدينة القـدس قائمة فوق أرض عظيمـة الارتفاع، يمكنك منهـا رؤية جميع العـربية، وجبل عبريم، ونبـو، وبسغـة، وسهل الأردن، وأريحا، والبحر الميت، حتى البتراء في الفيافي، وأنا لم أشهد قط أية مدينة أو مكان، امتلك مشهـداً أجمل، ويمضي الانسـان صعـوداً إليهـا من كل جهة، لأنها قـائمة فـوق البقعة الأعلى في البـلاد، وذلك باستثناء شيلوه، الموجودة على بعد فرسخين من هناك.

وبالنسبـة لحجم المدينة المقـدسـة، عليك أن تعـرف، أن قيـاس محيط المدينة حـــوالي ثـلاث وثلاثين غلوة، وذلك مـن دون حســـاب جبل صهيون، فهذ ا ما ذكره يوسفيوس، أما هي كلها مع جبل صهيون: فإن السور الخارجي— أي أن تقـول السور الثالـث، أيضاً تبعاً ليـوسفيوس نفسه— فيـه تسعين برجاً، ويقع كل برج على مسافـة مائتي ذراع— أي أربعمائـة قدم— مما يجعل بين كل بـرج وبرج مسافـة ستين خطوة، وإذا ضربنا هذه الستين خطوة بـالتسعين برجـاً، فإن النتيجـة سـوف تكون خمسـة آلاف وأربعمائـة خطوة، وتشكل هذه إطار الدائـرة حـول المدينة، وإذا حسبنا الآن أن خمسمائـــة خطوة وخمس وعشرين خطوة تســـاوي غلوة، فإننا إذا قسمنا خمسـة آلاف وأربعمائة على مـائة وخمس وعشرين، فإن المحصلة هي أربعين غلوة، وهذه تسـاوي خمسـة أميـال، فهذا كـان محيط المدينة في أيام تدميرها من قبل الرومان، حسبما أخبرنا يوسفيوس، لكن منذ ذلك الوقت قـام المسيحيـون بتـوسعـة المدينة، وأدخلوا مكان ضريح الرب إلى داخل الأسوار، وقـال اللورد المبجل الأب جيمس دي فيتري، بطريرك القدس في كتـابه حول الاستيلاء على الارض المقـدسة، بين أشياء وقضايا أخرى: «غالباً ماذكر، وعلينا أن نذكر دوماً، أن المدينة قائمة كلها فوق جبل مرتفع، وهي محاطة من جميع الجوانب بسور قوي، وهي ليست منزعجة بضيق المساحة الشديد، ومثل هذا ليست مضطربة

بسبب وجود فائض بالحجم، فمقاسها أربع رميات سهم من السور إلى السور المقابل، وتمتلك على الجهة الغربية حصنا قد بني بالحجارة المربعة، وهذه الحجارة ملتصقة مع بعضها بعضاً بشكل غير قابل للكسر، وجاء ذلك بوساطة الملاط والرصاص، ويقوم هذا الحصن من أحد الجوانب بدور سور المدينة، وهو يعرف باسم حصن برج داوود، وهو الذي يسميه بعضهم باسم برج أنطوني، وهناك على جانبه الجنوبي جبل صهيون، وذلك حيث بنى داود لنفسه بيتاً، وحيث أيضاً جرى دفنه مع الملوك الآخرين، وهو الذي أطلق عليها اسم مدينة داوود، غير أن جبل أكرا، الذي صلب فوقه الرب، قد قام خارج أسوار المدينة، على الجانب الغربي، وتولى على كل حال إيليوس هدريانوس إعادة بناء المدينة التي هدمها تيتوس وفسبسيان، وقد وسعها كثيراً، بحيث أنها شملت موضع الصلب والضريح، وباتت هذه الأماكن داخل إطار الأسوار، ومع هذا بقي الشكل العام كما كان من قبل»، وبهذا أكون قد فرغت من اقتباس كلمات اللورد جيمس.

ودعونا الآن نتولى وصف أبوابها، ووصف الجبال المحيطة بها، مع أهم أماكنها البارزة:

وكان أول أبوابها هو باب داوود، وهو الباب الذي كان موجوداً في الجهة الغربية لجبل صهيون، وذلك حيث توجد قرنة المدينة التحتا، في مقابل برج داوود، عند المكان الذي يتشعب فيه مجريا السيل، وينفصل أحدهما عن الآخر، حيث اتجه أولهما نحو الشمال، واتجه الآخر نحو الشرق، وكان هناك بناء مقنطر قبل الباب، إنما على الجانب الأقصى من الوادي، الذي من خلاله كان الطريق يقود الى خارج المدينة، وعلى الجانب الأيمن لهذا البناء المقنطر شنق يهوذا نفسه على شجرة جميز، وكان هذا الباب يعرف باسم باب السمك، لأن من خلاله يمر الطريق من يافا واللد، وشاطىء البحر، الذي اعتادوا على جلب السمك عبره،

وعرف هذا البـاب أيضاً باسم باب التجـار، لأن من خلاله مـرّ الطريق إلى بيت لحم، وحبرون، وغزة، ومصر وإثيوبيا، كما أطلق عليه اسم باب داوود، لأن برج داوود مشرف عليه، وكذلك مدينة داوود مطلة عليه.

وكان البـاب الثاني الذي تلا في التعداد موجـوداً في الجانب نفسه من السور — أي أنه متجـه نحو الغرب — غير أنه كان على مسـافة ضئيلة إلى الشمال من الأول، وقد عـرف باسم الباب القديم،لأنه كان مـوجوداً هناك منذ أيام اليبوسيين، وكان يطلق أيضـاً عليه اسم باب القضاء،لأن أحكام القضـاء كانت تصـدر أمامـه، وبعد إصدار الأحكـام كان يجري تنفيذها خـارج هذا الباب، وخارج هذا البـاب جرى صلب الرب، لأن البـلاط، أو موضع القضـاء، في داخل سـور المدينة القديم، وفي السـور الجديد الذي أحاط بضريح الرب بالسور الجديد، واسم هذا الباب الآن باب القـديس اسطفــان، حيث أن هناك باباً جـديـداً حل محل القـديم، وأطلق عليــه الاسـم نفســه، وهو يقــود إلى شيلـوه وبيت حــورون، وجبعون.

ويقوم البـاب الثالث إلى الشمال من هذا، ويدعى باسـم باب إفرايم، لأن الطريق إلى جبل إفـرايم يمـر مـن خـلاله، وعند هذا البـاب يلتقي السور الجديـد الذي بنيٰ للإحاطة بضريح الرب، لأنه رجم خـارج هذا الباب، وهو يقود إلى: شكيم، والسامرة، والجليل.

ويقوم الباب الرابع إلى الشرق من هذا الباب، وهو موجود عند قرنة المدينة فـوق جدول قـدرون، واسمـه باب الزاوية، ويدعى أيضـاً باسم باب بنيامين، لأن من خـلاله يمر الطريق إلى عناتـا وبيت إيل، والقفار، والمدن الأخرى القائمة في ديار(سبط) بنيامين.

وكان البـاب الخامس قائماً إلى الجنوب مـن هذا الباب، وكـان اسمه باب تلة الروث، أو بـاب الروث، وهو قـائـم فـوق جـدول قـدرون،

والطريق مـن خــلاله يقــود إلى الصحــراء، ولم يكن هذا البــاب كثير الاستخدام، بسبب أن الأماكن التي يقود إليها كانت غير حضارية.

ومثل هذا كـان البـاب السـادس إلى الجنوب من هذا البـاب، وكـان اسمـه بـاب الضأن، لأن الأغنام التي كـانت تستخـدم للأضـاحي في الهيكل، كانت تسـاق من خلاله، وذلك بسبب وجـود بركة الضأن على مقـربة منه، وكــان يعـرف أيضـاً باسم بـاب الوادي، بسبب أن الطريق الذي يمر من خـلاله يقود إلى وادي شعفـاط، وضريح العذراء المبـاركة قائم على بعد رمية حجر عنه، وكان يشرف عليه البرج الذي اسمه برج فاسيلوس، الذي بني من قبل الملك هيرود، وعرف أيضاً باسم باب بئر التنين، لأن في خارجـه كان هناك بئر اسمـه بئر التنين، ويمضي الانسان عبر هذا الطريق إلى بيت عنيا، وإلى جبل الزيتون، وإلى الأردن.

والباب السـابع قائم أيضاً إلى الجنوب من هذا الباب، ويعـرف أيضاً باسم البـاب الـذهبي، وهو قـائم فـوق جـدول قــدرون، غير أنه كـان موجوداً في ساحـة الهيكل، لكن انتبه أن هذا لم يكن باباً للمدينة، بل باباً للهيكل، وعلى كل حـال يمر من خـلاله طريق يقـود بانقطاع قصير من جبل الزيتــون على الطرف الأقصى لوادي شعفــاط، يمـر من خــلال قنطرة، وفي داخله كـان باب الهيكل الـذي عـرف باسم البـاب الجميل، ومن هذا الباب هناك طريق يقود إلى بيت عنيا، وأريحا والأردن.

وكان البـاب الثامن إلى الجنوب من هذا الباب الذي قام فـوقه، وهو كان قـائماً في الوادي فوق جدول قـدرون، فيما بين جبل صهيون، وجبل الهيكل، وكـان اسمه باب نبع سلـوان، أو باب الماء، لأنه كان يقـود إلى نبع وبركــة سلوان لـلاستحمام، ووادي جهنم، وحق الدم، وحــديقــة الملك، وعلي أن أميل إلى الاعتقـــاد أن هذا كــان بـاب الروث، وليس البـاب المتقدم ذكـره، وذلك بسبب وضعـه، كما أنني لاأعتقد أنه وجـد المزيد من الأبـواب في القــدس، لأنه من خــلال وضـع المدينة، لم تكن

هناك حـاجـة إلى المزيد منهم حــول جبل صهيـون كله، وإذا كـان قـد توفرت الحاجة إلى باب، لم يكن من الممكن امتلاك باب هناك،لأن شكل الأرض التي هي شديدة الميلان من كل جانب، تحول دون ذلك.

وكانت الجبال من حول القدس كمايلي:

كـان هناك إلى الشرق من المدينة جبل الزيتون، المشرف عليهـا، ذلك أنه أكبر وأعلى من الجبال الأخرى، الموجـودة من حولها، وقد بنيت على قمته كنيسـة، فوق المكان الذي صعـد منه الرب إلى السماء، وهذا المكان في وسط الكنيسة، وفـوقه توجد فتحـة، حيث يبقى الفراغ الهوائي الذي من خلاله صعـد مفتوحاً أيضاً، وصحيح أن الصخـرة التي وقف عليها أثناء صعـوده، والتي تحتـوي على طبعـات قــدميـه، قـد وضعت هناك للذكـرى، أيضـاً إن هذه الصخــرة قـد وضعت بقصـد إغـلاق البـاب الشرقي، لكن مـن دون مــلاط، لذلك يمكن لـلانســان أن يضع يده بسهولة، ويلمس طبعات القدمين، غير أنه يستطيع رؤيتهم، ويوجد على الجهـة الجنوبية بيعـة متصلة بهذه الكنيسـة، حيث دفنت في داخل كهف هناك بيليجيا، التي كانت محظية معروفة، عليها أضفى الرب مراراً نعمة المغفرة، وجعلها مثـلاً للمذنبات، ولقد قيل بأن مـا من إنسان يعيش مع ذنب عظيم يمكنه أن يمر فيما بين ضريحهـا وبين السور بجـانبها، لكنني لاأعرف مدى صحة هذا، فلقد رأيت كثيرين يمرون من هناك.

ويوجد على هذا الجبل نفسه، على أقل من رميـة حجر نحو الجنوب، كنيسـة أخرى، اسمهـا بيت الخبز، فهناك علّم الرب حـوارييه الصـلاة، وكتب صلاة الرب على صخرة هناك.

وجبل العدوان مجاور لجبـل الزيتون في الجنوب، وهو مـرتفع إلى حد مـا، والجبـلان منفصـلان عن بعضهما بوسـاطة واد قـائم بينهما، وأطلق عليــه اسم جبل العــدوان بسبب أن سليمان أنشـأ هناك هيكلاً لمردوخ

Moloch في مواجهة الهيكل، وبذلك أثار غضب الرب.

وعند سفحه في الجهة الجنوبيــة، يوجد موضع توفت، أو جهنم Ge-hinnon وإلى الجنوب الشرقي من المدينة يقــوم حقل حق الدم، مع جبل مـرتفع جداً فـوقـه، يدعى بالاسم نفســه، وهو يغطي تقريبـاً جميع الطريق الممتد في مقابل الجانب الجنوبي من المدينة.

وحقل القصار متصل بهذا الحقل من الجهة الغرية، ويوجد فوقه جبل يساوي بالارتفاع الجبل المتقدم الذكر.

ويوجـد على الجهـة الغـربيـة من المدينـة جبل جيحـون، وهو متصل بحقل القصار، هذا ويمـر بينهما الطريق القادم من باب داوود، ويشرف جبل جيحون هذا على الطـرف الغربي من المدينة، لكن ارتفاعـه يتناقص بالتدريج، حتى يصبح في مقابل الباب القديم ليس كبير الارتفاع.

وعلى كل حال، الأرض باتجاه الغرب والشمال هضبية، وذلك امتداداً حتى ضريح هيـلانة، القائم في مـواجهة باب بنيـامين، الذي يتجه نحـو جدول قدرون ويشرف عليه.

وعبر جدول قدرون، في الجهـة الشمالية من جبل الزيتون، هناك جبل آخر، هو أيضـاً مرتفع جداً مثله مثل جبل الزيتـون، وهو على بعد أربع غلوات عـن القـــدس، وهناك بنى سليمان هيكـلاً لشمش، وهـو وثن المآبيين، وقـد بني عليـه في أيام المكابيين والـرومـان قلعـة، انزعج منهـا سكان القدس وغضبوا كثيراً، وماتزال آثارها هناك حتى هذا اليوم.

وهذه الجبـال جميعاًعلى مقـربة من أسـوار المدينة، لكن ليس كثيراً إلى حد يمكن فيه الهجوم على المدينة منهم بوساطة الآلات الحربية.

وليكن الذيَ قلناه عن وضع القدس، فيـه كفاية، وكذلك عن أبوابها وعن الجبال التي من حـولها، ودعونا نلتفت عـائدين إلى وصف المتبقي

من البلاد.

٩ — وعلى بعد فرسخين نحو الشمال — الغربي للقدس يوجد جبل شيلوه[سيلون]، الذي اسمه الآن جبل القديس صموئيل، وهو أعلى الجبال في الأرض المقدسة، وقمته أعلى من قممهم جميعاً، وهو على بعد أكثر من فرسخ من جبعة شاؤول، وأقام هنا لمدة طويلة تابوه الرب، وخيمة العهد، أي العهد الذي عمله موسى في القفار.

وعلى بعد فرسخ من هناك توجد جبعة[الجيب]، وهي مدينة بنيامين، وهي قائمة على الجبل نفسه، وعلى هذا كان مقدّم الأماكن المرتفعة قد وجد — كما قيل — هناك، وقد أرسل أهل هذه المدينة رسلاً إلى يوشع في الجلجال، وأقاموا سلماً معه بالبراعة، حيث تظاهروا بأنهم كانوا يسكنون في بلاد نائية.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الغرب من القدس، توجد عمواس، حيث سار الرب مع الحواريين كغرباء، وصار معروفاًبالنسبة لهم عن طريق كسر الخبز، واسمها الآن نيكوبولس Nicopolis .

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الغرب من القدس، وعند سفح جبل شيلوه، توجد بيت حورون التحتا(بيت عور التحتا)، التي ورد ذكرها في سفر المكابيين(الأول:٧/ ٣٩).

وعلى بعد أربعة فراسخ ونصف الفرسخ إلى الغرب من القدس، وعلى الطريق إلى اللد، توجد قرية بيت جيريم(عرما)، التي كانت إحدى مدن الجبعونيين، حيث أقام التابوه لمدة عشرين سنة، بعدما أخذ إلى بلاد الفلسطينيين، وفي الغرب من قرية جيريم توجد لكش(تل الحسي)، التي كانت أيضاً إحدى مدن الجبعونيين، وقد حوصرت من قبل سنحريب في أيام حزقيال.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب، أو ما يقارب ذلك، من قرية بيت

جيريم، توجد بلدة بيت شمش، التي علينا أن نميزها عن الأخرى الموجودة في ديار سبط نفتالي، والتي عرفت باسم بيت شمش اليهودية[عين شمش]، مع أنها في الحقيقة، قد كانت في ديار سبط دان.

وإلى الحقل العائد لتلك البلدة تولت البقرتان الحلوبان جر العجلة التي كان عليها تابوت الرب، وذلك عندما كان أهالي بيت شمس يحصدون موسم الحنطة في الوادي، وقد مات سبعون ألفاً من الناس، لأنهم رأوا تابوت الرب مكشوفاً.

وعلى عشرة فراسخ من القدس توجد راماثيم زوفيم(الرملة)، التي كانت جزئياً في ديار سبط بنيامين، وجزئياً في ديار سبط إفرايم، وهي قائمة فوق جبل إفرايم، وبناء عليه أطلق هذا الاسم على السهل، ومهما يكن من أمر، هو ليس جبلاً بل سهلاً، وقد عرفت باسم أريمثا Ar-imathea ، فمنها جاء يوسف المستشار الشريف، الذي تولى دفن الرب، وكان النبي صموئيل قد ولد هنا ودفن أيضاً هنا، وهي تعرف في هذه الأيام باسم الرملة.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الغرب من الرملة تقوم مدينةيافا، التي منها ذهب يونه على ظهر سفينة إلى ترشيش، أي إلى جزائر البحر، منذ حضور الرب.

ودون يافا توجد يبنا، التي هي ميناء آخر لليهودية على بعد فرسخين، نحو الجنوب، وقد استولى يهوذا المكابي على هذا الميناء وأحرقه.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من القدس توجد بيت لحم، المدينة التي تشرفت بميلاد داوود الحقيقي، وهي قائمة على جهة يسار الطريق الذي يقود إلى حبرون، إنما على بعد رمية سهم عن الطريق، وقبل هذا، يصل الانسان — على كل حال — إلى ضريح راحيل، على جهة اليمين لطرف الطريق، وهناك في مقابل بيت لحم برج عدر، أو القطعان، حيث

أقـام يعقوب لبعض الوقت، وأطعم قطعـانه بعد وفـاة راحيل، وفي هذا المكان، عندما كان الرعاة أيضـاً يحرسون قطيعهم خلال الليل، في ساعة ميــلاد المسيح، رأوا الملائكة وسمعــوهم وهم يغنون«المجــد للرب في الأعالي»، وكانوا يبشرون بميلاد المخلص.

وتقـوم بيت لحم فــوق جبل، هو مـرتفـع بعض الشيء، لكنه ضيق، ويمتـد من الشرق إلى الغـرب، ولها باب على الجانـب الغـربي، ويوجـد هناك على مقــربة من البـاب البئر الذي تشــوق داوود إلى الشرب منه، عندما كان محاصراً هناك.

ويوجـد عند النهاية الشرقيـة للمـدينة، تحت الصخرة القـائمة قـرب ســور المدينة، مـابدا — تبعـاً لعـادات تلـك البـلاد — مكاناً جــرى استخـدامـه بمثــابة اسطبل، تمّ نحت معلفـه بـالصخـر، وذلك حسب عـادات تلك المناطق، وولد يســوع المسيح، شمس العـدالة المشرقـة على الدنيـا، من أم عـذراء، وباختيـاره لمثل هذا المكان القـذر، لأن يلد فيـه، ولأن يشرق منه، أظهر بميلاده بأنه سوف يزيل قذارة العالم وظلامه.

وعلى مقـربة من تلك الصخرة المتقـدمة الذكـر، توجد صخـرة أكبر، وذلك على بعـد أربعـة أقـدام عنها، كـان تحتهـا المعلف الذي مـدد فيـه الطفل الحلو، المولود حـديثاً، أمام الثـور والأتان، وهو ملفوف بـأقمشة بالية، هذا ويبـدو لي من المؤكد أنه كان هناك في البداية صخـرة واحدة، لكن جرى فتح طريق في وسط الصخـرة، من خلاله يذهب الانسان إلى سدّة هـذه البيعة، ويذهب الانســان من الكنيسة إلى مكان ميـلاد الأكثر حلاوة بالنزول بالدرجات، وذلك لأسبـاب جرى شرحها أعلاه، وهذه البيعة مغطاة بأكملها بأعمال الفسيفساء، ومبلطة بالرخام، وبنيت بسخاء كبير، وفوق المكان الذي ولدت فيـه العذراء المبـاركة، من الممكن تلاوة قـداس هناك، فـوق لوح من الرخـام ممـدد هناك، ومن الممكن أن يرى الانسان هناك الصخـرة العارية التي ولد عليهـا المسيح، ومثل هذا ترك

جزء من المعلف، الذي ولد فيه المسيح، غير مغطى، ويجري تقبيل هذين المكانين بتقوى عظيمة من قبل المؤمنين، ومررت في إحدى الليالي بهذين المكانين، وتوليت تقبيل المكان الأول ثم المكان الآخر، وأنا لم أشاهد، أو سمعت أحداً قط يقول بأنه رأى كنيسة أكثر قداسة من هذه في أي مكان في العالم، ويوجد هناك أربعة صفوف من الأعمدة تستحق الاعجاب، ليس فقط بسبب عددها، بل بسبب حجمها الرائع، فضلاً عن هذا، فإن صحن الكنيسة كله الموجود فوق الأعمدة حتى السقف، مزين بأجمل أعمال الفسيفساء[حيث عرض فيها جميع أحداث التاريخ منذ خلق الدنيا حتى قدوم الرب إلى يوم الحساب]، ومثل هذا فإن الكنيسة كلها مبلطة برخام من مختلف الألوان، وهي مزينة برسوم تحتوي جميع أحداث التاريخ منذ خلق الدنيا حتى قدوم الرب يوم الحساب، وقال رجل بأن تكاليف هذه الرسوم لايمكن تقديرها، ويمكن للانسان أن يكتب أشياء تفوق التصور حول عمل هذه الكنيسة، ويجل المسلمون جميع الكنائس المكرسة للعذراء المباركة، لكنهم يجلون هذه الكنيسة فوق الجميع، ورأيت في هذه الكنيسة معجزة تستحق الذكر، فعندما رأى السلطان التزيينات الثمينة جداً، وألواح الرخام وأعمدة الكنيسة، أمر بنزعهم جميعاً وحملهم إلى القاهرة، ذلك أنه رغب ببناء قصر بهم لنفسه، وياللمعجزة، فعندما جاء العمال مع أدواتهم، وكان السلطان نفسه مع آخرين كثر واقفاً هناك يراقب، خرج من الجدار السليم الأصم، الذي لايمكن للإبرة أن تخرقه، ثعبان بحجم هائل، وقام بعض أول لوح وصل إليه، فتحطم اللوح، وفعل الشيء نفسه باللوح الثاني، ثم بالثالث فالرابع، حتى الثلاثة عشر، وقد ألم بالألواح جميعاً الشيء نفسه، واستولت الدهشة على الجميع، فأقلع السلطان نفسه مباشرة وتخلى عما نواه، وهنا اختفى الثعبان، وهكذا بقيت الكنيسة، ومازالت باقية حتى هذا اليوم، كما كانت من قبل، ومع هذا من الممكن رؤية بعض آثار جسد الثعبان حتى هذا اليوم على كل

لوح مرّ عليه، فقد بدت الألواح وكأنها قد أحرقت بالنار، وفوق هذا كله يبدو أنه أمر خارق، كيف تمكن هذا الثعبان من النفاذ من خلال الجدار، الذي هو ناعم وملمع كأنه زجاج.

وعند الباب الشمالي لهذه الكنيسة هناك دير مغلق للرهبان، وذلك حيث يوجد بئر القديس جيروم، وفراشه، وضريحه، وغرفة المخزن العائد للدير، الذي نقرأ بأن القديس جيروم كان رئيسه، ويمكن أن يرى على الجانب الجنوبي للسدة مكاناً — كما قيل — جرى فيه قتل شطر كبير من الأبرياء ودفنهم.

وعلى بعد حوالي رمية حجر إلى الشرق من هذه الكنيسة هناك كنيسة القديستين: باولا، ويوستوخيوم، وهناك أيضاً ضريحهما.

وعلى بعد نصف فرسخ إلى الغرب من بيت لحم توجد قرية اسمها بزق Bezek التي فيها وفرة من النبيذ الفاخر، الذي لايمكن أن تجد أفضل منه في البلاد، والناس في هذه القرية مسيحيين جميعاً، وهم يتولون العناية بكرومهم وبكروم قرى جيرانهم في وادي رفائيم، وذلك حتى جدول أشكول،[العدد:١٣/ ٢٤]، وقد تسلموا من السلطان امتياز السكنى هناك والعناية بهم، ومنهم يدفعون إلى السلطان مبلغاً كبيراً.

وعلى بعد ستة فراسخ شرقي بيت لحم، على شاطىء البحر الميت، يوجد جبل عين الجدي الذي تقدم وصفه أعلاه.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من عين الجدي، توجد هضبة أخيلا Achila وهي التي عرفت فيما بعد باسم مسعده، وذلك عندما بنى هيرود هناك قلعة لاترام، ويحكى أنه هناك أقام داوود مختبئاً، عندما هرب من أمام شاؤول.

وعلى بعد فرسخين عن بيت لحم، وباتجاه أخيلا، توجد مدينة تقوع، وهي قائمة فوق جبل، وهذه كانت مدينة النبي عاموس، الذي جرى

دفنه هناك أيضاً، وعـاموس هو الذي ضربه آحـازيا ملك القدس، أثناء الليل، ضربة على صدغيه وقتله.

وبجوار هذه المدينة، توجد قفار تقوع.

وفيما بين تقـوع وعين الجدي يمتـد وادي بـريكوت، حيث تحارب يهوشافاط، ملك اليهودية مع الأدوميين، وبني عمون، وهزمهم.

وعلى بعد فرسخ عن هناك، تـوجد قلعة بنيت من قبل هيرود الكبير، واسمهـا هيروديـوم[عند جبل الفـريديـس]، وهي قـائمـة فـوق أرض مرتفعة، وفيها — تبعاً ليوسفيوس — جرى دفن هيرود نفسه.

وعلى خمسـة فـراسـخ إلى الجنوب الشرقي من تقـوع، توجـد مـدينة الزيف[تل الزيـف]، وذلك قـرب قفـار تحمل الاسم نفسـه، فهناك — حسبما قرأنا — أقام داوود مختبئاً.

وبجـوار هذه المدينة، في جهة اليمين، تـوجد قفـار[تل] معين، وذلك حيث يوجـد جبل الكرمل، وأيضـاً حيث سكن نـابال الكرملي، الذي طرد رسل داوود.

وبجـوار قفـار معين، في جهـة الجنـوب، هناك بلاد أمـالك Am-alek ، وفي مقابل لسان للبحر الميت، توجد قادش بارينا(القفار)، التي منها أرسل موسى اثني عشر جاسوساً.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من بيت لحم، على الطريق الذي يقـود إلى حبرون، يوجـد بيت — حكريم Haccerem، وهي قرية قائمة فوق بقعة مرتفعـة، وبجوارها في الجنوب هناك قرية أخرى اسمها رامة(رامـة الخليل،) وهي على درجة عظيمـة من الارتفاع، وقـد وقفت هناك فوق رابيـة عاليـة مع كثير من المرافقين، ورأيت جميع بلاد العـربية حتى جبل سعير، وجميع الأمـاكن الموجـودة من حـول البحـر الميت،

وكـذلك جميع مخابىء داوود، وأيضاً الأردن حتى شطيم(عـدد:٢٥/ ١)، وجبل عبريم، ورأيت باتجاه الغرب جميع شاطىء البحر المتوسط من يافا إلى غزة، وبير السبع، حتى فيـافي شور Shur ، وزيادة على هذا جميع بلاد الفلسطينيين من الرملة مروراً بغث Gath ، وعقرون، وأشدود، ويبنا وعسقـلان، مع جميع السهل الموجـود عند سفـح المنطقـة التليـة لليهودية.

وعلى بعد أكثر من فرسخ مـن رامه، وعلى جهة اليمين، قرب الطريق السلطاني العام الذي يقود إلى حبرون، توجد ممرا، حيث سكن إبراهيم لمدة طويلة، وحيث عندما جلس أمام بيت خيمته إلى جانب بلوطة ممرا، رأى الرجال الثلاثة واقفين إلى جانبـه، وهكذا نجد حسبما قرأنا في سفر التكوين، بأن شجـرة البلوط مـاتزال مـرئية حتى هذا اليـوم، أمـام باب خيمـة إبراهيم، وعلى كل حال، لقـد ماتت الشجـرة القديمـة، ونبع من جذورها شجرة بلوط جديدة.

وعلى بعد نصف فرسخ من بلوطة ممرا، وعلى جهة اليمين، إلى جانب الطريق، تـوجـد حبرون، وهي المدينة القـديمـة، التي عـرفت مـرة باسم«قرية أربعة»، فهناك حكم داوود لمدة سبع سنوات، وكـانت قائمة فـوق يمين جبل مرتفع، وحصين، لكنهـا الآن مـدمرة كليـاً، وخرائبهـا كثيرة، ويبدو أنها كانت مدينة جليلة!.

وعلى بعد رمية سهم جنوبي هذه المدينة، توجد حبرون الجديدة، وقد بنيت فـوق المكان الذي كـان فيـه الكهف المزدوج، المدفـون فيـه: آدم ، وحـواء، وإبراهيم، وسارا، واسحق، ورفقـة ويعقـوب، وليه، وقـد بنى المسلمـون حصناً قوياً جـداً حـول الكهف المزدوج هذا، وفي داخل هذا الحصن هناك الكنيسـة الكاتدرائيـة، ولقـد رأيت في أسـوارها حجـارة مقياس كل منهـا ستة وعشرين، وثمانية وعشرين، وثلاثين قـدماً، وأنا لم أشاهد مكاناً بمثل هذه الحصـانة، قد بني فوق أرض مسطحـة بلا ماء،

ولقد زرت قبور الآباء هناك، وأمضيت ليلة في ذلك المكان.

وعلى بعد رمية سهم إلى الغرب من الكهف المزدوج، يوجد حقل دمشق، الذي من ترابه جرى تشكيل آدم، وفي الحقيقة التربة في هذا الحقل شديدة الحمرة، ومن الممكن قولبتها مثل الشمع، وقد أخذت منها كمية كبيرة معي، ومثل ذلك يفعل الحجاج الآخرون والمسيحيون الذين يزورون هذه الأماكن، فضلاً عن هذا يحمل المسلمون هذه التربة على ظهور الجمال إلى مصر، وأثيوبيا، والهند، وأماكن أخرى، ويبيعونها مقابل توابل ثمينة، ومع هذا يبدو هناك أن كل ما حفر هو مجرد حفرة صغيرة في ذلك المكان، ويقال إنه مع نهاية السنة، قد تكون حفرة كبيرة قد حفرت، نجدها قد امتلأت بشكل إعجازي ثانية، ولقد نسيت أن أبحث عن مصداقية هذا الأمر، والذي يمكنني قوله هو هذا فقط:فعندما كنت هناك، كانت الحفرة حفرة صغيرة، إلى حد أنه كان من الصعب لأربعة رجال الجلوس فيها، ولم تكن أعمق من حد الوصول إلى كتفي، ويقال بأن ما من حيوان يهاجم أو يعتدي على الذي يحمل أياً من هذه التربة، وأنها تحمي الانسان من السقوط، وهذا الوادي القائم في مقابل حبرون خصب جداً وجميل.

وعلى بعد رمية سهم إلى الجنوب من المكان الذي تحفر فيه الأرض، يوجد الموضع الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وكذلك على بعد رميتي سهم إلى الغرب من المكان الذي تحفر به الأرض، وعلى رابية على طرف حبرون، هناك كهف في الصخور، هو المكان الذي بكى فيه آدم وحواء على ابنهما هابيل لمدة مائة سنة، ففي الكهف يوجد فراشهما حتى هذا اليوم، ونبع ماء في داخل الكهف، منه كانا يشربان.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من حبرون توجد دبير Debir(عند الظاهرية) أو قرية سفر، أي مدينة كتاب، التي استولى عليها عثنئيل بن قناز أخو كالب، فأعطاه عكسة ابنته زوجة(يشوع:١٥/ ١٥ — ١٧).

وعلى بعد فرسخين إلى الشمال من حبرون، توجد نيل[ناحال]إشكول، التي معناها جدول العنقود، أو وادي الدموع، الذي منه جلب الجواسيس الغصن مع عنقود واحد من العنب، وقد حملوه بين اثنين على عصا،[العدد:١٣/ ٢٣].

وعلى بعد نصف فرسخ إلى اليسار من هذا الوادي، يجري الجدول[عين حنينا]، الذي عمّد فيه فيليب الخصي.

وعلى بعد أربعة فراسخ من نيل إشكول، باتجاه القدس، يوجد بيت زكريا[عين كارم]، الذي دخلته العذراء المباركة، حيث حيّت هناك ايزابل، وهناك أيضاً ولد القديس يوحنا المعمدان.

وعلى بعد فرسخين إلى الشمال من هذا البيت توجد بيت نوبة، وهي مدينة الكهنة، ففيها أعطى الكاهن أبيمالك إلى داوود سيف جالوت صاحب غث Gath .

وعلى بعد أكثر من فرسخ عن بيت لحم، على الطريق الذي يقود إلى تقوع، يوجد ضريح القديس كريوث Karioth (القديس شارتون)، راعي دير(خريتون) وذلك مع رهبانه، الذين فارقوا الحياة جميعاً معه، وقد اعتادت حشود من الناس على زيارة هذا المكان.

هنا بداية القسم الأول من الربع الجنوبي

١٠ — ويبدأ القسم الأول من الربع الجنوبي من هنا، مثله في ذلك مثل بقية الأقسام، ونجد أولاً أنه على بعد أربعة فراسخ عن عكا، تأتي مدينة حيفا، وذلك عند سفح جبل الكرمل.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من حيفا توجد قلعة الحجاج(عثليت) وهي بأيدي فرسان الداوية، وهي من أكثر الأماكن حصانة بين جميع الأماكن التي استولى عليها الصليبيون، فهي قائمة في

قلب البحر، ومحاطة بأسوار، ودفاعات أخرى مثل السواتر الحصينة والشرافات والأبراج، حتى أن العالم كله قد يعجز عن الاستيلاء عليها.

وعلى بعد فرسخ عن حيفا، على جهة اليسار للطريق إلى عثليت، وفوق جبل الكرمل، يوجد كهف إيليا ومسكن يوشع وبئره، وذلك حيث عاش أبناء الأنبياء، وحيث يعيش الآن الرهبان الكرمليون، فلقد سكنت معهم هناك.

وعلى بعد خمسة فراسخ من قلعة عثليت، توجد قيسارية، التي هي حاضرة فلسطين، والتي كانت فيما مضى مقر رئاسة أساقفة، وكان اسم هذا المكان أولاً دور Dor، وبعد ذلك فرغوس ستراتون Pyrgos Stratonis، وقد أعاد هيرود الكبير عمارتها، وسماها قيسارية، وقد كتب يوسفيوس مطولاً حول أبنيتها ودفاعاتها، ويحدها من جهة الغرب البحر المتوسط، ومن الشرق سباخ لمياه عذبة عميقة، فيها أعداد كبيرة من التماسيح، ووقعت في هذا المكان في خطر عظيم، لكن الرب برحمته أنقذني، وللمدينة وضع دفاعي قوي، لكنها في هذه الأيام مدمرة كلياً، وكان لفيليب وبناته دار هناك، ومثل هذا فيها عمّد بطرس قائد المائة كورنليوس، الذي كان أول أسقف لقيسارية، فضلاً عن هذا، في هذه المدينة حاجج بولص ببراعة وفصاحة عظيمة ضد الخطيب تيرتولوس Tertullus، بحضور الملك أغريبا وفيلكس.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الجنوب من قيسارية، توجد قرية اسمها أرسوف، وقد عرفت من قبل باسم أنتيباتر، صدوراً عن أنتيباتر، والد هيرود الكبير، وكان هذا المكان بأيدي فرسان الاسبتارية، غير أنهم فقدوه، ومع هذا يدفعون سنوياً مبلغ ثمانية وثلاثين ألف دينار ذهبي إلى صاحب أرسوف وإلى ورثته.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الشرق من أرسوف توجد مكمثة -Mic

methah، التي اسمها الآن قاقون، وهي قائمة فوق السهل الموجود عند سفح جبل إفرايم، وذلك ليس بعيداً عن جبل شارون، وقد شحن المسلمون هذا المكان بالجند لمراقبة قلعة عثليت.

وعلى بعد أربعة فراسخ من هذه توجد بلدة سارون التي ورد ذكرها في أعمال الرسل:[٩/ ٣٥].

هذا والمسافة فيما بين أرسوف ويافا هي ثمانية فراسخ، ويافا هي القائمة على شاطىء البحر، والتي تقدم وصفها أعلاه.

وعلى بعد أربعة فراسخ من يافا توجد غث(قرب يبنا أوابلين)، وهي قائمة ليس بعيداً عن للبحر، وقد كانت إحدى مدن الفلسطينيين.

وعلى بعد فرسخين عن غث توجد بيتشمش[عين شمس] اليهودية، التي تقدم وصفها.

وعلى بعد فرسخين إلى الجنوب من بيتشمش، وليس بعيداً عن البحر، توجد عكرون(عكر)، التي هي المدينة الثانية بين مدن الفلسطينيين الخمس، وهي الآن قرية صغيرة.

وعلى بعد أربعة فراسخ إلى الجنوب من عكرون توجد أشدود، التي هي المدينة الثالثة بين مدن الفلسطينيين الخمسة، وهي الآن قرية صغيرة.

وعلى بعد فرسخين عن يافا توجد اللد أو ديوسبولس، التي تقدم وصفها أعلاه، وعلى بعد فرسخين إلى الشرق من هذه توجد لبنه، التي كان يوشع قد استولى عليها[يشوع:١٢/ ١٥]، والتي حاصرها سنحريب، وهناك على بعد فرسخ من هنا، على الطريق إلى جبعة، توجد بلدة عزيقة وبلدة مقيدة، وهاتان البلدتان استولى عليهما يوشع بعدما فرج عن أهل جبعة، وهنا المكان الذي اختبأ فيه الملوك الخمسة داخل كهف[يشوع:١٠/ ٥ — ٢٥]، وعلى بعد ثلاثة فراسخ إلى الشرق من ها

هنا، وليس بعيداً عن بيت نوبه توجد شويكة اليهودية، وذلك على مقربة من وادي تربنت، وذلك حيث قتل الفتى داوود جالوت صاحب غث بمقلاعه وحجره.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ من بيت نوبه توجد عمواس، التي تعرف الآن باسم نيكوبولس.

وعلى بعد فرسخ ونصف الفرسخ عن عمواس يمضي الانسان عبر وادي رفائيم، مروراً بجانب بيت زكريا، الذي يودعه المسافرون إلى القدس على يسارهم، وعلى فرسخ ونصف الفرسخ من ذلك البيت هناك قلعة حصينة جداً، هي قلعة بيت صورا(صوبا)، القائمة على طرف جبل في مقابل بيت سيخ وبيت لحم.

وعلى بعد ستة فراسخ إلى الجنوب من أشدود توجد عسقلان، التي كانت المدينة الرابعة بين مدن الفلسطينيين، وهي قائمة على شاطىء البحر، على شكل نصف دائرة، وهي محصنة بشكل قوي جداً.

وعلى بعد خمسة فراسخ إلى الجنوب من عسقلان توجد مدينة غزة، على شاطىء البحر، وهي تعرف بشكل عام باسم تل الجزر Gazara ، (تداخل).

وعلى بعد خمسة فراسخ من غزة توجد بئر السبع، التي اسمها الآن جبلين، وهي تشكل حدود اليهودية وأرض الميعاد، وذلك في الجنوب.

وبعد هذه الأجزاء من أرض الميعاد التي وقعت في حصة سبط يهوذا، تأتي القفار الكبيرة، التي تمتد حتى نهر مصر، وأقام بنو إسرائيل في هذه القفار لمدة طويلة، ينتقلون من مكان إلى مكان.

وليكن ما قيل عن البلاد وعن الأماكن التي فيها، فيه كفاية.

طول الأرض المقدسة وعرضها

١١ — دعوني أضيف الآن عـرضاً عن طولها وعن عرضهـا محسوباً وفق أفضل ما أستطيعه.

وعليك أن تعلم، بعـدئـذ، أن طول الأرض المقدسـة يبـدأ من سفح جبل لبنان، حيث تقوم قيسـارية فيليب، ويمتد جنوباً حتى بير السبع في اليهـودية، الموجــودة في الجنوب، وطولها وعـرضهــا هو حيث سكنت الأسبــاط الاثنـي عشر، وهو ليس عظيماً جــداً، وذلك وفقــاً لأفضل مالاحظته عندمـا رأيتها بأم عيني، ومشيت فوقها بقـدمي، وقد بدت لي من حيث الاتساع بقدر ماسأبين فيمايلي، إنما لابد من القول أنني مضيت فقط قليـــلاً فيما وراء الأردن، ولم أعبر خـــلال بـلاد السبطين ونصف السبط، ولهذا لم أقم بذكـر ذلك وتبيـانه، ويبدو لي أن طولها الذي يمتـد من رأس بحـر الجليل في الشمال حتى جـدول أرنون، حيث تنتهي، هو حوالي سبعـة وأربعين فرسخاً، وأمـا بالنسبة لبـلاد الأسباط العشرة على هذا الجانب من الأردن، فقد تولى يوسفيوس وصف طولها وعرضها:

فلقد امتلك سبط يهوذا المنطقـة الفوقا، التي تمتـد طولياً من مصر إلى القدس، وقد قيل إنها تحتاج إلى سفر اثني عشر يوماً، ويمتد عرضها من البحـر الميت حتى البحر المتـوسط في الغرب، والمسـافة هي خمسـة عشر فرسخاً.

وأعطي سبط شمعـون شطراً من حصة سبط يهوذا، هو القـريب من مصر، فوق جبل عبريم.

وحصل البنيــاميــون على البـلاد الـواقعـة فيما بين الأردن والبحـــر المتـوسط، وطولها خمسة عشر فـرسخـاً، وعـرضها من القـدس إلى بيت إيل(بيتين) ما يساوي أربعة فراسخ.

وحصل سبط إفـرايم على البلاد الواقعـة فيما بين نهر الأردن وجدرة،

وطولها خمسة عشر فرسخاً، وعرضها حتى السهل الكبير، حيث بداية الجليل، ويساوي ذلك ثلاثة عشر فرسخاً.

وامتلك نصف سبط منشا حصته على هذا الطرف من الأردن فيما بين نهر الأردن والبحر المتوسط، وطول هذه الحصة اثني عشر فرسخاً، وعرضها حتى بيسان، ويساوي ذلك خمسة فراسخ.

وحصل سبط زبولون على مابين الكرمل قرب جبل قابيل إلى جنسارث، وطول ذلك تسعة فراسخ، أما عرضها فهو من جبل الطور عبر وادي الكرمل، ويساوي ذلك خمسة فراسخ.

وحصل سبط أشير على جميع البلاد الممتدة من الكرمل إلى صيدا، وهي منطقة طولها عشرين فرسخاً، وعرضها تسعة فراسخ، ويمتد من البحر المتوسط إلى نعسون وكابول.

وحصل سبط نفتالي على الأجزاء الممتدة باتجاه الشرق حتى دمشق والجليل، وطولها عشرة فراسخ، وعرضها من بحر الجليل حتى لبنان، ويساوي ذلك سبعة فراسخ.

وحصل سبط دان على الوادي الممتد نحو غروب الشمس قرب البحر المتوسط، وحدوده هي أشدود في الجنوب ودورا في الشمال، وهذا كان طوله، ولم أذكر قياس عرضه.

وتبعاً للوصف المتقدم أعلاه لجميع الأرض المقدسة على هذا الجانب من الأردن، نجد أن عرضها لم يتجاوز في أي مكان الأربعين فرسخاً، أي فيما بين الأردن والبحر المتوسط، وذلك من الشرق إلى الغرب، أما طولها من الشمال إلى الجنوب فقياسه أقل من تسعين فرسخاً، فهذا كان حسب قياسي وحسابي.

واعرف أنك تمتلك هنا وصفاً صادقاً لجميع البلاد، بطولها وبعرضها،

وبكل ما هو موجود فيها.

وأعتقد أن هذا الوصف عظيم الفائدة بالنسبة لقراءة الأسفار التاريخية، لابل في الحقيقة، لجميع الكتاب المقدس، وذلك إذا ما أريد فهم ذلك كله، وأيضاً من أجل تحديد كل مكان على حده، ومعرفة كل شيء حول جميع الأماكن.

ثمار الأرض المقدسة وحيواناتها

١٢ — وعلينا أن نعرف الآن كيف كانت جميع الأرض المقدسة، وكيف هي في هذا اليوم، ذلك أنها أفضل جميع البلدان، وعلى كل حال يقول بعضهم، ممن لم يقدروها حق قدرها، العكس، فهي خصبة جداً بالنسبة للقمح، الذي ينمو بعد فلاحة قليلة ودونما تعب، وتنتج التربة كثيراً من الأعشاب، وتنبت الشمرة، والمريمية، والسذاب، والورود، في كل مكان من قبل نفسها في السهول.

وينمو القطن فوق بعض الشجيرات، التي يبلغ طولها حتى ركبة الانسان، وهي نبتة سنوية، وأوراقها مثل أوراق الكرمة، لكنها أصغر، وينمو فوقهم جوزات في داخلهن القطن، ويتم جنيهن في أيام عيد القديس ميكائيل(٢٩ — أيلول).

وينمو قصب السكر أيضاً هناك، وهن مثل القصب العادي، لكنهن أكبر، ويوجد في قلبهن تجويف، لكنه مليء بمواد ليفية تشبه ما يجده الانسان في الأخشاب القديمة، وهذه الألياف كثيرة الماء، ويجمع القصب ويشطر طولياً ويقطع إلى قطع تساوي إحداها نصف شبر، ثم تعصر بالمعصرة، وبعد هذا يتم غلي العصير المستخرج منهن في غلايات نحاسية وعندما يصبح سميكاً يجمع في سلال ويصنع على شكل قوالب مستديرة، وعلى الفور يصبح بعد هذا جافاً وقاسياً، وهذه هي الطريقة التي يصنّع بها السكر، وقبل أن يجف يترسب منه سائل لزج اسمه عسل

السكر، وهو لذيذ جداً، وجيد مـن أجل تحلية أنواع الحلوى، فضلاً عن هذا إنهم يقطعـون القصب قطعـاً كـل منهـا بطول إصبع الانسـان، ويفعلون ذلك لتكون العقـدة في وسط كل قطعـة، لأنه يـوجـد في كل قصبة سكر عـدداً كبيراً من العقد، ويدفنون هذه القطع في أيام الربيع في أرض رطبـة، ومن هذه القطع تنمـو القصبـات الجديدة، اثنتين من كل قطعة، وذلك من كل جـانب من جانبي العقدة، فهـذه هي الطريقة التي يزرعوهن بها.

وعليك أن تعـرف أن الانسان لايكاد يجد في هذه البـلاد: الاجاص، والتفـاح، والكرز، مثلما الحال على هذا الطرف مـن البحـر، ويتم جلب بعض الفـواكه من دمشق، غير أنها تكون لينة تماماً وطرية، بسبب الحر العظيم عندما تكون الثمار على الأشجار، وبسبب حرارة البلاد.

ومع هذا هناك بعض الفـواكه التي تبقى على الأشجـار طوال السنة، ويأكل الناس منهن في جميع الفصول السنة، ويجد الاسنان على الأشجار في الوقـت نفسـه كـل من أزهـار الثمار، والثمار نصف النـاضجـة، والناضجـة، والناضجـة فوق حـدها، وعلى هذا قـد يمتلكون في بعض الأحيـان، أربعـة أنواع من الثمار معـاً، وهذه الثمار هو مـايدعـونه باسم البرتقال والليمون، وتفاح آدم، الذي يصنع منه السكان المحليون المخلل ليأكلوه مع الفـراخ، والسمك، والأطعمـة الأخـرى، ويصنعون أطعمـة لذيذة المذاق جداً.

وهناك أيضاً فـاكهة اسمها الدراق، يصنعون منهـا في عكا محفوظات فاخرة جداً.

وهناك أيضـاً فاكهـة أخرى اسمهـا تفـاح الجنة(الموز)، وهي فاكهـة رائعة جـداً، وهي تنمو مثل عنـاقيد العنب، فيها حبـات كثيرة، وحجم العنقود أحيـاناً وكبره مثل سلة كبيرة الحجم، وفيه أحياناً ستـون حبة أو

أكثر، وهـذه الحبات مستطيلة في شكلها، وطـول واحدتها ستة أصـابع، وهي سميكة مثل بيضـة الدجـاجـة، ولهذه الثمـرة قشرة سميكة مثل غـلاف الفـول، إنها ذات لون أصفـر لطيف، ويرمـي الانسـان القشرة، ويتناول الثمرة ويأكلها، ذلك أن مـذاقها كثير الحلاوة، مثلما زبدة جيدة وعسل من قرص العسل، ولايوجـد في هذه الثمار بذور، بل تؤكل كلياً، وتحتـاج هذه الثمـرة إلى أكثر من سنـة واحدة للنمـو، ولاتعيش الثمـرة سوى وقت قصير — سنتان في أبعد الحدود — ثم تذبل وتجف، ولكن عندما تبـدأ بالذبول تنبع منهـا مباشرة شجرة أخـرى، ويكون ذلك من جـذورها، وتفعل مثلما فعلت الشجـرة الماضيـة، وأوراق هذه الشجـرة طويلة، قد تبلغ طول إنسان، وهي كذلك عراض بحيث يمكن لورقتين أن تغلفا جسم إنسان بشكل كامل.

ويوجد في الأرض المقدسة كثيراً من الكروم، ويمكن أن يكون هناك أكثر، لكن بما أن المسلمين الذين يتملكون البلاد الآن، لايشربون الخمرة — باستثناء بعضهم بشكل سري — لـذلك يقـومـون بتـدمير الكروم، باستثنـاء القليل منهــا، ربما كـــروم الذين يسكنـون على مقــربـة من الصليبيين، فهم يزرعـونهم من أجل الفائـدة، وكـروم الأرض المقدسـة جيـدة جداً، ومشهـورة، وبشكل خـاص كروم المناطق حـول بيت لحم، وفي وادي رافـائيم، وهكذا، وذلك من حيث حمل بنو إسرائيل العنقـود على عصا، وهناك كروم جيدة حول صيدا، وعبرها على طول لبنان، وفي طرطوس والمرقب، وعلى طـول شـاطىء البحـر، وذلك حتى كليكيـا وكبـدوكيـة، واليـونان، وهنغـاريا، هذا ولقــد رأيت شيئاً رائعــاً في طرطوس، حيـث أخبرني سكان البـلاد هناك أنهم يجنون مـن الكرمــة الواحـدة نفسها ثلاثة مـواسم في السنة الواحـدة، وفق الطريقـة التاليـة: عندمـا يرى في وقت الربيع الذين يتـولون خـدمـة الكروم، أن الداليـة الواحـدة قـد أعطت كميـة من عناقيـد العنب كما تفعل كل داليـة وكل

غصن حسب العادة، يقومون عندها بقطع جميع الأغصان المتبقية والزائدة على العناقيد ورميها جانباً، ويفعلون هذا في آذار، وفي نيسان تنمو أغصان جديدة تحمل عناقيد من العنب جديدة، وعندما يرون ذلك يقومون بقطع جميع الأغصان التي تتعدى بنموها عناقيد العنب هذه، ويعطي جذع الكرمة في أيار أغصاناً جديدة للمرة الثالثة مع عناقيد جديدة من العنب، وعلى هذه الصورة يحصلون على ثلاثة مواسم من العنب، كلها تنمو مثل بعضها، ولكن الذي يزهر في آذار يجمع في آب، والذي أزهر في نيسان يجمع في أيلول، وما أزهر في أيار يجمع في تشرين أول، وبذلك يحصلون على ثلاثة مواسم من العنب في سنة واحدة.

والتين والرمان، والعسل والزيت، والأعشاب والخضار من جميع الأنواع مثل:اليقطين والخيار وأنواع أخرى من الثمار متوفرة بكثرة هناك.

وهناك كثرة كثيرة من الخنازير المتوحشة ،والظباء، والأرانب، والحجل، والسلوي، وإنه لشيء ممتع أن تنظر إليهم، وهناك أيضاً الكثير من الأسود ، والدببة، ومختلف أنواع الوحوش الضارية، فضلاً عن هذا توجد أعداد لاتحصى من الجمال، والجمال وحيدة السنام، والوعول، والجواميس، وباختصار يوجد هناك جميع الأشياء الجيدة المتوفرة في العالم، والبلاد تتدفق بالحليب والعسل، غير أن الذين يسكنون هناك لايمكن أن أدعوهم رجالاً شجعان، بل تحتوي البلاد على أسوأ الأنواع وأحطها من المذنبين، وبناء عليه إنه لأمر رائع أن تستطيع البلاد تحملهم.

أنواع الديانات في الأرض المقدسة

١٣ — يسكن في داخل الأرض المقدسة أناس من كل أمة تحت

السماء، ويتبع كل إنسان عقيدته، وفي الحقيقة لابد أن أذكر، أن قومنا، من اللاتين، هم أسوأ من الشعوب الأخرى كلها في البلاد، وسبب هذا كما أعتقد هو أن أي إنسان اقترف إثماً أو جريمة مثل:اللواطة، والنهب،والسرقة، والزنا، يعبر البحر كعقوبة، أو لخوفه على نفسه، حيث لايتجرأ على البقاء في موطنه، ولهذا يقدم الناس إلى ها هنا من جميع الأصقاع: من ألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا، وإنكلترا، واسبانيا، وهنغاريا، ومن جميع أجزاء العالم، ومع هذا فإن كل الذي يفعلونه هو مجرد تغيير أجوائهم المناخية، لكن ليس عقلياتهم، لأنهم بعدما يصبحون هناك وينفقون ما جلبوه معهم، يبات عليهم كسب المال، ولهذا يعودون ثانية إلى دنسهم، ويقترفون آثاماً أسوأ مما اقترفوه من قبل، حيث يتولون إسكان الحجاج الذين هم من شعوبهم في بيوتهم، وإذا لم يعرف هؤلاء الناس كيف يعتنون بأنفسهم، يثقون بهم، فيفقدون كل من مقتنياتهم وشرفهم، ويقومون أيضاً بإنجاب أولاد، يتولون تقليد جرائم آبائهم، وهكذا ينجب الآباء السيئون أبناء أعظم سوءً منهم، ومن هؤلاء ينحدر أحفادهم الأكثر شروراً وفساداً، وهؤلاء يدوسون على الأماكن المقدسة بأقدام ملوثة، ولهذا السبب كان ما وقع، هو أنه لذنوب السكان في البلاد ضد الرب، تعرضت البلاد نفسها، وموضع مخلصنا إلى العار والشنار.

وإلى جانب اللاتين عدد كبير آخر من مختلف الأجناس، من ذلك على سبيل المثال: المسلمون، الذين يؤمنون(بنبوة) محمد(ﷺ) ويطبقون شريعته، وهم يقولون بأن ربنا يسوع المسيح كان أعظم الأنبياء، ويعتقدون بأن حمله جاء بوساطة روح القدس، وأنه ولد من العذراء مريم، غير أنهم ينكرون بأنه قد تألم ودفن، بل اختاروا أن يقولوا بأنه صعد إلى السماء، وأنه يجلس على يمين الآب، لأنهم يعترفون به أنه ابن الرب(كذا)، وهم أيضاً يقولون بأن محمداً(ﷺ) يجلس على يساره، وهم

غير نظيفين كثيراً، ويتخـذون عـدداً كبيراً من الزوجـات بقـدر مـا يستطيعون إطعـامهن، وهم يمارسون ذنوباً غير طبيعية، ولديهم مـاخور في كل مدينة، هذا وهم كرماء جداً ومضيافين، وأدباء ولطفاء.

وإلى جـانب هؤلاء هناك السريـان، والبـلاد كلهـا مليئة بهؤلاء، وهم مسيحيون، لكنهم على غير وئـام مع اللاتين، وهم يلبسون بشكل بائس جـداً، وبخـلاء لايقدمـون صـدقـات، وهم يسكنون بين المسلمين، وفي معظم الأحيـان كـأنهم خـدم لهم، ويرتدون من الملابـس مثلما يرتدي المسلمون، ويتميزون عنهم فقط بحزام صوفي.

ومثل هذا نجـد أن الاغـريـق مسيحيين، لكنهم هراطقـة منشقين، باستثناء أن عـدداً كبيراً منهم قـد عـادوا إلى طاعـة الكنيسـة إثر المجمع المسكوني الذي عقده مولانا غريغوري العاشر(مجمع ليون ١٢٧٤)، وفي الكنيسـة الاغريقيـة جميع رجـال الدين رهبـان، وهم رجال ذوي حيـاة صارمة جداً وأصحاب فضائل رائعة.

والاغـريق أتقيـاء بشكل كبير ويحترمـون في غـالب الأحيـان رجـال الكنيسـة لديهم ويبجلونهم، ولقـد سمعت واحـداً من بطاركتهم يقـول بحضـوري:«إننا على استعداد لأن نعيش تحت طاعـة كنيسة رومـا، وأن نحترمها، لكنني مندهش إزاء ترتيبنا بالدرجات دون أدنى رجال الدين، مثل رؤساء الأسـاقفة والأسـاقفة، فبعض رؤساء الأسـاقفة والأسـاقفة يريدون مني وأنا بطـريرك، أن أقبل أقـدامهم، وأن أكـون خـادمـاً لهم، الأمر الذي لاأجد نفسي متوجب عليها القيام بذلك، وعلى كل حال أنا على استعداد للقيام بهذا مع البابا، لكن ليس مع أي إنسان آخر».

وهناك أيضاً الأرمـن والجورجيين، والنساطرة، والنوبيين، واليعـاقبة، والكلدانيين، والميـديين، والفـرس، والإثيـوبيين، والمصريين، وشعـوب أخرى كثيرة، كلهـا مسيحية، ويوجد مـن هؤلاء أعداد لاتحصى، ولكل

منهم بطريرك خاص بهم يطيعونه، وأعلن رجال الكنيسة لديهم أنهم على استعداد للانضمام إلى كنيسة روما عن طواعية، وبين هؤلاء نال النساطرة، واليعاقبة أسماءهم من خلال بعض الهراطقة، الذين تقدم وكانوا رؤساءهم، فضلاً عن هذا يوجد في الأرض المقدسة المدينيين، الذين يعرفون في هذه الأيام باسم البدو والتركمان، وقد أوقف هؤلاء أنفسهم على رعاية قطعان الماشية والجمال، التي يمتلكون منها أعداداً كبيرة جداً، ولايمتلك هؤلاء الناس مكاناً دائماً للإقامة، بل حيثما علموا بوجود مراعي يقصدونها وينصبون خيمهم، وهم مقاتلون متفوقون ويحبون الحرب، مع أنهم يستخدمون السيف والرمح في المعركة، ولايستخدمون النشاب، ويقولون إنها دناءة بلا حدود أن تنتزع حياة إنسان بوساطة سهم، وهم شجعان في الحرب، ويرتدون فقط قميصاً أحمر، وفوقه عباءة فضفاضة، ويغطون رؤوسهم بقطع قماش فقط، وسورية كلها مليئة بهم، لكن أكثريتهم يسكنون من حول نهر الأردن، ومن لبنان حتى قفار فاران، لأنه يوجد هناك جبال للأغنام والماعز، وسهول للقطعان وللجمال، والأغنام في هذه المناطق، ولاسيما الكباش كبيرة جداً، ولهم أذناب ذات حجم كبير إلى حد أن ذيلاً واحداً يبلغ من الكبر أنه يحتاج إلى اثنين أو ثلاثة ليستطيعوا أكله.

ومن حول قلعة عرقة، عبر طرابلس، حتى قلعة الحصن، يسكن مسلمون اسمهم الباطنية، ويجاورهم المسلمون الذين يعرفون باسم الحشيشية، الذين يسكنون الجبال القائمة وراء طرطوس على مقربة من قلعة المرقب، وهم يمتلكون عدداً من القلاع والمدن مع أرض خصبة، ويقال إن لديهم أربعين ألف رجل مقاتل، ولديهم مقدم واحد، لايلي منصبه بحق الوراثة، بل بحق الفضائل الشخصية، ويطلق عليه اسم شيخ الجبل، وذلك ليس بسبب سنه، بل بسبب حكمته، ويقال بأن هؤلاء الناس كانوا من أصل فارسي، ولقد مررت خلال جزء من هذه

البلاد، وهم مطيعون إلى درجة الموت، ويقومون بناء على أوامر مقدمهم بقتل أي إنسان مهما كان، ويقولون إنهم بفعلهم ذلك يحصلون على الجنة، حتى وإن قتلوا، قبل أن ينفذوا أوامرهم، ورغبوا قبل عدة سنوات مضت أن يصبحوا مطيعين لكنيسة روما، ومن أجل هذا المقصد أرسلوا سفيراً إلى عكا، الذي حقق بالمباحثات كل ما رغب به، لكنه قتل، وهو على طريق عودته إلى موطنه، من قبل مرافقيه، وكان ذلك قبل دخوله إلى بلاده، مما سبب خسارة للكنيسة ككل، لأن الآخرين عندما رأوا بأن الصليبيين لايمكن الوثوق بهم، انسحبوا على الفور وتراجعوا، والحدود بين بلاد هؤلاء القوم وبلاد الصليبيين معلمة ببعض الأحجار، محفور عليها من جهة الصليبيين صلبان، وعلى جهة الحشيشية خناجر، ولم يستطع أي واحد من السلاطين حتى الآن إخضاعهم، بل إنهم اتخذوا لأنفسهم شرائع وعادات يتبعونها كما يرغبون، وهم مرعبون بالنسبة إلى جميع الأقوام من حولهم، بسبب حدتهم المتناهية العظمة.

ولابد أن نعرف الآن مسألة حقيقية، أن بعض الناس الذين يروق لهم الحديث عما لم يروه قط، قد أعلنوا أن الشرق كله الواقع عبر البحر المتوسط وخلفه، وذلك امتداداً حتى الهند وإثيوبيا يعترفون بالمسيح ويبشرون باسمه، وذلك باستثناء المسلمين فقط، وبعض التركمان الذين يسكنون في كبدوكيا، وبناء عليه أعلن بكل تأكيد، حسبما رأيت أنا شخصياً، وسمعت من آخرين يعرفون،إنه يوجد دوماً مسيحيين في كل مكان ومملكة إلى جانب مصر والعربية، حيث يسكن المسلمون والأتباع الآخرون لمحمد(ﷺ) بشكل رئيسي، ولسوف تجد ثلاثين مسيحياً مقابل مسلم واحد، لكن الحقيقة هي أن جميع المسيحيين وراء البحر هم مشارقة من حيث الأمم، وصحيح أنهم مسيحيين، غير أنهم بوضعهم الحالي غير معتادين كثيراً على استخدام السلاح، وعندما يهاجمون من

قبل المسلمين،أو الأتراك، أو أي شعب آخر مهما كان، يستسلمون لهم، ويشترون السلام ويدفعون الجزية بكل هدوء، ويعين المسلمون والسادة الآخرون نوابهم عليهم، ويجمعون منهم الضرائب، ولهذا راج بين الناس وقيل بأن ممالكهم عائدة إلى المسلمين، مع أن الحقيقة الواقعية هي أن جميع الناس مسيحيين، باستثناء هؤلاء النواب وجباة الضرائب وأسرهم، فهذا مارأيته بنفسي في كليكيا، وفي أرمينيا الصغرى، اللتان الآن تحت حكم التتار، فلقد عشت مدة ثلاثة أسابيع في قصر ملك أرمينيا وكليكيا، وقد كان في بلاطه عدد ضئيل من التتار لكن بقية حاشيته وأهل بيته من المسيحيين، ويصل عدد هؤلاء حتى قرابة المائتين، فلقد اعتدت على رؤيتهم مراراً في الكنيسة، يستمعون إلى القداسات، ويجثون على ركبهم، ويصلون بتقوى، فضلاً عن هذا، كان كلما رآني واحد منهم ومعي مرافقي كان يبدي نحوي احتراماً عظيماً بنزع قبعته والانحناء باحترام لنا، والتسليم، والقيام باحترام لنا لدى اقترابنا، كما أن كثيراً منهم يخافون عندما يعلمون أنه في البلدان فيما وراء البحار، يسكن النساطرة، واليعاقبة، والموارنة، والجورجيين، وطوائف أخرى نالت تسمياتها من هراطقة أدانتهم الكنيسة، ولهذا السبب من المعتقد أن هؤلاء الناس هم هراطقة، ويتبعون آثام الذين نالوا تسمياتهم منهم، وليس هذا صحيحاً بأي شكل من الأشكال، والرب يحرمه:ذلك أنهم أناس بسطاء، أتقياء في حياتهم، مع أنني لاأنكر وجود حمقى كثر بينهم، رائياً أنه حتى كنيسة روما نفسها ليست خلوة من الحمقى، ولنعلم أن جميع الشعوب المتقدمة الذكر، وشعوب أخرى كثيرة، يحتاج أمر الكتابة عنهم إلى وقت طويل، لهم رؤساء أساقفة، وأساقفة، ورعاة ديرة، ورجال دين آخرين، مثلما لدينا نحن أنفسنا، ويدعونهم بالأسماء نفسها، وذلك باستثناء النساطرة، الذين يدعى رئيسهم الديني باسم الجاثليق، فهو البابا الخاص بهم، وقد علمت بشكل مؤكد أن سلطان رعويته يمتد عميقاً في الشرق، أكثر من كل أملاك الكنيسة الغربية،

ويدعى بقية رجال الدين لدى هذه الطائفة باسم رؤساء أساقفة، مثلما الحال في تسمية رجال الدين لدينا.

ويطلق على الرئيس الديني للأرمن والجورجيين، اسم الجاثليق، وقد مكثت معه مدة أربعة عشر يوماً، وهو معه عدد كبير من رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورعاة الديرة، ورجال دين آخرين، وبالنسبة لمأكله وملبسه وأسلوب حياته، هو مثالي تماماً، فأنا لم أر قط أي إنسان مثله سواء بين رجال الدين أو العلمانيين، وأعلنت بكل صدق، أن جميع ما يرتديه من ملابس هو بتقديري لايساوي أكثر من خمسة دراهم، مع أنه يمتلك قلعة حصينة جداً، وموارد مالية عظيمة، وكان ثرياً أكثر مما يحسبه أي إنسان، وكان يرتدي فروة جلد غنم خشنة حمراء، ومهلهلة وقذرة جداً، ولها كمين واسعين، وارتدى تحتها قميصاً رمادياً، عتيقاً جداً، وقد اهترأ تقريباً، وارتدى فوق هذا وشاحاً أسود، وعباءة رخيصة خشنة، ولقد رأيت ملك أرمينيا وكليكيا مع نبلائه جالساً بتواضع وباحترام عند قدميه، وغالباً ما اصطحب الملك معه أكبر أبنائه سناً، وكان يستمع بكل تقوى لما كان يتفوه به من كلمات الرب، وقد اعتاد هو وجميع رجال الدين لديه على الصوم جميع أيام الصوم الكبير على الخبز والماء، وهكذا فعل الملك وجميع نبلائه، باستثناء يوم عيد البشارة، فوقتها سمح الجاثليق — بحضوري — لنفسه، بأن يأكل السمك وشرب بعض النبيذ، واستمعت في ذلك اليوم إلى قداس بحضور الجاثليق نفسه، والملك والملكة، وطقوس تقوية إلى أبعد الحدود: وقد ارتدى كهنتهم وأساقفتهم ملابس وأردية مثلنا، وقد استخدموا في قداسهم خبزاً غير مخمر(فطير) وأنشدوا في القداس الرسائل، والأناجيل، والمقدمات، والـ Sanctus ، و Pater Noster و Ag-nus Dei ، وذلك بالكلمات نفسها كما نفعل، إنما بلغاتهم وحروفهم، لأنهم يمتلكون لغة خاصة بهم مع أبجدية أيضاً خاصة بهم، والجاثليق

وجميع رجال الدين الآخرين من ذوي المراتب هم رهبان، وفي جميع بلاد الشرق ما من أحد من أي أمة يمكن أن يكـون رجل دين له مرتبته مالم يكن راهبـــاً، وجميـع الرهبـــان يحظون باحترام كبير وتشريـف، وليس للقسس والكهنة أية سلطات، ومـا من أحد يوليهم أدنى تقـدير، وليس لديهم من واجبات سـوى أداء بعض الخدمات اللاهوتيـة، فهم ينبهون إلى مرور جميع الساعات الرسمية بالقرع على لوح أو قطعة من الخشب، لأنه لايوجد لديهم نواقيس، وعندما ترسل إشارة حلول الليل، يمضون إلى الدعوة إلى الصـلاة الليلية، ويفعلون ذلك لدى مـرورهم بالطرقات، وينبهون النـاس إلى ذلك، وبعد انقضـاء الصلاة الليلية، لايـذهبون إلى النوم ثانية، بل يجلسون في الكنيسة ويعلمـون الناس حتى الفجر، عندما يرتلون القداس الأول، أوحتى السـاعة الثالثة، إذا كان اليـوم يوم عيد، وليس لديهم سلطات ومسؤوليات غير هذه، بـاستثناء ما يعهد به إليهم من قبل الراهبـات، وجميع الكهنة متـزوجـون، ومـا من أحـد يسمح له بقيـادة قـداس أو عمل تعبـدي آخر، مـا لم يكن متـزوجـاً، ولايقيمـون قداسـات في يوم الاثنين، ولابعد ذلك حتى يوم الجمعـة، ويشمل ذلك أيام الأعيـاد التي تحل في هذه الأيـام مهما كـانت عظيمـة، ولهم الحرية وقتهـا بالتحـادث مع زوجاتهم، إنما في يومي السبـت والأحد فيقيمـون قداسـات بشكل مهيب، وبعد وفـاة زوجة أحـد الكهنة، عليه أن يكون قـانعاً، وأن لايتـزوج زوجة ثانيـة، وإذا ما اقترف إثم الفسـوق أو الزنا، لابد له من فقـدان كنيستـه ومنصبـه، ولايمكن تقـديم أي تعـويض أو غفـران لصالحه، وإذا مـا اقترفت زوجة الكاهن جـريمة الزنا، عليـه أن يقنع بذلك، أو أن يفقد منصبـه وكنيسته، ولابد أن تفقد زوجتـه أنفها، وأن يخصى عشيقها، حتى وإن كـان رجلاً متزوجاً، وقـد نفذ هذا وفعل بحضـوري، وعندما يمـوت أحد الكهنة، على زوجتـه أن تقنع وتعيش حياة عفة، إنما إذا ما تزوجت ثانيـة، فينبغي إحراقها وهي حية، لكن إذا مـــا أصبحت بغيـة، فما مـن أذى يمكن أنزاله بها، ولديهم الآن ميثـــاق

جديد فيما بينهم يقضي بأن يحصل الكاهن — مثل أحد الرسل — على زوجة عذراء، ويتميز الكهنة الأرمن والجورجيين عن العلمانيين بوضع قطعة من الكتان الأبيض يلفونها حول رقابهم وأكتافهم.

وبالنسبة إلى اللصوص الذين يدانون باقتراف سرقات صغيرة، أو باقتراف أعمال شريرة أخرى، أو جرائم أدنى نوعاً، فإنهم يتعرضون للخصي، لكي لاينجبوا أولاداً يقلدون آباءهم في اقتراف الآثام، وهذا هو السبب بالنسبة لي الذي يعلل وجود هذا العدد الهائل من البغايا هناك، لأنه يوجد عدد كبير من الخصيان، وكلهم يعمل في خدمة سيدات نبيلات، وأعتقد أن ملكة أرمينيا كان لديها أكثر من أربعين خصياً، عندما كنت في قصرها، وما من إنسان يتولى زيارتها إلا بإذن خاص من الملك، ويقوم الملك بتسمية واحداً من الخصيان ويعينه لمرافقته ومراقبته، وهذه هي العادة بالنسبة إلى جميع السيدات النبيلات سواء المتزوجات منهن أو الأرامل.

ولدى جميع الملوك والأمراء والنبلاء رغبة عارمة بالاستماع إلى كلمة الرب، ولهذا اسبب يذهب كل يوم بعض الحكماء أو الرهبان في الساعة الثالثة إلى البلاط، أي بلاط كل ملك أوأمير، ويأتي الأمراء أو السادة مباشرة إليهم شخصياً مع أولادهم والأعيان لديهم، ويتم جلب بعض أسفار الكتابات المقدسة، حيث تقرأ بحضورهم باللغة الدارجة، لأنهم لايعْرفون لغة أخرى، أو يتولى الرهبان شرح النص عليهم، وكلما شعر العلمانيون بوجود شك ما أو يقومون بطرح سؤال، يقوم الرهبان بإيضاح الأمور لهم وتوجيههم وفقاً لكلمات القديسين، وقد سألت هؤلاء الرهبان عن أسماء الشخصيات المرجعية، التي يتبعونها، وقد أجابوني بأن مراجعهم الرئيسية المعتمدة هم: جون خريستوم، وغريغوري الناصري، وسيريل الاسكندري، وكل من رجال الدين والعلمانيين أتقياء جداً في الكنيسة، ولايفعلون هناك شيئاً سوى الصلاة

أو الانشـاد، أو أي شيء آخر عليهم أن يعملوه هناك، ولم أشهـد هناك قط إنساناً يضحك أو يتصرف شخصياً بشكل غير لائق في الكنيسة.

ويتم أداء القـداس في كنيستهم بشكل تقـوي ، ويوضع الكأس على الجهـة اليسرى من المذبح في مكان أعـدّ خصيصـاً له في الجدار، ولدى صـلاة التقـدمـة يرفعهـا الخوري، المرتدي لثيـاب حـريرية ثمينة، بكل احترام فـوق رأسـه، ويكون هناك معـه شماس يحمل مبخـرة، كما يكون هناك قندلفتين يحملان الشمـوع ويسيران أمامـه، ويدورون حول خلف المذبح وذلك باتجاه الطرف اليمين منه، ويعد هذا يأخذها الأسقف بكل احترام ويقـدمهـا، وذلك مثلما يفعل الكهنة لدينا، ويقف إثنان بشمـوع مضـاءة خلف الكاهن أثناء قـراءة قـانون القـداس، وإلى جـانبهما اثنان بمبـاخـر، وهما يرتديان ثوبـان كهنوتيـان طويلان، ويقف شماسـان على طرفي اليمين واليسار للمذبح، ويصليـان بتقوى وقد ضم كل منهما يديه واتجه بوجهـه نحو جسـد المسيح، وهو يغني بصوت شجي وتقي مـؤثر ويردد مـا يغنيـه مع الآخـر، وفي الحقيقـة إنه لأمـر هو الأكثـر تقـوى وقداسة أن تشاهده وتسمعه.

ولقد رأيت كثيراً من الممارسات العامـة الرائجة كثيراً في تلك البلاد، بين العلمانيين، وبين رجـال الدين، والرهبان، التي من النادر الأخـذ بها أو ممارستها في بلادنا.

ولقـد سافـرت عبر هذه البلاد كلهـا حتى كبدوكيـا وسلوقيا، وكـان ذلك بوساطة البحر، وأبحرت من هناك إلى قبرص، وتجولت عبر الجزء الأعظم من تلك المنطقـة، ومن هناك أبحـرت إلى سـورية، وقـدمت إلى صـور، وبعـد مضي عـدة أيـام أبحـرت مـن هناك على طول سـاحل فلسطين، ومـررت بحيفـا، وجبل الكرمل، ودورا، وقيسـارية فلسطين، وأنتباتر، ويافا، وعكرون، وأشـدود، وعسقلان، وغزة، وجميع الصحراء الرملية حتى مصبات نهر النيل، ومن هناك مضيت إلى دمياط، التي كان

- ٤٠٧٣ -

اسمهـا القديم ممفيس، وهذه هي بلاد جـوشن Goshen ، حيث أقام بنو إسرائيـل في القـــديم، وخـــدمـــوا الفـــرعـــون في عمل الملاط واللبن[الخروج:١/ ١٤]، وفي هذه البلاد جرى فيها بعد رجم إرميا.

مبارك هو الرب، والقديس متى، آمين.

— ٤ —

لودولف فون سوخم

وصف الأرض المقدسة

١٣٥٠م

تمهيد للودولف دي سوخم

ما من شيء كما يبدو هو معروف عن لودولف، زيادة عما يمكن جمعه من كتـابه، ففي تكريسـه الاهـدائي أخبرنا بأن كـان قسيساً في أبرشيـة كنيسة سوخم، في أسقفية بادربورن، لكن أين كانت سوخم، وهل علينا أن نلفظهـا سـودهيم Sudheim؟ وقـد أعلن الدكتـــور ف. دايك Deycks أنها بالحري راثل Rathsel ، وكـان الدكتور دايك أستـاذاً في الأكـاديميـة الملكيـة في مـونستر Munster ، وهو الذي تولى تحقيق كتـاب لودولف في عام ١٨٥١، لصـالح النصوص الأدبيـة لستوتغـارد، وعلى هذه الطبعة اعتمـدت هذه الترجمة، فضلاً عن هذا تحدث لودولف عن بلدويـن فـون ستينفــورت Steinfurt أسقف بادربورن، الذي شغل منصبه من سنة ١٣٤٠ حتى سنة ١٣٦١، ووصفه بأنه سيده المنعم عليه، وقـال في خاتمة مخطوطه بأنه كتب هذا الكتـاب صدوراً عن الحب والاحترام اللذان يكنهما له، ولربما سـاعـده الأسقف بلدوين على كتـابة كتابه، ولعله كان واحداً من السادة النبلاء الذين عاشوا معه أثناء إقامته لمدة خمس سنوات في الأرض المقـدسة، فقـد كـان هناك من سنة ١٣٣٦ حتى سنة ١٣٤١، ولم يعـد إلى هنـاك — كما يخيل لبعضهم — وعــاد لودولف إلى الوطن سنة ١٣٤١،

وتعرض مـرتين لخطر عظيم وهو في البحر، وأشـار في نهاية كتابه إلى مهـــاجمة اليهــود في ألمانيـــا في سنة ١٣٤٨ — ١٣٤٩، وهـذه الحادثة الجديدة، تتماشى مع كتابه على أنه صنف في سنة ١٣٥٠.

ومنهج لودولف يختلف عن منهج الـرحالة بورتشـارد المتقـدم، وهو أقرب إلى منهج فيلكس فـابري الذي سماه بالعجائب، فقـد ردد أصداء بعض الحكايات التـي كـانت متـداولة في الشرق، بين الفــرنجـة بشكل

خاص، لاسيما ما تعلق بشخصية برسترجون، التي سوف نتعرض لها بتوسع لدى الحديث عن العلاقات المغولية الفرنجية، ومعروف أن حكاية برسترجون قد تفرعت عنها فروع كثيرة بعد ظهور جنكيز خان، ثم بعد قدوم حفيده هولاكو نحو العراق وبلاد الشام.

ومهما يكن من أمر تأتي ترجمة كتاب لودولف في سياق عملنا في ترجمة نصوص جميع الرحلات المتعلقة بالحروب الصليبية، وآثارها المباشرة في القرن الرابع عشر،هذا ومن المقرر أن كتاب لودولف يحوي أفضل الرحلات الغربية في هذا القرن الهام.

لودولف فون سوخم
وصف الأرض المقدسة
هنا بداية كتاب لودولف حول الحج إلى الأرض المقدسة

إهـداء مع جميـع الاحترام الجدير، إلى الأب المبجـل، والسيـــد في المسيح، مـولاي المنعم بلدوين أوف ستينفـورت، أسقف بادربورن، من لودولف القسيس في الكنيسة الأبرشية في سوخم، في أسقفية بادربورن.

لقد كتب عدد كبير من الرجال بشكل طويل جداً حول بلاد ما وراء البحر، وحـول أوضاع وأحوال الأرض المقـدسة والمقاطعـات الموجودة فيها، وفعلـوا ذلك بعد مرورهـم بها لمرة واحدة، أما أنا فلقـد أقمت في تلك البلدان مـدة خمس سنوات دونما انقطاع، كنت خـلالها ليـلاً ونهاراً بصحبة الملوك، والأمـراء، والمقدمين، والنبلاء، والأعيـان، وقمت فضلاً عن ذلك بزيـارة بلدان مـاوراء البحـر والسفـر خـلالها عـدة مـرات، وصدوراً مني لاحترامكم وتبجيلاً لمحـاسن أبوتكم، ولأنكم لم تنسوني، امتلكت رغبة عظيمـة لأن أكتب رواية عن أوضاع تلك البلدان، وعن أحـوالها، وقـراها، وأمـاكنهـا الحصينـة، ومـدنها ،وقـلاعهـا، ورجـالها، والأخلاق والطبـاع فيها، وأماكن التعبد، والأمـاكن العجيبة، ولم أكتف بالكتـابة عن بـلاد مـاوراء البحـر، بل عن العجـائب التـي يراها الذين يعبرون البحار، ومع أنـه قد توفرت لـدي الرغبة في تنفيذ هـذه الرغبة، غير أنني لم أستطع فعل ذلك وإنجازه، لأنني كنت معـوقاً بأعمال مختلفة وثقيلة، ومع ذلك بقيـت مفكراً بالكتـابة، والآن وقـد امتلكت الوقت، فقد قـررت أن أصف الأوضاع التي رأيت فيها بلدان مـا وراء البحر في سنة ١٣٣٦، وكـذلك الأوضـاع التي تركتهـا فيهـا في سنة ١٣٤١، وأن أكتب تـاريخاً مختصراً عنهـــا، وبشكل مكثف، وذلـك وفقـــاً لفهمي

المتـواضع، ولقـدرتي، ولضعف ذاكـرتي، وعلى كل حـال، يتـوجب أن لايفترض إنسـان أنني قـد رأيـت كل واحـد من الأمـاكن العـديدة، والأشياء التي أنوي الكتـابة عنها في هذا الكتـاب، بل إنني قمت سعيداً باستخراج بعض المعلومات من كتب التـاريخ القديمة، وذلك مع بعض الأشياء التي سمعتها من شفاه أناس صادقين، وبشأن جميع ما كتبوه عن أي مكان، أووجـدوه، لقـد قـررت الاعتماد على حكـم القـارىء وعلى فهمـه، وفي الحقيقـة كان من المفـروض أن أكتب أكثـر، عندمـا كنت في تلـك البلدان وعملـت الرأي أن أكتـب عنهـم بعض الـروايات، وعـن أوضـاعهم الأبكر، هذا وبـإمكاني في هذا اليـوم كتـابـة المزيد،ولكنني تجاوزت ذلك بسبب بعض المعترضين التافهين والسـاخرين، وخشية أن أتحدث عن أي شيء لايمكن أن يصـدقـوه، ومن ثم عـدّي بسبب ذلك كاذباً، لأن المعترضين التـافهين الجاهلين والساخـرين الذين لايستحقون أن يعرفوا شيئاً من الأشياء مطلقـاً، كل شيء بالنسبة إليهم هو بعيد عن التصديق، ومن غير المعقول الأخـذ به، وبناء عليه إنه بسبب مثل هؤلاء الأشخـاص، أرغمت من أجلهم على التخلي عن ذكـر جميع الأشيـاء الجيـدة، وكـذلك أشيـاء أخـرى كثيرة، لولاهـم لقمت بالكتـابة عنهـا، وإيداع ذلك في كتابي.

١ — *حول الأرض المقدسة.*

إن الأرض المقـدسة، هي أرض الميعـاد، التي وعد الرب بأن يعطيهـا إلى إبراهيم وإلى ذريتـه، وهي المحبـوبـة من الرب، والممـدوحـة من الملائكة، والمعبـودة من قبل الناس، لأن ربنا يسوع المسيح قـد تلطف في تكريس هذا الشيء نفسـه، بدمه الثمين جـداً، وأن يشرفها بحضـوره في كل مـن شكل ضعفنا الفـاني، وفي الأيـام الخوالي — حسبما نقـرأ في التاريخ التـوراتي — بمجده الرباني وجلالتـه، وزيادة على هذا بحضوره إلى هناك لتخليص الجنس البشري، من الإدانة واللعنة الدائمة، ومع هذا

فإن هذه البـلاد، قـد ضربت من قبل الـرب بمختلف أنواع الضربات، وذلك بسبب الذنوب المتنوعة لسكانها، ولم تقتصر الضربات التي تلقتها على ما حدث في أيام المسيحيين، بل كان ذلك منذ أقدم العصور، حيث سُكنت من قبل شعوب مختلفـة، وفقدت ثم استردت من قبلهم، وذلك حسبما يمكننا القـراءة في كثير من التواريخ وفي الكتـاب المقدس، ولقـد قـام يسوع المسيح، دون مبـالاة بآلامـه الرائعة، بتقـويم المسيحيين هناك بوسـاطة عصـا التقـويم الأبوي، وبنـاء عليـه، عندمـا تنتهي ذنوب المسيحيين، وعندما يكون راضياً في إرجاع البلاد وردها إلينا، فإنه سوف يحفظ جميع أماكنهـا، ومدنها، وقراها، وقـلاعها، ومعـابدها، كأن نقول: بدون أذى، حتى هذا اليـوم، وذلك من أجل إمكانيـة الدفـاع عنهـا، وسكناها، واستردادها، وإعادة كل ما فيهـا إلى أوضاعه الأصيلة، وذلك على الرغم من أن بعض الأماكن والمعابد قـد تعرضت للتشويه والتغيير بشكل مـؤلم من قبل المسلمين، لأنه مثلما العين هي أغلى جـزء في جسم الانسان وأكثره لطفاً، ولايمكنها أن تتحمل وجود جسم غـريب فيها، كـذلك الأرض المقـدسـة، هـي مثل العين للرب، ولهذا السبب لايمكنه تحمل ذنوب لايمكن غفرانها فيها.

وعلى كل من يود السفـر إلى الأرض المقـدسـة المذكـورة، أن يكون متنبهاً، حتى لايسافـر إلى هناك من دون إذن من الأب الرسولي، لأنه ما أن يلمس شـواطىء بلاد السلطان سيكون عـرضـة لأن يغدو مشمـولاً بقـرار البـابا، لأنه منذ أن أصبحت الأرض المقـدسـة في أيدي السلطان كانت، ومـازالت محرومة كنسيـاً، ومثلها جميع الذين يسـافرون إلى هناك من دون إذن بابوي، وذلك خشيـة أن المسلمين لدى أخذهم جـزية من المسيحيين، أن يندفعوا نحـو الاستخفاف بالكنيسـة، ولهذا السبب عندما يتسلم أي مسافـر جوازه للسفر إلى هناك من الأب الرسـولي، يوجد إلى جـانب الأذن الذي منح له، هناك شرط في المرسـوم يقضي أنه يتـوجب

عليـه أن لا يشتري أي شيء أو أن يبيع أي شيء مهما كـان في الدنيـا، باستثناء الطعام واللباس، والحاجات الجسدية، وإذا ما خالف هذا، عليه أن يعرف أنه انتكس ثانية ووقع تحت عقوبة الحرمان الكنسي، ويمكن لبعض الناس أن يسـافـروا إلى هنـاك من دون أذن، من ذلك على سبيل المثال إذا كان المسافر رجل دين أو عضواً في إحدى الطوائف الدينية، أو والداً، أو والدة، أو صـديقـاً لرجل مـريض هنـاك، أو رجل واقع في الأسر، فـوقتها يمكنه السفـر إلى هناك بدون أذن،حتى يعمل على فكاك أسرهم، كما يحق السفـر بدون أذن لأي واحـد بعـث إلى هناك لصنع سـلام، أو للإعـداد لاسترداد أي شيء آخـر مفيـد، وفي عـودة إلى موضـوعي، إنه يتوجب على أي إنسان يود السفر إلى الأرض المقـدسة، أن يذهب إلى هناك إما براً أو بحراً،فإذا أراد السفر براً، فقد سمعت من بعض الذين يعرفون الطريق جيداً، أن أفضل الطرق هو الذي يمر من خـلال هنغـاريا، فبلغـاريا، فمملكة تـراقيـا، غير أنهم يقـولون بأن هذا الطريق طريق متعب جداً، وعلى كل حـال إن الذي يمكنه تحمل المشاق والوصول سالماً، سوف يصل بوسـاطة البر — وليس بوساطة البحر — إلى القسطنطينية، ولسوف أذكر بعض الشيء حول هذه المدينة.

٢— *القسطنطينية.*

القسطنطينية فائقـة الجمال، ومدينة عظيمة جداً، وقيـاس محيطها ثمانية أميـال، وقد بنيت على شكل مثلث، وأبنيتهـا في شكلهـا وهيكلها تشبـه أبنيـة روما، ويمتـد جانبـان منهـا على ضفتي ذراع بحري، اسمـه ذراع القديس جرجس(البوسفـور) في حين يقوم الجانب الثالث على الأرض، والمدينة مـزينة بتـزيينات متنوعـة ومختلفـة، وهي قـد بنيـت من قبل الامبراطور قسطنطين، الذي سماها القسطنطينيـة، ويدعوها الاغـريق في هذه الأيام باسم بولوس Bolos ويوجـد في هذه المدينة كنيسـة ذات حجم رائع وجمال فائق، ولاأعتقد أنه يوجد في العالم كنيسة أعظم منها،

لأن سفينة مع جميع أشرعتهـا ممدودة تستطيع أن تدير نفسهـا أمـامهـا هناك، وأنا لاأجـرؤ على الكتـابة عن اتسـاعهـا بشكل كـامل، وهذه الكنيسة مكرسـة على شرف القديسة صـوفيا وذلك بالاغـريقية، ومعنى ذلك باللاتينيـة«تغيير الرب لشكله»، وهي مزينة بكثير من الآثار المهيبـة من مختلـف الأنواع، مـن ذلك:المعطـف الذي لانظير لـه، ومسـامير ربنا(العائـدة للصليب)، والليفة، والقصبات، وهي متوجـة بآثار أخرى لمختلف القـديسين، ويقف في وسط هذه الكنيسـة، عمـودكبير من الرخـام، عليـه تمثال برونزي جيـد التـذهيب للامبراطور جستنيـان على ظهر حصان،وهو مزين بالتاج الامبراطوري، وبالملابس الملكية، ويوجد في يده اليسرى صـولجان ذهبي، وفقاً للطريقـة الامبراطورية، ويشير إلى الشرق بيمناه، وذلك بمثابة تهديد للعصاة الذين في ذلك المكان، ويوجد في هذه الكنيسـة قطعـة من العمـود الذي جلد المسيح عنده، وعـدد لايحصى من أجساد القديسين، والبابوات الـرومان الراقدين هناك، وقد يكون هذا صحيحـاً لأنه في أيامي جـاء بعض السـادة من كـاتالونيـاإلى هناك، وخدموا امبراطور القسطنطينيةمقـابل أجر، وعندما غادروا سألوا الامبراطور منحهم قبل كل شيء آثاراً مقدسة، وقد وافق على التماسهم، وفرز عدداً من أجساد القديسين بقدر عددهم، ووقف السادة على بعد، واختـار كل منهم جسداً بدوره، وذلـك وفقاً لمراتبهم، ونال كل واحـد منهم ما استحقه، وكان ذلك جسداً كاملاً لواحد من القديسين، وعادوا جميعاً راضين وإلى بلادهم مسرورين، وأنا لاأتجرأ على قـول المزيد حول التزيينات الأخرى العائدة لهذه الكنيسة، ويعيش في هذه المدينة امبراطور الاغـريق بشكل دائم، والذي كـان امبراطوراً في أيامـي(أندرونيكوس الثـالث) كـان قـد اتخذ قـرينة له أخت الدوق هنـري أوف برونزوك Brunswick، وبعد وفـاتها تزوج من ابنة كونت سـافوي، ويسكن في هذه المدينة أيضـاً بطريرك الاغريـق، الذي يطيعه الاغـريق في كل شيء، مثلما يطيع اللاتين البابا، كما أنهم لايقيمون أدنـى تقدير للأب الرسولي،

كما أنهم لايهتمون بأي من أوامره، باستثناء مايرضيهم أنفسهم، فمنذ أن انفصل الاغريق عن كنيسة روما من خلال الهرطقة، أقدموا على اختيار هذا البطريرك، وهم يطيعونه مثل إطاعة البابا حتى هذا اليوم، وفي القسطنطينية تباع جميع الأشياء مثل: الخبز، واللحم، والسمك، ومايشبه ذلك بأزهد الأسعار، ذلك أن ما من شيء غالي الثمن فيها سوى النبيذ، الذي يجلب إليها من نابولي، ويسكن في هذه المدينة عدد من الشعوب المختلفة، ويوجد هناك أيضاً كثيراً من المناخ البارد، ولهذا السبب يجري تمليح اللحم هناك، الأمر الذي لايمكن القيام به في أي مكان آخر في آسيا بسبب الحر، وهناك أيضاً أسماك التربوت حيث تصطاد وتجفف، وتصدر من هناك إلى جميع أجزاء آسيا، ويوجد في هذه المدينة أيضاً قصر الامبراطور القديم، الذي فيه بعض الكؤوس الحجرية التي تمتلىء من قبل نفسها بالماء، ثم تفرغ نفسها مباشرة، ثم تملأ نفسها ومن ثم تصبح فارغة، وبالإضافة إلى هذا هناك كثيراً من اللآلىء الممتازة، بكميات كبيرة، وهي رخيصة جداً، وينبغي أن يعرف القارىء أن امبراطور الاغريق والشعب الاغريقي حكموا فيما مضى جميع آسيا، أي كل من آسيا الصغرى، وآسيا الكبرى، وتملكوها، لكن منذ أن انشقوا عن كنيسة روما بالهرطقة، فقدوا تقريباً جميع هذه المناطق،لأن حكماً قد صدر بحقهم قضى أن كل واحد يأخذ أيّا منهم أسيراً، يمكنه قانونياً أن يبيعه وكأنه من السائمة، وكل لاتيني يمكنه أن يستولي على أرض هناك، يمكنه أن يتمسك بها حتى يعودوا إلى صدر الكنيسة الأم ويتحولوا، ولهذا السبب فقدوا أجزاء واسعة من أراضيهم وممالكهم، وذلك حسبما سأحدثكم فيما بعد.

٣ ـــ *الطريق(إلى الأرض المقدسة) براً، ومملكة الغرب*

وفي عودة إلى موضوعي ، وتاركاً القسطنطينية، التي يمكن للانسان أن يذهب منها إلى الأرض المقدسة براً، وذلك إذا كان الترحال من بين

الأتراك والتتار آمناً، ولاتوجد معيقات أخرى، هذا وعلى المسافر بحراً من القسطنطينية أن يعبر إلى مملكة قبرص، وذلك حسبما سأخبركم فيما بعد، ويقود الطريق الذي أتيت على ذكره، إذا ما اتجه الانسان براً دوماً نحو الشمال، إلى القسطنطينية، ومن القسطنطينية، إذا ما توفر الأمن والتسهيلات، يمكن للانسان أن يسافر براً إلى أي جزء من أجزاء العالم كله، وذلك باتجاه الجنوب، وعلى هذا لن تكون هناك حاجة للذهاب بوساطة البحر.

وبطريقة مماثلة، يمكن للانسان أن يكون قادراً على الذهاب(إلى الأرض المقدسة) من خلال الشمال الأفريقي، والمملكة الغربية، ومملكة غرناطة، غير أن المغاربة لن يسمحوا للمسيحيين بالمرور من ديارهم، مع أن المسلمين الذين يسكنون في إسبانيا وأراغون يرتحلون عبر هذا الطريق عندما يودون زيارة مقامات نبيهم محمد(ﷺ)، لكن المسيحيين لايمكنهم العبور من خلال هاتين المملكتين، لأن مملكتي المغرب وغرناطة قويتان جداً وغنيتان، وهما مسكونتان من قبل مسلمين لايكترثون بالسلطان، وهم على خلاف دائم مع ملك إسبانيا، ويقدمون العون دائماً إلى ملك المغرب، الذي هو مسلم، والذي تقوم مملكته على حدود إسبانيا، أي على ذلك الجزء من البحر الممتد في مواجهة ملك إسبانيا، وعليك أن تعرف أن مملكة المسلمين على ذلك الطرف من البحر ما تزال قائمة، وهي معروفة باسم مملكة الغرب، وهي فائقة القوة، وقائمة على الحدود الاسبانية، كما تقدم القول، وهي تمتلك عدداً من المدن العظيمة وأماكن حصينة، وبلدات، والذي أعتقده أن ملك الغرب أكثر قوة من السلطان، لأنه إذا ما توفرت حاجة، يمكنه أن يحشد في نصف ساعة أكثر من مائة ألف رجل مسلح قوي، وهو الذي تصارع ومايزال يتصارع حتى هذا اليوم مع ملوك إسبانيا وكاستيل، كما غالباً سمعت وعرفت، ومثل هذا في جميع مدن أراغون وبلداتها

مسلمون ساكنون فيها، وفي كل واحدة من المدن والبلدات يمتلك الملك قلعة عالية مشحونة بالجند الذين يبقون متيقظين، حتى لايقوم المسلمون بإثارة أي مشكلة أو القيام بعمل مضر، وعندما يرغب حاكم أية بلدة في إرغام المسلمين على تنفيذ أي عمل، يعطيهم خنازير لإطعامهم وسوقهم إلى المرعى، وهو أمر محرم في شريعتهم، وبهذه الوسيلة وبوسائل أخرى كان يرغم المسلمين على تنفيذ أوامره.

٤ — بلاد ساحل الجزائر وباجة

بلاد ساحل الجزائرهي بلاد معظمها رمال وصحراء، والذين يسكنون فيها هم أثيوبيون سود، ويوجد على مقربة من بلاد ساحل الجزائر بلاد أخرى صغيرة، ليست أكثر من ستة أميال(ألمانية؟) من حيث الاتساع، اسمها باجة، حيث يجري تربية القردة وامساكها، وجميع السكان هناك لهم وجوه مثل وجوه القردة، ويشمل ذلك كل من النساء والرجال، وهم يحتفظون بالقردة في بيوتهم، مثلما يفعل الذين هم من هذه المناطق باحتفاظهم بالكلاب والطيور، وينتجون من هذه القردة، قردة صغار، يتولون بيعها، وبثمنها ينفقون على عيشهم، ولهذا السبب يقومون بخصي صغار القردة حتى لايجري تربيتها في مكان آخر، ومع هذا فإنني غالباً ما رأيت قردة صغار في مناطق مختلفة، وينبغي أن نعرف أن البحر المتوسط يتدفق إلى المحيط، فيما بين إسبانيا والمغرب، ويأتي تدفقه خلال مضيق لايتجاوز عرضه ربع ميل(الزقاق)، ولضيقه تقف على ضفته هنا امرأة مسيحية، وتقف على الضفة المقابلة امرأة كافرة، تقومان بغسل ملابسهما، وتتشاتمان وتتخاصم إحداهن مع الأخرى، ويطلق على هذا المضيق البحري من قبل السكان المحليين اسم مضيق جبل طارق، أو مضيق المغرب.

وبعدما يعبر الانسان هذا المضيق الصغير يمكنه الذهاب إلى جميع أنحاء الدنيا،براً، باتجاه الجنوب، وكما قلنا من قبل لاتوجد معيقات على

هذا الطريق، وبعبـور هذا المضيق البحري يقدم كل مـن ملكي الغرب، وغرناطة لتقـديم المساعدة إلى ملك الغـرب، لأنهما يعبرانه بكل سهولة، ومثلما يصب البحر المتوسط في المحيط مـن خلال هذا المضيق القائم فيما بين إسبانيا والمغرب، يقوم هذا المتـوسط بالطريقة نفسها فيصب في بحر بنطش، قرب أسـوار القسطنطينية، وذلك من خـلال مضيق اسمه ذراع القديس جـورج(البوسفـور)، الذي بالعرض نفســه، مثل المضيق المتقدم الذكـر، وينبغي أن يكـون معلومـاً، أنه لاتوجـد أية مناطـق جـافـة من الأرض في بحـر بنطش ولا أحد يعـرف بوجـود مثل ذلك، إلاّ باستثناء جزيرة واحدة إسمها خيرسون Cherson ، إليها نُفي البابا القديس كليمنت، وقد أُغـرق بالبحر نفسه، ولقـد قرأنا أنه يوجـد في هذا البحر هيكل رخـامي ينفتح إليه ممر في يوم عيـده، لكن في هذه الأيام لاينفتح، إنما في الأيام الغوابر كـان كذلك، ذلك أن جسد القـديس كليمنت راقد في رومـا، والجزيرة مهجـورة، وعلى كل حال يجري منهـا تصـدير أجمل الرخام وأفخـره، [وهناك بحر آخر باتجاه الشرق وراء مدينة مـدينة غارا Gara ، التي هي بأيدي تتـار بلاد الكومان، واسم هذا البحـر «بحر الخزر»، وهذا البحر غير متصل بكل من المحيط، أو البحـر المتوسط، أو بحـر بنطش بوســاطة أي مضيق مــرئي، ويقـول بعضهـم بأنه متصل بالبحـرين الآخـرين، ويفصل ذراع القـديس جـورج الذي تحدثت عنه أوربا عن آسية الصغرى، التي هي مقاطعـة من آسيا العظمى، وغالباً ما يطلق على هذا المضيق اسم فـم القسطنطينيـة، لأنه هناك على الشـاطىء الأوربي، تقوم مـدينة القسطنطينية الجليلة، التي تعرف أيضـاً باسم روما الجديدة، كما تقدم القول].

٥ — البحر المتوسط

البحـر المتـوسط هو البحـر الذي يبحــر الانسـان عبره إلى الأرض المقدســة، ويطلق عليه اسم البحر المتـوسط لأنه يمتد نحـو شرقي آسيا،

حيث يشكل حـدودها، وأيضـاً إلى غـرب وشمالي أوربا، وإلى الجنوب الأفـريقي، حيث تنفصل بلدانهم عن بعضهـا بوسـاطة مضـائقه، ولقـد سمعت بأن أفريقيا وأوربا تنفصـلان عن بعضهما بوساطة نهر اسمه اندا Inda ، الذي فيـه أُغـرق الأربعين شهيـداً،ويمـر هذا النهـر نفسـه بمدينة اسمهـا بتريس Biterris وقد أطلق عليهـا هذا الاسم لأنها قائمة فيما بين برين، والمعني بذلك: أفريقيا، وأوربا، ويطلق على أسقفها اسم أسقف بتريس، ولقـد قـام الفلاسفـة الرومـان الذين قسموا العـالم ووزعـوه بين الـرومـان، ببناء هذه المدينة منذ أيـام خلت، وذلك في أيام هانيبال، وقاموا أيضاً ببناء مدينة أخرى إلى جانبها اسمها نربونة، ويطلق على أسقفهـا اسم أسقـف نربونه، وكثيراً مـا زرت تلـك البـلاد، ولكن دعونا نعـود إلى موضـوعي، حيث عليك أن تعرف بأن البحـر المتوسط تتحـرك مياهه نحـو الداخل والخارج، وذلك حسبما سمعت، وفيه مـد وجـزر، وبلا شك هو لايعـرف الاستقـرار، كما هو واضح بالرؤية، فيما بين كالبيرا(قلورية) وصقلية، ففيما بينهما يتدفـق البحر بشدة بلغت حداً، أن ما من بحـار يجرؤ على الابحار هناك من دون مـرشد مختص، ومثلما يمكن رؤية مثل هذا بوضوح في أمـاكن أخرى كثيرة، وينبغي أن نعرف أن البحـر المتوسط ليـس له العرض نفسـه في جميع الأجـزاء، بل هو في بعض المواضع أعـرض وفي بعضها أضيق من أمـاكن أخرى، وأعـرض مكان فيـه من الغـرب إلى الشرق هو الممتـد من اسبـانيـا إلى غـاليشيـا، وقطلونيا وجزئياً إلى بروفـانس، وأضيق مكان فيه من الغرب إلى الشرق هو الممتد من كالبيرا، وأبوليا، ونابولي، والبندقية، وأحواز هذه الأماكن.

٦ — *مخاطر البحر المتنوعة*

وهكذا يتـوجب على الذي يود السفـر إلى الأرض المقـدسة بحـراً أن يركب سفينة من أية منطقـة أو مـدينة، أو ميناء، يقع اختياره عليـه،وأنا أدع هذه المسألة إلى حـريةاختياره، أمـا بالنسبة إلى الطعـام، فليأخذ معـه

بقـدر مـايستطيع، أو بقـدر مـالديـه، وعلى العمـوم اعتـاد الناس الذين يبحـرون من الغـرب إلى الشرق على التـزود بأطعمـة تكفي لمدة خمسين يومـاً، على أنهم عندما يبحـرون من الشرق إلى الغـرب قد اعتـادوا على التـزود بأطعمة تكفي لمدة مـائـة يوم، لأن السفينة تطير وهي قادمـة من الغـرب إلى الشرق بريح طيبة، حيـث أنها تقطع في الليل مسافـات أكبر منها في النهار، حيث أنها تقطع مسافة خمسـة عشر ميلاً في كل ساعة من اليـوم، وسبب هذا أن البـلاد الغـربيـة باردة جـداً، وكثيرة الرياح، وفي المقابل فإن البـلاد الشرقية حارة جداً، وهي جميعـاً بلا رياح، وبناء عليه يبحر الانسان ببطء أكثر على سطح البحر عندما يكون عائداً، منه عندما يكون ذاهباً إلى هناك، وخاصـة أن السفن الكبيرة الذاهبة من الغرب إلى الشرق اعتـادت على العـودة في شهـري أيلول وتشرين أول، وتبـدأ الغـلايين والمراكب من هذا النوع بالاقـلاع من هناك شروعاً من شهـر آب، عندما يكون البحـر هادئاً، لأن ما من مـركب يمكنه أن يعبر البحر في تشرين الثاني، وكانون الأول، وكانون الثاني، بسبب العواصف، وعلى كل حـال مـا من مـركب يستطيع — إلا بالنـادر — العـودة من دون تعب، ورعب، وخوف، وانزعـاج، وحول هذا أنا متأكد وعـارف تماماً، لأنني عشت مـراراً ورأيت نفسي وسـط العـواصف العنيفـة في البحـر، وهي عواصف يصعب وصفها كلياً[لأن ما من إنسان يمكنه أن يصف ذلك تمامـاً، كما أن مـا من إنسـان يمكنه أن يصـدق بوجـود مثل هذه العـواصف الشديدة جـداً في البحـر]، وفي الحقيقة إنني أعـرف أن ذلك صحيحاً، لأن ما من صخرة أو رمل في قاع البحر إلاّ ويتحرك، إذا كان قـابلاً للتحرك، وذلك عندمـا يثور البحـر ويتقاذف هكذا، وقـد تبرهن على صحة هذا الأمر بين الجزر، حيث يكون البحر ضيقاً، وحيث يكون هنالك عـدداً هائلاً من الصخـور يجري قذفهـا من شاطىء إلى شـاطىء أثناء العواصف، وحـدث في إحدى المرات أن رجلاً كان مسـافراً قرب الساحل الأرمني بوساطة غليون، فثـارت فجأة عاصفة في الليل، بسببها

جرى فقدان ثلاثة رجال، ووجدوا في الصباح أن الغليون كان مغطى برمل سماكته أكثر من ذراع، مما رماه البحر أثناء هياجه، وفيما يخص برعب البحر ومخاوفه التي تنشأ من أسباب متنوعة، رأيت من المفيد الحديث بعض الشيء حولهم.

٧ — *الخطر الذي اسمه غولف* Gulph

وتصدر المخاوف أولاً عن الرياح الطبيعية، وذلك كما سلف القول، ومثل ذلك عن الرياح الشديدة جداً، التي يطلق البحارة عليها في البحر اسم«غولف»، وهي التي تسير من الفجوات في الجبال، وهي لاتؤذي السفن مالم تكن قريبة جداً، ففي سنة ١٣٤١ لتجسيد ربنا، وفي ليلة أحد، حيث كان يجري غناء Laetare Jerusalem (الأحد الرابع من الصوم الكبير)، وكنا وقتها مبحرين من الشرق، وكان لدينا ريح شرقية جيدة جداً، وبناء عليه انطلقت السفينة بأشرعة ستة منشورة، تطير طوال الليل، لكن حدث عند الصباح المبكر، وكنا مبحرين نحو جبال أضاليا، وكان البحارة جميعاً نيام، أن قذف هذا الغولف نفسه السفينة مع أشرعتها وضربها بعنف على جانبها، ودفعها نحو البحر، بحيث أن جميع الأشرعة تبللت، وسارت السفينة مائلة على طرفها إلى مسافة طويلة، ولو أن السفينة دفعت أكثر وجنحت على طرفها، لغرقنا جميعاً، وقطعنا على كل حال جميع الحبال، وربطنا جميع الأشرعة ، حتى وازنت السفينة نفسها بعض الشيء، وهكذا نجونا بفضل نعمة الرب من ذلك الخطر العظيم.

٨ — *الخطر الذي اسمه غروب* Grup

وهناك أيضاً مخاطر أخرى في البحر، تصدر عن رياح غير طبيعية، ويطلق عليها البحارة اسم«غروب»، وهي تنشأ عن التقاء ريحين، وبسهولة يراها الرحالة قادمة، هذا ولقد ارتعبت كثيراً منها حتى بعد

انتهــاء رحلتي، فضــلاً عن هذا هناك مخاوف أخــرى في البحــر، من القـرصـان أو لصـوص البحـر، الذين يهاجمون واحـدة من السفن مثلما يهاجم المقاتلون قلعـة من القلاع، لكن هذا الرعب تناقص كثيراً منذ أن اختارت مدينة جنوا لنفسها دوجاً.

٩ — *الرعب من الأماكن القليلة العمق*

وهناك أيضاً مخاوف أخرى في البحر، يدعـوها البحارة باسم الأماكن الضحلة، وبالنسبـة لهذا الموضوع عليك أن تعلم أن البحـر ليس بالعمق نفسه في كل مكان منه، لأنه يوجد في البحـر جبال، وصخور، ونباتات، وحشائش خضراء مثلما هو موجود على اليابسة، وهذه الجبال والصخور هي عـالية في بعض الأمـاكن، ومنخفضـة في أماكن أخـرى، ففي بعض الأماكن نادراً ما تكـون الصخور والجبال مغطاة بشبر أو ذراع من الماء، ولهذا السبب مـا من أحـد يتجـرأ على الابحـار جنوباً باتجاه بلاد البربر، لوجـود صخـور كثيرة، وأماكـن ضحلة قليلة العمق مغطاة بالماء، وهذه المخـاطر مرعبـة بشكل كبير في البحـر، لأنه في مثل هذه الأوقـات يتم العثور على كتل من أنواع النباتات مرمية على الشاطىء، وكذلك بعض المرجان، مما تقـرص فروعـه عندما تقـذف من قاع البحـر، لكنها تصقل بعــد ذلك مـن قبل معلمي الحرف، والمرجــان في البــدايـة هو أبيض ويقـرص، لكن جاذبيـة الشمس وأشعتها على قعـر البحر، حيث ينمـو، تجعله أحمر، والمرجان ينمو على شكل نبتة صغيرة لها ثمرة واحدة عالية، وعندمـا يجري رمي المرجـان هكذا بكميات كبيرة وقـذفهم من البحـر، يقـوم الناس بجمعهم وبيعهم وهم مايزالون يقـرصون، ولقـد رأيت في أحد البيـوت من المرجان أكثر ممـا يستطيع خمسين حصاناً حمله، ولاأتجرأ أن أقول المزيد.

١٠ — المخاوف من السمك

ومثل هذا يوجد في البحر مخاوف أخرى، نادراً ما تقع إلاّ للسفن الصغيرة، والمعني بهذا المخاوف من الأسماك الكبار، وحول هذه الأسماك عليك أن تعرف سمكة خاصة يدعوها الاغريق باسم ترويا Troya البحر، ومعنى هذا الاسم أفعى البحر،وهي ينبغي أن تخاف كثيراً من قبل المراكب الصغيرة، لأن هذه نادراً — أو مطلقاً — ما تسبب أي أذى للسفن الكبيرة، ما لم يكن مضغوط عليها بسبب الجوع، وفي الحقيقة إذا ما أعطاها البحارة خبزاً تفارق وهي راضية، لكنها إذا لم تفارق، فوقتها يمكن أن تكون مخيفة، ومن الممكن جعلها تهرب برؤية إنسان غاضب وله وجه متجهم، وعلى كل حال على الانسان أن يكون على درجة عالية من الحذر، عندما ينظر إلى السمكة هكذا، وأن لايكون خائفاً منها، بل عليه أن يحدق بها بوجه جريء ومظهر مرعب، لأن السمكة إذا ما رأت الانسان خائفاً فإنها لن تفارق، بل تقوم بعضّ السفينة وتمزيقها بقدر ما تستطيع، وعلى كل حال، إذا ما نظر الانسان بجرأة، وبتوحش نحو السمكة مع ملامح وجه غاضب، فإن السمكة تشعر بالرعب وتغادر وتبتعد عن السفينة، ولقد حدثني بحار متميز جداً، أنه عندما كان شاباً، واجه الرعب مع هذه السمكة في مركب صغير، وكان معه في السفينة شاب اعتقد بنفسه أنه فائق الشجاعة وحاد، وبناء عليه عندما قابل السمكة لم يعطها خبزاً، بسبب الشجاعة التي اعتقد أنه يمتلكها، وأنزل نفسه بوساطة حبل من السفينة إلى الماء، ليحدق بالسمكة بوجه غاضب، كما هي العادة، غير أنه عندما رأى السمكة ارتعب على الفور وصرخ لرفاقه ليسحبوه ويرفعوه بوساطة الحبل، ولدى رؤية السمكة الرجل الخائف، قفزت من الماء وهو يسحب نحو الأعلى، وبعضة واحدة التهمت نصف الرجل من أمعائه نحو الأسفل، ومن ثم ابتعدت عن السفينة، ومع هذا قد قيل بأن هذه

السمكة ليست طويلة بقدر ما يستطيع أن يرمي إنسان حجرة، كما أنها ليست عريضة لكن رأسها ضخم جداً وعريض، وكل الأذى الذي تلحقه بالسفن تلحقه بعضها وبتمزيقها.

وسمعت أيضاً من بحار آخر صادق جداً، كان يعرف جميع ممرات البحر تقريباً، وهو أيضاً كان قد تعرض إلى عدد لايحصى من المخاوف المرعبة، من مختلف الأنواع في البحر، وقد أخبرني هذا الرجل نفسه أنه قد أرغم بوساطة ريح معاكسة، على الابحار في أماكن كان الابحار فيها مرعب جداً، وذلك بسبب الصخور، وقرب قاع الأرض التي كانت بالكاد مغطاة بالماء، وعندما لم يكن بعيداً عن مثل هذه الأماكن، لم يكن قادراً على ايجاد قعر عميق على بعد عشرة آلاف ذراع، وعندما كانت السفينة مبحرة في هذه الأماكن مع أعظم قدر ممكن من الخوف والخطر، حدث أن السفينة مرت على سمكة اسمها عند الفرنسيين Melar ، كانت مختبئة بين الصخور هناك، وعندما شعرت السمكة أن السفينة مقبلة نحوها، تصورت أنها وحش عظيم من الممكن ابتلاعه، وفتحت فمها، وأعطت السفينة عضة كبيرة جداً، ومع أن السفينة كانت محملة كثيراً، فقد دفعت إلى الخلف مسافة كبيرة. واستفاق الناس، الذين كانوا على ظهرها بسبب تلك العضة والصدمة، وعندما أدرك البحار أن السفينة اصطدمت بعقبة لايمكن تجاوزها، صرخ إلى الناس الذين كانوا في السفينة ليصلوا إلى الرب من أجل أرواحهم، وكان قد اعتقد بأنه لم يكن هناك أمل ببقائهم أحياء، حيث كان موقناً بأن السفينة لابد أنها اصطدمت بصخرة عظيمة، وعلى الفور نزل البحارة والخدم التابعين للسفينة إلى قبوها، راغبين في أن يروا المكان الذي خرقت فيه السفينة، فوجدوا أن سن سمكة سميك عريض مثل جذع شجرة، وطوله ثلاثة أذرعة قد خرق السفينة، وقد حاولوا أن ينتزعوا ذلك الجزء من السن بأدوات معدنية، فلم يستطيعوا، فقاموا بقطعه بالمنشار على سوية طرف

السفينة، وليس هنالك من شك أن السفينة كانت ستتحطم لولا أن هذا السن كان حاداً إلى درجة مكنته من خرقها بذلك الشكل المدهش، وفي الوقت الذي أتأمل فيه حول طول وعرض مثل هذه السمكة، أخبرني البحار نفسه بأن لا أندهش، لأن في البحر سمكة طولها ميل، وعرضها أربعة آلاف وستمائة ميل(ذراع؟) وذلك في أضيق مكان فيها، وهناك أيضاً في بركة صغيرة لايتجاوز عرضها رمية سهم توجد سمكة طولها ذراع، وهي غالباً ما تصاد، ولقد رأيت ثلاث سمكات من هذا النوع خارج سردينيا، وكانوا يندفعون خارج الماء أثناء تنفسهم إلى مسافة بعيدة، أكثر مما يستطيع قوس أن يرمي نشابته، وكانوا يصدرون صراخاً مثل الرعد، فضلاً عن هذا، في أيامي، عندما كنت قريباً من جزيرة طرطوس، كانت هناك سمكة، حينما أخذت بالاصطدام بسمكات أصغر رمت بنفسها على اليابسة، وساقت أمامها موجة عظيمة من الماء، وعندما عادت المياه إلى البحر، بقيت السمكة على اليابسة، وأطعمت جميع السكان هناك في تلك المناطق بلحمها ودهنها، لكن ليس بعد أمد طويل، عندما ازدادت درجة حرارة الشمس، تسممت المنطقة كلها بنتن السمكة عندما تعفنت، ولمدة طويلة كان من الممكن رؤية الهيكل العظمي للسمكة عن بعد، مثل بيت كبير، وأطراف منه تحركها الرياح، وبعد بعض الوقت تحطم هذا الهيكل ونقلته العواصف والزوابع نحو الأسفل ولقد سمعت من كثير من الناس من أهل المعرفة أنه يوجد في البحر حوت طويل جداً.

١١ — *أنواع الأسماك*

ومثل هذا يوجد في البحر كثير من أنواع السمك، من مختلف الأشكال، من الكبير والصغير، بعضها لها ألوان واحدة، ومظهر، وشكل، وترتيب، وبعضها بأجنحة، وبعضها بلا أجنحة، ولايمكن فهم طبيعة هؤلاء جميعاً من قبل العقل البشري، وبين هذه الأنواع جميعاً

هناك أنواع بالفعل مدهشة جداً،يرفعن أنفسهن مسافة طويلة جداً خارج الماء، ويمكن لبعضهن أن يجرين طائرات على مستوى وجه الماء لمسافات طويلة مثل الخفاشات، لكنني لست متأكداً كم يستطعن أن يطرن، وإلى أية مسافة.

ولقد سألت بإلحاح البحارة العارفين: من أين تأتي هذه الأسماك؟ وقد أجابوني أنه ينمو على شاطىء البحر في إنكلترا وايرلندا أشجار جميلة جداً تحمل فاكهة تشبه التفاح، ويعيش في هذه التفاحات حشرات، وعندما تنضج التفاحات، يسقطن على الأرض، فيتحطمن بعملية السقوط هذه، وتطير من داخلها حشرات، لأن لها أجنحة مثل النحل، والحشرات اللائي يلمسن الأرض أولاً يغدون مخلوقات هوائية، ويطرن هنا وهناك مع الطيور السماوية الأخرى، لكن ما أن تلمس هذه المخلوقات الماء حتى يتحولن إلى مخلوقات مائية ويسبحن مثل الأسماك، غير أنهن يجلن في أماكن أخرى ويدربن أنفسهن على الطيران، لكن يبقى هل يخلقن هكذا على الأشجار، إنني لاأعرف أكثر مما سمعته في هذه الحكاية، إنما هن يؤكلن مثل الأسماك، ويرون وهن طائرات من قبل الناس الذين يرتحلون في البحر.

١٢ — *هجرة الطيور*

وعليك أن تعرف أنه في موسم محدد، تقوم أعداد عظيمة من الطيور من جميع الأنواع، من كبير وصغير، بالارتحال عبر البحر من الغرب إلى الشرق، وتعود ثانية، وبشكل خاص طيور: السنونو، والسلوى والغرنوق، وأعداد لاتحصى من الطيور من جميع الأنواع والألوان، سواء ما كان منها كبيراً أو صغيراً، الله وحده يعرف أسماءها وأعدادها، وهم يطيرون على طريقهم من جزيرة إلى جزيرة، ويصبحوا ليسوا أكثر من عظم وريش، ويبلغ بهم حد الانهاك إلى عدم الاهتمام بالحجارة والنشاب، وقد أمسكت بعضاً من طيور السنونو ... على ظهر السفينة،

لكن سرعـان ما مـاتوا، ومع هذا إنني لم أر مطلقـاً في جميع المناطق التي كنت فيها فيما وراء البحار طائر اللقلق، لكن رأيت مرة في دير للموارنة لقلقاً، عددته مـدهشاً في حجمه، ولقد سُئلت دومـاً عما إذا كانت طيور السنونو تقضي الشتـاء في بلادي، فأجبت: لا، إنما بالنسبة لبـلادي، تأتي هذه الطيور إليها في آذار، إنما وهذه الطيور هنـاك ما من أحد يعرف من أين جاءت، وقد حدث في مرة من المرات، أنه في واحد من قصور أحد السادة الكبار، كان الحاجب نائماً فوق منضدة عندما جاء اثنان من طيور السنونو، وهما يتخاصمان حول عش، ووصـلا في التخاصم إلى حد أنهما أخذا بعضّ بعضهما بعضـاً، وهكذا سقط كلاهما على وجهـه وهو نائم، فأمسك بهما بشـدة، ثم وضع حـول كل واحـد منهما طوقـاً، وقـد كـانا يأتيـــان في كل سنة ويعـــودان إلى عشهما مع هذيـن الطوقين نفسيهما، وبإمكاني أن أروي حكايات طويلة جداً حـول أنواع أخرى من الطيور، من الصغير والكبير، ممن يقوم بعبور البحر في أوقاتهم الخاصة، إنما لابد لي من العودة إلى موضوعي، وأن لاأكتب المزيد حول مثل هذه المسائل.

١٣ — *الرحلة عبر البحر — طروادة والجزر*

وعلى هذا كل من يود زيارة الأرض المقـدسة، أو أي مكان من بلاد ما وراء البحـار، لابد له من السفر إلى هناك بسفينة أو بغليـون، وإذا ما سافـر في سفينة، فإنه وقتها يجوز مباشرة عبر البحـر، دون أن يتوقف في أي ميناء مـالم يكن مرغماً على فعل ذلـك، بسبب رياح مضادة، أو طلبـاً للأطعمة، أو وجود قضية ضرورية جداً، وهكذا فإنه يخلّف بلاد الجزائر على يمينه باتجاه الجنوب، ويترك بلاد الاغـريق على يساره باتجاه الشمال، ويحصل على مشهـــد عن بعـــد لكثير من الجزر الشهيرة مـن ذلك: كورسيكا، وسردينيـا، وصقلية، ومـالطة، وغوي Goy ، وسكارب Scarpe، وكـريت ورودس، وجزر أخـرى كثيرة، صغيرة وكبيرة، لكنه إذا ما أراد العبور في غليـون، عليك أن تعرف أن الغليون هو نوع

من المراكب المستطيلة، التي ترتحل من شاطىء إلى آخر، وتبقى مبحرة على مقربة من الشاطىء، وتتوقف في مرسى على الشاطىء في الليل، ولها ستين مقعداً على كل جانب، ولكل مقعد ثلاثة من البحارة معهم ثلاثة مجاذيف، ورامي قوس واحد، وعلى ظهر الغليون يجري دوماً أكل أطعمة جديدة، وهذا أمر لايمكن القيام به على ظهر السفينة، وعندما يكون الغليون على هذه الصورة على محاذاة الشاطىء، يمكن للانسان أن يرى مالايحصى من الأماكن الفائقة الجمال، والمدن، والبلدات، والقلاع، وخاصة تلك الأماكن كلها التي يمكن رؤيتها من السفينة عن بعد، فهي الآن تشاهد من خلال الغليون عن قرب، وهي تمر أمام العين دقيقة دقيقة، وعلى هذا، من الممكن القول تقريباً، أنه في الغليون من الممكن رؤية شواطىء ما حول الجزء الشمالي من العالم، وذلك كما سنرى فيما بعد، وأما والانسان مسافر هكذا في غليون من مكان إلى مكان آخر، ومن ميناء إلى مياء آخر، يمكنه الوصول الى القسطنطينية التي كنت قد حدثتكم عنها، وبعد مغادرة تلك المدينة، يصل الانسان وهو نازل على محاذاة ساحل آسيا الصغرى إلى المكان الذي قامت فيه فيما مضى مدينة طروادة الجليلة جداً، والتي لم يبق منها أثر يمكن رؤيته، اللهم إلا باستثناء بعض الأساسات تحت ماء البحر، وكذلك في بعض الأماكن بعض الحجارة القليلة وبعض الأعمدة الرخامية المدفونة في الأرض، التي عندما يعثر عليها يجري نقلها وأخذها إلى أماكن أخرى، وفي هذا المقام عليك أن تعرف، أنه لايوجد في البندقية عمود حجري أو أي حجرة جيدة القطع والصنعة لم تكن قد جلبت إليها من طروادة، هذا وقد بني إلى جانب المكان الذي قامت فيه طروادة فيما مضى مدينة صغيرة، اسمها أيوس ياموس Ayos Yamos، وذلك باللغة الاغريقية، وكانت مدينة طروادة قائمة على شاطىء البحر في منطقة اسمها فريجيا، وهي ليست بعيدة عن خلقدونية، لكن كما يبدو لم تملك ميناء جيداً، وعندما يسافر الانسان في غليون من طروادة يرى شواطىء

لومبارديا، وشمبانيا، وكلبيرا، وأبوليا، ويصل الانسان إلى جزيرة اسمها كورسيكا، وحدث أنه قرب هذه الجزيرة جرى اغراق سفينة القديس بولس الرسول، وذلك بعدما قدم التماساً إلى قيصر، بعد ما جرى اعتقاله في اليهودية، وهناك أيضاً، حدث في المساء، عندما كان جالساً أمام النار في النزل جرى قرصه من قبل أفعى خبيثة، ونجا دون أن يصاب بأذى، وذلك كما نقرأ في أعمال الرسل، ومازال يسكن في تلك الجزيرة أناس يتفاخرون بأنهم من أسرة صاحب النزل، الذي نزل في نزله ما نزل من هذه الأشياء بالقديس بولس، وهؤلاء الناس قد منحوا القدرة على الشفاء ببصاقهم أي واحد جرى قرصه من قبل أفعى أو صلّ، وعندما يريدون ممارسة هذه القدرة مع أي انسان، يأخذون أولاً كاساً مليئاً من الخمرة، ويشربون منها أولاً ثم يضعون فيها كمية من البصاق، وإذا ما كان الذي أعطيت الكأس له قد رفضتها نفسه وأصيب بالغثيان، يمزجون تربة مع الخمرة، ويعطونها إلى المحتاج إليها، حيث يتلقى هذه القدرة، أو النعمة وهو يقول: «خذ ياهذا القدرة والنعمة التي أضفيت علينا من قبل الرب وعلى أولادنا، تشريفاً لبولس الرسول، الأمر الذي نمنحك إياه ونضفيه عليك باسمه، حتى يكون بمقدورك إذا ما قرصت من قبل أفعى أو صلّ، أو من قبل أي من الهوام السامة والمؤذية، أن تشفي نفسك ببصاقك، وتعالجها، إنما دون أن تعالج شخصاً آخر، ونقوم بمنحك هذا من دون أخذ أية مكافأة مقابل ذلك، ونحن نعطيك ذلك من أجل الرب، باسم الآب والابن وروح القدس، آمين»، وإذا ما قام أي انسان بمعالجة انسان آخر إلى جانب نفسه يفقد على الفور قدرته، إنما في الوقت نفسه تفيد الذي تولى معالجته، ويبحر الانسان من جزيرة كورسيكا هذه إلى سردينية، وهي جزيرة جليلة جداً، ذات تربة جيدة وخصبة، مليئة بالقطعان، والسائمة، لكنها من دون خمرة، حيث تجلب إليها من أماكن أخرى، ومن المقرر أن جسد القديس اوغسطين يرقد في هذه الجزيرة، لكن (لوتبراند Luitprand) نقله

(في سنة ٧٢٥) إلى بافيا Pavia ، وقد ولد في هــذه الجزيرة أيضاً القـديس مكاريـوس الذي كـان بارزاً جـداً بين النســاك، وكـانت هذه الجزيرة تابعـة للبيازنة، لكن ملك أراغـون انتـزعها منهم بالقـوة، وهي لاتحتوي على كثير من المدن، بل فيها مدينة واحـدة اسمها قلعة دي كال Cal، وإلى جـانب هذه المدينة قلعة اسمهـا بونايرBonayr ، وكنا في يوم الصعـود من سنة ١٣٤١، قد دفعنـا بقوة نحـو هذه الجزيرة، وذلك من قبل ريح عاصفة شديدة وقـاسية ثارت بشكل مفاجىء، وكنا وقتها في سفينة كبيرة جـداً، وإثر هذا اقتضى منا الأمـر خمسة عشر يومـاً حتى عوضنا المســافة التي كنا قد سرناها قبل العـاصفة منذ الساعة السـادسة حتى وقت العشـاء، ولايتذكـر الشيـوخ في أيامنا هذه عاصفـة مثل هذه العاصفـة العظيمة في البحـر، وفي الليلة التي دفعنا فيها إلى هنـاك، وجد ثلاث وأربعـون سفينـة أخـرى كبيرة قـد تجمعت هناك، وكــانت مثلنا أنفسنا، قـد دفعت إلى هناك من مختلف أطراف البحـر، وذلك مع عـدد لايحصى من المراكب الأخرى، من الأحجام الصغيرة والكبيرة، وبعضها كان قد رمى بحمولته، وبعضهـا الآخر كان قد تحطم، وبين تلك السفن جميعاً جاءت أعظم سفينة في العـالم من نابل، وكانت محملة بألف برميل من الخمر، وذلك من ذوات الحجم الأكبر من نوعه، مع أكثر من ستمائة رجل ومختلف أنواع التجارات، وكـانت آخذه طريقهـا إلى القسطنطينية، غير أنها صـدت بقوة العـاصفـة وعنفها، وجـزيرة سردينيـا هذه مجاورة لجزيرة أخرى صغيرة اسمهـا سوبر Sauper ، أي أن تقول جزيرة القديس بطرس، حيث يوجـد عليها خيول وحشيـة، وهي صغيرة جداً، وعظيمــة الجمال، ولسرعتهـم من غير الممكن امســاكهـم، إلاّ من قبل اللصــوص الذين يطلقـون السهــام عليهم ويأكلـونهم من أجل التمتع بلحم الطرائـد، والبحر بين هذه الجزيرة وبروفانـس خطير جداً، ويطلق البحــارة على هـذه المنطقــة اسم خليـج ليــون، ومعنى ذلـك «غضب الأسـد»، لأنه إذا كان من الممكن أن تستطيع سفينة مـا الابحار بسـلام

على ظهر بقية البحر، إنها لن تتمكن من عبور هذا المضيق البحري من دون مواجهة عواصف عظيمة، ومخاطر، ورعب، ولهذا السبب أطلق على هذا المكان نفسه اسم خليج ليون، ومن جزيرة سردينية هذه يستطيع الناس الإبحار إلى جزيرة صقلية، وهي بلاد جليلة جداً، مساحتها حوالي الثمانين ميلاً، وهذه مملكة عظيمة جداً، وهذه الجزيرة أعظم خصباً من جميع البلاد المجاورة، لأنه عندما يكون هناك انحباس للمطر، وجفاف وقحط في جميع بلدان وأقطار ما وراء البحر، نجد هذه المناطق يجري اطعامها ومساعدتها من قبل صقلية لوحدها.

١٤— جزيرة صقلية

وفي مملكة صقلية سبع أسقفيات ومطرانية واحدة، مطرانها رئيس أساقفة مونريال، الذي هو في أيامي راهب ماروني، فضلاً عن هذا تمتلك صقلية عدداً كبيراً من المدن الحصينة جداً والجليلة، والمواقع الحصينة والبلدات، ولاسيما المدن الأكثر جمالاً والأعظم حصانة الموجودة على شاطىء البحر،فكل واحدة من هذه المدن لها ميناء، ومن هذه المدن: مسينا، وبلرم، وطبرمين، والقنطرة، ويسكن في القنطرة رهبان دومينكان، لديهم صورة للعذراء مريم المباركة في أيام البشارة، وهذه الصورة يبجلها أهل المدينة كثيراً، ومثلهم يفعل الذين يبحرون على ظهر البحر، لأن ما من سفينة تعبر من هناك إلاّ وتقف على مسافة محددة لتقدم التبجيل لهذه الصورة ولزيارتها، ويخبرون الانسان— ويعتقدون بشكل حازم— أن أية سفينة ستعبر دون تحية هذه الصورة أو زيارتها، سوف لن تصل إلى وطنها، من دون أن تواجه عاصفة، وواجهت القديسة أغاثا في مدينة القنطرة الشهادة، وجسدها كله راقد هناك، وهي محترمة كثيراً، وتحرس بعناية كبيرة، لأنه بفضل محاسنها يصنع الرب يومياً كثيراً من المعجزات في جميع أرجاء صقلية، وعلى مقربة من مدينة القنطرة هذه يقوم جبل منفرد عالي الارتفاع كثيراً،

ويطلق عليـه الذين يسكنون هناك اسم جبل بيل Bel، أي أن تقول الجبل الجميل، ولايتوقف هذا الجبل عن اصـدار اللهب والدخان وكأنه فـرن ناري، ويقـذف صخوراً محترقـة بحجم بيت صغير، ويطلق عليهـا سكان تلـك المناطق اسم أحجـــار الخفـــاف، وبها يجري صقـل الرق للكتـابة، وهذه مـع المقـذوفـات الأخـرى التي يـرمي بها الجبل تتجمع وتتكوم بوسـاطة الريـح، حتى تشكل مـا يمكن دعـوته جبـالاً عظيمـة وطويلة، ومن هذا الجبل تدفق نهر النار الذي قرأنا عنه في آلام القديسة أغاثا، حيث قـالوا: «وقد أقـاموا ظلة حـاجزة لإبقاء النـار بعيداً»، ومن الممكن رؤية مجرى هذا النهر بوضوح في هذه الأيام، وعلى كل حال لقد تدفق نهر من النار مشابه مـراراً منذ أيام القديسـة أغاثا، وإلى هذه الأيام نجده يتدفق أحياناً، وفي الحقيقة جـرى دمار جزء كبير من صقلية بأنهار النار هذه، وبأحجـار الخفـاف، التي قـذفت من الجبل، لأنه عندمـا يبرد النهـر، تصبح هذه الأحجـار قـاسية، من غير الممكن تكسيرها بأدوات حـديدية أو أية أدوات مهما كان نوعهـا، ولقد قيل يوجـد في هذا الجبل فم الجحيم، ومـا من شك يوجـد بعض الحقيقـة في هذه الحكاية، فلقـد تبرهن وتقـرر بوسـاطة عـدد من الأصـوات، والمعجـزات، والأمثلة في اليوم الحاضر، وفي التواريخ القـديمة للمملكة، أنه في أي وقت وجدت فيه أية معارك كبيرة، في أي مكان، يرسل الجبل نفسه اللهب عالياً حتى عنان السماء نفسهـا، وبناء عليـه فإن الذين يسكنون صقليـة يعرفـون أن هناك معارك حقيقية يجري القتال فيها في بعض أقطار العالم.

ولقــد أخبرني راهب مــاروني، قـد سكن لـوقت طويل في جــزيرة صقليـة، أن فيما لديه من معلومـات حـدث أنه عندمـا كـان الامبراطور هنري [السـابع]، صاحب الذكـرى الطيبة والبيـازنة يقاتلان ضـد الملك روبرت في جبل كـــاشيم Cachym [سنة ١٣١٥]، وهي الحرب التي قتل فيها أخـو الملك روبرت، وهو مدفون حتى هذا اليـوم في بيزا تحت

ضريح الامبراطور المتقــدم الذكـر، ففي تلك الليلـة التهب هذا الجبل، وكـان مضيئاً طوال ليلة المعركـة إلى حـد أن رهبان مسينا، الواقعـة على مسافـة عشرين ميلاً عن هذا الجبل، قد قـرأوا نصوص قداسـات المساء لديهم على ضوء ذلك اللهب.

وقد أعلن أن الشيء نفسـه قد وقع بالذات عندما كـانت هناك حرب بين الفلورنسيين والبيـازنة في جبـال الألب، وقـد حـدثني هذا الراهب بكثير من الحكايات المدهشـة حـول هذا الجبل، تحتـاج إلى وقت طويل لحكايتها، ولهذا السبب هناك مثل سائر في صقلية يقول: «إنني أفضل أن أكــون في جبـل بيل مع الملوك والأمــراء على أن أكــون في السماء مع المعـاقين والعميـان»، والمعنى هنا واضح، لأن الرجـال هنا أشرار بالمرة، لكن النساء جميلات جداً، وموضع اعجاب عظيم، ويمارسون في صقلية ثلاثة أنواع من العبـادات مختلفـة: ففي القسم الأول يمارسون الطقـوس اللاتينيـة، وفي القسم الثـاني يمارسـون طقــوس الاغـريق، وفي الثـالث يمارسون شعـائر المسلمين، ومع أنهم جميعـاً مسيحيين، هم على كل حال مختلفون وغير متفقين في عقـائدهم وممارساتهم، وإنه لأمـر مدهش كثيراً أن تكون صقليـة إلى هذه الدرجـة بلاداً خصبة وجـذابة، مع أنها تعـاني دومـاً من مثل هذا الدمار المرعب من هذا الجبل، لأنه يحدث أن يقـذف كميـات هائلة من الرمــاد في يوم أو يومين، فـلاتستطيع السـائمـة لمدة طويلة أن تجد أي مرعى، وزيـادة على هذا، يحدث في بعض الأحيان أن تتـدفـق عـدة أنهار من النار واللهب، وكــذلك من الأشيــاء الأخـرى المرعبـة، وتنحـدر من الجبل، ولهذا يقـوم الذين يسكنون هناك بالصـوم وتقـديم النـذور، متـوقعين أنهم سـوف يؤخــذون سريعـاً إلى الجحيم، وتجري هذه الأنهار منحـدرة من الجبل مثل نحـاس ذائب يغلي، وتتـولى النار استهلاك كل شيء تجده على طريقهـا، سواء أكان حجـراً أم خشباً، وذلك مثلما تتـولى الميـاه الحارة تذويب الثلج وإزالته، وتـدمر البـلاد في

بعض الأمـاكن لمسافـة ميلين، وذلك حسب طبيعـة الأرض منخفضـة كـانت أو مـرتفعة، وتجعلهـا صحـراء، لايمكن سكناها إلى الأبد، وعلى هذا إن صقلية بلاداً فائقة الجودة، ومع هذا هي مرعبة أن تسكن فيها.

١٥ — جبل البركان

ومثل هذا يوجـد على مقربة من صقليـة جزيرة أخـرى صغيرة، فيها جبل واحد فقط، وعنـد سفح هذا الجبل هناك حديقـة هي الأكثر جمالاً وبهاءً، واسم هذا الجبل لدى السكان المحليين جبل البركـان، وهو يقوم فجأة مثل فرن بصـب اللهب المحرق، بشكل أكثر إرعـاباً من جبل بيل، وقد قرأنا بأن هذا الجبل كان يقوم فيما مضى في صقلية، غير أنه بفضائل الرسول القديـس برثلميو رمى نفسه في البحر، ونقل نفسـه من اليابسة، ولهبـه مرعب إلى أقصى الحدود والعنف، وهو يقـذف بصخور الخفـاف التي من حجم بيوت صغيرة في الهواء، مثلما يفعل المنجنيق، وذلك بقوة هائلة إلى حد أنهن يتفجـرن بالهواء مثل التفاح، وتسقط بعض القطع في البحـر على بعـد حوالي النصف ميل عـن هناك، فتقذفهـا الأمـواج على الشـاطىء، وتتجمع هناك، وحجـارة الخفاف هذه هي التـي يستخدمهـا الكتـاب في صقل الرق للكتـابة، والذي يـذكـره بعضهم أنه يتشكل من زبد البحر، هو غير صحيح، حسبما جرى اخبـارك، وحدث مرة قبل أن أذهب إلى صقلية، أن النار تفجرت في الحديقـة عند سفح جبل البركان، وكـان مقـدار اتسـاعها رميـة حجـر، ولمدة أربعـة أيام وأربع ليـال ظل اللهب يتصـاعـد إلى السماء، مـن الطول ومن العـرض، وذلك بشكل مرعب إلى حد أن جميع الناس خيل اليهم أن السماء حقـاً والأرض كانتا تشتعـلان، وأنه جـاء ميعـاد اليوم الذي سيفـارقـون به الحيـاة، وعندمـا توقف اللهب، استمر الرماد يتسـاقط لمدة أربعة أيام وأربع ليال أخرى، إلى حد أن كثيراً من الأماكن والبلدات والمدن هجرها الناس، وغادروها مع كل مـا يملكون، وهربوا إلى الجبـال ليخبئوا أنفسهم وليحمـوها من

الرماد حسب أفضل ما هو بإمكاناتهم، ولقد هلكت جميع القطعان وأعداد كبيرة جداً من الناس في السهول بفعل الرماد، وغدت مدن كثيرة، لايمكن رؤيتها البته، لأنها غطيت بكثافة بالرماد، وجف كثير من الانهار بفعل الرماد، وكان لذلك حزن وأسى في صقلية كلها في ذلك الحين، بشكل لايمكن لانسان أن يتذكر مثيله، أو تحدث التاريخ القديم عن مثله، ولهذا قام الصقليون فعقدوا النذور للرب، وأعلنوا الصيام، وأسلموا أنفسهم إلى أعمال التوبة، وصلوا إلى الرب حتى يزيل عنهم غضبه، وأن يقوم من أجل فضائل القديسة أغاثا بتحريرهم من هذا الغضب العظيم، وبناء عليه انتهى الرعب والاضطراب على الفور، ولم يشعروا بعد ذلك بأي من هذا النوع، وقاموا بعد ذلك بتحريم صنع عدد كبير من الأعمال الشريرة التي كان مسموحاً بها حتى ذلك الحين تحت تهديد إنزال أقسى العقوبات.

١٦ — *مدينة سرقوسة*

ويوجد في صقلية مدينة أخرى، اسمها سرقوسة، فيها واجهت القديسة لوسيا Lucia الشهادة، وفيها يرقد جسدها كله، هذا ويوجد هناك أيضاً عدد لايحصى من آثار القديسين المبجلين، ولسوف أحتاج إلى وقت طويل جداً لأحدثكم عن المزيد من عجائب صقلية، وعن أمجاد وقصور الامبراطور فردريك، وعن اصطياد السمك الذي اسمه الطون، وعن المصادر الأخرى لثرواتها وازدهارها.

وعلى مقربة من صقلية هناك جزائر أخرى كثيرة، كبيرة وصغيرة، مسكونة من قبل المسلمين، ويوجد على مقربة منها هناك جزيرة أخرى اسمها مالطة، وفيها أسقفية واحدة، وقد زرتها مراراً أثناء العبور، وعلى مقربة منها هناك جزيرة أخرى اسمها كولمات Colmat، فيها حفر كثيرة للأرانب، إلى حد أنه لم يبق للسكان ما يكفيهم من أرض للعيش عليها، وعلى مقربة منها هناك ايضاً جزيرة أخرى صغيرة اسمها سكولا

Scola وما من أحد يزور هاتين الجزيرتين الصغيرتين إلاّ الذي يقوم برحلة خاصة إليهما، وإلى جانب هاتين الجزيرتين، هناك أيضاً جزيرة أخرى اسمها غوي Goy (غوزو Gozo) يوجد فيها كثير من القطعان، ومنتجات الحليب، وقد أبحرت مرة بين هذه الجزيرة والجزيرة الأخرى في حالة رعب كبيرة، وكنت في سفينة كبيرة، في أثناء أكثر العواصف عنفاً، وما من أحد يتذكر أن سفينة بمثل هذا الحجم الكبير قد سارت قط خلال ذلك الطريق.

١٧ — *آخيا*

ولدى متابعة السفر من صقلية، يعبر الانسان خليج البندقية، الذي يفصل البندقية عن اليونان، ولدى ابحار الانسان على محاذاة شواطىء بلاد اليونان وملتفاً حولها، يصل إلى آخيا ومقدونية، ومناطق أخرى من بلاد الاغريق، يطلق عليها اسم رومانيا، وعليك أن تعرف أن البلاد التي كانت تعرف باسم آخيا اسمها الآن المورة، وقد استولى القطالونيون على هذه البلاد بالقوة، وفصلوها عن بلاد الاغريق، ويوجد هناك مدينة جميلة اسمها بتراس Patras فيها واجه القديس أندرو الشهادة، فضلاً عن هذا فإن القديس انطوني وعدد كبير آخر من القديسين قد سكنوا فيما مضى هناك، أو ولدوا في تلك البلاد، وليس بعيداً عن بتراس توجد أثينا، التي ازدهرت فيها فيما مضى مدارس الاغريق، ولقد كانت هذه في الأيام الخوالي مدينة جليلة جداً، لكنها الآن تكاد أن تكون مهجورة، هذا ومن النادر أن تجد في أي مكان في جنوا عموداً رخامياً أو قطعة جيدة من الحجر المنحوت، هي لم تجلب إلى هناك من أثينا، فالمدينة كلها قد بنيت من أحجار أثينا، مثلما بنيت البندقية من حجارة طروادة، ويوجد في أراضي آخيا هذه نفسها مدينة كورنثا الفائقة الجمال والحصانة، وهي قائمة على ذروة جبل، ومثل هذه المدينة بحصانتها وقوتها نادراً ما سمع بشبيه لها، لأنه لو قام العالم كله

بحصارها، لن تشعر مطلقاً بالحاجة إلى القمح، والخمر، والزيت والماء، وإلى هذه المدينة كان القديس بولس قد كتب عدداً من الرسائل، وليس بعيداً عن كورنثا تقوم مدينة غلاطية التي إليها كتب القديس بولس رسائلاً، و«غلا» بالاغريقية تعني ما تعنيه كلمة لاك Lac (حليب) باللاتينية، ذلك أن الذين يسكنون هناك هم أكثر بياضاً من الأناس الآخرين من حولهم، وذلك من طبيعة المكان، هذا وإن هذه المدينة التي عرفت فيما مضى باسم غلاطية، تعرف الآن باسم بيرا Pera، فضلاً عن هذا يسكن في آخيا— أو المورة— رهبان من طائفة التيوتون، وهم يمتلكون هناك قلاعاً في غاية الحصانة، وهم دوماً على خلاف مع دوق أثينا والاغريق، وعندما يتابع الانسان ترحاله من آخيا، أو المورة، يمر بعدد من الجزر الاغريقية، وذلك لدى ابحاره على طول ساحل آسيا الصغرى، ويصل الانسان إلى جزيرة اسمها كيوس، التي هي جزيرة متميزة بشكل خاص، فهناك ينمو المسطكى، ولاينمو في مكان آخر في العالم، حيث صحيح أن أشجارها تنمو بها فيه الكفاية في أماكن أخرى، لكن لايوجد عليها ثمار، وينمو المسطكى مثل الصمغ، ويتساقط من الأشجار، ومن هناك يرسل إلى جميع أنحاء العالم، ولهذه الجزيرة أسقف، كان في أيامي من طائفة الدومينيكان، وقد انتزعت هذه الجزيرة بالقوة من امبراطور القسطنطينية من قبل أخوين جنويين، وفيما بعد وقع خصام بين هذين الأخوين، فتخلى واحد منهما سراً عن حصته وأعادها إلى الامبراطور، واعتقل أخاه، وأبقاه لمدة طويلة في السجن، فانتزع الامبراطور الجزيرة منهما معاً، لكنه في أيامي أدخل الأخ السجين في حظوته، وجعله قائداً لجيشه، وأعطاه بعض القلاع، ومن كيوس يبحر الانسان إلى جزيرة بطمس Patmos، التي إليها جرى نفي القديس يوحنا الانجيلي من قبل دوميشيان، وهناك رأى السموات مفتوحة فكتب سفر الرؤيا، ويمكنك الابحار من بطمس على محاذاة ساحل آسيا الصغرى، والوصول إلى إفسوس إذا كنت ترغب بذلك، وهذه البلاد

التي كانت تعرف من قبل باسم آسيا الصغرى، تعرف الآن باسم تركيا، لأن الاتراك انتزعوها من الاغـريق، وعليك أن تعرف أن الأتراك رجال سود طوال، وهم مسلمون متحمسـون، مع انهم ليسوا من أصل عربي، وهم بالحري مسيحيـون مـرتدون، وهـم يشبهـون مـن جميع الجوانب الفـريزيين، ويسكنون إلى جانب شـواطيء بحـر الشمال (كذا) في قـلاع حصينة جداً، انتزعوها من الاغـريق، وليس لديهم سلاح سوى القوس والنشاب، ويعيشـون على الحليب وما شابهه، ويتجـولون هنا وهناك مع قطعانهم، وفي كل اتجاه، وهم لهم عادات الفريزيين نفسها.

١٨ـــ *مدينة إفسوس*

عليك أن تعرف أن مـدينة إفسوس الحقيقية تبعد أربعـة أميال قصيرة عن البحر، ويوجـد في هذه المدينة كنيسة جميلة بنيت على شكل صليب، وهي مسقـوفـة بالرصـاص، وهي مـزينة بشكل بهي بأعمال الفسيفسـاء والرخام، وهي موجودة حتى هذا اليوم، وهنا حدث أن ذلك الرسول المحبوب عندما تخبأ لعيد من الأعياد، دخل إلى ضريح، كان الظلام مخيماً عليـه، ولم ير بعـد ذلك مطلقـاً، وهذا الضريح على مقـربـة من مـذبح مـرتفع، والمكـان الذي حفـر فيـه الصخـر ونحت ظاهر مـرئي للذين يريدون الدخـول إليـه شرط أن يدفعـوا أولاً فلسـاً إلى الأتراك، ويبيع الأتراك الآن في الكنيسة الحريـر، والصوف، والقمح وماشـابه ذلك من البضـائع، وكـانت مدينة إفسـوس تقـوم فيما مضى وفق شكل غـريب، وذلك بين جبلين،وعلى هـذا فإن طرفيهـا كـانا على جبلين ووسطهما وادي، والكنيسة التي فيهـا ضريح القديس يوحنا، كانت على بعـد رمية سهم عن هذه المدينـة وكـانت قـائمـة على رأس جبل، وبما أن البقعـة القريبة من الكنيسة هي أكثر حصـانة، فقد جرى نقل مدينة إفسوس من قبل الأتراك خـوفاً من المسيحيين، والمدينة القـديمة هي مهجـورة الآن، وفي أيامي كان يسكن هناك سيدة نبيلة كـان زوجها يمتلك المدينة كلها،

وكان هناك رجلاً اسمه زلابين Zalabin ، وهو تركي، انتزع المدينة منها، وبموافقة منه سكنت السيدة النبيلة تحت قلعة إفسوس، وقد حصلت على إجازة منه لبيع الخمر إلى التجار، وبحزن وأسى عظيم أباحت لنا عن أحزان قلبها لفقدانها زوجها ومدينتها، وعلى مقربة من مدينة إفسوس هناك نبع صغير مستدير، فيه أسماك رائعة بأعداد كبيرة، ويندفع الماء من هذا النبع بكميات كبيرة كافية لسقاية جميع المروج والحدائق والأراضي التي هي هناك، وعليك أن تعرف أن المدينة التي عرفت فيما مضى باسم مدينة إفسوس، أطلق عليها من قبل الاغريق اسم ثيولوغوس Theologos(آيا سلوق)، وهي تعرف الآن باسم ألتيلوت Alttelot ، أي المكان المرتفع(Altus - Locus) ، لأن المدينة — كما أخبرتكم قد نقلت إلى مكان مرتفع حول الكنيسة، وعلى بعد حوالي أربعة أميال من هذه المدينة القديمة، أعني مدينة إفسوس، قد جرى بناء مدينة جديدة، وذلك على شاطىء البحر ، حيث يوجد الميناء، وقد سكنت من قبل مسيحيين،كانوا قد طردوا من لومبارديا أثناء نزاع، ولدى هؤلاء الناس كنائس، ورهبان فرنسيسكان، ويعيشون مثل المسيحيين، وعلى كل حال كانوا قد أنزلوا فيما مضى من أيام بالمسيحيين أضراراً كبيرة بالتعاون مع الأتراك، وعلى مقربة من مدينة إفسوس الجديدة هناك نهر مثله بالاتساع مثل نهر الراين، وهو يجري خلال بلاد تركيا قادماً من بلاد التتر، وتنحدر على هذا النهر ويجري نقل كثيراً من التجارات من مختلف الأنواع، وذلك مثلما يفعل على ظهر الراين في هذه المناطق، وفي هذا النهر اعتاد الأتراك، والذين يدعون زيفاً باسم المسيحيين، على جمع سفنهم، وأسلحتهم، وعتادهم، عندما يقررون القتال ضد المسيحيين، وعلى هذا النهر و عبره يلحق بالمسيحيين كثير من الأذى والضرر.

١٩ ـــ*جزر متنوعة في البحر وأولها جزيرة رودس*

من إفسوس يمكن للانسان أن يستأنف إبحاره إلى عدد كبير من الجزر الأخرى المختلفة، وعليك أن تعرف أنه يوجد في تلك المنطقة من البحر أكثر من سبعمائة جزيرة صغيرة وكبيرة، مسكونة ومهجورة، لبعضها فضائل خاصة، وبعضها مليء بجميع أشكال الأشياء الجيدة، بينما بعضها مليء بينابيع سامة، ومخلوقات ضارة جداً، وبين هذه الجزر هناك جزيرة صغيرة فيها نبع مياه حارة جداً، وهي تغلي مثل مياه في قدر، وهي سامة إلى حد لو أن طائراً طار فقط فوقها لمات، وإلى جانب هذه الجزيرة هناك جزيرة أخرى، لايتجاوز قياس محيطها الميلين، تقوم عليها كنيسة صغيرة، وعلى هذه الجزيرة وعول وحيوانات برية أخرى، وهم من الكثافة بمكان إلى حد أنه لايخلو مكان في الجزيرة منهم، ونزل رفاقي في إحدى المرات في هذه الجزيرة، فوجدوا في الكنيسة رماحاً وترسة، وقسياً عقارة مع كثير من السلاح، ومخزوناً كبيراً من اللحوم المجففة، كانت قد جلبت إلى هناك من قبل قرصان البحر واللصوص فيه، ولعل ذلك كان بعد الاستيلاء عليها مرة إثر أخرى، فقد خزنوها هناك، وقد انتظر رفاقي هناك طوال اليوم متوقعين قدوم اللصوص، وذهبوا إلى الصيد، لكنهم لم يمسكوا أي شيء، ولكن صدف عند حلول المساء، أن واحداً منهم كان جالساً بين صخرتين، فجاء وعل ليمر من فوقه، فقطع رجله اليمنى وجرح اليسرى بضربة من سيفه، وهكذا حصلوا على الوعل وغادروا، ويوجد إلى جانب هذه الجزيرة جزيرة أخرى، لايوجد فيها أية حيوانات باستثناء بعض الحمير الوحشية، وهي تعطي فرصة جيدة لرياضة صيدها، لكن ليس لديها لحوم جيدة للأكل مثل لحوم الطرائد الأخرى، وليس بعيداً عن هذه الجزيرة هناك جزيرة أخرى اسمها بيرا Peyra ، وهي جزيرة جيدة، يوجد فيها ثلاثة أشكال من الحجارة اسمها Alun ، بكميات كبيرة جداً، ولهذا تصدر

هذه الحجارة من هناك إلى جميع أنحاء العالم، ومنذ وقت غير طويل استولى الجنويون على هذه الجزيرة وانتزعوها من الأتراك بالقوة، وفعلوا خيراً بإعادتها إلى أسقفيتها وإلى أحوالها الأصيلة، وهذه الجزيرة على مقربة من تركيا، وبينها وبين تركيا جسر، لو استطاع الأتراك لما سمحوا لأحد بعبوره، سواء أكان الحال فيما بينهم حالة حرب أو سلم، وتجدهم عدوانيين كثيراً لدى خسارتهم للجزيرة، ويحتاج الأمر إلى وقت طويل لإخباركم حول الجزر الأخرى، وإذا ما ترك الإنسان هذه الجزر، يبحر ثانية عائداً إلى شواطىء آسيا الصغرى أو تركيا، ويصل إلى باترا Pa-tara ،التي كانت فيما مضى مدينة جليلة، وفائقة الجمال، وقد جرى تدميرها الآن من قبل الأتراك، وولد في هذه الجزيرة البابا التقي نيقولا، ويبحر الانسان من باترا ليصل إلى مدينة أخرى كانت جليلة جداً أيضاً، غير أنها مدمرة الآن، اسمها ميرا Mirrhea ، فيها جرى انتخاب البابا نيقولا المجيد بشكل رائع أسقفاً، وهو الذي أنار تلك البلاد كلها بمعجزاته الكثيرة وبمحاسنه وفضائله، ومن ميرا — إذا ما اخترت — يمكنك متابعة الابحار، ولسوف تصل إلى جزيرة جيدة جداً ومشهورة اسمها كريت، وهي التي كانت فيما مضى مملكة قائمة بنفسها، غير أنها لاتحتوي على كثير من المدن المحصنة، واسم أعظم مدنها الخندق ويحرق في الجزء الأعظم من هذه الجزيرة القصعين من أجل استخدامات نار الحطب، وقد استولى البنادقة على هذه الجزيرة بالقوة، وانتزعوها من الاغريق، ومن كريت يبحر الانسان إلى جزيرة أخرى جميلة جداً ومتميزة، وصحية ولطيفة، وقد كان اسمها فيما مضى كولوس Co-los، ولها حاضرة اسمها كولوسينسيس Colossensis ، ولهذه الجزيرة كان القديس بولس قد كتب رسالته(إلى أهل كولوسي)، وتعرف هذه الجزيرة باسم رودوس، بسبب إقليم المناخ السابع للعالم، الذي تقف هذه الجزيرة لوحدها فيه، وهي تفصل بين أقاليم المناخات وتميزها.

ومن هذه الجزيرة كان قـد جاء الدمـار أولاً إلى مدينة طروادة النبيلة، لأنهم قـالوا عاش هناك الكبش مع الخاروف الذهبي، الذي قـرأنا عنهما مطولاً في تواريخ طروادة، وجزيرة رودس هذه جزيرة ثمينة جداً، ذلك أنها جبلية، وقـائمة وسط رياح صحية جـداً، وهي مليئة بحيوانات برية اسم واحـدهـا الأيل الأسمـر، فضـلاً عن هذا، إنـك من أي مكان من البحر أبحرت لابد من أن تمر برودس أو بالقرب منها، وفي هذه الجزيرة هناك مـدينة اسمهـا رودس، وهي فـائقـة الجمال وحصينة، ولها أسـوار عـاليـة وأبراج منيعـة بنيت من أحجـار كبيرة جـداً، تبعث على العجب كيف استطاعت اليد البشرية وضعها في أماكنها، ولدى فقدان عكا، قام مقـدم فرسـان اسبتارية القـدس مع رهبانه بالاستيـلاء على هذه الجزيرة بالقـوة، وانتزعـوها من الاغـريق، وقـد حاصروهـا لمدة سنة، وما كـان بإمكانهم الاستيلاء على المدينة، لولا أنهم كسبـوا سكانها إلى جانبهم عن طريق الرشوة، وهكذا سلموا الجزيرة برضاهم، ولهذا قام رهبان الطائفة باتخاذها مقراً قيادياً لهم، وفيها سكنوا ومازالوا حتى هذا اليوم، وهناك ثلاثمائـــة وخمسين راهبـاً مع مقـــدم الطـائفـــة، الذي كـــان في أيامي ايلينوس(دي فيـلانوفي ١٣٢٧ — ١٣٤٦)، وهو رجـل متقـدم بالسن كثيراً، وبالغ الشـح، وقـــد جمع ثروة لاتحصـى، وبنى كثيراً في رودس، وحرر الطائفـة من جميع ديونها الواسعة، وتقوم هذه الجزيرة على مسـافة عن تركيا تسـاوي قدر مايبلغـه صوت إنسان، فهي مفصـولة عن تركيا بوسـاطة مضيق بحـري وتجبي الجزية مـن كل المناطق المحيطة بها، ومن تركيا ثلث منتجات تلك البلاد، ولها في تركيا قلعة صغيرة، لكن حصينة جداً، وبين هؤلاء الرهبان وبقية تركيـا هدنة على اليابسة، ولكن ليس في البحـر، ولا في الأمـــاكن التي يؤذون فيهـا المسيحيين، ويمتلـك رهبـان فـرسان الاسبتـارية هؤلاء أنفسهم جزيرة أخـرى حصينة اسمها لانغـو Lango ، مليئة بـالقمح، والخمـــــرة، والـزيت مـع كثير من الثمار ويسكن فيهـــا خمسين من فـــرســـان الاسبتـاريـة، من رودس، ويمتلك

الفرسان جزيرة ثالثة كـذلك صغيرة، وخصبة اسمها قلعة روسو -Ros
so ، التي تولى الأتراك نهبها في إحدى المرات، غير أنها مسكونة الآن
بشكل جيـد من قبل الفرسـان ومرتزقتهم، ويوجـد فيها قلعـة حصينة
جداً وعـالية، منها يمكن رؤية كل سفينة تبحر إلى أية جهـة من جهات
البحر لمسافـة خمسين ميلاً تقريباً، ووقتها يرسلون الشـارات إلى الفرسان
في رودس ولانغــو، وإلى المسيحيين الآخــرين في ذلـك المحيط، وذلك
باستخـدام الدخـان بالنهـار، واللهب في الليل، ويخبرونهم بعـدد السفن
الموجـودة في البحـر، وبنـاء عليـه يقـوم الفـرســان والمسيحيـون باتخاذ
اجـراءات الاستعـداد للقتـال والدفـاع وفقـاً لعـدد السفن التي تلقـوا
شـارات عنها، وهـذه الجزيرة نافعة جـداً بالنسبـة للمسيحيين، فمنذ أن
امتلك الاسبتـــاريـة الجزيرة والقلعـــة، لم يقم الأتـراك بإلحاق الأذى
بالمسيحيين بسفنهم، فضـلاً عن هذا اعتـادت جزيرة رودس مع جـزيرة
لانغـو، وجميع الجزر، والبلاد المسيحيـة هناك على دفع الجزية إلى الأتراك
قبل أيام الاسبتـــارية في رودس، لكـن الآن بفضل نعمـــة الرب عكس
الاسبتارية الوضع تماماً، وكان الأتـراك عندما سمعوا بأن جزيرة رودس
جرى الاستيـلاء عليها من قبـل فرسان القـديس يوحنا، حشـدوا جيشاً
كبيراً، وأرسلوا أولاً سفـــارة مهيبـــة تطالب في البـــدايـة بشكل لطيف
وبعرض سلمي بـدفع الجزية المستحقة لهم على الاسبتاريـة، مع الاعلان
أنهم سيقومـون عن طواعية بإبرام سـلام وعقد معاهـدة مع الاسبتارية،
وفي جميع الأحــوال عليهم دفع الجزيـة لهم، ولم يكن للطائفـــة في ذلك
الوقت مقدم لأن الراهب فـولك دي فيلارت Villaret ، الذي كان
مقدم الطائفة،كـان قد جرى خلعه من قبل الفـرسان إثر خلاف ونزاع،
غير أن واحداً من الرهبـان من بازل Basle وكان شجـاعاً جـــداً،
وفارساً أميناً، كان وقتذلك الوصي على الطائفة، عمل الجواب وتقدم به
إلى الأتراك، راجيـاً منحه فـرصـة ثلاثة أيام من أجل التفكير والتقـدير،
وأن تكون هـذه الأيام بمثـابـة هدنة، الأمـــر الذي رحب بـه الأتراك

ومنحــوه إياه، وأمـروا جيشهم بـأن يكون على أهبـة الاستعــداد، وفي الوقت نفسـه تابع هذا الوصي ذاته الاحتفـال يومياً مع الأتراك، ووجـد ببراعة كل مـا كان بحـاجة إليه حـول جيشهم، وأحواله ووضعـه، وما الذي ينوي فعله، وحشد في الوقت نفسه أكبر عدد من السفن والرجال أمكنه توفيرهم، وتظاهر في اليـوم الثالث أنه على وشك مغـادرة رودس للقتال ضـد الاغريق، وسأل الرسل الأتراك بالدخول إلى بيتـه خشية أن يلحقهم بعض الأذى على أيدي المسيحيين، والبقـاء هناك حتى عـودته، وفعل الرسل مـا طلب منهم، وقـام إثر ذلك هذا الفــارس، الذي هو الوصي على الطائفة بـوضع حرس حول الرسل بشكـل سري من ثقاته، وأقلع إثر هذا مع جيشـه وبات في وسط البحر، وانقض في فجـر اليوم التالي على جيش الأتراك، وفتك به وقتل أفراده من دون تمييز بين رجل وامــرأة، وشـاب وشيـخ، لأن من عـادة الأتـراك والتتـار اصطحــاب أزواجهم وأولادهم الصغار وجميـع مقتنياتهم معهم في الجيش، إلى حيثما توجهـوا وقصدوا، وهكذا بعـدمـا قتلوا جميع الناس وحصلوا على جميع مقتنيـاتهم وقطعانهم، عـاد هؤلاء الفرسـان إلى رودس في اليوم الثـالث وسط بهجة عارمة.

ولقد سمعت من بعض الذين كانوا حضوراً، أنهم حصلوا على كثير من الأسـلاب، حتى أنهم حـزمـوا هذه الأسـلاب وجـروها في البحـر بوسـاطة حبـال، شـدوها إلى السفن، وعندمـا كمل هذا كله، استـدعى الوصي على الطائفـــة الرسل الأتـراك، وأخبرهم بأن الاسبتـــارية على استعـداد لإقامـة هدنة ولعقد معـاهدة مع الأتراك، ثم تركهم يغـادرون على الفـور، فقامـوا باليوم نفسـه، وسط بهجـة عظيمة، بالرسـو بالمكان الذي تركــوا فيـه جيشهـم، غير أنهم وجــدوا أن جيشهم قــد قتل كله حديثاً، وأجساد أفـراده معراة ومسلوبة، وأن جميع الممتلكات قد أخذت بعدما سلبت، وعندما رأوا هذا كله، ذهبوا إلى موطنهم حزينين بقدر ما

كانوا مسرورين، ونقلوا ما لديهم من أخبار إلى بقية الأتراك، ومنذ ذلك الحين لم يطلب الأتراك الجزية من التتار من فرسان القديس يوحنا أو من المسيحيين في رودس حتى هذا اليوم.

وفي رودس هناك الكثير من الآثار المبجلة، من بينها الصليب النحاسي، المعتقد أنه صنع من الجرن الذي غسل فيه المسيح أقدام حوارييه، هذا وللقوالب الشمعية المصنوعة بوساطة هذا الصليب قوة هائلة في تهدئة العواصف في البحر، وكان هذا الصليب مع آثار أخرى مبجلة، هي الآن لدى فرسان الاسبتارية، كانت ملكاً فيما مضى لفرسان الداوية، ذلك أن جميع مقتنياتهم وقلاعهم هي الآن ملكاً للفرسان المتقدم ذكرهم، ويحتاج الأمر إلى وقت طويل للحديث عن بقية أمجاد رودس الأخرى، وكذلك عن جميع الانتصارات المتنوعة للفرسان المتقدمي الذكر، ويبحر الانسان من رودس إلى قبرص.

٢٠ — *قبرص*

قبرص جزيرة جليلة جداً، وشهيرة، وفي غاية الثراء، إلى درجة لايمكن مقارنتها مع جميع جزائر البحر الأخرى، وهي خصبة بجميع الأشياء الجيدة، ومتفوقة على سواها، وقد قرأنا بأنها سكنت أولاً من قبل يافث بن نوح، وبالنسبة إلى حجمها، هي متفوقة على جميع البلدان الأخرى، والمدن الساحلية في الجوار، ذلك أنها محاطة بما يشبه الطوق ببلاد مصر، وسورية وأرمينية، وبلاد الاغريق، والمسافة من قبرص إلى جميع هذه البلاد ليست أكثر من سفر نصف يوم بالبحر، وذلك كما سأذكر فيمايلي.

وكانت هذه الجزيرة المجيدة فيما مضى ملكاً للداوية، الذين باعوها إلى ملك القدس، ثم إنه عندما فقدت عكا مع الأرض المقدسة، وجرى تدميرها، انتقل ملك القدس، والأمراء،والنبلاء وبارونات مملكة القدس

إلى قبرص وسكنوا هناك، وهم يسكنون هنـاك حتى هذا اليـوم، وهكذا غدت قبرص مملكة، وفي قبرص ثلاثة أسقفيات هي أسقفيات: بافوس، وليماسول، وفيماغوستـا، وفيها مطرانية واحدة، رئيسهـا أسقف نيقوسيا، الذي هو في أيامي راهب ماروني اسمـه الياس، وقد صـار كاردينالاً من قبل البابا كليمنت السـادس(١٣٤٢ — ١٣٥٣)، وأقدم مدينةفي قبرص هي مـدينة بافـوس، التي كـانت فيما مضـى مـدينة جليلة جـداً، ومكاناً عظيماً، وهي قائمـة على شاطىء البحر مباشرة في مـواجهة الاسكندرية، وقـد تولى بولـس وبرنابا هداية هذه المدينة إلى الايمان بـالمسيح، ومنهـا اهتدت الأرض كلهـا وتحولت إلى العقيدة، وذلـك حسبما جاء في أعمال الرسل(١٥/ ٣٩)، وقـام فيما مضى على مقـربـة من بافـوس قلعـة فينوس،حيث اعتـادوا على عبـادة صنـم فينوس، وكـانـوا يرتحلون من بلدان نائيـة لزيارة أبوابها، وهناك كـان يجتمع نبـلاء السادة والسيـدات، والشـابات مع بعضهم في تلـك القلعـة، وفي هذا المعبـد اتخذت الخطوة الأولى نحو تدمير طروادة، لأن هيلين قد أسرت عندما كانت في طريقها إلى هذا الهيكل، فضـلاً عن هذا اعتـادت جميع الشـابات والفتيـات على قطع العهـود في هذا المعبد بالنسبـة للزواج وللأزواج، ولهذا السبب فإن الرجـال في قبرص جنسيين بـالطبيعـة أكثـر من سـواهم في البلدان الأخـرى، لأنه إذا مـا وضع تراب من قبرص، وبشكـل خـاص من الموضع الذي كـانت قلعـة فينوس قـائمـة فيـه، تحت رأس إنسـان لدى نومه، فإن ذلك سوف يدفعه إلى ممارسة الجنس طوال الليل، وعلى مقربة من بافـوس يوجـد المكان الذي اعتاد القـديس هيـلاري Hilary أن يسكن فيه، وهناك صنع كثيراً من المعجزات، وهناك أماكن أخرى كثيرة اعتـاد قـديسـون آخـرون على السكنى فيهـا، وبشكل خـاص القـديس زيزونيمـوس Zyzonimus ، والقـديس ممّا Mamma ، الذي ولد في ألمانيا، وإليـه اعتاد الاغريق على الصلاة بتقـوىً عظيمة من أجل التخلص من الدمامل.

٢١ — كرم عين الجدي

ويوجد في أسقفية بافوس هذه نفسها كرم عين الجدي، الذي لانظير له في العالم، وهذا الكرم قائم فوق جبل عظيم الارتفاع، وطوله ميلان، وهناك شعاب شاهقة تحيط به من كل جانب مثل سور، وله مدخل واحد ضيق، وهو منبسط تماماً على الذروة تماماً، وينمو في هذا الكرم كثير من العنب، وهناك دوالي من مختلف الأنواع، وبعضها ينتج عنباً الحبة الواحدة كبيرة بحجم حبة الكمثرى الكبيرة، وينتج بعضها الآخر عنباً الحبة منه صغيرة مثل حبة الكمثرى الصغيرة، وتنتج بعض الدوالي عناقيد عنب واحدها كبير مثل عدة جرار، وبعضها الآخر عناقيد صغيرة جداً، وتعطي بعض الدوالي عنباً أبيض، وبعضها الآخر عنباً أسود، وبعضها عنباً أحمر، وتعطي بعض الدوالي عنباً من دون بذور، وبعضها الآخر أعناباً مستطيلة، شكلها مثل شكل جوزة البلوط، وبعضها شفافاً، كما هناك أنواع أخرى لاتحصى من الدوالي والأعناب من الممكن رؤيتها في هذا الكرم، وكان هذا الكرم فيما مضى ملكاً لفرسان الداوية، لكنه الآن ملكاً لفرسان القديس يوحنا في رودس، وكان هناك في أيام الداوية دوماً مائة من الرقيق — أعني من أسرى المسلمين — موجودين بشكل دائم، ليس لهم من واجبات أو عمل مفروض عليهم، غير العناية بهذا الكرم ورعايته، ولقد سمعت من عدد كبير من الرجال ذوي الخبرة العظيمة، أنه لايوجد تحت الشمس أكثر جمالاً من هذه الجوهرة، وأعظم جلالاً، أو روعة ، وقد خلقها الله من أجل فائدة الانسان، وذلك مثلما نقرأ عن الشيء نفسه في نشيد إنشاد سليمان قوله: «حبيبي بالنسبة لي مثل عنقود كافور في كروم عين جدي»(١/ ١٤).

وليس بعيداً عن بافوس تقوم ليماسول، التي كانت فيها مضى مدينة جميلة، غير أنها الآن مدمرة كثيراً بسبب الزلازل، وتدفق المياه بشكل

مفاجىء من الجبال، وهذه المدينة قائمة على الساحل، وهي تقابل بشكل مباشر، صور، وصيدا، وبيروت، وعندما فقدت عكا سكن هذه المدينة فرسان مشفى القديس يوحنا، وفرسان الداوية، والنبلاء الآخرون، ومن الممكن رؤية قصورهم الكثيرة وقلاعهم حتى هذا اليوم، وعلى مقربة من ليماسول هناك كرم آخر اسمه كرم عين الجدي الصغير، وفيه ينمو كثير من الدوالي، لايمكن للانسان أن يقيسها بذراعيه، غير أنها ليست طويلة جداً، ولاتعطي كثيراً من الثمار، وفي موضع من هذه الأسقفية اسمه برافيمانت Pravimunt(بنينانت Peninunt) يسكن رهبان من فرسان طائفة التيوتون، وكذلك بعض الانكليز من طائفة القديس توماس أوف كانتربري، ويوجد في هذه الأسقفية أيضاً جبل عظيم الارتفاع، قائم منفرد بذاته، يشبه كثيراً جبل الطور، ويقوم على ذروته دير جميل، فيه رهبان من طائفة القديس بندكت، وفي هذا الدير الصليب الكامل الذي صلب عليه اللص على يمين المسيح، وقد أحضر إلى ها هنا من قبل القديسة هيلانة، وهي أيضاً تولت بناء هذا الدير مع تكريسه، وتجري تحية هذا الصليب والسلام عليه بكل تقوى من قبل جميع البحارة وهم في البحر، وذلك عندما يقتربون من هذا الجبل، وقد صنع الرب كثيراً من المعجزات على الجبل، بسبب فضائل الصليب المذكور، ومن الممكن رؤية جبل لبنان بوضوح من هذا الجبل.

٢٢ — *مدينة فيماغوستا*

واسم المدينة الثالثة في قبرص هو فيماغوستا، وهي قائمة على شاطىء البحر، وفيها الآن ميناء لجميع البحر، وللمملكة كلها، وهناك لابد من تجمع التجار والحجاج، وتقوم هذه المدينة مباشرة في مواجهة أرمينيا وتركيا،وعكا، وهذه أغنى جميع المدن في قبرص، وسكانها أثرياء إلى أبعد الحدود، وفي إحدى المرات كان واحداً من أهالي فيماغوستا يزوج ابنته، وقد قال الفرسان الفرنسيون الذين كانوا يبحرون معنا بأن

الجواهر التي وضعتهم فوق رأسها كانوا أفضل من جميع جواهر فرنسا، وكان في هذه المدينة تاجراً باع إلى السلطان كرة سلطانية ذهبية بمبلغ ستين ألف فلورين، وتحتوي هذه الكرة على أربعة أحجار كريمة فقط هي من: العقيق الأحمر، والياقوت الأزرق، واللؤلؤ، والزمرد، ومع هذا ذهب إليه فيما بعد والتمس أن يسمح له بشراء تلك الكرة ثانية مقابل مائة ألف فلورين، لكن التماسه رفض، فضلاً عن هذا كان لدى قسطلان القدس أربع لآلىء، كانت زوجته ترتديهم على شكل«بروش»، كان بإمكانه متى أراد، وحيثما رغب، أن يرهنهم مقابل ثلاثمائة ألف فلورين، وكان في مخزن هذه المدينة أكثر من حمولة خمس عربات من خشب الصبر، ولن أقول شيئاً عن التوابل، لكثرة تداولها وانتشارها، فهي مثل الخبز هنا، وهي تمزج بشكل عادي وتباع، وكذلك لن أجرؤ على أن أقول شيئاً أكثر حول الأحجار الكريمة، والثياب المذهبة، وأنواع الثروات الأخرى، لأنه يوجد في تلك المناطق مخازن منهم لم يسمع بمثلها، ولايمكن تصديقها، ويسكن في هذه المدينة عدد كبير من المومسات الثريات جداً بشكل لايحصى، ذلك أن بعضهن يمتلكن أكثر من مائة ألف فلورين، وعن ثرواتهن لا أتجرأ على قول المزيد.

٢٣ — *سلامينا ونيقوسيا*

وعلى مقربة من فياغوستا هناك مدينة ساحلية أخرى اسمها كونستانتيا، أو سلامينا، وهذه كانت فيما مضى مدينة جليلة، وشهيرة، وجميلة، فعلى ذلك تدلك خرائبها، وقد عاش في هذه المدينة رجل رائع في قداسته، اسمه القديس ايبيفانيوس Epiphanius ، وقد انتخب أسقفاً بشكل إعجازي ودفن هناك، وولدت في المدينة نفسها العذراء القديسة كاترين، وتقوم بيعتها حتى هذا اليوم فوق موضع ولادتها، وواجه في هذه المدينة القديس برنابا الرسول الشهادة، وعلى مقربة منها جرى إحراق جسده ودفنه، وقد مجد القديس ايبيفانيوس هذه المدينة

وجميع المنطقة من حولها بكثير من المعجزات، غير أن هذه المدينة مدمرة الآن بشكل كلي.

ويوجد في قبرص مدينة أخرى عظيمة جداً اسمها نيقوسيا، وهذه المدينة هي حاضرة قبرص، وهي قائمة وسط سهل هناك عند سفح الجبال، وفي وسط هواء صحي جداً، ويسكن في هذه المدينة ملك قبرص والأساقفة ورجال الكنيسة الآخرون، الذين هم من أهل المملكة، وذلك بسبب هوائها الصحي، ويعيش أيضاً هناك القسم الأكبر من الأمراء الآخرين، والكونتات، والبارونات، والفرسان، ويمتعون أنفسهم كل يوم بالمباريات والمنازلات، وبالصيد بشكل خاص، ويوجد في قبرص كباش برية، ليست موجودة في مكان آخر في العالم، ومن الممكن اصطيادهم بوساطة الفهود، ومن غير الممكن اصطيادهم بأية وسيلة أخرى.

والأمراء والنبلاء، والبارونات، والشعب في قبرص هم الأغنى في العالم، لأن الانسان الذي يمتلك فيها مورداً قدره ثلاثة آلاف فلورين، ينظر إليه أقل من الانسان الذي دخله في هذه المناطق أقل من ثلاثة ماركات، غير أنهم ينفقون ثرواتهم على الصيد، فأنا أعرف واحداً من كونتات يافا لديه أكثر من خمسمائة كلب صيد، وكل زوج من هذه الكلاب له خادم خاص بهما، — كما جرت العادة في هذه البلاد — ويحافظ الخادم عليهما نظيفين، ويحممهما، ويدهنهما، فهذا مايحتاج للقيام به بالنسبة لكلاب الصيد في هذه البلاد، وكان أيضاً أحد النبلاء لديه على الأقل عشرة صقور، أو اثني عشر صقراً، وقد رصد لهم ميزانية خاصة بهم للانفاق عليهم، وأنا أعرف عدداً كبيراً من النبلاء الفرسان في قبرص بإمكان كل واحد منهم تجنيد أكثر من مائتين من الرجال المسلحين والانفاق عليهم مبلغاً أقل من المبلغ الذي ينفقه على كلاب صيده أو صقوره، لأنهم عندما يخرجون إلى الصيد يبقون أحياناً لمدة

شهر في الغـابات وفي الجبال، يتجولون مـع خيامهم من مكان إلى مكان آخـر، يتمتعـون ويتسلون بالصيد مـع كلابهم وصقـورهـم، وينامـون في الغابات والحقـول في خيمهم، ويحملون معهم كل مـا يحتاجون إليـه من مؤن وعتاد على ظهور الجمال مع حيوانات التحميل.

وعليك أن تعرف أن جميع الأمراء، والنبلاء، والبارونات، والفرسان، وأفراد الشعب في قبرص، هم الأفضل والأغنى في العالم، وهـم يسكنون الآن هناك مع أولادهم، وكـانوا قـد اعتـادوا من قبل على السكنى في أراضي سـورية ومدنها، وفي اليهـودية، وفي مدينة عكا الجليلة، لكن أمـا والآن قد تمت خسارة الأراضي والمدن السورية وكذلك اليهودية ومدينة عكا الجليلة، فقـد هربوا إلى قبرص، وسكنوا هناك ومـايزالون يسكنون حتى الآن، ويوجـد في قبرص أنـاس أغنيـاء جـداً، وتجار، ولاعجب في ذلك، لأن قبرص موجودة في أقصى(الشرق) بـالنسبة للبلدان المسيحية، ولهذا لابد لجميع السفن الصغيرة والكبيرة، ولجميع التجارات مهما كان نوعها، ومن أي بلد جاءت، لابد أنها محتـاجة إلى القدوم أولاً وقبل كل شيء إلى قبرص، حيث لايمكنهـا بأي شكـل من الأشكـال تجاوزها، فضلاً عن هذا يحتـاج جميع الحجاج القادمين من جميع أنحـاء العالم ومن أي بلد كـان، عنـدمـا يتجهـون إلى البلدان القـائمـة فيما وراء البحـار، يحتـاجون إلى القـدوم إلى قبرص، وفي كل يوم منذ شروق الشمس حتى غيـابها يسمع الانسـان ببعض الأقـاويل وببعض الأخبـار هناك، وفي قبرص من الممكن أيضاً سماع جميع اللغـات المحكية في العـالم والتحدث بها، وكذلك تعليمهـا في مدارس خـاصة، وتنمو في قبرص كـروم رائعة فـوق الجبال العـاليـة، قد تعـرضت لأشعـة الشمس، وتكون خمور هذه الأعناب في البـداية حمراء،لكن بعد مكوثهـا في جرار فخاريـة لمدة أربعة أعـوام، أو ستة، أو عشرة، أو عشرين، تغـدو بيضاء، ومهما كـانت المدة التي مكثت فيهـا طويلة، لن تفقـد قـوتها، بل تزداد كل يوم، حتى يبلغ

الأمـر أن تسعـة عيارات مـن الماء تضاف بالعـادة إلى عيـار واحـد من الخمر، وإذا ما أقـدم إنسان على شرب دن من تلك الخمرة هو لن يسكر فقط بل ستحترق أحشـاؤه في الداخل وتتمزق، ومع ذلك مفيـد صحياً أن تتناول بعضـاً من هذه الخمـرة من دون مـزج وتشربها على معـدة فـارغـة، ولايوجـد في أي مكان شـاربي خمرة أفضل أو أكثـر تناولاً من الذين في قبرص، وفي قبرص تنمو جميع الأشجـار والأعشاب مثلما تنمو في الأرض المقـدسـة، وكـان في قبرص في أيـامي عـدد كبير من النبـلاء والبـارونات، والفرسـان، الذين تركـوا ألمانيـا، أذكر من هؤلاء: كـونت فيـــاندن Vianden، وكـــونت سكـــــاورتزنبيرغ Schwart-zenberg ، ولـورد أوف سيلـد Sleyde، وأمير أوف لختنستين Lichtenstein، وعدد كبير آخر.

يضاف إلى هذا أن جميع الأماكن السـاحلية في تركيا والمناطق المحيطة بها تدفـع الجزية إلى ملك قبرص، والمقصـــود بهذا: كـانـديلور Can-delor ، وسكالنون Scalnun ، وسيكي Sicki ، وأضـاليـا، والأماكن الأخرى والأحواز القريبة منهم، ويوجد في مدينة أضاليا هذه ثلاثة شعـوب من الهراطقـة، والمدينة مقسمـة بأسـوار وخنادق إلى ثلاثة أقسام، ويسكن في القسم الأول منهـا الاغريق، الذين يحافظون على يوم الرب المقدس(الأحـد)، ويسكن في القسم الثاني اليهـود الذين يحافظون على يوم السبت المقـــدس، وفي القسم الثـالث الأتـراك، الذين يحافظون على يوم الجمعـة، ويرونه مقـدساً، ويـوجد في القسم الاغـريقي صـورة العذراء مـريم المباركة، مـرسومة على رقيم، ويوجـد في العالم ثلاثة رقم من الشيء نفسه هي: الأول في رومـا، والثاني في القسطنطينيـة، والثالث في أضاليا، وهـم جميعاً بالحجم نفسه، والشكل، والمظهر، ومن المعتقد أن القـديس لوقا قـد رسم هذه الصور الثـلاث مباشرة عن شخص مـريم المبـاركــة، وصـدوراً عن الاحترام لهذه الصـــور، صنع الرب كثيراً من

المعجـزات هناك، ويحتاج إلى زمـن طويل جداً للحـديث عن بقيـة ثراء وجلالة قبرص.

٢٤ — المدن القائمة على شاطىء البحر

وفي عودة إلى مـوضوعي، يبحـر الانسان من قبرص، إلى واحـدة من المدن القـائمـة على شاطىء البحـر، وذلك إمـا إلى مصر أو إلى سـورية، وهذه المدن هـي كمايلي: الاسكندرية، طرابلـس، بيروت، جبيل، يافـــا، صيدا، صور، وعكا، وقبل المضي أكثر سوف أتحدث بعض الشيء حول هذه المدن، حتى يمكنك أن تتعــرف إليهم، وهم جميعـاً أعطيـوا أسماء مختلفة عن الأسماء التي حملوها في الماضي، وذلك بعـدما فقدت الأرض المقدسـة واستردت كثيراً من المرات، ولذلك سوف أتحدث قليـلاً عنهم حتى تعــرف بحصـــة من وقعت هذه المدن عندمـــا استـولى عليهـــا الصليبيون.

وعليك أن تعـرف أن مـا من واحـدة مـن هذه المدن تبعـد أكثـر من سفـــريوم واحـــد عـن قبرص، واعلم أولاً أن الاسكندرية هـي المدينة البحرية الأولى لمصر، وواحدة من أحسن مدن السلطان، وهي قائمة من الجانب الأول على نهر النيل، الذي هو نهر الفـردوس، والذي يصب في البحر بجـوارها، ويقع جانبهـا الآخر على شاطـىء البحر، وهذه المدينة فائقـة الجمال وحصينة، ومحاطة بأبراج عـالية وبأسوار تبـدو أنها لاترام، وقـد سكنت فيما مضى من قبل المسيحيين، وأمـا الآن فهي مسكونة من قبل المسلمين، وهي في الداخل في غـــاية النظافـة، فهي كلهـــا مغسـولة ناصعة، ويوجد في قرنة كل شـارع نبع ماء يجري خلال أنابيب، وجرت المحـافظة على نظافـة المدينة بكل عناية من قبل مـراقبين، الذين واجبهم هو منع رمي أية أوسـاخ في الشـوارع أو بـالينابيع من قبل أي إنسـان، ويبقي السلطان في هذه المدينة على جنود مـرتزقة مع حـرسه الشخصي، حيث يتولون حـراسة المدينة مع الميناء، وكان القـديس مرقص الانجيلي

بطريركاً في هذه المدينة، وقد استشهد هناك، وخلافة له مايزال هناك بطريرك مسيحي فيها، وفي هذه المدينة مايزال قائماً حتى هذا اليوم كثيراً من الكنائس الأخرى، فيهم ترقد أجساد كثير من القديسين، ويوجد هناك كثيراً من المسيحيين والتجار يعيشون فيها، وتبدو هذه المدينة بالنسبة للعين البشرية أنها لاترام، ومع ذلك من السهل الاستيلاء عليها، وأنا لا أجرؤ على قول المزيد حول هذه المسألة.

ومدينة الاسكندرية هذه، التي عرفت بالقديم باسم الاسكندرية، تدعى الآن باسم اسكندرية، من قبل سكانها، وعلى مقربة من الاسكندرية يوجد الموضع الذي قطع فيه رأس القديسة كاترين، ومن هناك حملتها الملائكة إلى جبل سيناء، على بعد سفر حوالي ثمانية أيام، ويوجد في هذه المدينة كثرة كثيرة من الأماكن المقدسة وأماكن العبادة في تلك المدينة.

وليس بعيداً عن الاسكندرية هناك قرية سكانها جميعاً من المسلمين الحرفيين، الذي يتولون نسج البسط الرائعة بأشكال مختلفة، وببراعة مدهشة غريبة، ويقوم في هذا المكان أو القرية كنيسة صغيرة جميلة، فيها قبو صغير، ومن المعتقد أنه في هذا القبو جرى قطع رأس القديس يوحنا المعمدان، ومن المعتقد أن هذا القبو كان سجناً، وهو معروف بسبب وضع المكان، حيث أنه قائم على حدود مصر والعربية، ويتولى هؤلاء الحرفيون المسلمون أنفسهم حراسة القبو بعناية فائقة وباحترام كبير، ويقومون بإضاءته بمصابيح وشموع، ويدفع كل واحد منهم حسب قدراته ووسائله بعضاً من دخله الخاص إلى الكنيسة وإلى القبو، لأنهم يعتقدون بكل تأكيد، وأنه قد تبرهن بالتجربة، أنهم إذا لم يحافظوا على الكنيسة بمثل هذا الاحترام، وإذا ما تركوها غير مضاءة لليلة واحدة، سوف تخرج الجرذان من الأرض وستمزق إلى قطع وتتلف جميع البسط المعمولة من قبلهم، ويقولون إنه كلما أظهر أي إنسان المزيد من الاحترام

للكنيسة والقبو المتقدمي الذكر، كلما نجح أكثر في عمله، وكان هذا المكان الذي تقوم فيه الكنيسة الآن يدعى قديماً بالعربية باسم النصرونية(؟) Metharonta .

وأقرب مدينة إلى مصر اسمها طرابلس، وهي قائمة على شاطىء البحر، عند سفح جبل لبنان، وهي منطقة، أعطيت إلى كونت طولوز، بعد استرداد الأرض المقدسة من قبل الصليبيين، وهذه المنطقة أو الكونتية خصبة، ومشهورة بسبب مزروعاتها، ومروجها، ومراعيها، وأعشابها وأشجارها وفواكهها، وهي بذلك أكثر شهرة من جميع البلدان من حولها، وأعظم جمالاً، ولهذا تدعى دون سواها من البلدان باسم الجنة الثانية، وفيها ما هو محبوب وجميل فوق تصور البشر وفهمهم، وجرى تدمير هذه البلاد أوالكونتية المكونة من الحدائق بوساطة سيل تدفق من ذرى الجبال العالية للبنان، وذلك باندفاع مخيف، حتى أن صوته كان يمكن سماعه عن بعد أكثر من ميل، والذي كان واقفاً إلى جانبه صار أطرشاً لمدة تزيد على ثلاثة أيام، ومثل هذا هناك بئر ماء يجري خلال هذه المنطقة أو الكونتية، كما وينبع هناك نبع يتدفق دوماً من الأرض المنبسطة، ولم يتناقص قط بكمياته أو شكله، وهو في جميع الجوانب مثله مثل النبع الموجود في مدينة بادربورن، والذي يدعى باسم بادر Padere، وبمياه هذين الجدولين، أي النبع والبئر تتم سقاية جميع الأرض، وهذين هما الجدولين اللذين نقرأ عنهما في[نشيد الانشاد:٤/ ١٥]:«ينبوع جنات بئر مياه حية وسيول من لبنان».

وعليك أن تعرف أن جبل لبنان جبل طويل جداً، وهو في بعض الأماكن مرتفع كثيراً، وباعتقادي هو يشبه من جميع الجوانب الجبل الموجود في هذه المناطق واسمه اوسننغ Osning ، ويمتد جبل لبنان من بداية أرض الميعاد بعيداً حتى كليكيا، وهو جبل مليء بأجمل الأشجار، وأطيب الفواكه، والحشائش ومما يمكن لقلب الإنسان أن

يتصوره، والجبل كذلك مليء بها لايحصى من البلدات والقرى، فيها جميعاً يسكن مسيحيون، يسيرون وفق الطقوس اللاتينية، وهم يتطلعون شوقاً يومياً لقدوم المسيحيين(بحملة صليبية)، ولقد رأيت عدداً كبيراً من أساقفتهم يسيرون وفق الطقوس اللاتينية.

وعليك أن تعلم أن البلاد التي يصل إليها هذا الجبل، قد عرفت فيما مضى باسم كليكيا، لكنها تعرف الآن باسم أرمينيا الصغرى، لأن الأرمن استولوا على تلك الأرض وانتزعوها من المسلمين بالقوة، وتحاربوا معهم وتخاصموا لمدة خمسمائة سنة بدون انقطاع، وفي هذه المنطقة تقوم مدينة طرسوس الجبلية، التي كان القديس بولس الرسول قد ولد فيها.

وفي عودة إلى موضوعي: هناك مدينة بحرية أخرى اسمها بيروت، وهي مدينة جميلة وكثيرة السكان، وكانت عندما استولى الصليبيون على الأرض المقدسة صارت من نصيب لورد أوف ستاركنبيرغ Star-kenberg، وقد ورد ذكر هذه المدينة لدى الامبراطور جستنيان في مقدمة مختصر مدونته القانونية، ذلك أن دراسة القانون قد ازدهرت فيها فيما مضى، ويقوم في هذه الكنيسة كنيسة جميلة مكرسة للقديس نيقولا، وهي كنيسة تحظى باحترام خاص لدى المسيحيين، وكان القديس جورج قد حول هذه الجزيرة إلى عقيدة المسيح، وقتل التنين الذي كانت تعاني منه، وأنقذ ابنة ملك المدينة من التنين، ومجّد البلاد بكثير من المعجزات، وبئر التنين مايزال من الممكن رؤيته بوضوح، ويلتقي جميع الحجاج المتوجهون إلى القدس مع بعضهم في هذه المدينة، ويمرون من خلالها.

وليس بعيداً عن هذه المدينة، هناك مدينة أخرى جيدة التحصين وقوية اسمها جبيل، التي آلت بعد الاستيلاء على الأرض المقدسة إلى

فـرســـان الداويـة، ويقـــرأ الانســـان عن هذه المدينـة في سفـــر الملوك(الأول:٥/ ١٨) قوله:«والجبليون وهيأوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت»، وكانت هذه المدينة تعـرف وقتذاك باسم بيبلوس، واسمها الآن جبيل.

وليس بعيداً عـن هذه المدينة، تقوم مـدينة أخرى على شاطـىء البحر اسمها يافا، التي ماتزال مسكونـة بشكل جيد، وكان طريق الحجاج فيما مضى يمـرعبر هـذه المدينة، لكن قبل أيامي بوقـت قصير قـام السلطان بتخريب مرسى هذه المدينة، خشية من ملك فرنسا.

ويوجـد على مقـربة من هذه المدينة مـدينتـان أخريتـان جمليتـان هما: الرملة، التي ولد فيها النبي صمـوئيل وعسقلان، وتبعد يافـا سفر ثلاثة أيام عن القـدس، أو مايقارب ذلـك، وهي كونتيـة، وكونت يافـا أيضاً مارشـال مملكة القدس، وصاحب الرملة وعسقلان، وهكذا يذكـر نفسه ومـرتبتـه، وفي أيامي تزوج كـونت يافـا وهنري دوق برنزوك Bruns-wick من أختين.

وليس بعيـداً عن يافـا توجـد مـدينة جميلة جـداً، قائمـة على ســاحل البحر، وهي جيدة التحصين بوساطة خمسـة أبراج جيدة وبأسوار، لكنها مـدمـرة تمامـاً، واسم هذه المدينة صيـدا، وإثر الاستيـلاء على الأرض المقـدسـة صـارت من حصـة فـارس اسمـه دي نيبـولي Neapoli ، وكانت هذه المدينة تعـرف فيما مضى باسم صيدون، وتدعى الآن باسم ساغيت Sagette .

وعلى مقربة مـن هذه المدينة توجد مـدينة أخرى فـائقة الجمال، وهي بالوقت نفسه جيدة التحصين بوساطة أبراج جيـدة وأسوار، وهي قائمة بمفردها فوق جزيرة في البحـر، واسم هذه المدينة صور، وهي الآن شبه مهجـورة، وكـانت عندمـا جـرى الاستيلاء على الأرض المقـدسـة، قـد

صارت من حصة بلدوين أخو غودفري دي بولليون، وهذه المدينة التي عرفت فيما مضى باسم Tyre ، تدعى هذه الأيام باسم صور.

ويقوم فيما بين صيدا وصور كنيسة جميلة، بنيت فوق المكان الذي دعت فيه المرأة الكنعانية الرب، ويتحدث الانجيل عن هذا بقوله:«ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية»الخ،[متى:١٥/ ٢١ — ٢٢].

٢٥ — مدينة عكا المجيدة

وعلى مقربة من صور، وعلى مسافة سفر يوم واحد على طول شاطىء البحر، تقوم مدينة عكا المجيدة، التي كانت فيما مضى محط الحجاج، وجميع المسافرين الآخرين، وهي تبعد مسيرة ثلاثة أيام عن القدس، وقبل المضي إلى أي أمر آخر، لابد من أن أقول شيئاً ما حول مدينة عكا هذه، لكن مع هذا عندما أنظر إلى أوضاعها الحالية أفضل النحيب والبكاء على أي شيء آخر، فأي قلب لن يذوب حزناً، ويستطيع أن يصمد، لدى رؤيته لخراب ولدمار هذه المدينة الجليلة والعظيمة؟ وتقوم مدينة عكا المجيدة هذه — كما قلت — على شاطىء البحر، وقد بنيت بحجارة منحوتة مربعة، حجمها أكبر من المعتاد، مع أبراج عالية وفائقة الحصانة والقوة، ولايبعد كل برج عن البرج الآخر أكثر من مسافة رمية سهم، وذلك على طول محيط الأسوار كلها، ويقوم كل باب من أبواب المدينة بين برجين، والأسوار هناك عظيمة إلى حد يمكن لعربتين أن تمر إحداهما بالأخرى بسهولة فوق أعلاها، كما هو الحال في هذه الأيام، ومن الجهة الأخرى أيضاً، باتجاه اليابسة، المدينة محاطة بأسوار متميزة، وبخندق عميق جداً، وهو مجهز بشكل موائم بغطاسين وعمال ومدافعين وبوسائط موائمة للحراسة.

والشوارع في المدينة في داخلها مرتبة جداً ومنظمة، حيث أن جدران

البيوت كلها لها ارتفاع واحد، وكلها متشابهة البناء من حجارة منحوتة، مزينة بشكل رائع بنوافذ زجاجيـة ورسوم، وفي الوقت نفسه لم تبن جميع القصور والبيـوت في المدينة لمجرد تلبيـة حاجيات الـذين يسكنون فيها، وإنما لتزودهـم بالرفاه الانساني وبالسرور والمتعة، وكل قصر متفوق بقدر الامكان على القصر الآخـر بتزجيجه، وبـرسومه، وبقـاعاته، وبوسـائل التزيين الأخـرى، التي أسس فيها في الداخل، والتي جمّل بها في الخارج، وكانت شوارع المدينة مغطاة بأقمشة حـريرية، أوبأقمشة ووسائل أخرى جميلة،لتمنع أشعة الشمس وتبقيهـا نائية، ولقد قـام في زاوية كل شارع برج فائـق القوة، محاط بباب حـديدي وبأسوار حـديدية، وسكن جميع النبلاء في قلاع حصينة وفي قصـور على طول الطرف الخارجي للمدينة، وذلك تبعـاً لحرفتهم ونوع أشغـالهم، وعـدّ جميع سكـان المدينة، مثل النورمان القـدماء، أنفسهم نبلاء، وتصرفـوا بذواتهم مثل النبلاء، وذلك مثلما كـانـوا بالفعل فيما مضى، وأول سكان المدينة هناك ملـك القـدس وأخوانه مع عدد كبير من نبلاء الأسرة، وأمراء الجليل، وأمراء أنطاكية، والقائد الرئيسي لملك فرنسا، ودوق قيسـارية وصاحب صور، وصاحب طبرية، وصـاحب صيـدا، وكـونت طرابلس، وكـونت يافـا، وصـاحب بيروت، وصاحب يبنى، وصاحب بيسان، وصاحب أرسوف، وصاحب فوس Vaus ، ونبلاء تل الصافية.

وكـان جميع هؤلاء الأمـراء، والدوقـات، والكـونتـات، والنبـلاء، والبارونات يسيرون في الشـوارع ويعرضـون أنفسهـم بأبهة ملكية،حيث الزينة الذهبيـة فـوق رؤوسهـم، وكل واحـد منهم كأنه ملك، ومعـه فرسانـه، وأتباعه، ومرتزقته، وحـاشيته، وثيابه وفرسـه الحربي وقد تزين بشكل رائع بالذهب والفضـة، وكل واحد منهم كان يتبـارى مع الآخر بالجمال وبالابداع والاختراع، وقـد اعتنى كل رجل منهم باظهار نفسـه وعـرضها بعناية فـائقـة، وكـانوا في كل يوم يدربون أنفسهـم ويشغلونها

بالمبـــارزات، وبالصيــد، وبالمنازلات، وبكـل نوع من أنواع العــروض العسكرية، ولقد اختص كل واحد منهم أو امتاز بقطعة من الأرض إلى جانب قصره أو قلعته.

وسكن هناك أيضـاً من أجل القتـال ضد المسلمين، ولصـالح الايمان الكاثوليكي مقـدم رهبان فرسـان الداوية مع فرسـان مسلحين، وكذلك مقدم رهبان طائفة القديس يـوحنا للقدس، مع فرسان مسلحين، وأيضاً مقدم رهبان بيت طائفة التيوتون مع فرسان مسلحين، ومثل ذلك مقدم رهبـان طائفـة القديـس توماس أوف كـانتربري مع فـرسـان مسلحين، وكذلك مقدم وفرسان طائفة القـديس لعازر مع فرسان مسلحين، ولقد سكن هؤلاء جميعـاً في عكا، وكانت مقـار قيادات طوائفهم هناك، وقـد قاتلوا هم وأتباعهم ليل نهار ضد المسلمين.

وسكن أيضاً في عكا هناك أغنى التجـار تحت قبة السماء، وقد تجمع هؤلاء واحتشدوا معاً هناك من جميع أمم الأرض، فقد كان هناك بيازنة، وجنويين، ولومبـارد، الذين ضاعـت المدينة بسبب خصومـاتهم اللعينة، لأنهم عدوا أنفسهم وتصرفـوا مثل النبلاء، وقطن هنـاك أيضاً تجار على درجة عـالية من الثراء من الشعـوب الأخرى، لأنه من شروق الشمس حتى غيابها كانت تجلب جميع أجزاء الدنيا التجارات إلى ها هنا، وجرت العادة بجلب كل شيء كان موجوداً في العالم ونظر إليه على أنه رائع أو غــريب إلى هذه المدينة، وذلك بسبب النبــلاء والأمــراء الذين سكنوا هناك، وسيحتـاج الأمر إلى وقت طويـل للحديث عن الأمجاد الأخـرى لعكا مع مفـاتنهـا ومحاسنهــا هناك، ولايستطيع أي إنسـان أن يتحـدث بشكل كامل عنهم.

ولقد كـانت هذه مدينة عكا الواسعة الشهـرة، التي عرفت فيها مضى باسم بطولميس، التي جـرى فيها قتل يهوذا(؟) المكابي بشكل خيـاني من قبل تريفـون، وذلك حسبما جاء في سفـر المكابيين، وبالوقت نفسـه هذه

كانت مدينة عكا التي كان فيها وثن بعل زبوب، وكان ذلك في الوقت الذي سقط فيه آحاز، ملك إسرائيل من عليته التي في السامرة فمرض، فقال لخدمه: «اذهبوا واسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض»؟ وذلك حسبما جاءت الرواية بالتفصيل في سفر الملوك(الثاني:١/ ٢).

٢٦ — فقدان مدينة عكا وضياعها

وبعدما تحدثت عن مجد عكا وجمالها، سوف أتحدث إليكم الآن بشكل موجز عن سقوطها وخرابها، والسبب في خسارتها، وذلك حسبما الحكاية تحكى من قبل رجال مستقيمين وصادقين، وكانوا يتذكرونها بشكل جيد، ففي الوقت الذي كانت فيه الأعمال الكبيرة ماضية في عكا حسبما تحدثت عنها، تفجر بإثارة من الشيطان خلاف في لومبارديا بين حزبي الغولفيين والغيبلينيين، الأمر الذي جلب جميع الشرور على الصليبيين، فاللومبارد الذين كانوا يسكنون في عكا تحزبوا واتخذوا مواقف في هذا الخلاف هي نفسها، ولاسيما البيازنة والجنويين، ذلك أنه لكل واحد من الفريقين كان هناك حزب قوي جداً في عكا.

وعقد هؤلاء الناس معاهدات وهدن مع المسلمين، من أجل أن يتفرغوا بشكل أفضل لقتال بعضهم ضد بعضهم الآخر في داخل المدينة، ولدى سماع البابا أوربان (١) بهذا حزن كثيراً من أجل الصليبيين ومن أجل الأرض المقدسة، وبعث باثني عشر ألفاً من العساكر المرتزقة عبر البحر لمساعدة الأرض المقدسة والمسيحية.

وعندما جاء هؤلاء الرجال عبر البحر إلى عكا، لم يفعلوا شيئاً مفيداً،

١ — حكم أوربان الرابع من ١٢٦١ حتى ١٢٦٤، وعلى هذا لايمكن لهذه الأحداث أن تكون قد وقعت في أيامه، والمقصود هنا هو جيروم دي أسكولي الذي حكم باسم نيقولا الرابع ١٢٨٨ — ١٢٩٢.

بل أقاموا ليلاً ونهاراً في الحانات وفي الأماكن سيئة السمعة، واعتقلوا التجار ونهبوهم وفعلوا الشيء نفسه مع الحجاج في المناطق العامة، وخرقوا المعاهدة، واقترفوا كثيراً من الشرور.

ولدى سماع الأشرف خليل سلطان القاهرة بهذا، وكان قد عرف بالصراع الكريه بين سكان عكا، وبما أنه كان رجلاً حكيماً جداً، و في غاية القدرة والقوة العسكرية، وشجاعاً في أعماله، دعا إلى اجتماع عام لمستشاريه، كما عقد مجلساً عاماً للشورى في القاهرة، حيث تشكى بأن الهدنة قد خرقت مراراً وتم تجاهلها، مما ألحق الضرر به وبشعبه، وبعد نقاش عقد حول هذه القضية، حشد جيشاً عملاقاً، ووصل إلى مدينة عكا دون أن يلقى أية مقاومة، وذلك بسبب خصامات الفرنجة مع بعضهم بعضاً، وقام بقطع جميع الكروم وأشجار الفاكهة، وشعث جميع البساتين والحدائق التي كانت جميلة وممتعة هناك، وعندما رأى مقدم الداوية هذا، وكان رجلاً حكيماً جداً، وفارساً شجاعاً خشي من أن سقوط المدينة بات وشيكاً، بسبب النزاعات بين سكانها، فعقد اجتماعاً مع رهبانه حول إيجاد طريقة، يمكن بها إعادة السلام، وخرج من المدينة لمقابلة السلطان، الذي كان صديقاً خاصاً به وقريباً منه كثيراً، ليسأله عما إذا كان من الممكن بأية وسيلة من الوسائل إعادة العمل بالهدنة المخروقة، وقد حصل على هذه المطالب من السلطان، وكان ذلك بسبب حبه للسلطان، والتقدير الذي أبداه السلطان نحوه، وبات من الممكن إعادة العمل بالهدنة المخروقة شريطة أن يدفع كل إنسان في عكا بنساً بندقياً، وعلى هذا كان مقدم الداوية مسروراً، وترك السلطان، ودعا جميع السكان، وألقى فيهم موعظة في كنيسة القديس الصليب، وبين لهم كيف أنه بالتماساته، تمكن من إقناع السلطان، بالموافقة على إعادة العمل بالمعاهدة المخروقة، بأن يدفع كل واحد من الشعب بنساً بندقياً واحداً، فبذلك يمكن تسوية كل شيء وإعادته إلى السكون، ونصحهم بكل

وسيلة بأن يفعلوا ذلك،وأوضح أن الصراعات بين سكان المدينة يمكن أن تجلب أسوأ الشرور على المدينة، لابل أكثر من هذا، وهذا ما وقع بالفعل.

لكن عندما سمع الناس هذا، صرخوا بصوت واحد، بأنه كان خائناً للمدينة، وأنه كان مجرماً يستحق الموت، وعندما سمع المقدم هذا، غادر الكنيسة، وبصعوبة نجا حياً من أيدي الناس، وحمل جوابهم إلى السلطان، وعندما سمع السلطان هذا — وكان يعلم أنه بسبب النزاعات بين الناس ما من أحد منهم، سوف يقدم أية مقاومة — أمر بنصب خيمة، وأقام ستين آلة، وحفر كثيراً من الانفاق تحت أسوار المدينة، وهاجم المدينة لمدة أربعين يوماً، ليلاً ونهاراً، بدون توقف، بالنار، والحجارة، والسهام، حتى بدا الهواء يابساً من كثرة السهام، ولقد سمعت واحداً من الفرسان الصادقين جداً يقول بأن جميع الحراب التي كانت على وشك الرمي بها من أحد الأبراج بين المسلمين، قد عطلت بوساطة نشاب المسلمين، قبل أن تترك يده، وكان آنذاك في جيش السلطان ستمائة ألف رجل مسلح، كانوا مقسمين إلى ثلاث مجموعات، وعلى هذا كان هناك دوماً مائة ألف تولت حصار المدينة، وعندما كان هؤلاء يشعرون بالتعب، كانت مائة ألف جديدة تأخذ مكانهم، وهكذا دواليك، ومثل هذا وقف مائتا ألف أمام أبواب المدينة جاهزين للقتال، وكان واجب المائتي ألف المتبقين تزويدهم بكل شيء كانوا يحتاجون إليه، ولم تكن الأبواب مغلقة ولم تغلق أبداً، ولم تكن هناك ساعة من النهار من دون بعض القتال الحاد،الذي قاتلوا به ضد المسلمين، وذلك من قبل الداوية وفرسان الطوائف الأخرى التي كانت مقيمة هناك، لكن أعداد المسلمين تزايدت بسرعة فائقة، فبعد مقتل مائة ألف منهم حل محلهم مائتي ألف جدد، ومع هذا ما كان الفرنجة ليفقدوا المدينة، أمام هذا الحشد كله، لوأن أحدهم عاون الآخر بإخلاص، ذلك أنهم

عندما كـانوا يحاربون خـارج المدينة،كـانـت فئة مـا تهرب وتترك الفئة الأخـرى لتواجـه القتل، أما في داخـل المدينة فإن إحدى الفئات كـانت تتأبى الدفاع عن قلعـة أو قصر يعود إلى فئة أخـرى، لابل أكثر من هذا كانت عن قصد تترك قلاع الفئـة الأخرى، وقصورها، وحصونها، يجري اقتحـامها والاستيـلاء عليها من قبل الأعـداء، وكان كل واحـد همه أن يعـرف أن قلعته، ومـوضعه قـوي حصين، ولايهمه قلعـة أو حصن أي إنسان آخر.

وفي أثناء هذه الفـوضـى دافع مقـدمـو الطوائف مع فـرسـانهم عن أنفسهم، وقـاتلوا دونها توقف ضـد المسلمين، وذلـك حتى قتلوا كلهم تقـريباً، وفي الحقيقـة سقط مقـدم ورهبـان طائفة التيـوتون مع أتبـاعهم وأصدقائهم، أمواتاً في وقت واحد، وساعة واحدة كانت هي نفسها.

واستمـر هذا، وجـرت عدة معـارك، ووقع عـدة آلاف قتلى على كل طرف من الطرفين، وحل أخيراً وقـت الجزاء بالنسبـة لذنوبهم، واقترب مـوعد سقـوط المدينة، وحلّ مع مجيء اليـوم الأربعين للحصار، وكـان ذلك في سنة ألف ومـائتين واثنتين وتسعين(الصحيح: إحـدى وتسعين) لتجسيد ربنـا، وفي اليوم الثاني عشر من شهـر أيار، في هذا اليـوم جرى الاستيلاء على مدينة عكا، المدينة الأكثـر جلالة ومجداً، والتي هي زهرة، ورئيسة، وفخـر جميع مدن الشرق، وعندمـا سمع سكان المدن الأخرى، أي مدن: يـافا، وصور، وصيـدا، وعسقلان، بهذا تركـوا جميع ممتلكاتهم خلفهم، وهربوا إلى قبرص.

وعندما استولى المسلمون على عكا أولاً، دخلـوا إليها من خلال ثغرة أحدثوها في السور على مقربة من قلعة ملك القدس، وبعدما صاروا بين الناس في داخل المدينـة، ظلت كل فئة تتأبـى تقـديم المسـاعـدة للفئة الأخـرى، بل تابعت كـل فئة الدفـاع عن قلعتهـا وقصرها، وواجـه المسلمون حصاراً أكثـر طولاً،وتوجب عليهـم القتال بتقدم أقل، وهم في

داخل المدينة، من تقدمهم عندمـا كانوا في خارجهـا، لأنها كانت محصنة بشكل مدهش.

وفي الحقيقـة جـاء في أخبـار سقـوط عكـا، أنه بسبب ذنوب الناس، قاتلت العناصر الأربعة، إلى جانب المسلمين، فأول كل شيء صار الهواء كثيفاً إلى درجة الظلام، وصار الجو متلبداً مغيماً، إلى حد أنه أثناء اقتحام إحـدى القـلاع، أو أحـد القصـور، أو الحصـون، أو إحـراقـه كـان من الصعب على الناس الآخـرين رؤية القـلاع الأخـرى والقصـور، حتى يجري مهاجمة قلاعهم وقصـورهم، وللوهلة الأولى كان بإمكانهم الدفاع عن أنفسهم بشكل جيد، لو أنهم استطـاعوا أن يتوحـدوا، وقاتلت النار ضد المدينة لأنها ابتلعتها، وقـاتلت الأرض ضد المدينة لأنها شربت دماء أهلهـا، وقاتلت الميـاه ضد المدينة، لأن الشهـر كان شهـر أيار، ففي هذا الشهر اعتاد البحر على أن يكون هادئاً جداً.

وعندمـا رأى أهل عكا بوضـوح أنه بسبب ذنوبهم، وظلام الهواء، لم يعـد بإمكـانهم رؤية أعـدائهم، هربوا إلى البحـر، راغبين بالابحـار إلى قبرص، وفي البداية لم يكـن هنالك ريح مطلقاً في البحر، لكـن ما لبث أن ثارت عـاصفـة كبيرة، حالت دون أية سفينة سـواء أكـانت كبيرة أم صغيرة من الاقتراب من الشاطىء، وكثير ممن كانوا قد شرعوا بالسباحة نحو السفن قد غرقوا، ومهما يكن مـن أمر، لقد نجا إلى قبرص أكثر من مائة إنسان.

ولقد سمعت من سيد صادق جـداً، ومن رجال آخرين موثوق بهم، كانوا آنذاك حضـوراً، أن أكثر من خمسمائة من أكثر السيـدات نبلاً، ومن الفتيـات، ومن بنات الملوك والأمـراء، انحـدرن نحـو شـاطىء البحـر، عندمـا كـانت المدينة على وشك السقـوط، وكن قـد حملن معهن على صـدورهن أدوات زينتهن من الذهب والحجارة الكريمـة التي لايمكن تقدير ثمن لها، وصرخن، ونادين، وسألن هل هناك أي بحار يتولى أخذ

جواهرهن جميعهـا، واختيار أية واحـدة منهن أن تكون زوجة له، شرط أن يأخـــذهن، ويحملهن، ولوعـــاريات إلى أي بلد أمين أو جـــزيرة، واستقبلهن جميعـــاً أحـد البحـــارة في سفينتـه، وأخـــذهن وعبر بهن إلى قبرص، مع جميع أمتعتهن مقابل لاشيء، وذهـب بحال سبيله، لكن من كان هو، ومن أين جاء، وإلى أين ذهب، ما من إنسان يعرف حتى هذا اليوم،هذا وتعـرض عدد كبير جداً من سيدات نبيـلات أُخر وفتيات إلى الغـرق أو القتل، ويحتـــاج الأمـر إلى وقت طويل للحـــديث عن الحزن الكبير والآلام التي كانت هناك.

وعندما كان المسلمون في داخل المدينة — إنما قبل استيلائهم الكامل عليها — استمر القتال من قلعة إلى قلعة، ومن مكان إلى مكان حصين آخر، وبذلك هلكت أعداد كبيرة من الناس على كلا الجانبين، حتى أنهم مشوا فـوق جثثهم، وكأنهم يسيرون فـوق أحد الجسـور، وبعدمـا جرى فقـدان جميع المدينة الداخلية، هرب الذين بقيـوا أحياء إلى قلعـة الداوية التي كـانت حصينة جـداً، وقـد جـرى حصـارها على الفـور من جميع الجهات من قبل المسلمين، ومع ذلك دافع الصليبيون عنها بشجاعة لمدة شهـرين، وسقط أمـامهـا جميـع أعيـان وقـادة جيش السلطان قتلى، لأنه بعدما جرى إحراق المدينة القائمة بين الأسوار كلها، بقيت أبراج المدينة وقلعة الداوية،التي كانت في داخل المدينة، ولذلك تمكن أهل المدينة من إبقاء المسلمين داخل المدينة، ومنعـوهم من الخروج منها، مثلما فعلوا من قبل حين حالـوا دون دخولهم إليها، وظل الحال هكذا حتـى لم يبق أحد من المسلمين الذيـن دخلوا إلى المدينة أحيـــاء، ذلك أنهم جميعـــاً سقطوا بالنار أو بفعل السيـف، وعنـدمـا رأى أعيـان المسلمين أن بقيتهم تمددوا أمـــواتاً، وأنهم هم أنفسهم غير قـــادرين على النجـاة مـن المدينة، هربوا لاتخاذ ملاجيء لأنفسهم في الأنفـاق التي كانوا قـد حفروها تحت البرج الكبير، أمـلاً منهم بـأنهم سـوف يجدون طريقـاً للنجـــاة إلى الخارج من

خلال السور، لكن الداوية والذين كانوا في القلعة، عندما رأوا أنهم غير قادرين على إيذاء المسلمين بالحجارة وماشابه ذلك بسبب الأنفاق التي كانوا فيها، لغموا ما تحت البرج الكبير العائد للقلعة، وتركوه ينهار فوق الأنفاق وفوق المسلمين هناك في الداخل، وهكذا هلكوا جميعاً سواء، وعندما رأى المسلمون الآخرون الذين كانوا خارج المدينة جميع ما حدث، أسقط بأيديهم تماماً، وعقدوا بشكل خياني هدنة مع الداوية والصليبيين، على شرط أن يتخلوا عن القلعة، مقابل السماح لهم بأخذ جميع مقتنياتهم معهم، وأنه ينبغي تدميرها، وأن يعيدوا بناء المدينة وفق شروط محددة، وأن يعودوا إلى السكن فيها بسلام كما كان الحال من قبل، وصدّق الداوية والصليبيون الآخرون هذا ووثقوا به، وسلموا القلعة وخرجوا منها، ونزلوا من أبراج المدينة، وعندما استحوذ المسلمون بهذه الوسيلة على كل من القلعة وأبراج المدينة، قتلوا جميع الصليبيين سواء، واقتادوا الأسرى إلى القاهرة، وبذلك بقيت عكا فارغة ومهجورة حتى هذا اليوم.

وفي عكا والأماكن الأخرى تم فقدان مايقارب مائة ألف وستة آلاف رجل قتلاً أو أسراً، ونجا من هناك أكثر من مائتي ألف، أما بالنسبة للمسلمين، فقد قتل أكثر من ثلاثمائة ألف، كما هو تماماً معروف حتى هذا اليوم وأمضى المسلمون أربعين يوماً أولاً في حصار المدينة من الخارج، وخمسين يوماً في المدينة في داخلها، قبل الاستيلاء عليها، وشهرين في حصار الداوية.

وعندما سقطت مدينة عكا المجيدة على هذه الصورة، أنشد جميع شعب الشرق لسقوطها أناشيد البكاء والرثاء، مثلما اعتادوا أن ينشدوا على قبور أمواتهم، وبكوا على جمال عكا، وعظمتها، وعلى مجدها، ومازالوا يفعلون ذلك حتى هذا اليوم، ومنذ ذلك اليوم ترتدي النساء المسيحيات — سواء أكن من السادة أو من العاديين البسطاء — ممن

يسكن على الشاطىء الشرقي(للبحر المتوسط) ثياب السواد حزناً، وحداداً، وتفجعاً على فقدان مدينة عكا العظيمة، ومازلن يفعلن ذلك حتى هذا اليوم.

وعمل المسلمون بعد هذا، لعدد كبير من السنين، وبذلوا كل جهد ممكن، لاجتثاث ولتدمير جميع الأسوار تماماً حتى الأساسات، وفعلوا الشيء نفسه بالنسبة للأبراج والقلاع والقصور، خشية من أن يعاود الصليبيون عمارتهم، لكن كان من المستحيل بالنسبة إليهم تمكنهم من تدمير كل شيء واجتثاثه حتى آخر رجل، وهكذا بقيت جميع الكنائس، والأسوار، والأبراج، وعدد كبير جداً من القلاع والقصور، سليمة إلى أبعد الحدود، وإذا ماسمح الرب، من الممكن — بعناية كبيرة — استردادها وترميمها، وإعادتها إلى أوضاعها الماضية.

ويسكن الآن في هذه الأيام حوالي الستين في المرتزقة المسلمين في عكا، بمثابة حامية للمدينة وللميناء، ويؤمن الانفاق على عيشهم من خلال الحرير والطيور، لأنه يوجد في عكا كثير من الدجاج والحمام، إلى حد أن جميع الطيور التي يمكن رؤيتها في المنطقة لايمكن مقارنتها بهم، وهؤلاء المرتزقة لديهم شغف بالألمان، فعندما يلاحظون وجودهم من خلال مظهرهم، يسيرون إليهم مباشرة، ويشربون الخمرة معهم بعمق، على الرغم من أنها محرمة بشريعتهم.

وبهذا أكون قد حدثتكم كيف تم فقدان مدينة عكا المجيدة بسبب الخصام، ومنذ ذلك الحين فصاعداً، انتقلت جميع أمجاد الأرض المقدسة، وأمجاد ملوكها، وأمجاد أمرائها، وبقية أعيانها، إلى قبرص، وذلك حسبما سمعتم من قبل.

٢٧ — حول غزة وأشدود

ولأعد الآن إلى موضوعي: يذهب الانسان من عكا إلى غزة، التي

كـانت فيها مضى مـدينة جميلة جـداً، تابعـة للفلسطينيين، وهي الآن مهجـورة تقـريبـاً، وهـي المدينة التي حطم شمشـوم أبوابها الحديدية، وحملهـا معه إلى الجبل، والمسـافة مـن عكا إلى غزة ثلاثة وعشرين ميـلاً، ويرى الانسان على الطريق الأماكن التالية، لكن قبل المضي بعيداً، أقترح أن أحـدثكم ببعض الشيء حـول مـدن الفلسطينيين، فحول غـزة تقـوم بلاد فلسطين، حيث نرى فيهـا أربع مدن عظيمـة جداً، قـد وجدت فيها مضى، وقد آل الآن مآلها كلها إلى قـرى صغيرة، وذلك باستثناء مدينتان هما: أشـدود وغاث، وعليـك أن تعرف أن البـلاد التي عـرفت من قبل باسم فلسطيا، تعرف الآن باسـم فلسطين، وأن المدينة التي كانت تعرف فيها مضى باسم أشـدود اسمهـا الآن أرسـوف، التي غـالبـاً مـارأيت صـاحبهـا النبيل(بالين دي ايبلن في سنة ١٣٦٨) ، والمدينة التي عـرفت فيها مضى باسم غـاث اسمهـا الآن اسكندرون (جنوب غربي صـور) ، وقد منحها الاسم الجديد بلدوين ملك القـدس، عندما كان يبنيها، ففي هذه المدينة كـان جـالوت قـد ولد، وهـو الذي قتله داود، ومن الممكن قراءة الكثير من العجائب حول هذه المدينة.

ومن هذه المدينة وبجميع الاتجاهـات،نجـد أن جميع المدن، والقـرى، والقـلاع، والأماكن القـائمـة على ساحـل البحر المذكـور، وذلك لعمق أربعة أميـال في داخل اليابسـة، هي جميعاً مشعثـة ومدمرة وبـاقية هكذا حتى هذه الأيام، لأنه بعـدمـا جرى فقـدان الأرض المقـدسة، وسـورية وعكا، ارتأى المسلمـون بأن عليهم الحفـاظ عليهم وتملكهم بسـلام، وأعني بذلك جميع الأمـاكن المتقدم ذكـرها، والمدن، والقرى، والقـلاع، القـائمـة على شاطىء البحـر، إنما في ذلك الوقت كـان شعب غـاث أو اسكندرون قوياً جـداً، ورجالها شجعاناً بارعين باستخـدام السلاح، وفي الحقيقة لقد قيـل بأنه في مثل ذلك المكان الذي امتلك مثل هذه الطبيعة، يلد الرجـال أكثر حـدة وعنفاً من سـواهم من الرجال الآخـرين، وأهل

غـاث هؤلاء أنفسهم مـع أن تعـدادهم قليل، حيث هو أقـل من ألف انسـان، هم نبـلاء وشجعـان، ويعـرفـون جميع الطرقـات في البـلاد مع دروبها، لأنهم اعتـادوا على التجـول هنا وهنـاك، والسـلاح بأيديهم، ويعملون بالأجـرة، ويعـرفـون طبـائع وعـادات المسلمين، والداخل إلى هناك، والخارج من البـلاد، وهـم لايعـرفـون الراحـة، بل يغـدون ذهاباً وإياباً، بشكل مستمـر، في البر والبحـر، وفي الليل والنهـار، ويلبسـون ثياب المسلمين، ويخفـون الأسلحة تحتهـا، وعندما يكونون بين المسلمين يتصرفـون بمثـابة تجار مسلمين، ويدخلـون معهم إلى مـدنهم وقـراهم، ويأكلون ويشربـون مع بعضهم بعضـاً، وعندمـا يجدون أنهم يمتلكون فـرصة جيـدة مواتيـة، يأخذونها ويحرقـون البلدة والقرية، التي صـدف وكانوا بها، ويقتلون المسلمين أو يبيعونهم رقيقاً، وعندما وجد المسلمون أنفسهم غير قـادرين على الوقوف ضـد هؤلاء القـوم، هجروا مـدنهم، وقـراهم، وذهبوا بعيـداً، لكن نادراً مـانجوا، وهكذا فإن جميع الأمـاكن القـائمة على طول سـاحل البحر، والمدن، والقـرى، والأماكن الأخـرى حتى عمق أربعـة أميـال في داخل اليـابسـة، قـد غـدت معـزولة تمامـاً ومهجورة حتى هذا اليوم.

ولقد سمعت من رجال صادقين، كانوا مـوجودين عندما كانت هذه الأمـور تحدث، وسمعت أيضـاً مـايروج بين الناس والحكايات حـولهم التي مـاتزال باقية، أن خـوفـاً عظيما حل بساح المسلمين، بسبب رجـال غاث هؤلاء الذين تقـدم ذكرهم، إلى حد أنه حتى مسافـة سفر ستة أيام بعيـداً عنهم، اعتـادت الأمهـات على تهدئـة أولادهم البـاكين بكلمـة «اسكندرون» فضـلاً عن هذا مـامن رجل يتجـرأ على مقـابلة آخـر على الطريق، لأن شعب اسكنـدرون، لايجعلون انسـاناً أميناً على نفسـه من دون تيقظ وحذر.

وفي عـودة إلى موضـوعي أقـول: على مقـربة من عكا هناك نهر ليس

كبير الحجم اسمـه نهر النعامين Belen (نهر بعل)ويجرف هذا النهر نوعـاً من الرمل الزجـاجي، يحمل من هناك إلى بلدان نائيـة، وهناك نهر آخر، على أحد طرفي عكا، لايمكن لأفعى أو لأي من الهوام العيش فيه، مع أن بإمكانهم العيش والازدهـار على الطرف الآخـر، وقـد تبرهن أنه إذا ماجرى رمي أفعى عبر هذا النهر تموت مباشرة.

٢٨ — *جبل الكرمل*

وعلى مقـربة مـن عكا أيضـاً، على الطرف الأيمن، وعلى بعــد ثلاثة أميـال، وليس بعيـداً عن البحـر، يقـوم جبل الكـرمل، الذي هو أملس وعـريض، وعلى غـاية من الجمال في الـذروة، المزينة بكثير من النبـاتات والأمـاكن البهيــة، وقـد سكن هذا الجبل النبي إيليــا، وصنع كثيراً من المعجزات وعلى هذا الجبل، حدث أيضاً، حسبما تحدث إيليا، ابتلعت نار من السماء قائد الخمسين، التـابع لآحاز ملك اسرائيل، وصلى على الجبل إيليا ودعا أن لاتسقط الأمطار على الأرض، وبالفعل لم تسقط لمدة ثلاثة أعوام وستـة أشهر، وذلك حسبما نقـرأ في سفر الملوك، وعلى هذا الجبل من الممكن أن نرى أنه قد قام فيما مضى دير جميل جداً، بني وكرس على اسم القـديسة مـريم، ويعرف الرهبـان الذين جاءت أصـولهم من هناك باسم الكـرمليين حتى هذا اليـــوم، وهم رهبـــان متســـولون، ويمكن للانسان أن يرى أنهم امتلكوا فيما مضى خمسين ديراً في الأرض المقدسة.

ويوجد على أول أطراف الجبل نبع نقي تجري ميـاهه إلى البحر، ومن مياه هذا النبع اعتاد النبي إيليـا على الشرب، ولهذا يعرف باسم نبع إيليا حتى هذا اليوم، وفي مكان آخر عند سفح الجبل يمكن للانسان أن يرى أن مدينة قـد قامت هناك، كـانت ملكاً للداوية، هي الآن مهدمـة تماماً، واسمهـا حيفـا، وليس بعيـداً عن هذه المدينة هناك نبع صغير، هو الآن واحـد من مصـادر نهر الأردن، وعند نهاية جبل الكرمل كـان هناك فيما مضى مدينة جميلة هي الآن مهـدمة، اسمهـا زرعين، فهنا أقدمت إيزابل

على انتزاع كرم نابوت ولهذا رميت في المكان نفسـه، حسبما نقرأ في سفر الملوك(الأول :٢١)، وعلى مقربة من هذه المدينة سهل مجيدو، حيث قُتل يوشع ملـك يهوذا، وليس بعيـداً عـن جبل الكرمل، وعلى طرف جهـة اليســار، قـامـت فيما مضى مـدينـة جميلة، هي الآن مهـدمـة، اسمهـا الصفورية، وكانت قائمة على رابيـة، ففيها ولدت القديسة حنة، أم مريم المباركة.

وبعد العبور فوق جبل الكرمل، يقوم الانسان بعبور نهر، كان واحداً من روافـد الأردن، ويصل إلى قيسـارية فلسطين، التي كـان اسمهـا فيما مضى دور، واسمهـا الآن قيسـارية فلسطين، غير أنها مـدمـرة كليـاً، وقدكـان في هذه المدينة كنيسة جميلة، بنيت من خـلال بيت كورنيلوس، الذي حوله بطرس إلى الايمان الصحيح، وكـانت هذه المدينة نفسها، قد آلت، بعـد الاستيـلاء على الأرض المقدسـة، إلى ملكيـة فـارس من هذه المناطق[بلاد المؤلف] اسمه دي هورن Horne ، وكانت أرملة ختنه حية حتى أيامي، لأنني غالباً ما تحدثت معها حول هذا الموضوع.

وإذا ما سـافر الانسان من قيسارية، يصل أولاً إلى مـا كان فيما مضى مـدينة جميلة، لكنهـا الآن مهجـورة، واسمهـا قلعـة الحجـاج(عثليت)، وكانت هذه تعرف بالقديم باسم أرسوف (كذا)، وكانت هذه المدينة قد أعطيت إلى الداوية من قبل غودفـري دي بولليون، الذي كان أول ملك صليبي للقدس، وذلك حفظاً لذكراه نفسه.

وإذا ما سافر الانسان من أرسـوف، أو قلعة الحجاج، يصل إلى مدينة جميلة جـداً، وهي مليئة بالسكان حتى هـذا اليـوم، اسمهـا عسقـلان، ويذهب الانسان من عسقلان ليأتي إلى يافا التي هي مـدينة قديمة جداً، وجميلة، وهي قـائمة على شـاطىء البحر، وإلى مـرسى هذه المدينة دخل النبي يونه، عندما حـاول أن يهرب من وجه الرب، وهي على بعـد سفر حوالي اليومين من القدس، لكن الحجاج لايستطيعون النزول في الميناء،

وعلى اليابسة، ليس بعيداً عن يافـا، تقوم مدينة جميلة، عرفت فيما مضى باسم الرملة، لكن اسمها الآن بعل Bael، وهي قـائمة فوق مـوقع جميل جـداً، وبهيج، وممتع، وهي مسكـونة من قبل المسيحيين وحـدهم، ومن المعتقد أن ما من يهودي أو مسلم يستطيع أن يعيش فيها أو يسكن لمدة تزيد على السنـة، وجميع الخمـر الـذي يشرب من قبل المسيحيين في القـدس والأمـاكن الأخـرى يجلب من هناك، وعلى الجانب الأيسر من مـدينة الرملة هذه، أوبعل، تقـوم مدينة جميلة، حسنة الاسكان، اسمهـا ديوسبـولس ولها اسم آخـر هو اللد، وفي هذه المدينـة واجـه الشهيـد المجيـد، القديس جـرجس الشهادة، وقطـع رأسه، وهناك كنيسـة فائقـة الجمال، حسنة التـزيين بأعمال الفسيفســاء والرخـام، وفي داخلهــا، في السـدة، يوجـد المكان الذي جـرى إعـدامـه صبراً فيـه، وهو معـروض للناس عموماً.

وبعـد رؤية هذه الأشيـاء جميعـاً، يصل الانسـان أولاً إلى غـزة، التي تحدثت عنهـا بعض الشيء، لأنني تحدثت إليكم بعض الشيء أيضـاً عن المدن الأخرى في فلسطين، والمسافة بين عكا وغزة هي سفر أربعة أيام، ويزور الانسان خـلال السفر جميع الأمـاكن المتقدمـة الذكر، وبعـد سفر الانسان من غزة يصل إلى قلعة اسمهـا بالعربية دار، وهي آخر مكان في سـورية لدى النزول إلى مصر، وإذا ما ذهب الانسـان بهذا الاتجاه يخلّف القـدس على جهة يسـاره، وذلك على بعـد عشرين ميلاً أو قـرابة ذلك، وهذه الطرق ليست طرقـاً عـامة للحجـاج، غير أنها طرق جيـدة لرؤية أوائل العربيـة ومصر، وكل ما هو مـوجود هناك، ويذهـب الانسان من قلعـة دار إلى مصر عبر صحـراء رملية، وذلك خـلال سبعـة أيام، وفي هذه الصحراء ليس هناك نقص بأي شيء محتاج، باستثناء الماء، الذي من الممكن حمله في أوعيــة جلدية على ظـهور الجمال، وهناك في نهايـة سفـر كل يوم يمكن العثور على نزل إسـلامية جيدة، حيث يجد فيهـا الانسان

كل ما يحتاجه، باستثناء الخمر.

٢٩ — حول مصر

وبعد عبور هذه الصحراء يدخل الانسان إلى مصر، ولدى دخوله إليها يجد فيها أماكن على درجة عظيمة من الجمال والبهجة، مليئة بجميع الأشياء الجيدة، التي يمكن لقلب الانسان أن يتصورها، وهي مليئة بكل شيء يحتاجه الانسان إلاّ الخمر، ولدى متابعة السفر نحو باب اليون(بابل الجديدة — الفسطاط) يصل الانسان إلى قرية جميلة جداً وممتعة اسمها بلبيس، وبذلك يخلف الاسكندرية ودمياط على ساحل البحر، وإذا فعل ذلك يذهب الانسان على طول الطريق السلطاني العام، فيصل إلى القاهرة وباب اليون، التي تضم الآن مدينتين عظيمتين جداً، ليستا بعيدتان عن بعضهما، وتقومان على طرف النيل، نهر الفردوس، والمدينة التي كان اسمها فيما مضى قاهرة، تدعى الآن القاهرة، وسكن في هذه المدينة في القديم فرعون، عندما تولى تعذيب العبرانيين، وهنا أيضاً آيات ومعجزات، صنعت من قبل موسى وهرون، حسبما جاء بالتوراة، وعلى مقربة من القاهرة، فوق الجبل، الذي هو ليس عالياً، لكن صخري، يقوم قصر السلطان، ويوجد هناك أشياء كثيرة جداً غريبة وعجيبة، وأهم شيء يراه الانسان في هاتين المدينتين، هو الفيلة، وحيوانات الغرفين Gryphons وعليك أن تعرف أن القاهرة أكبر من باب اليون(الفسطاط) وتبعد أكثر من رميتي سهم عنها، ذلك أن باب اليون قائمة على ضفة النيل، لكن القاهرة، قائمة على مسافة لابأس بها عن النيل، والقاهرة الآن أكبر من باب اليون، لأنني سمعت من تجار قدروا أن القاهرة أكبر من باريس بسبع مرات، وفي القاهرة أبنية منخفضة مثل الأفران، ويوجد فيهم مدافىء، ويوضع في الداخل بيض فوق روث، وبوساطة هذه الحرارة تفقس الفراخ، وتخرج من البيض، ووقتها يأخذ المعلم هذه الفراخ، ويعطيها إلى امرأة عجوز، تتولى

العناية بهم وإطعامهم، وتضعهم في صدرها، مثلما تضع الدجاجة الفراخ تحت جناحيها، ويوجد في هذه المناطق أعداد لاتحصى من العجائز ليس لديهن أسباب ووسائل للعيش سوى تربية الفراخ والعناية بهم، ولهذا السبب تجد الطيور هناك كثيرة مثل عدد رمال البحر، وغالباً ما يقوم أحد الفلاحين بسوق خمسة آلاف طير إلى السوق مرة كل أسبوع، مثلما يفعل الراعي حين يسوق أغنامه، ويأخذ معه جملاً أو دابة أخرى مع سلال، يتولى ملأها بالبيض الذي تبيضه الطيور وهي على الطريق، وعندما يأتي إلى السوق المخصص للطيور، لايفقد ولاطيراً واحداً، كما لاتمتزج طيور إنسان مع طيور إنسان آخر، وهذا أمر بالحقيقة مدهش، وخاصة عندما تلتقي آلاف كثيرة من الطيور في مكان واحد، فضلاً عن هذا يوجد على مقربة من باب اليون مكان خصب جداً، فيه مراعي غنية جداً، واسم هذا المكان غوشن Goshen ، فهناك سكن البطريرك يعقوب، بناء على توجيه من يوسف، وكان ذلك في أيام فرعون، فهذا ما رواه الكتاب المقدس لنا.

٣٠ — حول بستان البلسم

فضلاً عما تقدم، يوجد على مقربة من القاهرة، باتجاه الصحراء السورية، بستان البلسم، الذي هو من حيث المساحة نصف رمية حجر، وليس مسوراً بشكل جيد، أو كله مسيج، ويوجد في هذا البستان خمسة آبار، تتولى سقاية شجيرات وفروع البلسم، ولكل شجرة أو شجيرة حارس خاص، يتولى تنظيفها، والعناية بها وغسلها، بعناية تامة مثلما يتولى غسل جسده، ولاتنمو شجيرات أو فروع البلسم كثيراً، حيث لايتجاوز طولها الذراعين، ولها أوراق مضاعفة ثلاث مرات، ولدى بداية آذار، عندما يحل وقت النضوج ويصبح قريباً جداً، تصبح العناية بها أكثر، وعندما تصبح ناضجة، يجري قطع الأغصان والفروع وجرحها، وذلك مثل عملية تقليم الدوالي، ويجري ربط الجروح أو

الأماكن المقطوعة بقطع من الموصلين، ومن أماكن الجروح والقطع يبدأ البلسم بالتقـــاطر، مثلما يسيل الماء من الـدوالي، ويترسب في قطع الموصلين المربوطة حول الجروح، ويجري تعليق كأس من الفضة تحت كل غصن مجروح، حيث فيه تتقاطر أفضل أنواع البلسم.

وعلى هذا تقطع الأشجـار عندمـا يسيل البلسم، وفي ذلك الوقت يكون سلطان القاهرة مشغولاً جداً، حيث يكون شخصياً حاضراً في البستان، ويتولى حراسته بدقة، حتى لايتمكن إنسان، إلاّ هو، من الحصول على نقطة من البلسم بأية وسيلة من الوسائل، وعندما يقدم نواب البابا، وسفراء بعض الملوك والأمراء من مناطق أجنبية، يعطي كل واحد منهم قارورة صغيرة من الزجاج، صنعت خصيصاً لهذه الغاية، ويكون في داخل هذه القارورة بعض البلسم، ولدى تقديم هذه الهدية، كان يعتقد أنه يعطي أثمن هدية يمكن أن تعطى.

وبعدما يتم ترسيب جميع البلسم الجيد والحقيقي بهذه الطريقة، يقوم الأوصياء على الأغصان بقطعها حتى نهاية كل واحد منها، ويأخذ كل واحد حصته، ويتولى غليهم بالماء، ووقتها نجد كل الذي بقي من بلسم في نهايات الأغصـان يذوب مثل الدهن، ويطوف على وجه الماء مثل الزيت، ومن هناك يجري جمع هذا البلسم بملعقة، ووضعه في وعاء، ثم تركه حتى يتماسك، وذلك لبعض الوقت، ويلاحظ أنه حتى هذا البلسم له ثمن مرتفع جداً، ولأن هذا البلسم قد تعرض للغلي، يغدو لونه أحمر مع بعض المزيج من الأسـود، غير أن البلسم الطبيعي الذي يتقـاطر بشكل طبيعي، له لون النبيذ، وعليك أن تعرف أن البلسم الطبيعي هو أغلى جوهرة في العالم، ولهذا السبب نجد البطاركة المقدسين، كانوا قد اعتادوا على مزجه بزيت مقدس من أجل المسح، وأي جسد لامس بلسماً طبيعياً، لن يتعفن ولن يفسد مطلقاً، وفي أثناء تقاطره طازجاً من الشجرة، إذا وقعت نقطة بيد إنسان، فهي سوف تسيل من خلال

الطرف الآخر، وتمر عبر يده، فضلاً عن هذا، إذا ما جرى وضع أربع نقاط أو خمس من البلسم الطبيعي في عين إنسان، على وشك أن تصبح عمياء، من انعدام الرطوبة، أو تقدم السن، أو أي ضعف آخر، ستبقى هذه العين على الفور، وإلى الأبد، تماماً مثلما كانت لحظة صب البلسم فيها، ولن تتحسن أوضاعها ولن تتدهور، وعلى هذا إنها لمغامرة خطرة أن يحاول الانسان مثل هذا، ما لم يكن الانسان يائساً كلياً من بصره، وهذه الحقيقة واضحة مرئية في عدد كبير من أجساد رجال عظماء من العصور القديمة، التي تمّ العثور عليها سالمة تماماً غير فاسدة، لأنهم جرى دهنهم بالبلسم، ومثل هذا إذا كانت ندبة جرح جديد، عندما يكون قد بدأ ليشفى، إذا مسحت في أحد الأيام بنصف نقطة بلسم، وضع على ريشة، يعود على الفور جلد الجرح كما كان من قبل، ولا يترك أثراً، وما من إنسان يستطيع أن يرى أنه قد كانت هناك آثار ندبة على الاطلاق في ذلك المكان.

وزيادة على ما تقدم، إن البلسم المغلي هذا، هو عقار ممتاز جداً، وهو مفيد جداً من أجل ندب الجروح كما تقدم القول، وهو مفيد جداً بشكل خاص، عندما يسقط إنسان من مكان مرتفع، لأنه إذا ما تناول بعضاً منه، فإن جسده، الذي كان محطماً في الداخل، سوف يعود سالماً ثانية، وللبلسم المغلي أيضاً قدرة عظيمة جداً على العيون، وهو مفيد بدهن اللحوم حتى لاتفسد، ولكنه في جميع الأحوال وبالإجمال أقل قوة من البلسم الطبيعي، لأنه استخرج بالقوة بوساطة الغلي، في حين ترسب البلسم الطبيعي بشكل عادي.

وعليك أن تعرف أن الرجال المسيحيين فقط وحدهم قادرون على العناية ببستان البلسم ورعايتها، لأنه إذا ما حاول رجال آخرون العناية بها ورعايتها، فإنها تذبل على الفور وتموت، كما حدث مراراً وتبرهن على صحته، وسكنت مريم العذراء المباركة مع الطفل عيسى في

الموضع الذي تقــوم فيـه بستـان البلسم الآن، وذلك عندمــا هربت إلى مصر من أمام هيرود، وغسلت بشكل مستمـر أغطيتها ومـلابس يسوع في الآبار التي تسقي البستان، ولهذا السبب من المعتقد بشكل صحيح أن البلسم ينمو هناك، لأنه بقـدر مانعلم لايوجـد البلسم في أي مكان آخر في العالم.

وسـوف يقتضي الحال وقتـاً طويلاً للحـديـث حـول فضـائل البلسم الأخـرى وأمجاده، يضـاف إلى هذا أنني لاأستطيـع أن أتذكـرهـم جميعـاً، وكـان في أيامي بين المشرفين المسيحيين أربعـة من الألمان، كـان أحـدهـم من شوارتزنبورغ Schwartzenburg ، وكان فيما مضى مرتداً عن المسيحية وكان آخـر بعين واحدة اسمه نيقولا، وكان رجـلاً جيداً جداً، فهـذا ما أكـده الأسرى المسيحيون، وكـان قد أخـذ أسيراً في عكا، لكن السلطان أطلق سراحه بسبب جودته، وجعله حارساً لسلالم قاعة نومه.

٣١ — *المسيحيون والقبور القديمة*

وعليك أن تعـرف أنه كـان في أيامـي في القـاهرة والفسطاط حـوالي أربعة آلاف أسير مسيحي، وذلك دون أن أن نذكر عدد الأطفال، وكان لهؤلاء الرجال ثلاثة بطاركة هناك ، ورجال دين، وكنائس، وآثار مبجلة كثيرة للقديسين، وكان على رأس ذلك، الجســد الكامل للقديسة بربارة، وهي العذراء التي يتوسل إليهـا في أيامي عدد كبير من الملوك والأمراء، وتقـديراً من السلطان لراحـة الأسرى المسيحيين لم يقبل السلطان بقطع واحـدة من أعضـاء جسـدهـا، ويحتفل الأسرى المسيحيـون هناك بعيـد أمسيـة القـديسـة بربارة، مثلما يحافـظ الناس في هذه الأمـاكن على عيـد القديس مارتن حيث يرسلون إلى بعضهم بعضاً بذور مختلف النباتات.

ويقوم على مقـربة من الفسطاط، على الطرف الآخر من النيل، وذلك باتجاه الصحراء المصرية، كثير من القبور ذات أحجـام مدهشة، من بينها

واحد فائق الجمال بني بحجارة كبيرة مربعة، وبين هذه القبور اثنين، هما ضريحان مربعان كبيران جداً، وقد كانا فيما مضى على درجة فائقة من الجمال، ويوجد على جدار أول واحد منهما كثير من النقوش المحفورة باللاتينية، وبالاغريقية على الآخر، وبالعبرية على الثالث، وبالكلدانية، وبكثير من اللغات غير المعروفة على الرابع، ونقش على الجدار الأول باللاتينية الأبيات الشعرية التالية، وهي محفورة، وليس من السهل قراءتها بسبب قدمها:

Vidi Pyramidas sinete, dulcissime Frater,

Et Tibiquod potui Lacrimas hic moesta profudi.

Et nostri memorem luctus hanc sculpo Querelam -

S(C) it nomen Decimi Pyramidis altra,

Pontics, Comitisque tuis, Trajane, Triumphis,

Lustra Sex intra censoris consulis esse

«وحيداً، يا للأسف، أرى الأهرامات

ولايمكنني غير البكاء، يا أخي العزيز، من أجلك.

ولقد حفرت على الحجر، وأنا حزين، اسمك

ويعرف الأهرام العظيم الآن شهرة

أننيوس دوسيموس، الذي قاتل من أجل روما

مع تراجان، وعاد إلى الوطن منتصراً،

وهو الذي قضى حتى قبل ميلاده الثلاثين

وكان أخيراً، كاهناً أعظم، وقنصلاً، ومراقباً للأخلاق أيضاً».

وأدع تفسير هذه الأبيات إلى فهم القارىء وحكمه، ويطلق السكان المحليون على هذه القبور اسم أهراءات فرعون، وهناك عجائب كثيرة جداً من الممكن رؤيتها على مقربة من الفسطاط، وحسبما سمعت من كثير من الرجال الصادقين والتجار، كانت بابل القديمة، حيث كان يوجد برج بابل، تبعد مسافة سفر ثلاثين يوماً، عن باب اليون هذه، وذلك باتجاه الشمال — الشرقي، وهي في بلاد الكلدان على مقربة من بغداد، وعليك أن تعلم أنني قمت خلال مدة خمس سنوات بالتحدث ليلاً ونهاراً مع كل الناس الذين بإمكانهم التحدث بأي لسان بشري، وبعد البحث يومياً بين مختلف الشعوب، كان الذي حصلته هو بعض المعلومات، وهذه المعلومات لم أستطع تحصيل سواها من أي واحد من المخلوقات حول بابل القديمة، حيث كان برج بابل، ومعلوماتي لاتتجاوز مايلي:

٣٢ — *بابل القديمة، أو بغداد.*

يوجد في بلاد الكلدان الشرقية، مدينة فائقة الجمال، وجليلة، وقوية بلا حدود، وهي في هذه الأيام أفضل المدن في الشرق، اسمها بغداد، وهي قائمة على ضفتي نهر الفرات(كذا) الذي هو واحد من أنهار الجنة، ويقول الذين يسكنون هناك ويعتقدون، أنه على نصف ميل منها، أو ما يقارب ذلك، تقوم بغداد القديمة، وقد تبرهن هذا أيضاً بوجود الخرائب الكثيرة، والأكوام الهائلة من الأبنية من مختلف الأنواع، وكذلك من الحجارة، التي لها مشاهد غريبة عن بعد، لاسيما في الموضع الذي قام فيه برج بابل، حيث اختلفت الألسنة وتبلبلت، وهناك برهان آخر على هذا وجود طريق لايمكن قطعه بين الخرائب، وبين بغداد، وأيضاً بسبب وجود مخلوقات سامة، مع وجود كثير من العلامات التي تظهر بأن بابل القديمة قد قامت هناك، وبسبب ما يعتقده السكان المحليون بشكل ثابت تماماً، فهم يؤمنون أنه بسبب وجود هذه

المخلوقات السامة، انتقلت بابل القـديمة، وأطلق عليها اسم جديد، هو بغداد، ولاأستطيع أن أحكي شيئاً آخر صادقـاً حول بابل القـديمة، كما أنني لم أعلم أي شيء زيادة، من أي إنسان في هذه المناطق.

ويوجد في مـدينة بغداد الحالية الآن أغنى التجـار وأحسنهم تحت قبة السماء، ولايوجـد في أي مكان من الشرق مثل هذه التجـارات بكثـرتها وتنوعها مما هو مـوجود هناك، واعتـاد أن يسكن في هذه المدينة الخليفة، أي خليفة محمد(ﷺ)، الذي يقدم المسلمون إليه الطاعة في جميع الأمور، مثلما يفعل المسيحيون بالنسبة للبابا، خليفة القديس بطرس.

وسـوف أحدثكم ببعض الأخبـار حـول خسـارة مدينة بغـداد هذه، وذلك حسبما قرأت حول الموضـوع في مصنفات وتواريخ ملوك أرمينيا، وكما سمعت أيضاً من فارس مستقيم صادق كان هناك في ذلك الوقت.

وفي سنة ألف ومـائتين وثمان وستين لتجسيـد ربنـا(كـذا)، وبعـدمـا استولى التتـار على ممالك الشرق، كان آنـذاك هيتوم Ayco ملكاً على أرمينيـا، وقـد قـام بدافع ذاتي بالسفـر إلى الخان العظيم، أي امبراطور التتـار، من أجـل زيارته، واستقبل هيتـوم من قبلـه بلطف، ولأنه أبدى نحـوه احترامـاً ذاتيـاً وتشريفـاً عظيماً، وذلك من أجـل جعل الملوك الآخرين يقـدمون بدافع ذاتي لزيارته ولمقابلته، ولهذا كـان مسروراً جداً، وشرف الملك بإعطائـه كثيراً من الهدايا، وفي تلك الأثناء، وعندمـا كـان ملك أرمينيـا على وشك العودة إلى الوطن، طلب من الامبراطور منحـه خمسـة مطالب، كـان أولاها، وجوب أن يغـدو الامبراطور وشعبـه كله مسيحيين، وثانيها أن يكون هناك سلام دائم بين التتار والأرمن، وثالثها أن يقـوم بتـدمير جميع مسـاجـد محمـد(ﷺ)، وأن يكرسهم على شرف الرب، ورابعها أن يساعده على استرداد الأرض وإعادتها إلى المسيحيين، وخـامسهـا أن يقوم بحصـار بغـداد، وتهديمهـا، وأن يزيل الخليفـة من الوجود، وأعني بذلك خليفة محمـد(ﷺ)، وأن يمحو اسمه، واستجاب

الامبراطور إلى هذه المطالب جميعاً عن رغبة وطواعية، وأكدها، وكذلك نفـذها في كل مجال من المجـالات، وذلك باستثنـاء المطلب الرابع الذي أعيق بسبب موته.

أمـــا فيما يتعلق بالمطلب الخامس، الذي هـو وجـوب تهديم بغـــداد، وإزالة الخليفة، فقـد كلف أخاه هولاؤن(هولاكو)، الذي كـان آنذاك قد استـولى على بلاد فارس، وأمـره أنه مـا أن يفـرغ من إقرار أمـور مملكة فارس، ويـؤمن مسألة حمايتها، عليـه الالتحاق بملك أرمينيا في حصار بغداد، وقد استجاب لهذا بكل رغبة، وبسرعة ما إن فرغ من إقرار أمور بلاد فـــارس، حتى نقـل نفســه إلى مـــدينـة نينوى العظيمـــة(الموصل)، واستراح هناك خـلال الشتـاء، وعندما جـاء شهـر آذار، ذهب مع ملك أرمينيـا إلى بغـداد، وحـاصر الخليفـة، وكلف قـادته الأربعـة الرئيسيين، الذين كـان تحت إمـرة كل واحـد منهـم ثلاثين ألفـاً من التتـار، بالقيـام بحصـار بغـداد، بدون توقف حتـى يتمكنوا من الاستيـلاء على المدينة، وهذا مـا تـم وجـرى تنفيـذه، ذلك أنهم استـولـوا على المدينة في اليـوم الثـلاثين، وقتلـوا جميع السكان من رجل صغير وكبير ســواء، وربحـوا كثيراً من الأســلاب، من ذهب وفضة، وأحجـار كريمة، وأنـواع أخرى من الثروات، بشكل ومقدار لم يسمع بأن واحداً حصل على مثله من أية مدينة مهما كـانت، وفي الحقيقة صـارت بلاد التتار كلهـا غنية حتى هذا اليوم من هذه الأســلاب، ولايوجد الآن في بلاد التتـار كأس واحد من الذهب أو الفضة، إلاّ وجلب إليها من بغداد.

وبعـدمـا جـرى قتل جميـع السكان أو أسروا، اعتقلوا الخليفـة حيـاً، وقدموه إلى هولاكـو، مع جميع كنوزه، التي كانت من الكثرة بمكان، أن هولاكو خشي من النظر إليها والتحديق بها، وقال وهو مندهش مخاطباً الخليفـة:«كيف حدث أيها الـرجل التعيس، أن امتلكت مثل هذه الكنوز العظيمة التي خشيت حتى من النظر إليها؟ فبهـا كان بإمكانك أن تقهر

العالم كله، وتضعه تحت نيرك، فلماذا لم تجند ما يكفي من العساكر المأجورة للدفاع عن مدينتك»؟ وأجابه الخليفة قائلاً:«المشورة الفاسدة هي التي جلبت الدمار عليّ، لأنهم قالوا لي : حتى النساء يمكنهن الدفاع عن المدينة ضد التتار»، وعندها قال هولاكو:«إعلم أنك خليفة محمد(ﷺ) والمسؤول عن شريعته، وأنا لاأجرؤ على إلحاق أي أذى بك، كما أنه من غير اللائق أن تعيش أنت وأن تأكل مثل بقية الناس الآخرين، لأنه من فمك تصدر تعاليم شريعة محمد(ﷺ) وعقيدته»، وقد أمر به فوضع في قصر جميل، وصب أمامه الذهب والفضة والحجارة الكريمة، واللآلىء وقال له:«من فمك تصدر تعاليم شريعة عظيمة وعقيدة، ولذلك اللائق بك أن تأكل من طعام ثمين مثل هذا»، وهكذا سجن الخليفة في القصر، وبعد مضي اثني عشر يوماً وجد ميتاً من الجوع، ولم يقم من بعده خليفة لمحمد(ﷺ) في بغداد حتى هذا اليوم.

ويحكم في هذه الأيام امبراطور التتار بغداد، لكن سكانها بشكل رئيسي من المسلمين، وهم يعيشون تحت جزية ثقيلة جداً، وسمعت في هذه المناطق وقرأت كثيراً من الحكايات الحمقاء حول بغداد، وخلاصة ذلك، هو ما حصلت عليه كتابة، من أن ملك بغداد بعث برسائل إلى ملوك هذه البلدان، ودعاهم إلى أجراء منازلات ومبارزات هي زائفة كلها، لأنه ليس هناك من إنسان بإمكانه أن يتذكر منازلات أو مبارزات قد عقدت قط في بغداد، لأن الناس هناك يشغلون أنفسهم بأشياء أخرى.

وعلى مقربة من بغداد وعلى بعد سفر أربعة أيام، توجد مدينة أخرى، كان اسمها سوسة، فيها ازدهر أحاسوروس Ahasuerus ، وهذه المدينة التي كان اسمها فيما مضى سوسة تدعى الآن باسم طوروس Thaurus ، ويوجد في هذه المدينة شجرة جافة، يقال بأنه قد كتب

لامبراطور الرومان أن يعلق ترسه عليهـا، ويقول سكان هذه المدينة بأن ما من يهودي يمكنه أن يعيش فيهـا وأن يقيم، وعلى مقربة من طوروس هناك مدينة أخـرى اسمها Cambeleth ، هي أيضاً مـــن أملاك امبراطور التتار، ولقـد قيل بأن هذه المدينة أغنى وأفضل من جميع مملكة السلطان.

٣٣ — *نهر النيل*

وفي عـودة إلى موضـوعي: النيل واحـد من أنهار الجنة، يجري خـلال مصر، ويمـر قـرب الفسطاط ودمياط، ويصب في البحـر المتـوسط على مقربة من الاسكندرية، وهو بحر أكبر وأعرض من نهر الراين، وموحل كثيراً، بسبب أنه يجري أحيـانـاً في قلب الأرض، وأحيـاناً في الجبـال، ولايرى مجدداً، لمسافة ميلين أو ثلاثة أميـال، ثم يخرج من الأرض ثانية، ويدخلها مجدداً، حتى يصل إلى مصر، حيث يجري بشكل مستقيم، وهو يحتوي على أسماك ممتـازة وسمينة، ومياهه مفيدة وصحية تمامـاً، وعندما تنضح هذه الميـاه أولاً، تجدهـا فـاترة، ولكن عندمـا تـوضع في جـرة في الشمس تغدو باردة، وتسـاعد كثيراً على الهضم، ولم تكتشف ينابيع هذا النهـر قط، وذلـك باستثناء مـاذكـرتـه الكتـابات المقـدسـة حـول هذا الموضوع، مع أن محاولات قد جـرت مراراً لاكتشافهم، وفي أيامي أبقى السلطان سباحين كـانوا قادرين على الحفـاظ على أنفسهم في الماء بشكل طبيعي مثل الأسماك، ووعـد السلطان هؤلاء الرجال بجـوائز كبيرة، إذا مـا اكتشفوا نبـع النهر، وجلبـوا له غصناً أخضر من شجـر الصبر Al-ols كعلامـة، ومضى هؤلاء السبـاحون في وقت واحـد، ولم يعودوا لمدة ثلاثة أعــوام أو أربع سنوات، ومـات بعضهم على الطـريق، وقـال الذين عادوا أن الذي تبين أخيراً أن النهر ينحـدر من الجبال بقوة هائلة لم يكن بمقدروهم فعل شيء تجاهها وضدها مطلقاً.

ويوجد في هذا النهـر وحش شرير يدعى التمساح، وهو قـوي جداً،

وحـاد وسريع، ويسبب كثيراً من الأذى للذين يسكنون على مقـربة منه، وكـذلك لحيـواناتهم، ونظراً للخوف منه، إنـه لأمر خطير الابحـار على ظهر نهر النيل، وهذا الوحش كبير جداً، ولقد رأيت جلد تمساح، يمكن لثور أن يمر من خلاله بسهولة، ولقـد أخبرني واحد من فرسان الداوية أنه حدث في إحـدى المرات أن أمسك الداوية تمساحـاً صغيراً، واقتلعوا أسنانه، وأنهم ربطوا إلى ذيله صخـرة لايستطيع عشرة رجـال تحريكهـا، وقد قـام بجرها لوحده إلى مبنى كـان قيد الاعمار، ومع هذا تراه يُقتل من قبل حيـــوان صغير، يكرهه بشكل طبيعـي، ويتبعـــه حيثما ذهب، ويقـوم التمسـاح بابتـلاعـه مع الأطعمـة الأخـرى، وعندها يقـوم هذا الحيـوان بخـرق قلب التمسـاح ويقتله، وهنـاك أيضـاً حيـوانات شريرة أخرى كثيرة في النيل.

٣٤ — حول بلاد مصر وأرضها

وأرض مصر غنيــة، ولطيفــة، ومبهجــة، ومليئة أكثـر من البلدان الأخرى في العالم بالأشجار، والفـواكه، والأعشاب، والمروج والمراعي، وطولها يساوي سفـر خمسة عشر يوماً، وسفـر ثلاثة أيام بالعرض، وهي — كما أخبرت — مثل جـزيـرة، محاطة بالصحـراء من ثلاثـة جـوانب، ويحدها البحـر الاغـريقي من الجانـب الرابع، وعـرض الصحـراء سفـر سبعة أيام في أضيق الأماكن، ومصر بلاد حـارة جداً، إلى حد أن الشتاء هناك نادراً مـا يمكن تمييـزه عـن الصيف، والورود والأزهار الأخـرى، لاتتوقف عن التفتح، أو نادراً مـا تفعل ذلك، مع أنها لاتمطر هناك أبداً، ولدى سكانها عمودين من البرونز عليهما علامات، وقد وضعوا العمود الأول(المقس) بينهما، وأقامـوه في وسط النيل، على مقربة من الفسطاط، ونصبوا الآخـر في النيل على مقربة من الاسكندرية، وعندمـا ترتفع مياه النهر إلى مستـوى تلمس فيه العلامات على العمـودين، سوف لن يكون هناك خوف لمدة عامين مقبلين، ويقـوم المصريون هناك بسوق مياه النيل

في ترع وأقنية وممرات، ويدفعون المياه للجري حول أرضهم، وحقولهم، وغاباتهم، وبساتينهم، وحدائقهم، التي تزدهر وتحصل على الري في كل جوانبها، وعندما تتم سقـاية الأرض على هذه الصورة خلال الليل، فإن القمح والأعشاب سوف تنمو أكثر من عرض كف عند الصباح، ويبقى المصريون في ذلك الوقت يراقبـون المياه طوال الليل، ولايغـادرون حتى تتم سقاية الأرض.

ويبـدأ هذا النهـر كل سنة بالازدياد على هذه الصـورة في شهـر آب، ويزداد كل يوم حتى يـوم عيـد القـديس ميخـائيـل، وبذلك يجعل من الأرض الأكثـر قحطاً، أرضـاً مليئة بالبهجـة والخصب، وفي أثناء ازدياد ميـاه النيل يمسك الناس جميع أنواع الأشجار، والأعشـاب، ويلتقطون الطيـور الصغيرة في النهـر، بوسـاطة شباك، وأكثـر مـا يجمعـونه بشكل خـاص خشب الصبر، وطيوراً صغيرة اسمهـا البط Ponoquets ، لكن من أين تأتي هذه الأخشـاب، مـا من إنسـان عـرف بشكل مطلق، ويبـدو أن هذه أشجار قـديمة قـد يبست بسبب السن، وهي تسقط في الماء من الجبال، ويجمعون في ذلك الوقت من النيل خشب السنط أيضاً، الذي يمكن تقطيعـه بسهـولة مثـل الأخشـاب الأخـرى، لكن لايمكن حـرقـه، ويجري إمسـاك طيـور البـط الخضراء الصغيرة، مع الأغصـان والأشجـار التي تعيش عليهـا، وذلك حسبما قيل، ويقـول بعضهم أنهم يلدون في جبـال جلبـوع، وهذا أمـر غير صحيح، ويقـولون أيضـاً أنهم لايتحملون الماء، وهذا أيضـاً غير صحيح، لأنهم ينشأون فـوق الجزر وفوق الميـاه، ولقد رأيتهم يسبحـون فوق البحـر، غير أنهم لايستطيعون تحمل البرد، ولاالطيران أو السبـاحـة لمدة طويلة، ويمتلك نهر النيل هذا جزراً غنيـة فيه، مليئة بأنواع المزروعـات والأشياء الجيـدة الأخرى، وفي مصر أيضـاً أعداد لاتحصى من الطيـور، كما سمعتم من قبل، وهي التي تفقس في الأفـران أوتحت أشعـة الشمسْ، ومثل هذا يـوجـد في مصر

أعداد لاتحصى من الحجل، وذلك أكثـر من جميع الطيور في هذه البلاد، لأنه يجلب في بعض الأحيـان فـلاح أكثـر من عشرة آلاف طائـر حجل معـه إلى السوق، كلهم يطيرون، وعندمـا يجلس الفلاح يتـوقفون جميعـاً معه، وعندما يقوم ويصفق بيديه يطيرون جميعـاً معه ثانية، وإذا ما أضاع طائراً منهم في بعض الطرقات يصفر في مـزماره، فيعود إليه على الفور، وعندمـا يأتي إلى سوق الدجـاج في المدينة، يبيع منهم بقدر مـا يستطيع، ويعيـد الذيـن لم يستطع بيعهم معـه إلى مقـر سكنـاه، وهناك أعـداد لا تحصى هائلة من الحمام التي يمكن أيضـاً رؤيتها في مصر، ولاأعتقـد أنه يوجـد في أي مكان في العـالم مثل مـا هـو مـوجـود من الحمام بمصر وبقـدره، ومن المحظور كليـاً إمسـاك الطيـور لأن السلطان مع الأمـراء الآخرين يرسلون رسـائلهم بوساطة الحمام الزاجل، فبذلك يتعـرفون في وقت قصير على الأخبار والأسرار للبلدان البعيدة.

ويوجـد في مصر أعداد لاتحصى من الغـزلان، ومن الماعـز، حتى إنه من الممكن رؤيتهم على الطرقات وفي الحدائق مثل الأغنام الأهلية، ومن الممكن إمساكهم وبيعهم من قبل من يمر بهم.

وفي مصر أيضـــــاً، حتـى هذه الأيـام، كثير مـن البيـع، والديـرة، والكنائس، وصوامع النساك، وهي قـائمة على حالها، غير أنها مهجورة، ومرسـومة بشكل رائع، لكن رسومها قـد شوهت بطرق كثيرة من قبل المسلمين، ومثل هذا مـايزال يقوم في الصحـراء المصرية حتى هذه الأيام كثير من القلايات وصوامع النساك التي تعود إلى الآباء المقدسين، حيث تتوفر في بعض المناطق بكثرة إلى حد أنه انتشر في مساحة ميلين أو ثلاثة أميال(ألمانية) قلايات وصوامع نساك بين الواحدة والأخرى رمية سهم، وفي هذه الأيـام كثير منهـــا مسكون مـن قبل هنود، ونـوبيين وسريان، يعيشـون في ظل قـانون القـديس أنطوني مع القـديس مكاريوس، وقـد صنع الرب في هذه الصحارى عدداً كبيراً من المعجزات على أيدي الآباء

المقدسين، ولاسيما في مكان كان اسمه أخميم، وبشكل خاص على أيدي القديس أنطوني مع القديس مكاريوس، وذلك حسبما جاء الخبر في«حياة الآباء»، ويوجد في هذه الصحراء مكان تحت صخرة طويلة جداً وضيقة، ففي هذا المكان اعتاد القديس أنطوني على السكنى، وينبع من تلك الصخرة هناك وتتدفق مياه جدول صغير لمسافة نصف رمية حجر، حيث تضيع المياه في الرمال، وحالها مثل مياه جارية في الثلج، ولاتشاهد بعد ذلك، ويزار هذا المكان من قبل كثيرين من أجل العبادة والمتعة، ثم إنه بفضل نعمة الرب وتشريفاً للقديس أنطوني يتم شفاء كثير من المرضى حيث يتخلصون من أمراضهم بمياه هذا النبع، ومن المعتقد أن هذه المياه تدفقت من الصخرة استجابة لصلواته، وهذا أمر حقاً صحيح، لأنه من الواضح أنها لاتتدفق أكثر مما فيه كفاية لإعطاء الماء لقلايته الصغيرة، وحديقته المتواضعة، وسوف يحتاج الأمر إلى وقت طويل للحديث عن بقية أمجاد مصر، وخصبها وجمالها، ويمكنني أن أضيف أن جميع الأغنام والماعز، وما شابه ذلك من الحيوانات يحملن في العام الواحد مرتين، ويلدن في غالب الأحيان توائم لدى كل ولادة.

ويوجد في مصر ثلاث مدن عظيمة جداً،قائمة على جانب النيل، الذي هو نهر الجنة، وهذه المدن هي: الفسطاط، والاسكندرية، ودمياط، ودمياط هذه هي المدينة التي كانت تعرف فيما مضى باسم راغس(وهم وتداخل) وفيما بعد باسم إديسا، والآن دمياط، وإلى هذه المدينة بعث توبيت أوف يور Tobit of Yore ابنه إلى جباعيل[الصحيح بعثه إلى الري قرب طهران]، ورقد في هذه المدينة فيما مضى القديس توما، ومن خلاله صنع الرب كثيراً من المعجزات في المكان نفسه، وكان في هذه المدينة الرسالة التي بعث بها يسوع إلى أبجر، ملك هذه المدينة، ولهذا السبب ما من مهرطق أو كافر استطاع أن يبقى طويلاً فيها، لكن فيما بعد، وبسبب ذنوب الناس، تدنست المدينة، وهكذا آلت في هذه

الأيام إلى لاشيء.

ونقلت المدينة في هذه الأيام بعيداً إلى داخل اليابسة وابتعدت عن النيل، ذلك أنه غالباً ما جرى انتزاعها من أيدي المسلمين، من قبل القديس لويس، ملك فرنسا، ومن قبل صليبيين آخرين، لكن القديس لويس أخذ أسيراً هناك، ولهذا السبب أعيدت المدينة إلى المسلمين، والآن عندما سمع المسلمون أن ما أحد يمكنه العيش في المدينة إلاّ المسيحيين، قاموا بنقل المدينة إلى مكان آخر، صدوراً عن كراهيتهم لهم، والمدينة في هذه الأيام مسكونة بشكل رئيسي من قبل صيادين، ويقدم عدد كبير من التجار إليها مع بضائعهم، ومع سفنهم، ويشترون كميات كبيرة من السمك، بأسعار زهيدة جداً، ويتولون شحن الأسماك إلى جميع أجزاء الدنيا، وهناك عجائب كثيرة أخرى حول هذه المدينة يمكن أن نقرأ عنها.

٣٥— *حول الصحراء وجبل سيناء*

وفي عودة إلى موضوعي: إنه إذا ما سافر الانسان من القاهرة والفسطاط، يصل إلى سيناء في اثني عشر يوما، ففي ستة أيام منها يعبر الانسان على طول الطريق الذي حدثتكم للتو عنه، والذي هو ملء بالناس، وحيث أن هناك أشياء كثيرة للمشاهدة، ثم يعبر الانسان خلال ستة أيام فوق الصحراء، وعليه أن يحمل معه جميع الأشياء التي إليها حاجة على الجمال وعلى حيوانات التحميل، والمراد بذلك: الخبز، والخمر، والماء، واللحم، والبقسماط، والعنب، والزبيب، والتين، وماشابه ذلك، وفوق ذلك كله فراش للنوم عليه أثناء الليل.

وعليك أن تعرف أن الجمال، التي تعبر هذا الطريق في كل يوم، تعرف تماماً طول سفر اليوم، والمحطات والأماكن المناسبة للراحة، وعندما يصلون إلى هذه الأماكن في المساء يتمددون على الارض

لاجترار الطعـام ومضغـه، ولا يسيرون مسـافـة أكثـر، وبـذلك كأنهم يقـولون: هـذا يوم حقيقي، وهذا مكان للتـوقـف، وبعـد هذا يجري اطعامهم الخبز والأشـواك، ومن السهل إطعام الجمل، ونادراً ما يشرب مرة واحدة كل ثلاثة أيام، لأنه إذا مـا كان الماء متناسباً مع حجمهم، ما من انسان يستطيع أن يعبر الصحراء معهم.

وبعد عبـورك للصحراء تأتي إلى البحـر الأحمر، وعليك أن تعرف أن الصحـراء ليست سوى ملح وأرض رمليـة، احترقت وجفت إلى أقصى غـاية ممكنة بوسـاطـة حـرارة الشمس، ومن النادر أن تجد شيئاً أخضر فيهـا، وعلى كل حـال ليست الصحـراء كلهـا جـرداء في جميع الأمـاكن سـواء، وإنه لأمـر مدهش وعجيـب أنك تجد صخورها وجبـالها مـالحة جداً، ومع ذلك هناك ينابيع متفجرة فيها مياهها عذبة جداً، وهي ممتازة جداً للشرب، ويوجد الى جانب هذه الينابيع حشائش وأعشاب، وأشياء خضراء مماثلة، ويجد الانسـان على مقـربة منهم آثار أسـود، وتنينات، وحيـوانات مفترسـة خطيرة أخـرى، وهناك بشكل خـاص أرانب برية، وعندمـا يعبر الانسان هذه الصحـراء في ستة أيام، ويشـاهد ما فيهـا من عجـائب، يصل إلى البحـر الأحمر، كما تقـدم بنا القـول، وذلك إذا كـان قادماً من الفسطاط.

وفي البحـر الأحمر أسماك رائعة بكميـات كبيرة، وميـاهه ليست حمراء بل الأرض، مع قعـره هناك لها لون أحمر، وتبـدو الميـاه للناظر إليهـا حمراء، أي للمحدق نحو الأسفل، وذلك بسبب احمرار القعر، لكنها عن بعـد لها اللون نفسـه مثل المياه الأخـرى، وميـاهه نقيـة جداً وصـافيـة، ولذلك من الممكن رؤية بنس مرمي على قعـره من مسافة عشرين غلوة، هذا وإنه بسبب احمرار قعـره وصفاء مـائه، يبدو مثل أصفـى نبيذ أحمر، ويجد الانسان فيه كثيراً من المرجان، وأيضـاً كثيراً من الأحجار الكريمة والأشياء الأخرى، مرمية على شواطئه.

والبحر الأحمر قائم في العربية، وجميع أراضي العربية حمراء، ولهذا السبب فإن الاشياء الحمراء مهما كان نوعها تنشأ هناك فيها وكذلك تلد، وكل شيء هناك أحمر باستثناء الرجال فقط، ولهذا السبب فإن الذهب الخالص يعثر عليه هناك مثل جذور اسطوانية، فضلاً عن هذا يوجد في البحر الأحمر كثيراً من الجزر، فيها تنمو أشجار حمراء من مختلف الأنواع، وبشكل خاص، بين ما يعرف لدينا باسم الشجر البرازيلي Brazil.

والبحر الأحمر ليس بحراً كبيراً جداً، كما أنه ليس طويلاً ولاعريضاً، ولايتجاوز عرضه في المكان الذي عبر منه بنو اسرائيل أربعة أميال أو خمسة، وفي البحر الأحمر هناك قلعة يمتلكها السلطان، فيها مسجون نبلاء أسرى الصليبيين، وفضلاً عن هذا تتولى هذه القلعة الحراسة وتبقى متيقظة، خشية أن يحاول انسان لاتيني، أو رجل من هذه الجهة من البحر، أو واحد ولد في هذه البلدان، العبور بوساطة البحر الأحمر إلى الهند، وذلك خوفاً من أن يجلبوا إلى الوطن أية أخبار عن قوة وأوضاع الشعب في مناطق ماوراء البحر، أو أخباراً عن برسترجون والهنود، أو حمل رسائل منهم، ذلك أنه سوف يكون سهلاً الابحار إلى المحيط والهند من خلال البحر الأحمر، لو أن هذه القلعة لاتقف في الطريق، لكن يمكن للتجار الهنود والتجار المشارقة عبور ذلك الطريق، كلما أرادوا، كما يفعلون غالباً، وعلى كل حال إنني أعرف أساقفة ونبلاء اعتادوا على الدوام على ارسال تقارير عن هذه المنطقة من الشرق، مع جميع أنواع الأخبار، عبر البحر الأحمر إلى برسترجون، ولقد اعتاد رجال هذه القلعة على صنع شباك من أوتار الجلود ورميها في البحر، ثم يدعون المرجان الذي ينمو في البحر، مثل النبات، يتعشعش بين الأوتار، ويسحبونها كل نصف سنة وهي مليئة بها لايحصى عدده من أفضل أنواع المرجان، وبذلك يحصلون على مرابح عظيمة، مقابل لاشيء

مطلقاً، فمن خلال هذا البحر الأحمر، تأتي تجارات ثمينة جداً، من الهند، وتنقل هذه التجارات من خلال فرع البحر، الذي ينطلق من البحر الأحمر، وينزل من خلال النيل إلى جميع أنحاء العالم.

وكما قلت من قبل، بالتجول حول شاطىءالبحر الأحمر، يصل الانسان إلى المكان الذي عبر منه بنو اسرائيل البحر، وكان ذلك لدى مطاردة المصريين لهم، وفي أثناء هذه الرحلة يجد الانسان أشياء نادرة من مختلف الأنواع على الشاطىء، وهكذا بعد ترك عدد من الجبال في الخلف، يصل الانسان الى بئرماره [الخروج: ١٥/ ٢٣] حيث كان الماء مالحاً، وكان ذلك عندما عبر بنو اسرائيل بذلك الطريق، وعندما ألقوا في ذلك الماء غصن شجرة، غدا بأمر من الله عذباً، وبعد مغادرة ماره، والمرور بمناطق مختلفة، وبعد رؤية كثير من الجبال وتوديعها، يصل الانسان إلى إيليم [الخروج: ١٥/ ٢٧]، فهناك عندما عبر بنو اسرائيل ذلك الطريق وجدوا هناك سبعين نخلة، واثني عشر بئراً، وهذا المكان خصب جداً، وفائق الجمال، ويجد الانسان هناك كثيراً من قلايات الآباء المقدسين وصوامع النساك التي كانت فيما مضى قائمة على مقربة من ذلك الموضع، وبعد مغادرة إيليم يصل الانسان إلى قفارسين، وإلى جبل سيناء، وقد بني عند سفح هذا الجبل دير واسع جداً وجميل، وكان ذلك في المكان الذي رأى موسى فيه الشجرة المحترقة (العليقة)، التي لم تستهلكها النار، وقد تكلم الرب إليه من خلال العليقة، والدير مسقوف بالرصاص، ومسيج بأبواب حديدية، ومحصن بشكل جيد من كل جانب، وفيه أكثر من أربعمائة راهب: إغريقي، وجورجي، وعربي، من كل من رجال الكهنوت والعلمانيين، وهم لايقيمون بشكل دائم في الدير، بل تراهم منتشرين في الخارج هنا وهناك، يعملون في مصالح الدير،وبالتعب الكبير، يحصلون على ما هو محتاج لأنفسهم وللحجاج، حيث يقومون بشكل مستقيم وتقوى بتوزيع الشيء نفسه على الحجاج،

وهم يعيشـون بتقـوى عظيمـة، وبانتظـام شـديد، مع حيـاة متقشفـة، ويقـدمـون الطاعـة بتـواضع إلى أسقفهم وكهنتهم، ويعيشـون بقـداسـة وتواضع في كل شيء، وهم نادراً مـا يشربون الخمـرة، إلاّ في أيام أعيـاد خـاصـة، ولايأكلون اللحـوم أبـداً، بل يعيشـون على «السلطة»، والخضروات، والحبـوب، والتمـور، ومـاشـابه ذلك، مع الماء، والخل، والملح، ويأكلون من مـائدة واحدة، من دون منضـدة وأثاث، ويحتفلون بالقداسـات الإلهية بكل تقوى، صبـاحاً ومساءً، وذلك تبعـاً لطقوسهم، وهم يتبعـون في كل شيء قـانون القـديس أنطوني، ويعمل الرهبـان العلمانيـون بنشـاط عظيم، حيث يحرقـون الحطب لتحضير الفحم على رؤوس الجبال، ويجلبون التمور بكميات كبيرة من إيليم، ويحملونها على ظهـور الجمال وحيـوانات التحميل إلى الفسطاط، حيث يتـولون بيعهـا، ويحصلون من هناك على مسـاعـدات كبيرة وهدايا حضرت من أجلهم، من قبل المسيحيين والتجـار الذين يسكنون هناك، وبدون هذا لايستطيع كثير من الناس العيش في مكان صحـراوي، ولايستطيعون الانفـاق على الضيـافـة المكلفـة التي يقـدمـونها بدون مقـابل وبكرم عظيم وبلطف ويعطونها إلى الحجاج، وهم يجلبون التمور من إيليم والفحم من الجبال، أي من مسـافـة تزيد على سفر أكثـر من اثني عشر يومـاً، ويتـولون بيع ذلك كما أخبرتكم.

ويقـوم في هذا الدير كنيسـة فـائقـة الجمال، يحافظون عليهـا ويبقـونها نظيفـة من الداخل، وهي تضـاء بمصـابيـح وبوسـائل إضـاءة متنوعـة، ويقدمون تبجيلاً خاصـاً للمكان حيث يقوم المذبح العالي، وهم يخلعون أحذيتهم قبـل دخولهم إلى هذا المكان، ويجعلون كل واحـد من الحجاج الذين يرغبـون بالدخـول إليهـا يخلع حـذاءه مثلما يفعلون، لأن المكان الذي يقـوم فيه المذبح العالي الآن، قـامت عليه فيما مضى العليقـة، التي كلم الرب من خلالها موسى وقـال له: «اخلع حذاءك من رجليك. لأن

الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة» [الخروج: ٣/ ٥].

وفي هذه الكنيسة، وعلى جهة اليمين للمذبح العالي، إنما في أعلى مكان، يقوم نوع من أنواع الصناديق من الرخام الأبيض، موضوع فيه، ومغلق على رأس وعظام العذراء المجيدة كاترين التي هي مختلطة فيما بينها بشكل فوضوي، وكانت هذه العظام قد نقلت من قمة جبل سيناء، ويجري عرض هذا الرأس والعظام بشكل مهيب جداً من قبل رئيس أساقفة الدير وكهنته، مع مباخر، وشموع، ومساعدي كهنة، وفي هذه الأوقات يطلب الأدلاء المسلمون، وسائقو الجمال، وساسة الخيول الذين يأتون مع الحجاج، ويلتمسون باخلاص أن يسمح لهم أيضاً برؤية هذه العظام المقدسة العجيبة، ويركعون بتقوى عظيمة جداً إلى جانب المسيحيين، ولدى عرض هذه العظام على الحجاج، إذا كان هناك أسقف أو كاهن كبير بين الحجاج، عندما يقوم رئيس الأساقفة أو رئيس الكهنة في الدير، بتناول واحداً من العظام المقدسة بيده، يحكها بشدة بوساطة أداة فضية شكلها مثل شكل عصا، حيث يتدفق بسبب ذلك زيت من المسام مثل العطر، وقد اتخذ في إحدى زوايا الصندوق التي حفظت فيه العظام فجوة فيها يتجمع جميع الزيت الذي يسيل من هذه العظام ويتدفق، ليجمع هناك، وهناك في هذه الفجوة ملعقة فضية، يأخذها بيده الكاهن الذي يتولى عرض العظام، ويملأ قارورة زجاجية صغيرة بالزيت، ويعطي كل واحد من الحجاج قارورة صغيرة فيها زيت.

فضلاً عن هذا، في هذا الدير، هناك آثار مقدسة أخرى كثيرة، ومع ذلك فإن رهبان الدير لايمكنهم الإقامة هناك، إلاّ بنعمة خاصة من الرب، وغيابهم هو لأسباب كثيرة غيرناشئة عن إثارة الشيطان، ولهذا السبب لاتوجد غيرة أو فوضى بينهم، بل تجدهم يؤثرون كل من يراهم، وعلاقاتهم جيدة معهم، وكذلك علاقاتهم مع المسلمين، فهي لاتختلف عن علاقاتهم مع المسيحيين، وبشكل خاص مع السلطان،

الذي يمنحهم كثيراً من الصدقات والمساعدات، وعلى هذا لم يتعرضوا أثناء عملهم أو تجوالهم في الصحراء للأذى من قبل أية مخاطر، أو حيوانات مفترسة، كما أنهم لاينزعجون ولايمرضون لا في الصيف ولا في الشتاء، من قبل المناخ غير المتوقع، أو بحرارة الشمس المرتفعة جداً، وأعتقد أنهم حصلوا أيضاً على نعمة خاصة من الرب، بوساطتها لم تدخل المخلوقات القذرة قط داخل جدران الدير، وأعني بهذه الحيوانات أمثال: الذباب، والزنابير، والدبابير، والقمل، وماشابه ذلك، فهذه لايمكنها العيش هناك.

وأخبرني راهب من ذلك الدير، كان ذا تعليم نادر، أنه حدث في يوم من الأيام، بإثارة من الشيطان، وباذن سماوي، أن هذه المخلوقات آذتهم كثيراً، وبقدر ما تستطيع، وعانوا كثيراً جداً من العذاب المضني والأذى الصادر عن هذه المخلوت غير النظيفة من هذه الانواع، إلى حد أنهم فكروا بترك المكان، إنما تشجعوا برأي مقدس لواحد من الرهبان، وصلوا إلى الرب أن يقوم برحمته بطرد وإزالة جميع أمثال هذه المخلوقات وابعادها عنهم، وتمت الاستجابة مباشرة لهذه الصلوات، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، لم يلاحظوا وجود مثل هذه المخلوقات أو أي منها مهما كان داخل أسوار الدير، هذا وفي الوقت نفسه تراهم خارج الأسوار يسببون أذى عظيماً لكل من البشر والحيوانات، فضلاً عن هذا لقد تبرهن مراراً، أن مثل هذه المخلوقات غير النظيفة عندما تحمل حية إلى داخل الأسوار تموت فوراً.

وحصل الرهبان على هذه الامتيازات جميعاً بوساطة حياتهم المقدسة والمستقيمة، لأنهم لايخدمون الحجاج من أجل المال أوطمعاً في شيء، بل إنهم يقدمون الخدمات لكل من يأتي إلى هناك، طوال المدة التي يقيمها مهما كانت، وسواء أكان الزوار أغنياء أم فقراء، عالين أو منخفضين، يعطيهم الرهبان جميعاً كل ما يتملكونه أنفسهم، بكل بساطة ولطف،

وذلك باسم الرب، وإذا مـا حاول أحـد الناس منحهم أو إعطاءهـم، أو أي واحد منهم، أية هدية، يرفضون جميعاً، ويردونها، وإذا ما أخذها أي واحد منهم، سـوف يتعرض إلى عقـوبة شديدة، ومثل هذا أيضـاً عندما يأخذ الحجـاج بمغادرتهم، يقـدمون لكل واحـد منهم، بكل لطف ومن دون أي مقابل، أرغفة من الخبز، وبعض الحبوب، وما شابه ذلك، وفقاً لأفضل ما يقدرون، ويكون ذلك بقدر مايكفي أحدهم كل يوم من أيام سفـره، وذلك حتى يصل إلى الأمـاكن المأهولة بالناس، ويقـدمـون هذا لكل الناس سواء إلى الغني وإلى الفقير، وإلى العالي والوضيع.

ويحتفل هؤلاء الرهبان بعيـد البابا القديس غـريغوري، ويولونه عناية فـائقة خـاصـة، ويهتمـون به أكثر من الأعيـاد الأخـرى، لأنه في الوقت الذي كـان فيـه رأسـاً للكنيسـة دعمهم بـالهبـات من خـزانة الكنيسـة، وشجعهم على السكنى هنـاك، ومنذ ذلك الوقـت فصـاعـــداً، بقيـــوا وعددهم أربعمائة، علماً أنهم كانوا قبل ذلك قليلاً عددهم.

ويطل فـــوق هذا الديـر، ويشرف عليـــه جبل سيناء، الذي يصعــد الانسـان إلى قمته بوسـاطة عدد كبير من الدرجـات، وبعد تعب شـديد لايمكن للكلمات أن تعبر عنه، وتقوم فوق قمـة هذا الجبل كنيسة، فوق البقعة، التي قال فيهـا الرب لإيليا النبي:« لماذا أنت هنا يا إيليا»؟ وذلك حسبما قـرأنا في سفر الملـوك، وعلى مقربة من هذه الكنيسـة، هناك بيعـة صغيرة، في المكان الذي أعطى الرب فيه الشريعـة إلى موسى، وتجلى مجد الرب عليـه، ومـايزال يشاهد في هذا المكـان فجوة في الصخـرة الصماء، فيها محفور صورة مـوسى كختم، ففي هذه الفجوة مدّ الرب يده اليمنى فـوق موسى عندمـا مـرّ من أمام جـلالتـه، وجعل موسى يرى أطرافـه المعاقة، لأن موسى لم يكن بإمكانه تحمل رؤية وجهه السامي.

وحـدث أنه إلى قمـة جبل آخـر أعلى من هذا الجبل، إلى جـانب وادٍ عميق، في المكان نفسـه، تمّ حمل جسد العـذراء الرائعة كـاترين من قبل

الملائكة من الاسكندرية، وبشكل إعجازي جرى اكتشافه من قبل النساك الذين سكنوا هناك، وهذا الجبل من أكثر الجبال اتعاباً في تسلقه، هذا ولايوجد على قمته بيعة، أو صومعة، أو مكان استقرار، وأعتقد أن سبب هذا أن تسلقه مرهق إلى حد أنه ما من أيدي بشرية يمكنها أن تبني أي شيء هناك، لكن من الممكن رؤية المكان الذي عثر فيه على جسد القديسة كاترين، حيث هناك علامات كتفي إنسان فوق الصخرة، وهذا المكان معلم بوساطة حجارة، وصنع الرب فوق هذا الجبل كثيراً من المعجزات، يحتاج الحديث عنها جميعاً إلى وقت طويل.

وعليك أن تعلم أن جبل سيناء متفوق في ارتفاعه على جميع الجبال في تلك المناطق، وكما قلت يتسلقه الانسان بعد جهد كبير جداً، أكثر من أن يستطيع أي لسان أن يصفه، ذلك أن على المتسلق له صعود عدد كبير من الدرجات الضيقة جداً والمحفورة في الصخر، وهذا الجبل يفقد اسم سيناء باتجاه مصر، ويصبح اسمه حوريب، ومن قمة هذا الجبل، من الممكن رؤية جميع المناطق من حوله، ويمكن بسهولة مشاهدتها، وفي هذا الارتفاع الشديد يتأثر الانسان كثيراً بالهواء، ومن هناك يمكن للانسان أن يتفحص بدقة البحر الأحمر، وإيليم، وهو المكان الذي أمطرت السماء فيه منّاً على بني إسرائيل، كما يمكنه مشاهدة جميع المناطق الأخرى في الجوار، ويوجد عند سفح الجبل سهل جميل، فوقه اعتاد موسى على رعاية قطيع ختنه يثرو Jethro (شعيب) وهناك رأى العليقة، وحدث فوق هذا السهل أن قاتل أيضاً إسرائيل ضد عماليق(الخروج:١٧) في حين كان موسى يدعو بذراعين مرفوعين، ويشوع(هرون) وحور، قد وقفا ممسكين ليديه حتى تبقيا مرتفعتين، ومثل هذا حدث فوق هذا السهل أن صنع بنو إسرائيل لأنفسهم عجلاً مصهوراً، عنه حدثنا الكتاب المقدس،وفوق هذا السهل أيضاً أكلت النار ناداب، وأبيهو(لاويون:١٠/ ١)، وكذلك من الممكن رؤية أماكن

أخرى كثيرة، ورد ذكرها في الكتابات المقدسة.

٣٦ — *حول فيافي سيناء*

ويسافر الانسان من جبل سيناء نحو سورية، عبر الفيافي، خلال ثلاثة عشر يوماً، حيث يأخذ معه بعض الميرة الخاصة به، وذلك مع ما يعطى له من الدير، وهذه الفيافي سيئة جداً وخطيرة، وهي قائمة في العربية، وتدعى هذه البلاد سواء أكانت مسكونة أو مهجورة باسم العربية، وفي هذه الفيافي هناك ندرة عظيمة وشح بالمياه، ويقطن هناك أعداد لاتحصى من الناس هم مثل الحيوانات المتوحشة، وهم يعرفون باسم البدو، ويتجولون هناك على شكل جماعات مكونة من مئات أو آلاف مع بعضهم، وهم يسكنون في خيام مصنوعة من اللباد أو الجلود، وهم يتجولون هنا وهناك إلى الأمام وإلى الخلف حول القفار مع قطعانهم وحيوانات التحميل، حيث ترعى مواشيهم في أية أماكن يمكنهم أن يجدوا فيها ماء، مع أنها مياه قليلة في آبار وفي مجاري، وهم يعيشون على حليب نوقهم ومواشيهم، وهم لايأكلون الخبز، ما لم يصدف ويعطيهم بعض الحجاج بعضاً منه، أو ما لم يجلب إليهم من سفر أكثر من اثني عشر يوماً، ذلك أنهم لايبذرون ولايحصدون، بل يعيشون مثل الحيوانات غير الأليفة، وجوههم مرعبة أن تنظر إليها، حيث هي سوداء وملتحية، وهم شجعان جداً وسريعون، ويمكنهم أن يذهبوا على ظهور جمالهم(وحيدة السنام) إلى أي مكان بعيد يرغبون بالوصول إليه في يوم واحد، حيث ينشدون الأماكن التي من الممكن توفر المياه فيها، وهم يلفون قطعة طويلة جداً من القماش حول رؤوسهم، وذلك بسبب حرارة الشمس التي لاتحتمل، وهم يستخدمون القسي والنشاب، وفي هذه القفار من النادر وجود المياه خلال رحلة يومين أو ثلاثة كاملة، وقد يعثر عليها في مكان في اليوم الأول غير أنها ستجف في اليوم الثاني، فضلاً عن هذا، في هذه القفار، تجد لساعة من

الزمـان أماكـن كلها منبسطة، وفي سـاعـة ثانية، تجد أكـوامـاً من الرمل مـرعبـة قـد تجمعت، أولاً في مكان، ثم في مكان آخـر، ولاتستمـر بالاستقرار في مكـان واحد، وبناء عليه فإن الطريـق عبر القفار لايمكن مطلقـاً معرفتـه، إلاّ بوسـاطة الجبـال، ومن قبل البداة، الـذين يعرفـون ويفهمون الطرقات في القفار مثلما يعرف الناس الطريق حول بيوتهم.

ولايهتم هؤلاء مطلقاً بالسلطان، ولايقـدمون إليه أية طاعـة مهما كان نوعها، لكن السلطان يحاول إغراءهم واسكاتهم بالهدايا حتى وإن كانوا يسكنون بعيداً عنه، ذلك أنهم لو اختاروا لأمكنهم بسهـولة عظيمة جداً أن يستولوا على مملكة السلطان ويخربونها.

وعبرت العذراء مريم هذه الفيـافي مع الطفل يسوع عندما هربت من اليهودية من وجـه هيرود، وينمو على طول الطريق المعتقـد أنها مرت به ورود جافة، يطلق عليهـا في هذه المناطق اسم ورود أريحا، ويجمع البدو هذه الورود من القفـار، ويبيعونها إلى الحجـاج مقابل الخبز، فضـلاً عن هذا، النسـاء المسلمات يكن مسرورات كثيراً، بـأن تكون هذه الورود إلى جـانبهن، وذلك عندما يكن في أوقـات الولادة، فوقتهـا يشربن من الماء الذي جـرى صبه فـوق الورود، وقـد أعلن أن ذلك مفيد جـداً، وثمين أثناء الحمل.

وفي هذه القفار هناك مخاوف أخـرى كثيرة، سوف تحتـاج وقتاً طويلاً لحكايتهـا، وهي صـادرة عن الـرياح، والرمـال، والرجـال المتـوحشين، والأفـاعي، والأسود، والتنينات، والهوام السـامـة الأخرى والحيـوانات المفترسة.

وبعـدمـا يعبر الانسان هذه القفـار، الممتـدة نحـو الجنوب، يصل إلى بداية أرض الميعـاد وذلك إلى مـدينة كـانت فيها مضى جميلة لكنهـا الآن مهجورة، اسمها بير السبع، ويبدو أن هذه المدينة كانت فيها مضى مزينة

بكثير من الكنائس الجميلة، حيث ماتزال بقايا بعضها قائمة حتى هذا اليوم.

٣٧ — حبرون — وادي ممرا — وبيت لحم

وإذا ما انطلق الانسان من بير السبع في منتصف النهار، يصل إلى مدينة جميلة وقديمة، ماتزال مأهولة بشكل لابأس به، اسمها حبرون، وتقوم على جانب رابية قريبة من هذه المدينة، كنيسة جميلة، يوجد في داخلها الكهف المزدوج، حيث دفن فيه البطاركة الثلاثة:إبراهيم، واسحق ويعقوب، مع زوجاتهم، وهذه الكنيسة تعد مقدسة بشكل خاص لدى المسلمين، وهم لايسمحون لأي مسيحي بالدخول إليها، إنها يجعلونهم يصلون عند الباب، ويسمحون لليهود بالدخول حيث كانوا يدفعون في أيامي المال ليفعلوا ذلك، وعلى كل حال من الممكن رؤية هذه الكنيسة من قبل المسيحيين من كل من الداخل والخارج، وهي من داخلها مدهونة بالأبيض، ومزينة بشكل جيد بالحجارة، وينزل الانسان نحو الأسفل وكأنه في قبو، إلى الكهف، حيث قد جرى دفن البطاركة وزوجاتهم.

وعلى مقربة من حبرون يوجد الحقل، الذي صنع آدم من ترابه، وكلما ازداد حفر هذه الأرض ونقل التربة منها، كلما امتلأ مجدداً من قبل نفسه، وتحمل التربة إلى بلدان نائية، ويقول بعضهم إنها تباع، غير أنني لاأعرف شيئاً مؤكداً حول هذا الموضوع.

وعلى مقربة من حبرون أيضاً، يوجد وادي ممرا، حيث جلس إبراهيم عند باب خيمته ورأى ثلاثة، وعبد واحداً.

وكان في حبرون ثلاثة مرتدين من أسقفية Minden حسبما قيل، وكان اثنان منهم من السادة وكان الثالث خادمهما، ويحمل أولهما الماء على كتفيه ويبيعه في الشارع كما هي العادة في تلك المناطق، ويعمل الثاني

بيـديه ليحصل على عيشه حسب أفضل مـايستطيع، وأما الثـالث، الذي كان خادمهما فصار جندياً، لأنه اعتقد أنه أفضل مظهراً للانسان من كل الجوانب أن يكون تابعاً لواحد مـن ضباط السلطان، وعندما سئلوا لماذا تخلوا عن إيمانهم، أجـابوا بأنهم أملوا بـأن يحصل سيـدهم على الثـروة والمكانة، لكنه خيب ظنهم، وأعلنوا، وهـم يتنهـدون حزناً، بأنهم يودون لو يخطفون من هذه البلاد إذا كان ذلك ممكناً، لأنهم كانوا يعيشون حياة بائسة جداً، ولم يمتلكوا الجرأة على الاخبـار والكشف من هـم كانوا من قبل، وكان هؤلاء الـرجال الثلاثة أصـدقاء مقـربين كثيراً من فارس من هذه المناطق(بلاد المؤلف) اسمـه وليم بولنزسيل Bolensele (كذا) كـان مقيماً في بلاد مـاوراء البحـر قبل أيامي، وكـان محترمـاً بشكل كبير هناك من قبل السلطان، وقد سمعت بأنه مات في كولون Coolgne (١).

وإذا ما سافر الانسان من حبرون، يمكنه أن يصل بسهولة خلال يوم واحد إلى بيت لحم، وقـام فيما مضى على طريق سفر اليـوم الواحد هذا دير الراعي القـديس كريوث Karioth الذي عندمـا حلت ساعـــة وفاته، ورأى رهبـانه أنه في آلام الموت قالـوا:«بعد وفاة راعينا القـديس كـــريوث، لـن نعيش أبداً على هذه الأرض»، وفي تلك اللحظـة بالذات دخلوا جميعاً في تبـاريح آلام ساعة الموت الأخيرة ومـاتوا، وبقيوا لوقت طويل دون أن تفسد أجسادهم وظلوا واقفين وكأنهم في ساعة آلام لفظ أنفاسهم، هذا ولم يستطع المسلمون تدميرهم، ولقـد حاولوا ذلك مراراً، لكن الدير زال، ولم يبق أدنى أثر منهم.

وبيت لحم جميلة جـداً، وهي قرية ممتعـة، وهي ليست طويلة، قائمـة

١ــكان وليم فـون بولدنسيل Boldinsel قـد نزل في صور سنة ١٣٣٢، وكـان في القدس في الخامس من أيار سنة ١٣٣٣، وقـــد كتب كتابه في ربيع سنة ١٣٣٦، وهناك رسالة كتبها في أفينون يوم عيد القديس ميكائيل سنة ١٣٣٧، وقد تحدث في هذه الرسالة عن نيته بالقدوم إلى كولون.

فـوق شعب جبلي، ومسكونة مـن قبل المسيحيين فقط تقـريبـاً، وهي مسيجة:بمـراعي، ومزروعـات وأعشاب، وهي بالحري مسيجـة بشكل جيـد بوديان من حـولها، وهناك اعتـاد ملوك القـدس والصليبيـون على حشـد جيـوشهم مع بعضها، ولـدى سكانها كميات وافـرة من الخمـرة والأشياء الأخرى الجيدة،ويقـوم في بيت لحم كنيسة عظيمة وجميلة جداً، ومحصنة بشكل رائـع بكثير من الأبراج، وأعمال خـارجيـة، حتى كأنها قلعـة، وهي مسقوفـة بالرصاص، ومـزينة بأعمال الفسيفساء، وأحجـار اليشب، والرخـام، والذهب، وكما أعتقـد هي متفوقـة بزينتهـا على كل كنيسـة مـوجـودة تحت الشمس، فهي قـد بنيـت من كل جـانب بشكل ثري، وجليـل، وملكي، وذلـك حسبما تستحق، وهي تمتلـك حـــوالي سبعين عمـوداً من الرخـام النفيس، وهي ليست مقنطرة، بل مسقـوفـة تحت الرصـاص، بأفضل أنواع الخشب، وجذوع وعـوارض من خشب الأرز، وجدران الكنيسـة مذهبة تحت الزجـاج، وقد عملت بشكل رائع بزجاج مرسوم.

وأراد المسلمون قبل أيامي أخذ بعض الأعمدة، لكنهم ارتعبوا كثيراً، برؤيا، جعلتهم يتـوقفون ولم يحاولوا قط منذ ذلك الحين أخـذهم، وأمام السدة في هذه الكنيسـة ينزل الانسان بضع درجـات إلى كهف حجري، ليس مبنيـاً بل هو طبيعي، حيث فيـه تحت المذبح العـالي، يوجـد المكان الذي صنع فيـه الـرب من أجلنا إنسـاناً، من أم عـــذراء، ويقـوم فـوق الموضع نفسه هناك مـذبح، وليس بعيداً عن المذبح يقـوم المعلف، الذي مددت فيه مريم العذراء المباركة الطفل يسوع، وهو ملفوف بأثمال بالية، وكان المشهد أن الرب نفسه وإنسـان، يبكيان بحكم الضعف الإنساني، مثلما اعتـاد الأطفال على البكاء، وإلى جـانب المعلف مـازال من الممكن رؤية قطع حديدية مثبتـة في الرخام بوساطة الرصاص، حيث كـان فيها حلقـات حديديـة، بها اعتاد رجـال الريف على ربط حيـوانات التحميل

العائدة إليهم مع المواشي، عندما يقدمون إلى السوق.

والمعلف مصنوع من الحجارة، وطوله حوالي أربعة أشبار، وفي ليلة الميلاد تجتمع هناك جميع الأمم الموجودة تحت قبة السماء، كما ينبغي بشكل صحيح جداً، ولكل أمة مكان محدد في هذه الكنيسة معزول لها ومخصص بشكل دائم، لتقيم فيه قداساتها، وفقاً لطقوسها الخاصة بها، ويمتلك اللاتين الآن الموضع الذي عمل فيه الرب إنساناً، ومثل هذا لكل أمة قائمة بذاتها، مكان قائم بذاته لها، وفي أيامي لم يكن النوبيون قد امتلكوا مكاناً خاصاً بهم، ويقوم قبل هذه الكنيسة الدير الذي سكن فيه القديس جيروم، والقديسة باولا، والقديس يوستوخيوم -Eus tochium، وكثير من القديسين الآخرين، وبفضل نعمة الرب صنعت هناك الكثير من المعجزات.

ويسكن الآن مسلم فوق ذلك الموضع، ويتلقى بنساً بندقياً واحداً من أي واحد يريد أن يدخل إلى الكنيسة.

ويوجد أيضاً في بيت لحم بيعة تحت الصخرة، من الواضح أنها تمتلك بابين، ولهذا يستطيع الانسان أن يعبر مباشرة إليها، لكن الآن جرى إغلاق أحد الأبواب وسدّ بالبناء، ففي هذا الموضع والحفرة، التي هي الآن بيعة،اختبأت العذراء المباركة لمدة ثلاثة أيام خوفاً من هيرود، وأبقت الطفل يسوع مخفياً هناك، وحدث أنها أثناء خوفها أن تقاطر بعض الحليب منها على الصخرة في ذلك المكان، وهذا الحليب مايزال موجوداً هناك حتى هذا اليوم، وقد ترشح الحليب من خارج الحجرمثل شيء رطب، فاللون حليبي مع شيء من اللون الأحمر، وكلما مسح المزيد من الحليب وأزيل، كلما عاد بالكمية نفسها، وليس أكثر، وهذا هو الحليب الذي من الممكن رؤيته، وهو معروض للمشاهدة في كثير من الكنائس المختلفة، لأنه يحمل إلى هنا وهناك من قبل الحجاج.

ويوجد أيضاً على مقربة من بيت لحم كهف كبير في الصخر، فيه جرى إلقاء عدد كبير من أجساد الأبرياء، وقد جرى حمل هذه الصخرة كلها تقريباً، ونقلها من قبل الحجاج، فضلاً عن هذا على بعد ميل واحد من بيت لحم، يوجد المكان الذي اعتاد القديس جيروم بشكل خاص على السكنى فيه، وهناك قام بترجمة عدد كبير من الكتب من العبرية، والكلدانية، والاغريقية إلى اللاتينية، وعلى مقربة من بيت لحم أيضاً، أي على بعد نصف ميل باتجاه سدوم وعموره، يوجد الموضع الذي بشر فيه الملائكة الرعيان بأن الرب قد ولد على شكل إنسان، وقد جرى في هذا المكان بناء كنيسة مزدوجة وفائقة الجمال، اسمها«المجد في الأعالي»، وهو ما أنشده الملائكة هناك، ولهذ السبب تبدأ أيضاً جميع ساعات قداساتها اليومية بـ«المجد في الأعالي»، تماماً مثلما نفعل بقولنا«المجد للرب في الأعالي»، وهم يفتتحون جميع القداسات، حتى القداسات من أجل أرواح الموتى بـ«المجد للرب في الأعالي»، وذلك بطريقة خاصة، حسبما رأيت مراراً في كتاب قداساتهم.

وهذه هي مدينة بيت لحم، المدينة الأسمى عند الرب، حيث ولد فيها داوود، وهي أيضاً كما قال عنها النبي ميخا:«وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا»[ميخا:٥/ ٢ — متى:٢/ ٦]، لأن بيت لحم قائمة في وسط يهوذا، ولهذا السبب أطلق على جميع تلك المنطقة اسم اليهودية، ذلك أن البلاد التي عرفت من قبل باسم اليهودية اسمها الآن سورية، واسم سكانها السريان.

ويذهب الانسان من بيت لحم إلى القدس بوساطة طريق، يوجد على يساره قبر راحيل زوجة يعقوب، وهو المكان الذي حملت فيه بابنها بنيامين، وقد توفيت أثناء الولادة، وعلى مقربة من هذا الطريق الكنيسة المشارر إليها من قبل، أي كنيسة«المجد في الأعالي»، وكان أيضاً إلى جانب هذا الطريق، وما يزال موجوداً، عدد كبير جداً من من صوامع

القديسين، والكنائس والكهوف، والديرة، والقبور، العائدة للمسيحيين، وصنع الرب هنا كثيراً من المعجزات من خلال هؤلاء القديسين، وما يزال هناك حتى هذا اليوم عدداً كبيراً جداً من أجساد القديسين غير البالية، الرب وحده يعرف أسماءهم، وهم موجودون في أماكن متنوعة في الكهوف والأقبية.

وأيضاً على مقربة من هذا الطريق يوجد المكان الذي كان فيه البئر الذي ألقي فيه يوسف من قبل أخوته، ومن ثم بيع إلى الاسماعيليين، وبعد رؤية هذه المشاهد الكثيرة كلها مع المشاهد الأخرى، يصل الانسان إلى القدس، والمسافة فيما بين المكانين هي فقط ثلاثة أميال قصيرة من أميال تلك البلاد.

٣٨ — *مدينة القدس المقدسة*

القدس، المدينة المقدسة، التي فيها جرى صنع خلاصنا، وهي قائمة على جبل في وسط هواء صحي، وهي محصنة بشكل جيد، من جهة الشمال: بوساطة أسوار، وأبراج وتحصينات خارجية أخرى، ومن جهة الشرق بوساطة وادي شعفاط، ومن جهة الجنوب والغرب بوساطة وديان أخرى عميقة، وهي تفتقر إلى الماء في داخل أسوارها، وبركها مملوءة بالماء المجلوب من حبرون بوساطة مجاري تسير من تحت الأرض مع أقنية، من الممكن رؤيتها على طرف ذلك الطريق، عندما يسافر الانسان عليه، وهذه المدينة المجيدة ليست فائقة الطول ولا فائقة العرض، وهي ليست كبيرة جداً، كما أنها ليست صغيرة جداً، وهي مبنية بشكل مناسب إلى حد ما، وقد انتقلت بعض الشيء إلى شرق ما كانت قائمة عليه أيام صلب المسيح، وقد أعيدت عمارتها من قبل أليوس هدريانوس، وذلك بعدما هدمت من قبل تيتوس وفسبسيان وتمت إعادة العمارة لإظهار التشريف لموضع الجمجمة.

ويقوم في القدس هيكل الرب، وهيكل سليمان، ويحتل هذان الهيكلان شطراً كبيراً من المدينة، ولايسمح المسلمون للمسيحيين بالدخول إلى هذا الهيكل، وإذا ما دخلوا عليهم إما مواجهة الموت، أو التخلي عن عقيدتهم، وحدث هذا في أيامي، لأن بعض الاغريق دخلوا إليه، وداسوا على كتب المسلمين، وبما أنهم رفضوا التخلي عن عقيدتهم شطروا إلى قسمين.

وهيكل الرب مستدير، وقد بني وفق النمط الاغريقي، فهو مرتفع جداً، وواسع ومسقوف بالرصاص، ومعمول من حجارة كبيرة منحوتة ومصقولة، ووضع المسلمون فوق ذروته — وفقاً لطرائقهم — هلال قمري، ولهذا الهيكل أربع ساحات كبيرة، هي ليست مسقوفة، لكنها مبلطةبشكل جيد، ومزينة برخام أبيض.

وعلى مقربة من هذا الهيكل، من جهة اليمين، هناك كنيسة مستطيلة، ذات سقف رصاصي، اسمها رواق سليمان، ويقدم المسلمون احتراماً عظيماً لهيكل الرب، ويحفظونه نظيفاً جداً في الداخل والخارج، وهم جميعاً عندما يدخلونه يخلعون أحذيتهم، ويسمونه الصخرة المقدسة، ولايسمونه الهيكل، ولهذا يقول أحدهم للآخر:«دعونا نذهب إلى الصخرة المقدسة»، ولايقولون:«دعونا نذهب إلى الهيكل»، ويسمون الهيكل:«الصخرة المقدسة» بسبب وجود صخرة صغيرة في وسط الهيكل، وهي مطوقة بحاجز حديدي، ولقد سمعت أنه قد قيل صدقاً من قبل مرتدين مسلمين أنه ليس من المفترض بأن يلمس أي مسلم الصخرة، وأن المسلمين يرتحلون من بلدان نائية لزيارة الصخرة بكل تقوى، وفي الحقيقة تلطف الرب بإظهار الاحترام لهذه الصخرة بمختلف السبل، وصنع كثيراً من المعجزات هناك فوقها، وهذا ما يشهد عليه الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وأول جميع الأمور، وقبل كل شيء، قدم مليكصادق على هذه الصخرة قرباناً من الخبز والنبيذ،

وكـان مليكصادق هـو أول الكهنة، وفوق هذه الصخـرة نام يعقـوب، ورأى مجد الرب، وسلماً واقفاً فوق هذه الصخرة، حيث وصل رأسه إلى السماء، وكان مـلائكة الرب يصعدون عليه وينزلون سـواء، وفوق هذه الصخـرة أيضاً رأى داوود الملاك واقفـاً، وسيف يقطر دمـاً بيده، وكـان مـرتاحاً مـن قتل الناس، ومن المعتقد أنه في داخـل هذه الصخرة اعتـاد الكهنة على رمي قرابين الحرق، التي غالباً ما أكلتها نار من السماء، ومن المعتقد أنه في داخل هذه الصخرة أخفـى النبي إرميا بشكل إعجازي في قلبهـا خيمة العهـد، عندما جـرى نقل الناس إلى بابل، وفعل ذلك وهو يقول:«بالنسبة لذلك المكان سيظل غير معروف حتى يحين الوقت الذي يجمع فيه الرب شعبه مع بعضهم بعضاً ثانية، ويتلقاهم في الرحمة»، ومن المعتقد أنها ماتزال موجودة هناك حتى هذا اليوم.

وعلى هذه الصخرة جرى تقديم المسيح عندما كان طفلاً، ووضع بين ذراعي سمعـان العدل، وجـرى تقديمـه من قبله، وفوق هذه الصخـرة تجادل المسيح مع اليهـود عندمـا كان صبيـاً في الثـانية عشرة من العمـر، وضيعه أبواه، ومن فوق هذه الصخرة غالباً ما تولى وعظ الناس.

وقد قرأنا بأن الهيكل قـد بني من قبل سليمان فوق أرض بيدر أرنان، وقد تعرض على كل حـال للتهديم على أيدي كثيرين، ومع هذا أعيدت عمارته دوماً فوق البقعة نفسهـا، بالشكل نفسه، وبالحجارة نفسها، زيادة على ما تقدم شرّف الرب هذا الهيكل كثيراً ومجّده، وأحبه كثيراً.

وفي هذا الهيكل رأى سليمان دخـاناً صاعداً نحـو الأعلى، ومجد الرب مقيماً دوماً فـوقه، وفي هذا الهيكل أورقت عصـا هرون، وفي هذا الهيكل جرى تقـديم مريم العـذراء المباركة، وقـدمت قربانها بعـد خطبتها، وفي هذا الهيكل جرى تقديم المسيح، وجلس فوق منارته العليا، وأغوي من قبل روح(الشيطان)، وإلى خارج هذا الهيكل أيضـاً قذف المسيح بالذين كانوا يبيعـون ويشترون، وغالبـاً ماتولى التعليم هناك والمناقشـة، وصنع

كثيراً من المعجزات، وذلك حسبما جاء في الانجيل، وكرس المسيح أيضاً هذا الهيكل بحضوره المجيد، وعانى فيه، وهو على شكلنا الضعيف كثيراً من الاهانات ومن سوء المعاملة على أيدي اليهود، ومن أعلى هذا الهيكل جرى رمي القديس جيمس الأصغر — أخي ربنا — نحو الأسفل حيث استشهد.

وعلى مقربة من هذا الهيكل، على جهة اليسار هناك، يوجد الباب الذهبي، الذي من خلاله دخل يسوع يوم أحد السعف، وهو راكب على ظهر أتان، وإلى هذا الباب يقوم المسيحيون كل يوم أحد سعف بمسيرة مهيبة قبل شروق الشمس، ويغني الأطفال عبر هذا الباب«المجد لابن داوود» الخ، ثم يدخل رئيس أساقفة الأرمن من الباب على ظهر أتان، ويرحب به من قبل الأطفال والناس، وكأن المسيح كان موجوداً هناك، ويرحب به من قبل اليهود.

وعلى مسافة قصيرة إلى الشمال من هذا الهيكل هناك كنيسة بنيت فوق البقعة التي ولدت فيها مريم العذراء المباركة، وفوق هذه البقعة نفسها ترقد القديسة حنة مدفونة هي وزوجها يواكيم في كهف تحت الأرض.

وأمام هذه الكنيسة تقوم بركة الضأن، التي لها خمس قناطر من حولها، وهناك اعتاد المرضى على نيل الشفاء عندما يجري تحريك الماء من قبل أحد الملائكة، وذلك حسبما تحدث الانجيل وأكد ذلك، وفي هذه الأيام هناك كهف، فيه تتجمع — عندما تمطر — كل مياه أمطار المدينة مع بعضها.

وخارج كنيسة القديسة مريم هذه، بنى المسلمون الآن مسجداً خاصاً بهم، ومع ذلك ما تزال قصة حنة ويواكيم وميلاد مريم المباركة، باقية حتى هذا اليوم مرسومة بجلال بشكل كامل على واجهة الكنيسة، وفي أيامي اعتادت امرأة مسلمة عجوز اسمها ياقوتة على شرحها بتقوى

وتديّن إلى المسيحيين، وكـانت تسكن في مقابل الكنيسة، وأعلنت أن صورة يواكيم هي صورة لمحمد(ﷺ) وتمثل صورة الأشجار الجنة، حيث قبّل فيها محمد(ﷺ) فتيات، وأشارت إلى الصورة كلها أن المراد بها محمد(ﷺ)، ولهذا هي باقية إلى الأبد. وتراها تتحدث بأخبار أخرى كثيرة، مع المزيد من قصص إعجازية حول محمد(ﷺ) تحكيها والدموع في عينيها.

وليس بعيداً عن هيكل الرب، وعلى الجانب الجنوبي، تحت المدينة، توجد رابية صهيون، التي هي أعلى بقليل من بقية الأرض التي تقوم المدينة عليها، وعلى هذا الجبل قامت في القديم مدينة داوود، التي تشير إليها الكتابات المقدسة.

وعلى جبل صهيون هذا، أو في مدينة داوود، بُني في القديم دير فائق الجمال اسمه دير القديسة مريم على جبل صهيون، حيث عاش فيه رهبان نظاميون، وكان في داخل هذا الدير جميع الأماكن المقدسة التالية وأول كل شيء: في هذا المكان تعشى المسيح مع حوارييه، واحتفل بأول فصح، وعمل عهده، وكشف خائنه، بينما تمدد حواريوه فوق صدره وشربوا في أسرار السماء، وفي هذا المكان أيضاً غسل المسيح بتواضع أقدام حوارييه، وجففهم بمنديل، ومع أنه كان مولاهم ومعلمهم، فقد أعطاهم مثلاً بالتواضع، وأيضاً زار المسيح مراراً هذا المكان عندما كان مايزال في الجسد،وظهر في هذا المكان بعد موته وقيامته، لحوارييه، وكانوا جالسين وراء أبواب مغلقة، ثم شوهد هناك ثانية، وهناك أدخل توما الشاك إصبعه في جنبه، وهناك أيضاً كانت مريم المباركة جالسة مع الحواريين، والأبواب موصدة، خوفاً من اليهود، وذلك في الوقت الذي تلقوا فيه المواساة من الروح القدس، وهنا أيضاً غالباً ماسكنت مريم المباركة بعد آلام الرب، وفي هذا المكان سلمت روحها إلى ابنها، واجتمع هنا الحواريون جميعاً بشكل إعجازي، وفي هذا المكان

أيضاً جرى بشكل عجائبي اختيار القديس متى رسولاً، وهنا أيضاً غالباً ما أقام الحواريون المحبوبون قداسات مع مريم المباركة، وسكنوا هنا مع القديسة مريم والقديس لوقا، حتى وفاة مريم المباركة.

وفي هذا المكان أيضاً جرى دفن القديس ستيفن بين نيقوديموس وأبيبوس، وأيضاً جرى في هذا المكان دفن داوود وسليمان وملوك يهوذا الآخرين، ومن الممكن رؤية قبورهم حتى هذا اليوم، ويسكن في هذا الدير الآن رهبان منوارنة، وهو مزود في أيامي بشكل وافر بجميع الضروريات، من قبل ملكة سانيسا Sancea، زوجة الملك روبرت(١)، ويقومون هناك بإقامة القداسات بشكل علني وتقوي، باستثناء أنه غير مسموح لهم بالتبشير بشكل علني إلى المسلمين، ويتولون دفن موتاهم من دون معرفة حكام المدينة، وكان هؤلاء الرهبان في أيامي رجالاً مزدهرين كثيراً، وقد تولى التجار الأجانب، لابل حتى المسلمون، مدحهم كثيراً، لأنهم يقدمون خدمات جيدة إلى جميع الناس.

ويقوم هناك عند سفح هذا الجبل قلعة فائقة الحصانة، اسمها قلعة داوود، حيث من المعتقد أنها ماتزال باقية منذ أيام داوود، لأنه عندما جرى هدم هذه المدينة من قبل تيتوس وفسبسيان كان جبل صهيون وهذه القلعة قائمان خارج المدينة، وكانت هذه القلعة مملوكة فيما مضى من قبل بطريرك القدس، لكنها الآن مسكونة من قبل واحد من قادة السلطان، وهي محروسة بكل عناية من قبله ومن قبل مرتزقته.

وعند سفح هذا الجبل هناك أيضاً كنيسة، اسمها كنيسة القديس

---

١ — يقول بعضهم بأن هذا الملك، لابد أنه كان إما شارل روبرت صاحب أنجو، وملك هنغاريا، أو روبرت بروس ملك سكوتلندا، والأرجح — بعد قراءة رواية فابري، حول الدير الماروني فوق جبل صهيون — أن يكون لودولف أراد روبرت Rupert ملك أبوليا، وكلبيرا، وصقلية، والقدس.

المخلص، وفيها توجد الصخرة التي دحرجها الملاك، وأزاحها من على الضريح، وهي هناك معروضة للمشاهدة بشكل عام، وعلى مقربة من هذا الجبل أيضاً جرى إعدام القديس جيمس الكبير صبراً، وقد بني فوق تلك البقعة كنيسة، فيها الآن رئيس أساقفة الأرمن، ورهبان نظاميون تحت الطاعة للكنيسة الرومانية، ويوجد كذلك في القدس كنية أخرى اسمها كنيسة القديسة مريم للاتين. فضلاً عن هذا يوجد في القدس كثيراً من الكنائس تابعة للمنشقين والهراطقة، وأماكن أخرى كثيرة مقدسة، ومواضع ظهرت فيها نعمة الوحي.

وفوق جبل أكرا، وضريح المسيح، توجد كنيسة جميلة وعظيمة، قد بنيت هناك، وزينت بالرخام، وبأعمال الفسيفساء، والرسوم، وتزيينات أخرى، ولها أبراج أمام السدة، وفوقها وهي مفتوحة من الأعلى، فوق موضع ضريح المسيح، ويشبه داخل هذه الكنيسة كثيراً كاتدرائية مونستر Munster في وستفاليا Westphalia، وبشكل خاص بالسدة، وفي هذه الكنيسة، على مقربة من السدة، يقوم على الجانب الجنوبي جبل الجمجمة(أكرا) حيث جرى صلب يسوع المسيح، ويصعد الانسان في هذه الأيام إلى هذا الجبل بوساطة بعض السلالم في داخل الكنيسة، وكان من المعتاد فيما مضى على الصعود إلى هناك بوساطة سلالم كانت خارج الكنيسة، غير أن هذا الباب مغلق ومسدود من الخارج.

وهذا الجبل مشكل من صخرة قاسية جداً، وفي أسفل هذا الجبل توجد بيعة النوبيين، قد نجرت من الصخر الأصم، ويوجد على قمة جبل أكرا هناك أيضاً بيعة، يصعد الانسان إليها من داخل الكنيسة، وهناك في المكان الذي جرى صلب المسيح فيه، شق فيه وضع الصليب، ومن الممكن حتى في هذا اليوم رؤية التحول الذي ألم بالصخر الأصم أثناء آلام المسيح، بكل وضوح، وفي هذه البيعة نفسها جرى دفن

الأمراء المجدين: غودفري، دوق أوف بولليون، وبلدوين أخيه، الذي كان أول ملك صليبي للقدس، والذي نال الأرض المقدسة واستولى عليها بجهد كبير جداً، وبقوة استرد هذه الأرض واحتفظ بها، وألحق بالمسلمين أذى لايقدر بحجمه، ومنح المسيحية وأضفى عليها أعظم الأعطيات، وإنه لأمر مدهش حقاً أن تمكن المسلمون من الاستيلاء على قبور الصليبيين والأجساد التي وضعت فيها لترتاح دونما إزعاج، ومع أنهم رأوا كم قد ألحقوا بهم من أضرار، وكيف أنهم انتزعوا منهم حتى الأرض المقدسة كلها، تجد في لومبارديا عندما يتشاجر المسيحيون فيما بينهم، يلقي أحدهم أجساد خصومه المتعفنة إلى الكلاب.

وكان الأمراء الفرنجة الذين تقدم ذكرهم قد اتخذوا قراراً بوجوب عدم لبس تاج ذهبي، بل أن يلبسوا تاجاً من الشوك، وقد حافظ خلفاؤهم على هذا القرار حتى هذا اليوم، ويجري كل يوم على جبل الجمجمة — عندما يكون أي مسيحي ساكن هناك — قراءة قصة آلام المسيح، وذلك حسبما قرأت بكتاب قداساتهم، وعلى مقربة من جبل الجمجمة، حيث يوجد الآن خزانة، هناك الموضع الذي وقفت فيه أمه وحواريوه والنساء الأخريات، وهناك عهد يسوع بأمه لعناية حوارييه، وهو يقول: «انتبهي يا امرأة لابنك»، ويوجد أمام باب السدة، من جهة اليمين، صخرة سوداء، فهناك الموضع الذي مددوا عليه جسد يسوع عندما أنزلوه من على الصليب، ولفوه بأقمشة كتانية، وتقوم أمام السدة، من جهة الغرب، بيعة صغيرة مزدوجة، لها ثلاثة أبواب، وفي داخلها ثلاثة مذابح قائمة هناك، ويدخل الانسان من البيعة الأولى إلى البيعة الثانية، حيث يوجد ضريح المسيح، ويأتي دخوله من خلال باب منخفض وصغير ومقنطر على شكل نصف دائري، وقد عمل على هذا الشكل حتى يرغم الانسان على الدخول وهو منحني الظهر، وطول هذه البيعة مع الضريح حوالي تسعة أشبار، وعرض البيعة حوالي سبعة

أشبـار، وارتفاعهـا حـوالي اثني عشر شبراً، وضريح المسيح منجـور من صخر أصم، وخشية من تدنيسه، أو سرقته من قبل الحجاج، هو مغطى بحجارة أخـرى ورخام، وتحتـوي الحجرة التي تغطيـه من الواجهة على ثلاث فتحـات، حيث جرى خرقهـا، ويستطيع الانسان من خـلال هذه الفتحـات أن يقبل الضريح الحقيقي والحجـر الصحيح هناك، وصنعت الحجـارة التي تغلف الضريح ولصقت ببراعـة فـوق الضريح، جعلتهـا تبدو لمن لايعـرف وكأنها كلها حجـرة واحدة، ولهذا السبـب، كما أعتقد أنه لايوجد في أي كنيسة قطعـة من الحجر الحقيقي لضريح المسيح، لأنه باستثناء الأماكن المفتوحة التي سمعتم للتو عنها، إنه قد حفظ، ومحفوظ بعناية عظيمـة ومحروس، وفي الحقيقـة لو كـان من الممكن حمل ضريح المسيح على شكل حبـات الرمل، لتم الفـراغ مـن نقله منذ زمن طويل، حتى لو أنه كـان كبيراً مثل جبل عظيم، ولما كانت قـد بقيت هناك حبة رمل واحدة في تلك البقعة.

أما فيما يتعلق بالمصـابيح والشمعدانات التي قيل هي موجـودة حول الضريح المقـدس، أعلن أنه لايوجـد أبداً أي مصبـاح أو شمعـدان مهما كان نوعـه حول الضريح، لكن يسكن هناك في كنيسـة الضريح المقدس بعض الشيوخ الجورجيين المتقـدمين بالسن، لديهم مفتـاح بيعة الضريح المقدس، وطعـام، وصدقـات، وشموع، وزيت للمصـابيح حتى تشتعل وتضاء حول الضريح المقدس، وقد أعطي ذلك لهم من قبل الحجاج من خـلال نافـذة صغيرة في البـاب الجنوبي للكنيسـة، وإذا مـا توقف هذا وانقطع، سوف يبقى بـدون ضوء مهما كان نوعـه، وبذلك يكون بدون تشريف أو احترام، لأن لـدى المسلمين من الاحترام للضريح المقـدس للمسيح، بقدر مالدى المسيحيين نحو كنيس يهودي.

ويوجـد في هذه الكنيسة أيضـاً، في مقـابل السـدة، مع مسافـة ضئيلة نحـو الجنوب، هناك الموضع الذي وقفت فيـه المريمات الثلاث، وقـالت

إحـداهن للأخـرى:«من سيـدحـرج هذه الصخـرة لنا ويزيحهـا عن فم الضريح»؟.

وفي هذه الكنيسـة نفسهـا أيضـاً يقـوم شطـر من العمـود الذي ربط المسيح إليه وجلد، والشطر الآخر موجود في القسطنطينية.

وينزل الانسان في هذه الكنيسة أربعين درجة إلى المكان الذي عثر فيه على الصلبـان الثـلاثة، ويوجـد في هذا الجزء المنخفض، في داخل بيعـة هناك، الكرسي الأسقفي لجيمس الأصغـر، الذي اعتـاد أن يجلس عليـه عندما كان أسقفاً للقدس.

وفي هذه الكنيسة أيضـاً توجد الأعمـدة التي كانت مـوجودة في بيت بيـلايطس، أيام آلام المسيح، وهـذه الأعمـدة لم تتـوقف منذ ذلك الحين حتى الوقت الحالي عن رشح مـاء عذب، فضلاً عن هـذا يوجد في هذه الكنيسة الموضع الذي مدد فيه الرجل الميت فوق صليب المسيح، فنهض عائداً إلى الحياة.

وفي هذه الكنيسة يوجـد أيضاً المكان الذي ظهـر فيه يسـوع إلى مريم المجدلية على شكل حـدائقي، وجميع هذه الأماكن مسيجة في داخل هذه الكنيسـة، وتبـدو هذه الكنيسـة كـأنها قصر مستعـد لتلبيـة احتيـاجـات الحجـاج، مع الذين يعيشـون محبوسين في داخلهـا، لأن الحجـاج الذين يزورونها يحبسون هناك في داخلها من السـاعة الأولى لليوم الأول، حتى الساعة نفسها من اليوم التالي، ويمكنهم توقع وجود كل شيء فيه رضى لنفـوسهم، فلمرتين في العـام — أي أن تقول من الجمعـة الحزينة حتى اليـوم التالي للعيـد — يترك المسيحيـون، الذين يسكنون هناك، أنفسهم ويحبسونها في الكنيسـة، بدون شيء، ويغلقون على أنفسهـم، ووقتها يجد الانسان حوانيت في الكنيسة، حيث توجد مختلف الأشياء، وحيث تباع الأطعمـــة، مثلما تجري عمليـات البيع في هـذه البـلاد في الأســـواق

والمعــارض، ووقتهـا يستمع الانســان إلى أحـاديث وأغــان بمختلف اللغات، وتقوم كل عـدة أمم باحتجاز مكان خاص بها لإقامـة قداساتها وفقـاً لطقوسهـا الخاصـة، ومن بين هذه الأمم يحتجـز اللاتين لأنفسهم المكان الذي ظهر فيه المسيح لمريم المجدلية على شكل حدائقي.

وعلى مقـربة من كنيسـة الضريح المقدس، سكن فيها مضـى فرسـان القـديس يـوحنا للقـدس، وقصرهـم الآن مشفى عــام للحجـاج، وهذا المشفى كبير في حجمـه إلى حـد أنه يستطيع ألف إنسـان أن يعيشوا فيـه بكل سهولة، وأن يحصلوا على كل شيء يريدونه بالدفع مقـابله، وجرت العـادة في هذا القصر أو المشفى، أنه يجب على كل حـاج أن يدفع بنسين بندقيين، وذلك مقـابل استخدام المشفى، وهذا المبلغ لايتغير سـواء أأقام لمدة سنة، فهـو لن يدفع المزيد، أو أقـام لمجرد يوم واحـد فهـو لن يدفع أقل، وفي أيامي كان يسكن هناك في هذا القصر، أو المشفى عقيلة اسمها مـرغـريت الصقليـة، وكـان أخـوها هو الكاهن المسـؤول عن الضريح المقدس واسمـه نيقولا، وكـانت مرغـريت هذه مفيـد ة جداً وخـدومة هناك، ولمعلومـاتي المؤكـدة أنها عانت من شقـاء عظيم ومتـاعب جمة في سبيل محبـة المسيحيين، ولاقت دوماً تقـديراً خاصـاً من السلطان وعناية بسبب فـائــدتها، وعليك أن تعـرف أن الكهنة المســؤولين عن الضريح المقدس يمتلكون امتيـازات عظيمة وحقوقـاً كبيرة، وذلك حسبما قرأت في كتاب قداساتهم، ويبدأون(القداسـات) لكل ساعة من ساعات النهار بعبارة«المجـد»، وذلك مثلما نفعل عندمـا نقول In adjutorium الخ،علماً بأنهم كـرجال، العـالم كله يشهـد لهم من أقصاه، وهم يقـرأون جميع القضـايـا الرئيسيـة الموجـودة في الانجيـل مع حـركـات جســدية وإيماءات، وعلى سبيل المثال يقـرأ الشماس في يوم عيد الفصح الانجيل كمايلي:«وجلبت في ذلك الوقـت مـريم المجـدليـة، ومــريم أم جيمس، وســالومي، بعض الحنوط، حتى يمكنهـن الوصـول إلى هنـاك ومن ثم

دهن يسوع»، وعندما يصلون إلى كلمات:«هو ليس هنا، هو قد قام»، وقتها يشير الشماس بإصبعه إلى ضريح المسيح، ويفعل الشيء نفسه في القضايا الأخرى، وفي مقابل الكنيسة، على الجانب الغربي، هناك الصخرة، التي استراح عليها يسوع لبعض الوقت، عندما كان حاملاً لصليبه، وذلك عندما خانته قواه بسبب عذابه ووزن الصليب وثقله، وهناك أرغم اليهود سمعان القرني، الذي كان قادماً من قريته، أجبروه على حمل الصليب، وقرب الكنيسة، وعلى مسافة ضئيلة نحو الجنوب، توجد الصخرة التي وقف يسوع عليها عندما قال:«يا بنات القدس لاتبكين عليّ، بل ابكين على أنفسكن»الخ»، ومن الممكن رؤية بلاط منزل بيلايطس في القدس حتى هذا اليوم، لكن هذا المنزل كان آنذاك خارج المدينة، ومثله بيت كيفاس، حيث اجتمعوا فيه يتشاورون، وقد تنبأ قائلاً:«إنه لمن الموائم أن يموت رجل واحد من أجل الشعب»، وهذا البيت يبعد عن القدس مسافة ثلاثة أميال من أميال تلك البلاد، فضلاً عن هذا، يمكن للانسان أن يشاهد كثيراً من الأماكن العجيبة والمقدسة، يحتاج الحديث عن كل واحد منها إليكم إلى وقت طويل.

ولدى المضي من القدس، يصل الانسان إلى مدينة كانت فيما مضى جميلة، لكنها الآن مهجورة، وهي قائمة في المنطقة التلية لليهودية، واسمها زكريا، وهي تبعد مسافة خمسة أميال عن القدس،وفي هذه المدينة عاش زكريا وإيزابل، والدا يوحنا المعمدان، وإليها جاءت مريم المباركة من الناصرة، وكان ذلك بعدما تلقت كلمة البشارة من جبرائيل، وعندما قابلتها إيزابل قفز الولد في رحمها، وقالت مريم المباركة«إن روحي تمجد الرب» الخ.

وقد بني فوق المكان الذي التقيتا فيه وعانقت إحداهن الأخرى، كنيسة فائقة الجمال اسمها«الممجدة» حتى هذا اليوم، ويبعد هذا المكان عن الناصرة سفر ثلاثة أيام ونصف اليوم، بالسفر المستعجل، وهو ما

قـامت به وقتهـا أم ربنـا، وذلك حسب رواية الانجيل(لوقـا:١/ ٣٩) حيث جـاء قـوله:«فقـامت مريـم وذهبت بسرعة إلى الجبـال في منطقـة اليهودية»، وفي هذه المدينة جرى أيضـاً الحمل بالقديس يوحنا المعمدان، كما تمت ولادته، وفي أثناء عـودة الانسـان من مـدينة زكـريا هذه يرى المكان المعتقد أن شجرة صليب المسيح قد نمت فيه، فضلاً عن هذا يرى الانسـان على جـانب الطريق كثيراً مـن قبـور القـديسين، والنسـاك، والكهـوف، والأقبية، حيث يتم العثـور هناك حتى هذا اليوم على عـدد كبير من أجساد القـديسين كاملة غير فاسدة، الذين يعـرف الرب وحده أسماءهم.

وفي عودة الانسان إلى القدس عبر هذا الطريـق، هناك موجود خارج البـاب الشمالي المكـان الذي جـرى فيـه رجم أول الشهـداء، القـديس ستيفن، ويبدو أنه كان هنا كنيسة جميلة غير أنها الآن مهدمة، وهي قائمة فـوق وادي شعفـاط، وفي وادي شعفـاط هناك كنيسة مقـدسـة، لكنهـا ليست جميلة جـداً، قـد بنيت على شرف مـريم المبـاركـة، فمنهـا ينزل الانسـان ستين درجة فيصل إلى ضريح مـريم المبـاركة، الذي هو مـزين بمصـابيح وشمعـدانات أجمل وأكثر عـدداً مما هو مـوجـود عند ضريح المسيح.

والمكان الذي يقـوم فيه الضريح ليس أوسع مما يستطيع ثمانيـة رجال أن يقفوا فيه بشكل موائم، وشكل ضريـح المسيح وضريح مريم المباركة هو هذا نفسـه، والمكان الذي تقوم فيـه هذه الكنيسـة قد كـان في أيام آلام المسيح بيت عناس، الكاهن الرئيسي، وهناك حدث أن أنكر بطرس المسيح، ويقـوم فـوق البقعـة التي أنكره عليهـا عمـود رخـامي، ليكون بمثابة ذكرى أبدية، ومن المعتقد أن المسيح سوف يأتي إلى هذا الوادي في يوم القيامة، فيكون حكماً عادلاً، يجازي كل إنسان تبعاً لأعماله.

ويجري خـلال هذا الوادي نفسـه، وادي قـدرون، الذي تتجمع فيـه

جميع المياه التي ترشح من المدينة ومياه الأمطار التي تأتي من الهضاب على كلا الجانبين هناك، وعلى مقربة من هذا الوادي، عند سفح جبل الزيتون، توجد الحديقة التي ألقي فيها القبض على يسوع، وذلك حيث تمت خيانته من قبل يهوذا بقبلة، وغالباً مازار الرب عندما كان بالجسد هذه الحديقة مع حوارييه، وتقوم كنيسة جميلة في المكان الذي ألقي القبض فيه على المسيح، لكن المسلمين يربطون الآن فيها قطعانهم وحيواناتهم ويطعمونها.

وعلى مسافة صغيرة من الحديقة، نحو اليسار، وتحت صخرة هناك، يوجد المكان الذي صلى فيه المسيح إلى الآب قائلاً: «أيها الآب، إذا كان من الممكن، دع هذا الكاس يتجاوزني»، وفي أثناء خوفه وضعفه الانساني تعرق دماً.

وعند سفح الجبل المقابل، حيث بنيت القدس، توجد بركة سلوان للاستحمام، والذي هو موجود الآن فيها مجرد مجموعة من المياه الآسنة، وعبر بركة الاستحمام وفي قبالتها يقوم تمثال أبسالوم، وهو مصنوع ببراعة، وله حجم رائع.

وفوق وادي شعفاط، نحو الجنوب، يوجد حقل الفاخوري، أو حق الدم، ويسمى أيضاً حقل الدم، ذلك أنه شري بثمن الدم، من أجل دفن الغرباء فيه، غير أن واحداً من التواريخ الشرقية قد أوضح أن الذي شري منه هو ماتساوي قيمته خمسة عشر بنساً فقط، وهذا بالفعل أمر يمكن تصديقه، لأنه لايستوعب ثلث الحقل.

٣٩ — *حول الثلاثين قطعة من الفضة*

نحن نقرأ في تاريخ ملوك الشرق الذين قدموا أعطيات إلى ربنا، أن تيراح والد ابراهيم كسب مالاً، أو بنسات، وذلك بناء على طلب ملك لبلاد الرافدين اسمه نينوس، وأنه قد تسلم ثلاثين قطعة من الفضة

ايجاراً له، وقـد أعطى قطع الفضة هذه إلى ابراهيم، الذي أنفقهم خـلال أسفاره في المنفى، وجرى تداول هذه القطع الفضية بين مختلف الأيدي، حتى وصلـن إلى أيدي الاسماعيليين، وبهن جـــرى شراء يوسـف من أخـوته، وفيما بعـد عندمـا صـار يوسف حـاكماً في مصر، رجعت قطع الفضـــة هذه إلى أيدي يوسف، وحصلن لـه من أخـوتـه كثمن للقمح، ولدى اعادتهن إلى أخوته، أعطاهن أخوة يوسف إلى حاجبه، الذي بعث بهن إلى سبأ لشراء بضـائع من أجـل فـرعـون، وفي أيام سليمان، عندمـا جاءت ملكة سبـأ من الشرق للاستماع إلى حكمته، قدمـت هذه الثلاثين قطعة فضيـة إلى الهيكل، وفي أيام رحبعام، عندما قام نبـوخذ نصر بنهب الهيكل والاستيلاء على كنوزه، أعطى الثـلاثين قطعة من الفضة والكنوز الأخرى إلى ملك جودوليا Godolia الذي كان معه في جيشه، وهكذا بقيت هذه القطع مع بقية الكنوز في خـزانة ملوك جودوليا حتى وقت ميلاد المسيح.

وانتقلت في ذلك الوقت مملكة جـودوليـا إلى النوبة، وحـدث عندمـا ولد ربنا، أن رأى ملكيور، ملك النوبة في النجوم أن المسيح قد ولد من عذراء، وبناء عليـه أخذ الثلاثين قطعة، لأنه لم يجد مـاهو أفضل أو أقدم بين ذهب خزانته، وبإرادة من الرب منحهم إلى المسيح، وفيما بعد عندما هربت مريم العذراء المباركة إلى مصر لخوفها من هيرود، فقدت الثلاثين قطعـة مع بقية هدايا الحكماء، في مكان هو حيث قـامت حديقـة البلسم الآن، وقد عثـر راعي عليهم واحتفظ بهم لمدة ثلاثين عامـاً، ثم كان أن انتشر صيت المسيح في الخارج، وقـــدم هذا الراعي نفســه إلى القـدس، حيث تولى المسيح شفـاء مـرضـه، وعنـدمـا كـان المسيح يعظ في الهيكل ويعلم، منحـه هذا الراعي الثـلاثين قطعـة مع بقـايا هدايا الحكماء، لكن المسيـح رفض أخذهم، وطلب منه منح القطع الفضية للهيكل، ووضع الهدايا الأخـرى فوق المذبح، ونفـذ الراعي هذا، وألقى اليهود الثـلاثين

قطعة في قـربان، وأعطوهن فيها بعد إلى يهوذا من أجل خيـانة يسوع، ثم لما أعـادهن يهوذا ثانيـة، اشتروا حقل الفاخـوري بخمس عشرة قطعـة، وأعطوا الخمس عشرة قطعـة المتبقيـة إلى العساكـر الذين تولوا حـراسـة ضريح المسيح، وبعـدمـا صنع بهذه القطع مـارسم لهن بالقـدر وتقـرر، جرى إثـر ذلك اقتسامهن ومن ثم تفـرقهن هنا وهناك، لكن حتى صنع ذلك الذي تقـرر وجـوب صنعـــة بهن، جـرى الاحتفـاظ بهن معـاً كما سمعت، وتطلق الكتـابات المقـدسة عليهن اسم بنسـات فضيـة،لأنه في القديم أطلقـوا على جميع المعادن اسم الفضـة، إنما مما لاشك فيه كن من الذهب.

وحقل الدم ليـس حقـلاً واسعـاً حسبما أخبرتك، لكنه يحتـوي على حفرة عميقـة جداً قـد حفرت فيـه، ولهذه الحفرة سقف مقنطر فـوقها، وهذا السقف مخروق بوساطة فتحـات، ومن خلال هذه الفتحات يجري إلقـاء أجساد الموتى إلى داخلهـا، وبعـد ثلاثة أيام لايبقى شيئاً سليماً من هذه الأجساد غير العظام، ذلك أن مكاناً ضيقاً بهذا القدر، لايمكنه أن يستوعب مثل هذا العدد الكبير جداً من الأجساد.

وعلى مقـربة من هذا الحقل هنـاك مكان فـائق الجمال، وفيـه أشجـار جميلة جداً، كـان الرهبان الدومينيكان يحاولون شراءه، عنـدما كنت على وشك المغادرة، ولاأعـرف إن كانوا قد حصلوا عليـه أم لا، وعلى مقربة منه هناك كثيراً من قـلايات القـديسين وصـوامع النســاك التي كـانت تفيض بالنعمـة، لكنهـا الآن مهجـورة، ومثـل ذلك على مقـربة من هذا الكهف يوجد الكهف الذي أخفى بطرس نفسه فيه بعدما أنكر المسيح، ومن ثم بكى بحـرقة، وليس بعيداً عن هذا الكهف يـوجد المكان الذي شنق يهوذا فيه نفسه وهو في حالة يأس.

٤٠ — جبل الزيتون

وعلى مقـربة من القـدس، باتجاه الشرق، يقـوم جبل الزيتـون، الذي يعرف الآن باسم جبل الضياء، وهـو مكان جميل جداً، مع وجود وادي شعفاط فقط بينه وبين القدس، وجبل الزيتون أعلى بكثير من المدينة، إلى حد أن كل شيء في المدينة يمكن رؤيته من قمته، وأطلق عليه اسم جبل الزيتـون لأن كثيراً من أشجار الزيتـون قد نمت هناك، وكما قلنا يعـرف أيضاً باسم جبل الضياء، لأنه في أثناء الليل تشع أضواء الهيكل من فوق في مقـابله، والبابان الشرقيـان للقـدس اللذان يقودان إلى الجبل مغلقـان بشكل دائم، لأن وادي شعفـاط بين المدينة والجبل منحـدر إلى درجـة يصعب فيهـا على الانسـان التسلق والصعـود إلى الأعلى، والنزول نحـو الأسفل على يديه، وعلى قدميه، والذي هناك الآن باب واحد فقط اسمه البـاب الذهبي، وتقـوم على جبل الزيتـون كنيسـة جميلة اسمهـا كنيسـة القـديس المخلص، وذلك فوق المكان، الـذي صعد منه المسيح بتـواضع إلى أبيـه بعـد مضي أربعين يومـاً على آلامـه، وحيـث قـالت الملائكة إنه سوف تتـوجب عودته ثانيـة كحكم عادل، ومن الممكن رؤية عـلامات قـدم المسيح على بلاط تلك الكنيسـة حتى هذا اليـوم، ولقـد قـرأنا بأن المسيحيين عندمـا كانوا قـد شرعوا ببناء تلك الكنيسـة وبتبليطها، كـانوا كلما جـاءوا إلى المكان الذي كـانت فيـه طبعـات قـدم المسيح ووضعـوا حجارة فوقها، كانت الحجارة تنبعث عالية مجدداً، وكأن إنساناً يريد أن يخطو، وهكذا بقيت طبعات القدم حتى اليوم الحالي، والكنيسة مفتوحة، لأنه من غير الممكن صنع سقف مقنطـر بأي وسيلة من الوسـائل فـوق المكان الذي عبر المسيح من خلاله إلى عليين، ويوجـد على جبل الزيتون أيضـاً، وتقـوم كنيسـة صغيرة أخـرى فـوق المكان الذي تلا فيـه المسيح صلاة الرب، وعلمهـا لحوارييه، ومـاتزال الكنيسة تدعى باسـم«الصلاة الربانيـة»، وقد قـام فيما مضى أيضاً فـوق هذا الجبل بيعة أخـرى، وهي

الآن مهدمة، وقد قامت فوق المكان الذي رأى المسيح منه المدينة وبكى عليها، وتوجد على هذا الجبل نفسه قرية صغيرة اسمها الجليلية، وهي غالباً ماورد ذكرها في الكتابات المقدسة، وذلك حيث سكن الحواريون مع بعضهم، وهذه الجليلية هي التي نقرأ حولها:«اذهب إلى الجليلية، وهناك سوف تراه، كما قال لك»، كما نقرأ: ‹إنني سوف أذهب قبلك إلى الجليلية»، هذا وهناك جليل أخرى التي هي بلاد كبيرة، وتبعد سفر ثلاثة أيام، وذلك حسبما سأحدثكم فيما بعد، وفوق هذا الجبل، هناك أيضاً أماكن سكنى قديسين، وسواح وصوامع نساك بهية.

وعلى مقربة من جبل الزيتون تقوم بيت فاجي، حيث ركب المسيح في يوم أحدالسعف الأتان للذهاب إلى القدس، ولابد أنه كان راكباً جيداً، وإلاّ لايستطيع إنسان أن يخبر مطلقاً أن إنساناً يمكنه وهو راكب على ظهر أتان، أن ينزل على مثل ذلك الطريق، لأن هذا الطريق منحدر جداً، وضيق من جبل الزيتون، وعلى بعد نصف ميل قصير من بيت عنيا تقوم قرية بيت فاجي، التي كانت فيما مضى قلعة جميلة جداً، قائمة على طرف الرابية، وفيها ثلاث كنائس، تقوم أولاهن فوق المكان الذي أقيم اللعازر فيه من الموت، وضريحه مايزال يشاهد هناك، هذا وإن قبور: المسيح، ومريم المبارك واللعازر هي ذات شكل متشابه، وتقوم الكنيسة الثانية في المكان الذي كان فيما مضى بيت سمعان المجذوم، وذلك حيث دعي المسيح إلى غداء، وجاءت مريم المجدلية المباركة، ودهنت شعر المسيح يسوع مع قدميه، ثم غسلتهم بدموعها، وجففتهم بشعرها، فهذا ما تتحدث الكتابات المقدسة عنه وتوثقه، واتخذت الكنيسة الثالثة من قصر مرثا، حيث جرى بالغالب استقبال ربنا وهو في هيئة ضعفنا البشري، وهو جائع، وعطشان، وعريان، ومنهك، فقد استقبل بمثابة ضيف، وجرى تقديم ما احتاج إليه وتمت مواساته عندما كان بلا بيت.

ويربط المسلمون الذين يسكنون الآن هناك ثيرانهم وحيوانات التحميل لديهم، في هذه الكنائس،وفي هذا المكان نصب سليمان صنم مردوخ العائد إليه.

٤١ — *أريحا — الصحراء — سدوم وعمورة*

ويصل الانسان من بيت عنيا إلى الأردن في يوم واحد، وذلك بعد عبوره لبرية صغيرة اسمها مونتوست Montost ، وقام في هذه البرية القديس يوحنا المعمدان بالتعليم، وأكل الجراد والعسل البري في المكان نفسه، وحدث في هذه البرية أيضاً أن سقط إنسان بأيدي اللصوص، وكان ذلك أثناء نزوله من القدس إلى أريحا، وذلك حسبما حدثتنا الكتابات المقدسة، ويوجد في نهاية هذه البرية الجبل الذي اسمه جبل القرنطل، فهناك فوقه صام يسوع لمدة أربعين يوماً وأربعين ليلة، فكان جائعاً، وهناك أغواه الشيطان ليعمل خبزاً من الحجارة، وفي منتصف الطريق في أعلى الجبل هناك صومعة جميلة قد نحتت في الصخر،فيها صام المسيح، وفيها يعيش الآن رهبان جورجيون، وتسبب في أيامي ملك جزره Gazara بتدمير الطريق، حتى لايتمكن الرهبان من النزول، والحجاج من الصعود إلى هناك، لكن عندما سمع بالسلطان بهذا، تدبر إعادة ترميم الطريق، وسمح للرهبان بالإقامة هناك بشكل أبدي.

وعلى قمة هذا الجبل تقوم كنيسة جميلة، في المكان الذي أغوي فيه المسيح من قبل الشيطان، وعن هذه البرية ذاتها نقرأ:«ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليغوى من إبليس»[متى:٤/ ١].

وعلى مقربة من هذا الجبل،وباتجاه سهل الأردن، هناك نبع، وحديقة فائقة الجمال،فهناك سكن إبراهيم عندما جاء من بلاد الكلدان، وبنى مذبحاً هناك، ودعا باسم الرب،واسم هذا المكان بستان إبراهيم» حتى

هذا اليوم.

وبعـدما يعبر الانسـان هذه الأمـاكن يصل إلى أريحا، التي كـانت فيما مضى مدينة ملكية ومشهورة، وقد تراجعت الآن إلى قرية صغيرة، غير أنها قـائمة في بقعـة فائقـة الجمال وخصبة جـداً، في وادي الأردن، وهذه هي أريحا التي هدم الـرب أسـوارها بمعجـزة، وأعطاهـا إلى يوشع، مع إلقاء اللعنة على من سوف يحاول عمارتها.

وإلى أريحا هذه انتمت راحـاب العـاهرة، وزكّـا الذي كـانت قـامتـه قصيرة، وكـان من أريحا هذه الطفل الذي سخـر من النبي إيليـا بقـوله له:«إذهب يا أقـرع الرأس، امض أنت يا أقـرع الرأس»، وقـد التهم من قبل دبين انتقاماً له، وهذه أمور تتحدث عنهـا الكتابات المقدسة وتشهد على صحتها.

وعلى مقـربة من أريحا يوجـد المكان الذي أعـاد يسـوع فيـه النور إلى عيني الأعمى، وهو عـابر من هناك، وعلى مقـربة من أريحا أيضـاً هناك يجري الجدول الذي جعل النبي إيليـا مياهه عذبة، حيث كـانت من قبل مرة، وعلى مسافة ثلاثة أميال قصيرة من أريحا يوجد البحر الميت، الذي طوله في هـذه اللاد حـوالي الثمانيين ميـلاً، وهناك قـامت فيما مضى مـدن:سدوم، وعـامـوره، ودومه، وسـاعـور العظيمـة، وقد قـام الرب بالخسف بهم وبجميع الأماكن التي كانت بهم، وبما كان بقربهم مع جميع المدن هناك والقـرى والقـلاع والحصـون، وكـان ذلك بسبب آثامهم المعجوجة.

وما مـن إنسان يمكنه استخدام ميـاه هذا البحر من أجـل أي غرض مهما كان نوعه، لأن لها رائحـة قذرة لايمكن تحملها أبداً وشريرة، ولهذا عندمـاتهب الريح تسمم هـذه الميـاه جميع المنطقـة من حـولها هناك، وفي أوقات العـواصف يقذف هذا البحـر كثيراً من الحصى الجميل، لكن إذا

ما التقطهم أي إنسان، سوف تبقى رائحة يده قذرة جداً لمدة ثلاثة أيام، إلى حد أنه لن يتمكن من تحمل نفسه، ويقول بعضهم أن ما من إنسان يمكنه أن يغطس هناك فيه ويغرق، وعن هذا أنا لاأعرف شيئاً غير الذي قيل لي، وللصدفة ما من أحد حاول ذلك، غير أنني سمعت من بعض الناس من هذه البلدان، أنه في بعض الأماكن من هذا البحر من الممكن رؤية قعره، وفي بعضها لايمكن، أما بالنسبة للأبنية التي كانت قائمة هناك قبل الدمار العظيم، ما من أثر منهم يمكن رؤيته، وفي الحقيقة نادراً ما يقترب إنسان منه بسبب رائحته النتنة التي لايمكن تحملها، ومع ذلك فإن جميع المنطقة من حوله مليئة بالأشجار وبثمار عظيمة، وفائقة الجمال أن تنظر إليها، لكن عندما يجري قطف هذه الثمار وفتحها أو تكسيرها، يجدها الانسان مليئة بالغبار والرماد في داخلها، إلى حد أن يد الانسان الذي يقطفها لايمكنها التخلص من رائحة النتن المقيتة لمدة ثلاثة أيام، لأنه حتى المنطقة حول هذا البحر مليئة بلعنة الرب.

وفي هذه المنطقة الأفعى التي اسمها تيروس Tyrus موجودة ويمكن إمساكها ، ومنها الذي يدعى باسم ترياق قد نال اسمه، لأنه يصنع منها بشكل رئيسي، وهذه الأفعى ليست أطول من نصف شبر، وغلظها مثل إصبع إنسان، ولونا أصفر مزيج بلون أحمر، وهي عمياء وليس هناك دواء معروف لسمها، إلاّ بقطع الطرف المعضوض، وعندما تكون غاضبة تضع فمها مثل لهيب نار، ويخيل للانسان وقتها أنه نار حقيقية، سوى أنها نار لاتحرق المخلوق، ووقتها يقف شعرها فوق وجهها وكأنها خنزير وحشي غاضب، وفي تلك الأوقات يصبح رأسها أضخم، ولولا أنها عمياء أعتقد أن ما من إنسان يمكنه أن ينجو منها، ولقد سمعت من الذين صنعتهم إمساك هذه الأفاعي، أنها إذا عضت حصان إنسان، سيقتلون الممتطي له.

وعلى مقربة من البحـر الميت، وعلى جهة اليمين باتجاه سبط إسرائيل، وفوق رابية صغيرة، تقف زوجـة لوط، وقد تحولت إلى عمود من ملح، وكـان في هذه الأمـاكن في أيامي بعض فـرسـان الداوية، الذين أخـذوا أسرى لدى سقوط عكـا، يقومون هناك بقطع الأخشـاب هنا وهناك في الجبال في خـدمة السلطان، وهـم لايعرفـون بأن طائفة الداوية قـد جرى قمعها وإزالتها، لأنهم يعملون هنا وهناك في الجبال، ولم يروا إنساناً من هذا الجانب من البحـــر منذ أن أخـذوا أسرى، وجعلنا هـؤلاء الرجـال نقلع بقوة عن متابعة الترحـال على طول ساحل البحر الميت، وذلك إذا كنا نرغب في أن لانفقد حياتنا من خلال نتنه، هذا وقد مكنونا من رؤية تمثـال زوجة لـوط، الذي كنا قادريـن على رؤيته بوضـوح عن بعـد من هناك.

وفي تلك السنة أطلـق السلطان سراحهم مع زوجـــاتهم وأولادهم، استجابة لتدخل أحد الوسطاء، وقد قدموا إلى بلاط مولانا(البابا)، ومن هناك جـــرى إرسـالهم مشرفين إلى أوطانهم، وقـــد كـان واحـــداً منهم برغندياً، وكان آخر من طولوز.

وليس بعيداً عن تمثـال زوجة لوط تقـوم مدينة سـاعور، التي بفضل دعاء لوط أنقذت من الدمار.

وفيها وراء البحر الميت، بـاتجاه الشرق، توجد أحصن قلعـة في العالم، وهي التي اسمهـا باللغـة العربيـة«عربـة»، وفي الكلدانية«شـوبك»، وفي اللاتينية«مونتريال»، ولقد قيل إنه لايوجـد قلعة في العالم يمكن مقارنتها بها، ذلك أنها محاطة بثلاثة أسوار، ففي داخل السور الأول هناك صخرة مرتفعة جداً، فيها ثلاثة ينابيع تتدفق المياه منها، ومياه هذه الينابيع تسقي جميع المنطقة في تلك الأحواز، وفي داخل السور الثاني ينمو ما يكفي من القمح بسهولة للناس الذين يعيشـون في القلعة من سنة إلى سنة أخرى، وكان من المعتاد أن ينمو في داخل السور الثالث كثير من الكروم، لكن

هذه الدوالي اقتلعت، وليس بإمكان العالم كله أن يحرم القلعة من هذه الأشياء، باستثناء الأشجار والدوالي، وكانت هذه القلعة فيما مضى ملكاً للصليبيين، لكن ذنوبهم جعلتهم يفقدونها بدناءة كبيرة وبسبب خيانتهم الذاتية، ويحتفظ السلطان الآن دائماً بذخائره في هذه القلعة، وبابنه ووريثه، وإلى هذه القلعة يهرب دوماً حيث يجد الملجأ وقت الحاجة، وعند سفح هذه القلعة توجد قرية اسمها الربض، يسكن فيها أكثر من ستة آلاف مسيحي يتطلعون بشوق إلى إنقاذ الأرض المقدسة.

٤٢ — حول نهر الأردن

ويصل الانسان من البحر الميت إلى نهر الأردن الذي هو نهر لايتجاوز عرضه عشر خطوات، ومع أن الأردن نهر صغير، هو عميق جداً وموحل، وهو يفيض أو يتراجع وفقاً للموسم، ففي بعض الأحيان يفيض بمياه الأمطار إلى حد أنه يمكن إبحار سفن محملة عليه، ولهذا النهر قعر موحل جداً، ومياهه عذبة، وفيه سمك رائع، وهو ينبع من حوالي سفر أربعة أيام إلى الشمال من البحر الملعون، وذلك عند سفح جبل لبنان، ويأتي ذلك من جدولين هما«أر» و«دان»، ويمر خلال الجليل، ويأخذ اسمي هذين النهرين، فيصبح اسمه «الأردن»، وهناك عند سفح جبل الكرمل جدول يتدفق من هناك فيصب في«الأر»، وعلى مقربة من البحر الميت، وعلى بعد ميلين قصيرين، وعلى نهر الأردن يوجد المكان الذي جرى تعميد المسيح فيه من قبل يوحنا، ويطلق على هذا المكان اسم مخاضة الأردن، وهنا عبر يوشع مع بني إسرائيل فوق أرض جافة، وهنا أيضاً انقسمت مياه الأردن بناء على أوامر النبي إيليا، وهنا أيضاً انقسمت المياه ثانية عندما ضربها اليشع بعباءة إيليا.

وعلى مقربة من هذا المكان، وليس بعيداً عن ضفة الأردن، جرى بناء دير جميل على شرف يوحنا المعمدان، وهو مسكون من قبل رهبان

إغريـق، الذين أعلنوا أنهم يمتلكون ذراع القديس يوحنا، وقـد نقل هذا الدير، وابتعـد قليـلاً عن ضفـة النهـر، بسبب أن الميـاه تفيض في بعض الأحيـان، ويجتمع مسيحيو البـلاد وجميع الحجاج من البلدان النائيـة مع بعضهم في هذا المكان في يوم عيد الغطاس، ويقرأون هناك من الانجيل باللاتينيـة:«عندمـا ولد يسـوع في بيت لحم» الخ، ويبـاركـون الماء، ويعمـدون الصليب، ويقوم جميع الذين هـم وقتها مـرضى أو فيهم علة مـا، بالقفـز إلى الماء، فيبرأ كلهم من عللهم وأمـراضهم على مشهـد من جميع الناس.

ويوجـد في وادي الأردن كـومة من الغـرلات، حيث مكان الختـان، ومكان البكاء والنحيب، ومـوضع الاثنتي عشر صخرة، التي حملهـا بنو إسرائيل من أرض النهـر، لتكون ذكـرى وشهـادة، وعن هذه الصخـور تحدث يوحنا المعمـدان عندمـا قـال:«إن الله قـادر أن يقيـم من هذه الحجـارة أولاداً لإبراهيم»[متى:٣/ ٩]، ويدعى هذا الوادي باسم وادي عكان، بسبب أنـه جـرى هناك رجـم عكان، لأنه استـولى على ذهب الملك، ومن هذا الوادي جرى أيضاً حمل إيليـا ورفعه إلى السماء في عربة من نار.

وليس أبعـد من ميلين قصيرين من المكان الذي جـرى تعميد يسـوع فيـه، يدخل الأردن البحر الميت، أو البحـر الملعون، ولايرى بعـد ذلك، وهناك سؤال في المشرق: لماذا يتوجب على مثل هذا الماء المبارك، دخول مثل هذا المكان الملعـون؟ ويقـول بعضهم إن لعنة أولهما يمكن أن تزول بمباركة الآخـر، ويقول آخرون: إنه يجري ابتلاعـه بمجرد دخوله، ومن الممكن تصـديق الأمـرين، والذي يبـدو أكثـر احتمالاً بالنسبـة لي هو أنه يجري شربه وابتلاعه من قبل الأرض، لأن ميـاه الأمطار التي تتدفق من جميع التـلال المنتشرة هناك تجعل نهر الأردن عظيماً إلى حـد أنه يكون من غير الممكن لمثل هذه الكميات الضخمة من المياه أن تصب في البحر من

دون أن تجعله يفيض، ويغمر جميع المنطقة من حوله.

وطول نهر الأردن من نبعه حتى نهايته، هو حوالي خمسة وعشرين ميلاً من أميال هذه البلاد، وإلى جانب نهر الأردن هناك كثيراً جداً من الديرة، والقلايات والصوامع مليئة بالنعمة، ويمكن للانسان أن يرى كل أمسية على ضفاف هذا النهر نفسه وأعداداً لاتحصى من الحيوانات الكبيرة والصغيرة تشرب منه، وخاصة الأسود، والثعالب والظباء، والوعول، والأرانب، والخنازير البرية، وما شابه ذلك، وهي تسير بين الناس، وكأنها حيوانات مدجنة، واعتاد في أيامي أن يكون هناك أسد يقف بشكل دائم في مكان محدد، وذلك على الضفة القصوى من الأردن، وكان يتولى مراقبة الناس وهم يعبرون، حيث كان يحرك ذيله مثل كلب، ولايهرب أو يبتعد، ولايؤذي أحداً سواء في النهار أو في الليل، ورغب واحد من رماتنا أن يخيف الأسد وأن يغضبه، فأطلق نشابة نحوه، ولم يتحرك الأسد بل بدا وكأنه يحدق وينظر نحو السهم، لكن عندما رماه الرجل بسهم آخر، زأر الأسد وصاح بالسهم، وكأنه يريد أن يمسكه بفمه ومخالبه، وبعد هذا لم يعد هذا الأسد يرى في هذا المكان، وأخذ يسبب أذى عظيماً لكل من الناس ولحيوانات التحميل.

وبشأن الحيوانات البرية هناك كثير جداً منها في تلك المنطقة إلى حد أن الناس يسوقونهم إلى السوق مثل الأغنام.

وليس بعيداً عن هناك يوجد المكان الذي اسمه تلال الأردن، حيث بنى أبناء رأوبين، وأبناء جاد ونصف سبط منشا مذبحاً كبيراً ليروه، عندما تدخل هذه التلال بين أملاكهم.

٤٣ — حول رامه — شيلوه — عمواس — شيكار — السامرة والجليل.

ومن الأردن يصل الانسان في ثلاثة أيام إلى الجليل، واليهودية،

والسـامـرة، وبعـد رؤيتـه لعـدد كبير مـن المشـاهد، يخلف القـدس على اليسـار، ويصل إلى مدينة رامـة(صموئيل الأول:٢٥/ ١) القـائمة فـوق جبل إفـــرايم، ويسكن في هـذه المدينة في هذه الأيام القــاضي — أي أسقف المسلمين — وقـد واجهنـا هناك مـرة كثيراً من المتـاعب حـول بعض المسيحيين الذين اعتقلوا هناك من خـلال حماقتهم، وذلك قبل أن نطلق سراحهم.

وكان النبي صموئيل قـد ولد في هذه المدينة، وفيها دفن، وعلى مقربة من هذه المدينة حـــدث أن كـان النبي حبقـوق حـامــلاً إلى الحصـادين غـداءهـم، عندمـا أمسكه أحـد الملائكة وحمله إلى دانيـال الذي كـان في عـرين الأسـود في بابل، وليس بعيـداً عن رامـة التي كـانت فيها مضى جميلة، لكنهـا الآن مهجورة، توجـد مـدينة اسمها الرامـة، وهي مسقط رأس يوسف الذي دفن المسيح.

وعلى مقـربة من هذا المكان، وعلى بعـد ثلاثة أميـال عنه، قـامت فيها مضى مدينة شهيرة، هي الآن قريـة صغيرة، اسمها شيلوه، وفيها توقف تابوت العهد، واجتمع العبرانيون مع بعضهم هناك للصلاة.

وليس بعيداً عن شيلوه توجـد عمواس، التي كـانت فيها مضى مدينة جميلة، لكنها الآن مهجورة، وفيهـا ظهر المسيح إلى حوارييه بعـد قيامته، واسم هذه المدينـة الآن نيكوبولس(كـذا — خطـأ)، وعلى مقــربة من نيكوبولس، على جهة اليمين، كانت تقوم فيها مضى مدن مشهورة جداً، غير أنها الآن مهجورة، نذكر منها:جبعون، وعجلون، وذلك حيث قاتل يشـوع ضـد خمسـة ملوك، وبناء على طلبـه أطـالت الشمس بقـاءها ولم تغب، حتى هزم أعداء بني إسرائيل.

فضلاً عن هذا، قام — ليس بعيـداً عن شيلوه، في منطقة السامرة — فيها مضى مـدينة جميلة في وادي، وكـان اسـم هذه المدينة شيكار، ولكن

اسمها الآن نابلس، وهي في هذه الأيام كلها مهجورة، وهناك جرى اغتصاب دينة ابنة يعقوب، وقد انتقم لها أولاده.

وعلى مقربة من هذا الطريق قام فيما مضى كنيسة صغيرة جميلة، هي الآن مهدمة إلى حد كبير، يوجد فيها جب يعقوب، وإلى جواره عندما كان المسيح جالساً منهكاً بسبب سفره في هيئة ضعفنا البشري، وقتها سأل امرأة سامرية اعطاءه الماء ليجدد نشاطه، وقال لها حسبما جاء في الكتابات المقدسة:«لقد امتلكت خمسة أزواج».

وعلى مقربة من هذا الجب، قام يربعام، ملك إسرائيل، بصنع عجل ذهبي، قام بنو إسرائيل بعبادته، وأيضاً في حقل قريب من هذا المكان قتل داوود جالوت، هذا وهناك أماكن أخرى كثيرة مشهورة من الممكن مشاهدتها على طول هذا الطريق، سيقتضي الحال وقتاً طويلاً للحديث عنها.

وإذا ماغادر الانسان نابلس، يصل إلى السامرة، التي كانت فيما مضى عاصمة البلاد كلها، ولهذا السبب تعرف البلاد كلها باسم السامرة، وقد كانت هذه فيما مضى مدينة فائقة الجمال، ومشهورة، وملكية، ومدينة عظيمة جداً، وذلك حسبما تدلك خرائبها على ذلك، وهي في وضعها تشبه من جميع الجوانب مدينة القدس، وقد سكن ملوك إسرائيل فيما مضى في هذه المدينة، وفي هذه المدينة أيضاً جرى دفن القديس يوحنا المعمدان بين النبيين إيليا وعوبيديا.

وعرفت هذه المدينة بالقديم باسم السامرة، وبعد ذلك باسم سبسطية، واسمها الآن إيبلين(يبنى)، ومنها تعرف حتى الآن القبيلة المسيحية الرئيسية في تلك البلاد باسم«الايبلينية»(كذا)، وكان هؤلاء في البداية فرسان فرنسيين، ولدى استرداد الأرض المقدسة وقعت هذه المدينة في حصتهم.

وبعدما يكون الانسان قد فرغ من رؤية المشاهد المتقدمة الذكر في السامرة، يمضي إلى سهول الجليل، مخلفاً الجبال خلفه، والجليل مقاطعة من مقاطعات الأرض المقدسة، وهي مقاطعة جليلة، فيها سهول غنية، وروابي، ومراعي، وأعشاب، وأشياء أخرى جيدة، مع وديان مثمرة جداًوجميلة، ويقوم فوق سهولها، وعلى سفوح روابيها المدن التالية: نين، وكفرناحوم، وبيت صيدا، وقانا الجليل، لكن هذه المدن جميعاً الآن مهجورة، أو شبه مهجورة، ولايعطين انطباع أنهن كن قط لهن أي شأن، والأشياء التي صنعها الرب فيهن عندما كان بالجسد مثلنا، قد ورد ذكرها بتوسع في الانجيل، وبناء عليه لست مهتماً بتكرار ذلك.

وعلى مقربة من نين توجد عين دور، التي عند سفحها يجري جدول قيسون، ولقد تمجدت أرض الجليل هذه وأشرقت بمعجزات المسيح الكثيرة فيها، وعند حدود الجليل تقوم جبال جلبوع، التي هي تلال منخفضة، مليئة بكثافة بالأعشاب الخضراء، والمزروعات، والمراعي، وعلى هذه التلال سقط شاؤول، ويوناثان، وبنو إسرائيل، وعنهم قال داوود:«يا جبال جلبوع لايكن طل ولامطر عليكن»[صموئيل الثاني:١/ ٢١]، ويقول بعضهم أنه لايسقط عليهم لاندى ولا مطر، وهذا أمر غير صحيح، لأن الانسان يمكنه أن يرى أنه قد قام فوقهم عدد كبير جداً من الديرة الجميلة، وكان ذلك فيما مضى، وتظهر الرسوم أنهم كانوا ملكاً لطائفة السسترشيان، ولطائفة القديس بندكت.

وفي أحواز جبال جلبوع تقوم مدينة بيت أوليا، التي سكنت فيها يودث، التي قطعت رأس هولوفرنس بصعوبة، غير أن المدينة مهدمة الآن.

وبعدما يرى الانسان كل واحد من هذه الأشياء، يغادر سهل الجليل، ويأتي إلى الناصرة، التي كانت فيما مضى مدينة شهيرة، وهي جميلة جداً حتى هذه الأيام، قائمة في وادي مزهر وجميل، وهي محاطة من كل

جانب بالجبال، وهي ليست مسورة، لكن بيوتها قائمة بشكل أحدها بعيد عن الآخر، ومع ذلك هي مليئة بالسكان، وتلطف الرب في هذه المدينة بالاعلان من خلال جبريل إلى العذراء المباركة مريم بأنه قد صار رجلاً.

وقد بني في هذه المدينة كنيسة عظيمة جداً وجميلة، ويوجد في داخلها، وعلى مقربة من السدة هناك بيعة جميلة، قائمة فوق البقعة التي أعلن الرب فيها بأنه قد صار إنساناً من أجلنا، ويوجد في هذه البيعة عمود صغير، وقف في مقابيله جبرائيل عندما أعلن عن المسيح، وماتزال صورته مطبوعة على العمود، مثل صورة ختم على الشمع، وهي موجودة حتى هذا اليوم.

ويوجد خلف الكنيسة نبع ماء، منه اعتادت مريم المباركة دوماً على نضح الماء، وعلى مقربة منه غالباً ما تحدث إليها الملائكة وواسوها، وفي أيامي حاول المسلمون كثيراً سدّ هذا النبع مراغمة للمسيحيين والحجاج، لكنهم لم يستطيعوا مطلقاً إيقاف الماء ومنعه من التدفق، ودنس المسلمون أيضاً هذه الكنيسة المقدسة والمجيدة بطرق متنوعة، ذلك أنهم يسلخون الحيوانات الميتة فيها من أمثال:الحمير، والجمال، والكلاب، والثيران، ويرمون ما في أجوافها في داخلها، ولهذا سيتعذر على الانسان زيارة هذه الأماكن العالية القداسة بسبب الروائح النتنة.

ويسكن هناك في الناصرة أكثر المسلمين شروراً، وسوءاً، وأعيان يعرفون باسم دهيس Dehes ، حيث نادراً مايعبأون بالسلطان، لكن حتى يدخل الانسان إلى المدينة يحتاج إلى جواز منهم وأمان، وذلك قبل كل شيء.

وعلى مسافة ميل من الناصرة، هناك صخرة فوق جبل، يطلق عليها اسم«قفزة الرب»، وهي حيث مرّ يسوع من بين وسط اليهود، ومضى

في طريقه، وكان ذلك عندما أرادوا رميه من أعلاها، وذلك حسبما تحدثنا الكتابات المقدسة، وماتزال صورة يسوع مطبوعة حتى هذا اليوم على الصخرة التي عبرها، ومن الممكن مشاهدة ذلك، وكأنها قد طبعت فوق شمع طري.

وإذا ما سافر الانسان من هذا المكان، يصل في منتصف النهار إلى جبل الطور، الذي هو جبل منفرد قائم بنفسه فوق سهل، وهو عالي جداً، لكنه ليس واسعاً، وهو من جميع الجوانب يشبه هضبة اسمها ديزنبيرغ Dezenberg ، في أسقفية بادربورن.

وفوق قمة هذا الجبل تغيرت هيئة يسوع المسيح، وأشع وجهه مثل الشمس، وكان ذلك بحضور:بطرس، ويوحنا، وجيمس، وهنا ظهر كل من موسى وإلياس، وهما يتحدثان إليه، وقد بني فيما مضى فوق البقعة التي تغيرت هيئته عليها دير جليل وملكي، تابع لطائفة القديس بندكت، وكان راعيه يستخدم على مراسيمه ختماً على الرصاص مثل البابا، ولقد رأيت كثيراً من هذه الأختام على مراسيم، وعليك أن تعرف أن عيد تغيير الرب لهيئته محافظ عليه بوقار في بلاد ماوراء البحار، وهو يحل في يوم عيد القديسين فيلكس وآغابيتوس Agapetus[٦ — آب]،ووقتها يحتفل به بنبيذ جديد، وفي ذلك اليوم يلتقي جميع النبلاء وسكان المدينة مع بعضهم في الكنيسة، ويضعون أعلاماً على كنائسهم ويسهرون ويبتهجون طوال الليل، والذي تجري قراءته في القداس هو: Dies sanctificatus الخ، و Domnus dixit ad me filius illuxit ، الخ ومن الانجيل: Assumyist Jesus Petram et johannem, الخ، وقد قام المسلمون باحتلال قمة هذا الجبل مع الدير، لأنه كان فيما مضى محاطاً بشكل جيد بأسوار وأبراج، وكل شيء فوق القمة الآن مدمر ومهجور، لكن الأسوار والأبراج باقية في معظم الأجزاء، ويقرأ الانسان حول هذا الجبل أشياء أخرى كثيرة، تحدثت

عنها الكتابات المقدسة وأتت على ذكرها.

ويوجد عند سفح جبل الطور قلعة حصينة جداً وعظيمة اسمها قلعة تل الصافية، وهي قد بنيت من قبل الصليبيين، للدفاع عن الطريق الذي يقود إلى الجبل، لأن الجبل ظل دوماً مملوكاً من قبل المسلمين، ويوجد في هذه المناطق قبيلة كبيرة وجليلة من المسيحيين، اسمها عشيرة تل الصافية، لأن هذه القلعة كانت قلعتهم، إنما أين ولد آباؤهم قبل الاستيلاء على الأرض المقدسة، ما من أحد يعرف، وغالباً ما سئلت من قبلهم فيما إذا كان في بلادي أي قوم يقولون إن لهم أقرباء في هذه المناطق، أو يحملون رنوكهم فوق ترستهم.

ويذهب الانسان من جبل الطور إلى جبل حرمون، الذي هو جبل جميل وممتع، ويصل إلى سهول واسعة من سهول الجليل، وذلك حيث سقط سيسرا مع جيشه، ثم يصل الانسان إلى شواطىء بحر الجليل، ومدينة سينارت، التي حملت فيما بعد اسم طبرية، واسمها الآن طيبريا، وهي قائمة على شاطىء البحر، وهي مكان بائس، ولم يكن قط أكثر بؤساً، لكن فيما مضى كان لها أسقفاً، لأن صاحبها امتلك الجزء الأعظم من بحر الجليل، وعلى مقربة من هذه المدينة هناك حمامات طبيعية حارة، مثل حمامات آخن في هذه البلاد، ويبدو أنه كان يقوم على شواطىء بحر الجليل كثير من المدن الأخرى والقرى، مع أنه لايوجد عن أي منها روايات كثيرة، وفيها سكن حواريو المسيح، وآخرون من الناس الفقراء وصيادو الأسماك، وهم مابرحوا يسكنون هناك.

وطول محيط بحر الجليل أو بحيرة طبرية عشرين ميلاً من أميال هذه البلاد، وفيها مياه عذبة كثيرة، وأسماك كثيرة، ومياهها فائقة العذوبة، ويصب نهر«الأر» في هذا البحر من جانب،ونهر«دان» من الجانب الآخر، ومن الممكن رؤيتهما وهما يعبران خلال البحر، ويخرجان منه على شكل نهر واحد، عندها يطلق عليه اسم الأردن، وفوق هذا البحر

وبجواره صنع الرب — وهو على هيئة إنسـان — كثيراً من المعجزات، فمن هذا البحر دعا يسوع بطرس وأندرو، وجعلهما حواريين له، وفوق مياه هذا البحـر مشى المسيح حافي القـدمين، وأمسك ببطرس عندما بدأ يغـرق، وعلى ظهـر هذا البحـر نام يسـوع في السفينـة، وأوقف الريح وسكّنه عندمـا ثارت العاصفـة، وأبحـر يسوع فـوق هذا البحر مـراراً عندما كان في هيئة ضعفنا البشري، ومجّده بكثير من المعجزات.

وإلى جانب هذا البحـر ظهر يسوع لحوارييه بعد قيـامته، وأكل سمكاً مشوياً، وقرصاً من عسل النحل، وفي هذا المكان قامت فيما مضى كنيسة جميلة، هي الآن مهدمة، وإلى جـانب هذا البحر هناك جبل، أطعم الرب عند سفحه خمسة آلاف إنسـان، بخمسة أرغفة وسمكتين، وذلك حسبما تحدث الانجيل عن ذلك.

ويوجد على قمة هذا الجبل، في الجهة الشماليـة، قلعة مرتفعة وحصينة جداً، وهي تعرف مع قريتهـا باسم صفد، وفيها في أيامي يسكن يهودي من وستفاليـا مع زوجته، وليس بعيداً عن هذه القلعـة قامت فيما مضى مدينة جميلة اسمهـا دان، غير أنها الآن شبه مهجـورة، وهذه هي النهاية الأخرى لأرض الميعاد، لأن أرض الميعاد تمتد من دان إلى بير السبع، أي من الشمال إلى الجنوب، وطولها حـوالي خمسة وعشرين ميـلاً، وعرضهـا من أريحا إلى يافـا، وذلك من الشرق إلى الغـرب، ومقـدار ذلك حـوالي أحد عشر ميلاً بأميال هذه البلاد، وذلك حسبما سمعت من بعض رسل السلطان، ومن قـوم مـوثوقين جـداً من أهل البـلاد، هم أيضـاً قـامـوا بوصف البلاد.

وليس بعيـداً عـن دان، باتجاه الشمال، توجـد المدينة التـي كـانت فيما مضى جميلة، أي مدينـة بانياس، التي اسمها الآن قيسـارية فيليب، وهي قـائمــة بشكل بهي عند سفح جبل لبنان، لكن سكانها عــددهم قليل، وعلى مقربة منها حدث أن سأل يسوع حوارييه:«من يقول الناس إني أنا

ابن الانسان»[متى:١٦/ ١٣]، فهذا ماذكره الانجيل.

وعلى مقـربة من هذه المدينة هناك نبع قـريب مـن الجبل، هو الذي يفصل فينيقيـا عن آدوم، ويعـرف هذا النبـع بشكل عـام باسم السبت، لأنه يتدفق في يوم السبت، وبعـد مشاهدتك لجميع هذه المشـاهد، تقوم بعبور الأردن عند المكـان الذي يغادر فيه الجليـل أولاً، وفي بلاد ماوراء الأردن تلقى سبطان ونصـف سبط ميراثهما، وهنا أيضـاً يفصل الأردن الجليل عن أدوم، ويتابع الانسان سفره فيرى كثيراً من القرى وأماكن لم يرد ذكرها في الكتـابات المقدسـة، ويصل — إذا ما اختـار — إلى قرية دفن فيهـا أيوب، وحـدث على مقربة من هذه القـرية، أن وقع القـديس بولص مصعوقاً وتحول (إلى المسيحية) وهي قائمة على بعد سفر يوم من دمشق.

٤٤ — مدينة دمشق

وإذا ما سافـر الانسان من هذه القرية، فإنه يصل إلى دمشق، ودمشق مدينة فائقة القدم،أسسها دمشق، خادم إبراهيم، وهي قائمة فوق المكان الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وهي مدينة فائقة الجلالة، ومجيدة جداً، وعظيمـة الجمال، وغنيـة بجميع أنواع البضـائع، وهي بهيجـة في كل مكان، غير أن حلاوتها مصطنعـة أكثر منها طبيعية، وفيهـا وفرة عظيمة من الأطعمـة، والتـوابل، والأحجـار الكـريمـة، والحرير، واللآلىء، والأقمشة المذهبة، والعطور من الهند، ومن بلاد التتار، ومن مصر، ومن سورية، ومن أمـاكن من جانبنا من البحر المتوسط، وفيهـا جميع الأشياء الثمينة التي يشتهيهـا قلب الانسـان أو يتصـورها، وهي محاطة ببسـاتين وحـدائق، تجري سقـايتهـا بالماء من الداخل ومن الخارج، وبـوسـاطة الأنهار، والجداول، والينابيع، وقـد نظمت ببراعة، من أجل تأمين رفـاه الانسان، وهي مكتظة السكان، وذلك فوق حد التصور، وهي مسكونة بمختلف الصناع والتجـار، ومن الأكثـر براعـة من الحرفيين وأعظمهم

جلالة، وفيها صناع وتجار هم الأكثر نبلاً، وهي مزينة من الداخل، بحمامات عددها فوق حد التصور، وبطيور تغني طوال السنة، وبجميع أنواع المسرات، ووسائل الراحة، وألوان التسلية.

وكل حرفة وتجارة مقيمة بشكل مستقل في شارع خاص، ويقوم كل حرفي — تبعاً لحرفته ولبراعته — بتقديم عرض رائع لأعماله أمام واجهة بيته، ويظهر براعته، وأفضل ما يمكن أن يعمله في ميدان حرفته، ويحاول التفوق على جيرانه إذا كان ذلك ممكناً، ولهذا يزين بيته ويجمله ويجعله فخماً أكثر من التصور، ومما يمكنني إخباركم.

ويعمل التجار مثلهم بتجاراتهم، أما الحرفيون فيعملون هناك بشكل رائع، وببراعة فائقة جداً، غير أنهم يبيعون كل شيء بأثمان عالية جداً، ويمتلك الأغنياء من سكان المدينة جميع أنواع الطيور التي تغني، وأقفاص طيور يعلقونها أمام بيوتهم فيها من الطيور أمثال: العندليب، والسلوى، والقنبرة، والدراج، وما شابه ذلك، فكلهم يغنون بشكل رائع، ومتساوي تماماً طوال السنة كلها، وهم أفضل في أيام الشتاء، منهم في أيام حرارة الصيف، ويمكنك أن تسمع جميع الأنواع الأخرى من الطيور من أمثال: الغربان، والهدهد، والطيور السوداء، وما شابه ذلك، ممن يمكن تعليمهم محاكاة كلام الانسان، وبذلك تجدهم يتكلمون مثل البشر بمختلف الألسنة.

ومع أن المدينة مكتظة بالسكان كثيراً، وكذلك مع أن البضائع تترك تقريباً بلا حراسة، فإنه لايوجد إنسان متقدم السن كثيراً يتذكر أن أي إنسان قد قتل هناك، ونادراً جداً أن جرت سرقة أية بضائع معروضة للبيع هناك، هذا ولكل بضاعة ولكل نوع من الأشياء سوق خاص به لبيعه.

وفي السوق الذي تباع فيه الأطعمة، من الممكن هناك رؤية أعظم

حشد من الناس يمكن رؤيتـه، اجتمع في مكان واحد، ويكون ذلك كل يوم، حيث تتوفر جميع أنواع الأطعمة التي يمكنك أن تتصور وجودها، وكثير منها قـدجرى طبخـه بشكل فاخـر، وهم يعتنون عناية كبيرة بهذه الأشياء، ويبيعون كل شيء بالوزن والميزان، كما وتباع هناك أنواع عديدة من الخبز.

ويوجـد في دمشق قلعـة حصينة جـداً، هي بحـوذة السلطان، وفيهـا يسكن ملك دمشق، وفي سنة ألف وثلاثمائـة وإحدى وأربعين لتجسيـد ربنا، حـدثت في عشيـة يوم عيد القـديس جـرجس مـذبحـة وملاحقـة وتعذيب للمسيحيين من قبل ملك دمشق والرعـاع فيها، مثلما حدث في زمن متأخـر مذبحـة لليهود في هذه البـلاد[بلاد المؤلف]، غير أن أعمال التعذيب لم تستمـر بفضل الرب لمدة تزيد على الشهر، وكله جـرى قمعه والانتقام له من قبل السلطان، كما ستسمع بشكل جيد فيما بعد.

ويوجد في دمشق أعداد كبيرة جداً من الكنائس لكل من الكاثوليك والهراطقـــة، كما هناك أديـرة مليئة بالنعمـــة، ومن هذه الكنـائس أخـــذ المسلمون واحدة من الكنائس الجميلة، واتخذوها كنيسة لأنفسهم، وهي التي يرقد فيها جسـد ذلك الحكيم العالم، والمرجع الموثوق الهام، وأعني به القـديس يوحنا الدمشقي، ويوجـد على واجهـة هذه الكنيسة صـورة جلالة الرب مرسومة بشكل فخم.

فضلاً عن هذا، أمكن بشكل فني جعل نهر فرفر يجري خلال دمشق، حيث يدير ببراعة وإبداع كثيراً من الطواحين، ويوجـد من حول دمشق حدائق وبسـاتين لانهاية لها، فيها تنمـو النباتات والأعشاب، والفـواكه، والورود، والزهور، على مـــدار السنة، وهي سـاحـــرة بسبب غناء جميع أنواع الحمائم والطيـور، التي تغرد في أيام الشتـاء، أكثر مما تغـرد في أيام حرارة الصيف.

وتحيط هذه البساتين والحدائق بالمدينة إلى مسافة تقارب الميلين، وجميع البلاد حتى إلى مناطق نائية فيها وفرة عظيمة من الفواكه الطازجة، طوال أيام السنة، وبناء عليه يرددون في الشرق ويقولون بإجماع:«دمشق هي رأس سورية»، والاغريق صدوراً بشكل دائم عن حبهم لها واحترامهم يطلقون دوماً على أكبر أبنائهم اسم بولي داماس Polydamas ، أي مدينة دمشق، وسيقتضي الحال وقتاً طويلاً للحديث عن عجائب دمشق الأخرى، وعن جمالها.

والمسافة من دمشق إلى الجبل الذي أراه الرب إلى إبراهيم، أقل من مسافة نصف يوم وهو الجبل الذي توجب أن يضحي عليه بابنه اسحق، واسم هذا الجبل، جبل سعير أو جبل سارديني Sardenay (صيدنايا)،ويعبر الانسان أولاً نهري دمشق: أبانا وفرفر، فيجد على جبل سعير الوعر هذا، أو سارديني[صيدنايا] ديراً جميلاً، وهو محاط من كل جانب بأسوار فائقة القوة، مثله في ذلك مثل قلعة، وهو مسكون من قبل رهبان إغريق(أرثوذكس) وراهبات، وفي هذا الدير، وفوق البقعة التي كان إبراهيم سيضحي فيها بابنه اسحق، تقوم كنيسة جميلة، يوجد في داخلها، خلف المذبح، في قوس نصف دائري، في الجدار، تمثال لمريم المباركة، وهي ترضع ابنها، وهو مدهون مرسوم من عند الوسط نحو الأعلى فوق منضدة خشبية، ومسيجة بحواجز حديدية، غير أن هذه الصورة صارت سوداء داكنة بسبب الزمن والتقبيل، لذلك بات من الصعب تمييز الانسان للصورة، إلاّ قليلاً من اللون الأحمر يمكن رؤيته على الملابس، ومع ذلك عمل الرب من خلال هذه الصورة كثيراً من المباركات والعجائب وأعمال النعمة.

وقد قرأنا أنه في الأيام التي كان الصليبيون يحتلون فيها الأرض المقدسة ويمتلكونها، رغبت امرأة أرملة، واختارت أن تخدم الرب، بأن تتخذ صومعة على هذا الجبل، ورغبت في أن لايعلم إنسان بذلك، حتى

لايعـاق تكريسهـا لنفسها وعبـادتها بأي عمل دنيـوي، وعلى كل حـال اتخذت لنفسهـا عقيلة بشكل سري، كـانت تزورها من وقت إلى وقت، وتجلب لها الأشيـاء الضرورية، وتقوم بخـدمتهـا وصنع القداسـات لها، وحدث مرة أن هذه العقيلة التي وثقت بها، كـانت على نية القيام بزيارة القدس والأمـاكن المقدسـة الأخرى، فـرجتها الأرملة الناسكة بتـواضع وتقوى أن تجلب لها صـورة لمريم المباركـة مرسـومة على رقيم، لأنها من صميم قلبهـا متشوقة لامتـلاك مثل هذه الصورة، ووعـدتها العقيلة بأن تفعل ذلك، وودعـت الأرملة الناسكة، وذهبـت إلى مـدينة القـدس المقـدسة، وبعـدمـا زارت الأماكن المقـدسـة حصلت على لوحة عليهـا صـورة القـديسـة مـريـم، وارتحلت عـائـدة تـريد جبل سعير هذا، أو «صيدنايا»، وعندما كانت على مقربة من نهر الأردن هاجمها أسد مخيف، ولم يكن بإمكانها الفـرار، بل دافعت عن نفسها بيـديها ضد وثبـة الأسد عليهـا، حيث رفعـت لوح الصـورة وكأنه ترس، ومـا أن لمس الأسـد اللوح حتى تمزق إلى أشـلاء، وتابعت العقيلة رحلتهـا من دون انقطاع، ووصلت إلى الجبل، غير أنها أخفت ما حدث لها، ونزل بها عن الأرملة الناسكة، وقد حـدثتها عن أشياء كثيرة حـول الأماكن المقدسة، وبعـدما أخبرتها بكل شيء سألت الأرملة العقيلـة عما إذا كـانت جلبت اللوحـة التي قد رسم عليها الصورة المطلوبة، وأجابتها العقيلة التي اعتقدت أن اللوحـة سـوف تمتلك دومـاً الفضـائـل نفسهـا التي امتلكتهـا من قبل، وقالت لها بأنها لم تجلبهـا بل نسيتها، ولدى سماع الأرملة بذلـك حزنت كثيراً، وتأسفت، وتحسرت بعمـق، حتى أنها لم تستطع منع نفسهـا من الانفجـار بالبكاء، وعندمـا أصرت العقيلة على مـوقفهـا، انغلقت جميع أبواب الصومعـة والبيعة، وحبستها بشدة في داخلهـا، ولدى رؤيتها بأن هذا قـد تمّ بإرادة الرب، قـامت هذه العقيلة على الفـور بالاعتراف إلى الأرملة، حيث أخبرتها بأنها حصلت على اللوحة، وأخبرتها بتفـاصيل ما حـدث لها أثناء رحلتهـا فيما يتعلق بالأسـد وبأمـور أخـرى، وعندمـا

سمعت الأرملة بهذا قدمت الشكر مراراً إلى الرب وتسلمت اللوحة ببهجة، واحترام، وتقوى، ووضعتها في مكان هو الذي تقوم الآن فيه، وبدموع وصلوات قدمت التشريف للمسيح من أجل الصورة، وبعد أمد شرعت هذه الصورة ترشح بشكل واضح بزيت له رائحة طيبة، ويجري الزيت ليصب في حفرة عملت أمام الصورة، ومابرح هذا الزيت يجري حتى هذا اليوم، غير أنه بسبب أعداد الحجاج، يقوم الرهبان في هذه الكنيسة بمزج هذا الزيت بزيت آخر، ويعطونه إلى الحجاج، لكن ما من شك بأن الصورة ترشح بزيت طيب الرائحة، ويتغير هذا الزيت خلال سنة إلى حليب، ثم يتغير الحليب فيما بعد إلى دم، وهو ما رأيته مراراً بعيني، فلقد رأيت في أوقات متنوعة هذا الزيت وقد تغير على هذه الصورة، ومراراً كثيراً امتلكت بعض الزيت الذي تغير هكذا بشكل إعجازي، ولهذا الزيت فضائل عظيمة ضد العواصف في البحر، وذلك عندما يجري تعليقه داخل زجاجة في مؤخرة السفينة، فوقتها تهدأ أشد العواصف وأعنفها على الفور، وهذا ما رأيته مراراً بوضوح.

ومن جهات عدة من الواضح أن لدى الرب محبة خاصة لهذا المكان، أو الجبل، بدليل أنه أظهر لابراهيم أن بإمكانه التضحية بابنه فوقه، لأنه عمل عدداً كبيراً من المعجزات تشريفاً لأمه مريم، التي رسمت صورتها هناك، ولأنه على الرغم من كثير من الاضطرابات والغزوات التي شهدتها البلاد وحدثت فيها، فهذه البلاد قد فقدت بشكل غريب وربحت من قبل شعوب مختلفة، ومع هذا فإن رهبان وراهبات هذا المكان بقيوا دوماً من دون أذى.

ولقد قرأنا — والمسألة ماتزال حاضرة في ذاكرة الناس — أنه بعدما استولى هولاكو على بغداد، الأمر الذي أتيت على ذكره — قام بنهب مصر، وجميع سورية، والمنطقة بأسرها، فخاف رهبان وراهبات هذا

المكان، وفكروا بمغادرته، وهنا ظهر الرب لهم وكذلك العذراء المباركة، بشكل مرئي، وواسوهم، ولذلك لم يبق لديهم خوف مطلقاً، ولم يغادروا المكان، ولأنهم رغبوا بالبقاء على مقربة من الرب والعذراء، اللذان شجعانهم بشكل مرئي، لم يتعرضوا بعد ذلك لأي أذى، أو ضرر من إنسان أو حيوان، أو وحش، بل كانوا في أيامي بنعمة خاصة وحظوة مع السلطان، الذي صنع لهم كثيراً من الأعمال المفيدة، وحماهم من كل جانب مثل أب.

وعند سفح جبل سعير، هناك قرية عظيمة جداً وجميلة، يسكن فيها إغريق(أرثوذكس) وسريان، وهي مليئة بالخمرة الجيدة وبكثير من الأشياء الأخرى الجيدة، وهناك متوفر في كل من الصيف والشتاء، سنة بعد سنة، عناقيد عنب طازج موجودة فوق الدوالي، وهي في الحقيقة محروسة بشكل خاص، ومعزولة لهذا الغرض، وقد صنع الرب فوق هذا الجبل كثيراً من العجائب الأخرى والمعجزات، وهذا كله صادر عن رعاية خاصة به وعاطفة نحوه، وذلك بفضائل تلك الصورة، التي تحتاج إلى وقت طويل للحديث عنها.

٤٥ — حول وادي البقاع — ولبنان — وبيروت

ولدى متابعة الانسان السفر من جبل سعير، يمكنه أن يرى أشياء كثيرة لاتحتاج إلى الذكر على الطريق، وإذا ما خلف الانسان مدينتي الرامة وطرابلس على جهة اليمين يصل إلى وادي اسمه البقاع، الذي مايزال حتى هذا اليوم يطلق عليه اسم سهل نوح، لأن نوحاً قد سكن هناك بعد الطوفان، وهذا السهل فائق الخصوبة والغنى، ومليء بشكل عظيم بالمروج، والمراعي، والأشجار والينابيع، والقطعان، والأسماك، والقمح، وهو محصور بين الجبال، ومسكون من قبل فلاحين مسلمين.

وبعدما تكون قد فرغت من رؤية هذا كله، تصل إلى جبل لبنان،

الذي كنت قد أتيت على ذكره أيضاً، ثم تصل إلى الجبل الأسود، الذي يمتد بعيداً حتى أنطاكية، والذي عليه تنمو الأشجار التي منها يجري تصنيع القسي الزيارة، وتحمل هذه الأخشاب من هذه الجبال إلى بلدان نائية ومناطق بعيدة.

ويسكن عند سفح هذا الجبل حشد كبير من المسيحيين المتمسكين بالعقيدة اللاتينية، والمرتبطين بكنيسة روما، وقد رأيت عدداً كبيراً من أساقفتهم الذين جرى رسمهم من قبل رؤساء أساقفة لاتين، والذين هم بغاية الشوق الدائم، والحنين المستمر لقدوم الصليبيين، ولاسترداد الأرض المقدسة.

وبعد رؤية جميع هذه الأماكن، وقرى جميلة، وأماكن، ومزارع يصل الانسان إلى مدينة قائمة على شاطىء البحر اسمها بيروت، وهي مدينة كنت قد أتيت على ذكرها، وهذه المدينة ميناء عام للحجاج، وعلى مقربة منها قتل الشهيد القديس جرجس التنين، وحول المدينة والمنطقة كلها إلى الايمان المسيحي.

ومن بيروت يستطيع الانسان أن يعود إلى أي بلد من البلدان، يود الذهاب إليه على هذا الطرف من البحر المتوسط، وهذه مسألة أدع إقرارها إلى اختياره الخاص.

وهذه هي طرق السفريات والرحلات في الأرض المقدسة، وهي طرق موثوقة، مع أنها لاتتماشى مع طرق الحجاج العامة، وعبرها ومن خلالها رأيت كما أريد، جميع الأماكن المقدسة المتقدمة الذكر، والصوامع وذلك بالوضع والشكل الذي ظهروا فيه في السنوات المذكورة من تجسيد ربنا.

والذي أعرفه أن ما من إنسان حي يمكنه أن يطعن بروايتي بأي حال من الأحوال، لأنني أنا الشاهد على كل ما رأيت، أو سمعت من رجال

- ٤٢١٤ -

صادقين، وهذه الرواية صادقة تماماً، كتبتها صدوراً عن التقوى والاحترام اللذان أنا مدان بهما إلى الأب الجدير بالاحترام، والمولى في المسيح، السيد بلدوين، أسقف كنيسة بادربورن، وباسم الرب كنت قد بدأت، وباسمه أختم الشي نفسه، وله الحمد والمجد إلى الأبد، والأبد، آمين.

المحتوى